





الْبَيْدَانِيَّةُ وَالنَّهْيَانِيَّةُ

٣٠٢٢٧٩

﴿ في التاريخ ﴾

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل



ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين اما بعد فقد اوقفت هذا الكتاب على صاحبها شرعيا لا يبيعه ولا يورثه ولا يقرضه ولا يقرضه الا بموافقة من يملكه من ائمة عالى الذين بيده لونه من الواقف

الجزء السابع

الفقيه الحقيق مصطفى ابن رضا

الاسلاني في سنة ١٢٧١

Handwritten signature

بنطبعة النفاذ بجوار محافظة بطن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاث عشرة من الهجرة

استهلت هذه السنة والصدیق عازم علی جمع الجنود لیبعثهم إلی الشام ، وذلك بعد مرجعه من الحج عملاً بقوله تعالی : (یا ایها الذین آمنوا قاتلوا الذین یلونکم من الکفار ولیجدوا فیکم غلظة واعلموا أن الله مع المتقین) . وبقوله تعالی (قاتلوا الذین لا یؤمنون بالله ولا بالیوم الآخر) الآیة . واقتداء برسول الله ﷺ فانه جمع المسلمین لغزو الشام - وذلك عام تبوک - حتی وصلها فی حر شدید وجهد ، فرجع عامه ذلك ، ثم بعث قبل موته أسامة بن زید مولاه لیغزو تخوم الشام كما تقدم . ولما فرغ الصدیق من أمر جزيرة العرب بسط یمینه إلی العراق ، فبعث إلیها خالد بن الولید ثم أراد أن یمعث إلی الشام كما بعث إلی العراق ، فشرع فی جمع الأمراء فی أماکن متفرقة من جزيرة العرب . وكان قد استعمل عمرو بن العاص علی صدقات قضاة معه الولید بن عقبه فیهم ، فکتب إلیه یرسئله إلی الشام : « إنی کنت قد رددتک علی العمل الذی ولا کفر رسول الله ﷺ مرة ، وسماه لک أخرى ، وقد أحببت أبا عبد الله أن أفرغک لما هو خیر لک فی حیاتک ومعادک منه ، إلا أن ینکون الذی أنت فیه أحب إلیک » فکتب إلیه عمرو بن العاص : إنی سهم من سهام الاسلام ، وأنت عبد الله الرامی بها ، والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاهها فارم بی فیها . وکتب إلی الولید بن عقبه

بمثل ذلك ورد علیه مثله ، وأقبلا بعد ما استخلفا فی عملهما ، إلی المدینة . وقدم خالد بن سعید بن العاص من الیمین فدخل المدینة وعلیه جبة دبیاج ، فلما رآها عمر علیه أمر من هناك من الناس بشجر یقها عنه ، فغضب خالد بن سعید وقال لعلی بن أبی طالب : یا أبا الحسن ! أغلبتم یابنی عبد مناف عن الأمرة ؟ فقال له علی : أمغالبه تراها أو خلافة ؟ فقال لا یغالب علی هذا الأمر أولى منکم . فقال له عمر بن الخطاب : أسکت فض الله فاک ، والله لاتزال کاذباً تخوض فیما قلت ثم لاتضر إلا نفسك . وأبلغها عمر أبا بکر فلم یتأثر لها أبو بکر . ولما اجتمع عند الصدیق من الجیوش ما أراد قام فی الناس خطیباً فأثنی علی الله بما هو أهله ، ثم حث الناس علی الجهاد فقال : ألا لکل أمر جوامع ، فمن بلغها فهي حسبه ، ومن عمل لله کفاه الله ، علیکم بالجد والقصد فان القصد أبلغ ، ألا إنه لا دین لأحد لا إیمان له ، ولا إیمان لمن لا خشية له ، ولا عمل لمن لا نية له ، ألا وإن فی کتاب الله من الثواب علی الجهاد فی سبیل الله لما ینبغی للمسلم أن یجرب أن یخص به ، هي النجاة التي دل الله علیها ، إذ نجی بها من الخزی ، وألحق بها السکرامه .

ثم شرع الصدیق فی تولیة الأمراء وعقد الأویة والرايات ، فیکال إن أول لواء عقده لخالد بن سعید بن العاص ، فجاء عمر بن الخطاب فثناه عنه وذكره بما قال . فلم یتأثر به الصدیق كما تأثر به عمر ، بل عزله عن الشام وولاه أرض **تباء** . ینبغی فیها فیمن معه من المسلمین حتی یأتیه أمره . ثم عقد لواء یزید بن أبی سفیان ومعه جمهور الناس ، ومعه سهیل بن عمرو ، وأشباهه من أهل مکة ، وخرج معه ماشياً یوصیه بما اعتمده فی حربته ومن معه من المسلمین ، وجعل له دمشق . وبعث أبا عبیدة بن الجراح علی جند آخر ، وخرج معه ماشياً یوصیه ، وجعل له نیاة حمص . وبعث عمرو بن العاص ومعه جند آخر وجعله علی فلسطين . وأمر کل امیر أن یسلك طریقاً غیر طریق الآخر ، لما لحظ فی ذلك من المصالح . وكان الصدیق اقتدی فی ذلك بنبی الله یعقوب حین قال لبنی **یابنی** لاتدخلوا من باب واحد ودخلوا من أبواب متفرقة وما أغنی عنکم من الله من شیء إلا إن الحکم إلا لله علیه توکلت وعلیه فلیتوکل المتوکلون . فكان سلوک یزید بن أبی سفیان علی تبوک . قال المدائنی باسناده عن شیوخه قالوا : وكان بعث أبی بکر هذه الجیوش فی أول سنة ثلاث عشرة . قال محمد بن إسحاق عن صالح بن کيسان : خرج أبو بکر ماشياً ویزید بن أبی سفیان راكباً فجعل ، یوصیه ، فلما فرغ قال : أقرتک السلام وأستودعک الله ، ثم انصرف ومضى یزید وأجد السیر . ثم تبعه شرحبیل بن حسنة ، ثم أبو عبیدة مدداً لها ، فسلكوا غیر ذلك الطريق . وخرج عمرو بن العاص حتی نزل العرصات من أرض الشام . ویقال إن یزید بن أبی سفیان نزل البلقاء أولاً . ونزل شرحبیل بالأردن ، ویقال ببصری . ونزل أبو عبیدة بالجابية . وجعل الصدیق یمدهم بالگیوش ، وأمر کل

واحد منهم أن ينضاف إلى من أحب من الأمراء . ويقال إن أبا عبيدة لما مر بأرض البلقاء قاتلهم حتى صالحوه وكان أول صلح وقع بالشام .

ويقال إن أول حرب وقع بالشام أن الروم اجتمعوا بمكان يقال له العرية من أرض فلسطين، فوجه إليهم أبا أمامة في سرية فقتلهم وغنم منهم ، وقتل منهم بطراً عظيماً . ثم كانت بعد هذه وقعة مرج الصفر استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاص وجماعة من المسلمين . ويقال إن الذي استشهد في مرج الصفر ابن خالد بن سعيد ، وأما هو ففرح حتى انحاز إلى أرض الحجاز فأنزله الله أعلم ، حكاه ابن جرير . قال ابن جرير : ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم في جمع كثير من نصارى العرب ، من غيرا ، وتوخ ، وبني كلب ، وسليح ، ونخج ، وجندام ، وغسان ، فتقدم إليهم خالد بن سعيد ، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه ودخل كثير منهم في الاسلام ، وبعث إلى الصديق يعلمه بما وقع من الفتح ، فأمره الصديق أن يتقدم ولا يهجم ، وأمره بالوليد بن عتبة وعكرمة بن أبي جهل وجماعة ، فسار إلى قريب من إيلياء فالتقى هو وأمير من الروم يقال له ماهان فكسره ، وجأ ماهان إلى دمشق ، فلحقه خالد بن سعيد ، وبادر الجيوش إلى لحوق دمشق وطلب الحظوة ، فوصلوا إلى مرج الصفر فالتفت عليه مسالح ماهان وأخذوا عليهم الطريق ، وزحف ماهان ففر خالد بن سعيد ، فلم يرد إلى ذي المروة . واستحوذ الروم على جيشهم إلا من فر على الخيل ، وثبت عكرمة بن أبي جهل ، وقد تفهق عن الشام قريباً وبقى رده لمن نذر إليه ، وأقبل شرحبيل بن حسنة من العراق من عند خالد بن الوليد إلى الصديق ، فأمره على جيشه وبعثه إلى الشام ، فلما مر بخالد بن سعيد بن ذي المروة ، أخذ جمهور أصحابه الذين هربوا معه إلى ذي المروة . ثم اجتمع عند الصديق طائفة من الناس فأمر عليهم معاوية بن أبي سفيان وأرسله وراء أخيه يزيد بن أبي سفيان . ولما مر بخالد بن سعيد أخذ من كان بقي معه بنى المروة إلى الشام . ثم أذن الصديق لخالد بن سعيد في الدخول إلى المدينة وقال : كان عمر أعلم بخالد .

﴿ وقعة اليرموك ﴾

على ما ذكره سيف بن عمر في هذه السنة قبل فتح دمشق ، وتبعه على ذلك أبو جعفر بن جرير رحمه الله . وأما الحافظ ابن عساكر رحمه الله فإنه نقل عن يزيد بن أبي عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبي معشر أنها كانت في سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . وقال محمد بن إسحاق : كانت في رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط قال ابن الكلابي : كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس ماضين من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر ، وهذا هو المحفوظ و [أما] ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة فلم يتابع عليه .

قلت : وهذا ذكر سياق سيف وغيره على ما أورده ابن جرير وغيره . قال : ولما توجهت هذه الجيوش نحو الشام أفرغ ذلك الروم وخافوا خوفاً شديداً ، وكتبوا إلى هرقل يعلمونه بما كان من الأمر . فيقال إنه كان يومئذ بمحصر ، ويقال : كان حج عامه ذلك إلى بيت المقدس . فلما انتهى إليه الخبر . قال لهم : ويحكم إن هؤلاء أهل دين جديد ، وإنهم لا قبل لأحد بهم ، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحوهم على نصف خراج الشام و يبقى لكم جبال الروم ، وإن أتم أبيتكم ذلك أخذوا منكم الشام وضيقتوا عليكم جبال الروم . فنخروا من ذلك نخرة حمر الوحش كما هي عادتهم في قلة المعرفة والرأى بالحرب والنصرة في الدين والدنيا . فعند ذلك سار إلى حصص ، وأمر هرقل بخروج الجيوش الرومية صحبة الأمراء ، في مقابلة كل أمير من المسلمين جيش كثيف ، فبعث إلى عمرو بن العاص أخاه لأبويه « تدارق » في تسعين ألفاً من المقاتلة . وبعث جرجه بن بويه إلى ناحية يزيد بن أبي سفيان ، فسكر بازائه في خمسين ألفاً أو ستين ألفاً . وبعث الدراقص إلى شرحبيل بن حسنة . وبعث القيقار ويقال القيقلان - قال ابن إسحاق وهو خصي هرقل نستورس - في ستين ألفاً إلى أبي عبيدة بن الجراح . وقالت الروم : والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا . وجميع عساكر المسلمين أحد وعشرون ألفاً سوى الجيش الذي مع عكرمة بن أبي جهل . وكان واقفاً في طرف الشام ردها للناس - في ستة آلاف - فكتب الأمراء إلى أبي بكر وعمر يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم ، فكتب إليهم أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً والقوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، وإن يؤتى مثلكم عن قلة ، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها ، وليصل كل رجل منكم بأصحابه . وقال الصديق : والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد . وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلى الشام فيكون الأمير على من به ، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق ، فكان ماسئداً كره . ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع ، بعث إلى أمراءه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش منزلاً واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس أخوه بندارق ، وعلى المقدمة جرجه ، وعلى المجنبتين ماهان والدراقص ، وعلى البحر القيقلان .

وقال محمد بن عائد عن عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز : إن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفاً ، وعليهم أبو عبيدة ، والروم كانوا عشرين ومائة ألف عليهم ماهان وسقلاب يوم اليرموك . وكذا ذكر ابن إسحاق أن سقلاب انلخصي كان على الروم يومئذ في مائة ألف ، وعلى المقدمة جرجه - من أرمينية - في اثني عشر ألفاً ، ومن المستعربة اثني عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم : والمسلمون في أربعة وعشرين ألفاً ، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قاتلت النساء من ورأهم أشد القتال . وقال الوليد

عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير . قال : بعث هرقل مائتي ألف عليهم ماهان الأرمني . قال سيف : فسارت الروم فقتلوا الواقوسة قريبا من اليرموك ، وصار الوادي خندقا عليهم . وبعث الصحابة إلى الصديق يستمدونه ويعلمونه بما اجتمع من جيش الروم باليرموك ، فكتب الصديق عند ذلك إلى خالد بن الوليد أن يستنيب على العراق وأن يقبل بمن معه إلى الشام ، فاذا وصل إليهم فهو الأمير عليهم . فاستناب المثني بن حارثة على العراق وسار خالد مسرعا في تسعة آلاف وخمسمائة ، ودليسه رافع بن عميرة الطائي ، فأخذ به على السباق حتى انتهى إلى قراقر ، وسلك به أراضي لم يسلكها قبله أحد ، فاجتأب البراري والقفار ، وقطع الأودية ، وتصعد على الجبال ، وسار في غير مهيع ، وجعل رافع يدلم في مسيرهم على الطريق وهو في مفاوز معطشة ، وعطش النوق وسقاها الماء عللا بعد نهيل ، وقطع مشافرها وكعبها حتى لا تحتز رحل أدبارها ، واستاقها معه ، فلما فقدوا الماء نحرها فشربوا مافي أجوافها من الماء ، ويقال بل سقاها الخليل وشربوا ما كانت تحمله من الماء وأكلوا لحومها . ووصل والله الحمد والمنة في خمسة أيام ، فخرج على الروم من ناحية تدمر فصالح أهل تدمر وأركه ، ولما مر بعنداء أباحها وغنم لفسان أموالا عظيمة وخرج من شرق دمشق ، ثم سار حتى وصل إلى قناة بصرى فوجد الصحابة تحاربها فصالحه صاحبها وسلمها إليه ، فكانت أول مدينة فتحت من الشام والله الحمد .

وبعث خالد بأخماس ما غنم من غسان مع بلال بن الحرث المزني إلى الصديق ثم سار خالد وأبو عبيدة ومرند وشرحبيل إلى عمرو بن العاص . وقد قصده الروم بأرض العربا من المعور . فكانت واقعة أجنادين . وقد قال رجل من المسلمين في مسيرهم هذا مع خالد :

لله عينا رافع أتى اهتدى * قرفون من قراقر الى شوى
خمساً إذا مساره الجيش بكى * مسارها قبلك إنسى أرى

وقد كان بعض العرب قال له في هذا المسير : إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية نجوت أنت ومن معك ، وإن لم تتركها هلكت أنت ومن معك ، فسار خالد بمن معه وسروا سرورة عظيمة فأصبحوا عندها ، فقال خالد : عند الصباح يحمد القوم السرى . فأرسلها مثلاً ، وهو أول من قالها رضي الله عنه . ويقول غير ابن إسحاق كسيف بن عمرو أبي نجيف وغيرها في تكميل السياق الأول : حين اجتمعت الروم مع أمرائها بالواقوسة وانتقل الصحابة من منزلهم الذي كانوا فيه فقتلوا قريبا من الروم في طريقهم الذي ليس لهم طريق غيره ، فقال عمرو بن العاص : أبشروا أيها الناس ، فقد حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير . ويقال إن الصحابة لما اجتمعوا للشورة في كيفية المسير إلى الروم ، جلس الأمراء لذلك فجاء أبو سفيان فقال : ما كنت أظن أني أعمر حتى أدرك

قوماً يجتمعون لحرب ولا أحضرهم ، ثم أشار أن يتجزأ الجيش ثلاثة أجزاء ، فيسير ثلثه فينزولون تجاه الروم ، ثم تسير الأتقال والنداري في الثلث الآخر ، ويتأخر خالد بالثلث الآخر حتى إذا وصلت الأتقال إلى أولئك سار بعدهم ونزلوا في مكان تكون البرية من وراء ظهورهم لتصل إليهم البرد والمدد . فامتلوا ما أشار به ونعم الرأي هو .

وذكر الوليد عن صفوان عن عبد الرحمن بن جبير أن الروم نزلوا فيما بين دير أيوب واليرموك ، ونزل المسلمون من وراء النهر من الجانب الآخر ، وأذرعوا خلفهم ليصل إليهم المدد من المدينة . ويقال إن خالداً إنما قدم عليهم بعد ما نزل الصحابة تجاه الروم بعد ما صابروهم وحاصروهم شهر ربيع الأول بكاله ، فلما انسلخ وأمكن القتال (١) لقلعة الماء بعثوا إلى الصديق يستمدونه فقال : خالد لها ، فبعث إلى خالد فقدم عليهم في ربيع الآخر ، فعند وصول خالد إليهم أقبل ماهان مدداً للروم ومعه القساقسة ، والشمامسة والرهبان يحثونهم ويحرضونهم على القتال لنصر دين النصرانية ، فتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف ثمانون ألفا مسلسل بالحديد والجبال ، وثمانون ألفا فارس ، وثمانون ألفا راجل . قال سيف وقيل بل كان الذين تسلسلوا كل عشرة سلسلة لثلاثين ألفاً ، فلهذا أعلم . قال سيف وقدم عكرمة بمن معه من الجيوش فتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً .

وعند ابن إسحق والمدائني أيضا أن واقعة أجنادين قبل واقعة اليرموك وكانت واقعة أجنادين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وقتل بها بشر كثير من الصحابة ، وهزم الروم وقتل أميرهم القيقلان . وكان قد بعث رجلا من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة ، فلما رجع إليه قال : وجدت قوماً رهباناً بالليل فرسانا بالنهار ، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجوه . فقال له القيقلان : والله لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خير من ظهرها . وقال سيف بن عمرو في سياقه : ووجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبي عبيدة وعمرو بن العاص ناحية ، وجيش يزيد وشرحبيل ناحية . فقام خالد في الناس خطيباً . فامرهم بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف . فاجتمع الناس وتضافوا مع عدوهم في أول جمادى الآخرة وقام خالد بن الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، وإن هذا يوم له ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا تزال نردمهم ، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً ، فتعالوا فلنتعاور الامارة فليكن عليها بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد ، حتى يتأمر كلكم ، ودعوني اليوم أليكم ، فامروه عليهم وهم يظنون أن الأمر يطول جداً فخرجت الروم في تعبئة لم (١) كذا في النسختين ، الخلية والمصرية ، والظاهر أن فيه سقطاً .

ير مثلها قبلها قط وخرج خالد في تعبته لم تعبها العرب قبل ذلك . فخرج في ستة وثلاثين كردوساً إلى الأربعين كل كردوس ألف رجل عليهم أمير ، وجعل أبا عبيدة في القلب ، وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة ، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان . وأمر على كل كردوس أميراً ، وعلى الظالم قباب بن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود والقاضي يومئذ أبو الدرداء وقاصم الذي يعظهم ويحثهم على القتال أبو سفيان بن حرب وقارئهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد بن الأسود . وذكر إسحاق بن يسار بإسناده أن أمراء الأرباع يومئذ كانوا أربعة ، أبو عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، وخرج الناس على راياتهم وعلى الميمنة معاذ بن جبل وعلى الميسرة نفاثة بن أسامة الكنانى ، وعلى الرجالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى الخيالة خالد بن الوليد وهو المشير في الحرب الذي يصدر الناس كلهم عن رأيه . ولما أقبلت الروم في خيالتها وغرها قد سدت أقطار تلك البقعة سهلها ووعرها كأنهم غمامة سوداء يصيحون بصوات مرتفعة ورهباتهم يتلون الأنجيل ويحثونهم على القتال ، وكان خالد في الخيل بين يدي الجيش فساق بفرسه إلى أبي عبيدة فقال له : إني مشير بأمر ، فقال : قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع . فقال له خالد إن هؤلاء القوم لا بد لهم من حملة عظيمة لاجميد لهم عنها ، وإني أخشى على الميمنة والميسرة وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدموهم كانوا لهم رداءً فنأيتهم من ورائهم . فقال : له نعم ما رأيت . فكان خالد في أحد الخيلين من وراء الميمنة وجعل قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله لكي إذا رآه المنهزم استحي منه ورجع إلى القتال ، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم ، وساق خالد إلى النساء من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها ، فقال لمن : من رأيتموه مولياً فاقتلنه ، ثم رجع إلى موقفه رضى الله عنه

ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال : عباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يامعشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدأوهم بالقتال وشرعوا الرماح واستتراوا بالدرق والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم حتى أمركم إن شاء الله تعالى . قالوا : وخرج معاذ بن جبل على الناس فجعل يذكركم ويقول يا أهل القرآن ، ومتحفظي الكتاب وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لاتنال وجنته لاتدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق ألم تسمعوا لقول الله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم) الآية . فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم وأنتم في قبضته وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره .

وقال عمرو بن العاص : يا أيها المسلمون غضوا الأبصار ، واجثوا على الركب ، واشرعوا الرماح ، فاذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الاسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد ، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ويمقت الكذب ويجزى بالاحسان إحساناً ، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كغزاً كغزاً وقصراً قصراً ، فلا يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل .

وقال أبو سفيان : يا معشر المسلمين أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بازاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم حنقه ، وقد وترتوهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غناً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنة لازمة وإن الأرض وراءكم ، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارى وبراى ، ليس لأحد فيها معقل ولا معقل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول ، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا وتكنن هي الحصون . ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ثم عاد فنادى : يامعشر أهل الاسلام حضر ماترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم . ثم سار إلى موقفه رحمه الله .

وقد وعظ الناس أبو هريرة أيضاً فجعل يقول : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم عز وجل في جنات النعيم : ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليهم منكم في مثل هذا الموطن ، ألا وإن للصابرين فضلهم . قال سيف بن عمر بإسناده عن شيوخه : إنهم قالوا كان في ذلك الجمع ألف رجل من الصحابة منهم مائة من أهل بدر . وجعل أبو سفيان يقف على كل كردوس ويقول : الله الله إنكم داراة العرب وأنصار الاسلام ، وإنهم داراة الروم وأنصار الشرك ، اللهم إن هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك على عبادك . قالوا : ولما أقبل خالد من العراق قال رجل من نصارى العرب لخالد بن الوليد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد : ويحك ، أتخوفن بالروم ؟ إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان لاعدد الرجال ، والله لو ددت أن الأشقر برأ من توجهه ، وأنهم أضعفوا في العدد . وكان فرسه قد حفا واشتكى في مجيئه من العراق . ولما تقارب الناس تقدم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور ، والحارث بن هشام ، وأبو جندل بن سهيل ، ونادوا : إننا نريد أميركم لتجتمع به ، فأذن لهم في الدخول على تدارق ، وإذا هو جالس في خيمة من حرير . فقال الصحابة : لانتحل دخولها ، فأمر لهم بفرش بسط من حرير ، فقالوا : ولا نجلس على هذه . فجلس معهم حيث

أحبوا وتراضوا على الصلح ، ورجع عنهم الصحابة بعد مادعوهم إلى الله عز وجل فلم يتم ذلك .
 وذكر الوليد بن مسلم أن ماهان طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصقيين فيجتمعاً في مصلحة لهم .
 فقال ماهان : إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع ، فهلموا إلى أن أعطي كل رجل
 منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم ، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها .
 فقال خالد : إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت ، غير أننا قوم نشرب الدماء ، وأنه بلغنا أنه لادم
 أطيب من دم الروم ، فبئسنا لذلك . فقال أصحاب ماهان : هذا والله ما كنا نحدث به عن العرب .
 قالوا ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو - وهما على مجنبتى القلب - أن ينشأ
 القتال ، فبدر ابريجزان ودعوا إلى البراز ، وتنازل الأبطال ، وتجاولوا وحى الحرب وقامت على ساق .
 هذا وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي صفوف ، والأبطال يتصاولون من
 الفريقين بين يديه ، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل ، ويدير
 أمر الحرب أتم تدبير .

وقال إسحاق بن بشير عن سعيد بن عبد العزيز عن قدماء مشايخ دمشق ، قالوا : ثم زحف ماهان
 فخرج أبو عبيدة ، وقد جعل على الميمنة معاذ بن جبل ، وعلى الميسرة قباب بن أشيم الكثافي ، وعلى
 الرحالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى الخيل خالد بن الوليد ، وخرج الناس على راياتهم ، وسار
 أبو عبيدة بالمسلمين ، وهو يقول : عباد الله أنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، يامعاشر المسلمين
 اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ، ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار ، ولا تبرحوا مصافكم ،
 ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤهم بالقتال ، واشرعوا الرماح ، واستتروا بالدرق ، والزموا الصمت
 إلا من ذكر الله . وخرج معاذ بن جبل فجعل يذكركم ، ويقول : يا أهل القرآن ، ومستحفظي
 الكتاب ، وأنصار الهدى والحق ، إن رحمة الله لا تنال ، وحنته لا تدخل بالأمانى ، ولا يؤتى الله
 المغفرة والرحمة الواسعة إلا للصادق المصدق ، ألم تسمعوا لقول الله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا
 منكم وعملوا الصالحات) إلى آخر الآية ؟ فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فراراً من عدوكم ،
 وأنتم في قبضته ، وليس لكم ملتحذ من دونه . وسار عمرو بن العاص في الناس وهو يقول :
 أيها المسلمون غضوا الأبصار واجثوا على الركب ، واشرعوا الرماح ، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم حتى
 إذا ركبوا أطراف الأسيان فثبوا وثبة الأسد ، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ، ويمت الكذب
 ويجزي الاحسان إحساناً . لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفرةً وكفرةً وقصراً قصراً ، فلا
 يهولنكم جموعهم ولا عددهم ، فانكم لو صدقتموهم الشد لتطايروا تطاير أولاد الحجل . ثم تكلم
 أبو سفيان فأحسن وحث على القتال فأبلغ في كلام طويل . ثم قال حين تواجه الناس : يامعشر أهل

الاسلام حضر ماترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم ، وحرص أبو سفيان
 النساء فقال : من رأيتنه فاراً فاضر بنه بهذه الأحجار والعصى حتى يرجع .
 وأشار خالد أن يقف في القلب سعيد بن زيد ، وأن يكون أبو عبيدة من وراء الناس ليرد
 المنهزم . وقسم خالد الخيل قسمين فجعل فرقة وراء الميمنة ، وفرقة وراء الميسرة ، لئلا يفر الناس
 وليكونوا رداء لهم من ورائهم . فقال له أصحابه : افعل ما أراك الله ، وامثلوا ما أشار به خالد رضي
 الله عنه . وأقبلت الروم رافعة صلبانها ولم أصوات من عجة كالرعد ، والقساوسة والبطارقة تحرضهم على
 القتال وهم في عدد وعدد لم ير مثله ، فالله المستعان وعليه التكلان .

وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام ، وهو أفضل من هناك من الصحابة ، وكان من
 فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا : ألا تحمل فنحمل معك ؟
 فقال : إنكم لا تثبتون ، فقالوا : بلى ! نحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو
 فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه . ثم جاؤا إليه مرة ثانية ففعل
 كما فعل في الأولى ، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه ، وفي رواية جرح . وقد روى البخاري معنى
 ما ذكرناه في صحيحه . وجعل معاذ بن جبل كلما سمع أصوات القيسيين والرهبان يقول : اللهم زلزل
 أقدامهم ، وأرعب قلوبهم : وأنزل علينا السكينة ، وألزمنا كلمة التقوى ، وحبب إلينا اللقاء ، وأرضنا
 بالقضاء . وخرج ماهان فأمر صاحب الميسرة وهو الدبريجان ، وكان عدو الله متنسكاً فيهم ، فحمل
 على الميمنة وفيها الأزدي ومذحج وحضرموت وخولان ، فثبتوا حتى صدقوا (أعداء الله) ثم ركبهم
 من الروم أمثال الجبال . فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب ، وانكشف طائفة من
 الناس إلى العسكر ، وثبت صور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم ، وانكشف زييد .
 ثم نادوا فتراجعوا وحملوا حتى نهبوا من أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من
 الناس ، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة وجعلت خولة
 بنت ثعلبة تقول :

ياهاربا عن نوبة تقيات فغن قليل ماترى سبيات

* ولا حصيات ولا رضيات *

قال : فتراجع الناس إلى مواقعهم . وقال سيف بن عمر عن أبي عثمان الغساني عن أبيه . قال قال
 عكرمة بن أبي جهل يوم اليرموك : قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن وأفر منكم اليوم ؟ ثم نادى :
 من يبائع على الموت ؟ فبايعه معه الحارث بن هشام ، وضرار بن الأزور في أربعائة من وجوه المسلمين
 (١) كذا في النسخ . ولعله صدوا .

وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتل منهم خلق منهم ضرار بن
الازور رضى الله عنهم . وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجئى
إليهم بشربة ماء فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فلما دفعت إليه نظر
إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها
أحد منهم ، رضى الله عنهم أجمعين .

ويقال إن أول من قتل من المسلمين يومئذ شهيداً رجل جاء إلى أبي عبيدة فقال : إني قد تهيأت
لأمرى فهل لك من حاجة إلى رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، تقرئه عنى السلام وتقول : يا رسول الله
إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . قال : فتقدم هذا الرجل حتى قتل رحمه الله . قالوا : وثبت كل قوم
على رأيهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرجا . فلم تريوم اليرموك (إلا) مخاسقاً ، ومعصا
نادراً ، وكفناً طائراً من ذلك الموطن . ثم حمل خالد بن معه من الخيالة على الميسرة التي حملت على
يمينه المسلمين فأز الوهم إلى القلب فقتل من الروم في حملته هذه ستة آلاف منهم ثم قال : والذي
نفسى بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم ، وإني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم . ثم
اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليهم حتى انفض جمعهم ، وحمل
المسلمون عليهم حملة رجل واحد ، فأنكشوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم .

قالوا : وبيناهم في جولة الحرب وحومة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب ، إذ قدم البريد
من نحو الحجاز فدفق إلى خالد بن الوليد فقال له : ما الخبر ؟ فقال له - فيما بينه وبينه - : إن انصديق
رضى الله عنه قد توفى واستخلف عمر ، واستناب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح . فأسرّها
خالد ولم يبد ذلك للناس لتلايحصل ضعف ووهن في تلك الحال ، وقال له والناس يسمعون : أحسنت ،
وأخذ منه الكتاب فوضعه في كنفاته واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة ، وأوقف الرسول
الذى جاء بالكتاب - وهو منجحة بن زئيم - إلى جانبه . كذا ذكره ابن جرير بأسانيد .

قالوا وخرج جرجه أحد الأمراء الكبار من الصف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى
اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال جرجه : يا خالد أخبرني فاصدقني ولا تكذبني ، فإن الحر لا يكذب ،
ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه
فلا تسله على أحد إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فبم سميت سيف الله ؟ قال : إن الله بعث فينا نبيه
فدانا فنفرنا منه وتأيينا عنه جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتأيينه ، وبعضنا كذبه وباعده ، فكنت
فيمن كذبه وباعده ، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبأيمنه ، فقال لى : أنت سيف من

سيف الله سله الله على المشركين . ودعا لى بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين
على المشركين .

فقال جرجه : يا خالد إلى ما تدعون ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله
والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل . قال : فمن لم يجيبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعهم . قال : فان لم
يعطها قال : تؤذنه بالحرب ثم تقاتله . قال : فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟ قال
منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضعنا وأولنا وآخرنا . قال جرجه : فلن دخل فيكم
اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساويكم وقد
سبقتموه ؟ فقال خالد : إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبأيمننا نبينا وهو حى بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء
وتخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع ، وإنكم
أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة
ونية كان أفضل منا ؟ فقال جرجه : بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ؟ قال : بالله لقد صدقتك وإن الله
ولى ما سألت عنه . فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد وقال : علمنى الاسلام ، فقال به
خالد إلى فسطاطه فسنّ عليه قرية من ماء ثم صلى به ركعتين . وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم
يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقعهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبى جهل والحارث بن
هشام . فركب خالد وجرجه معه والروم خلال المسلمين ، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى
مواقعهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصاحفوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجه من لدن ارتفاع
النهار إلى جنوح الشمس للغروب . وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء ، وأصيب جرجه
رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضى الله عنهما . وضععت الروم عند ذلك . ثم
نهذ خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم ، فعند ذلك هربت خيالاتهم ، واستندت بهم في
تلك الصحراء ، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا . وأخر الناس صلاتى العشاء حتى استقر
الفتح ، وعمد خالد إلى رجل الروم وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم
ثم تبعوا من فر من الخيالة واقتحم خالد عليهم خندقهم ، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوسة ،
فجعل الذين تسلسوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه . قال ابن جرير
وغيره : فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفاً سوى من قتل في المعركة . وقد قاتل نساء
المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقاً كثيراً من الروم ، وكن يضرين من انهزم من المسلمين ويقتلن :
أبن تذهبون وتدعوننا للعلاج ؟ فإذا زجرتهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال .

قال وتجل القتيلان وأشرف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا : إذا لم تقدر على نصر دين

النصرانية فلنمت على دينهم . فجاء المسلمون فقتلوه عن آحرم . قالوا : وقتل في هذا اليوم من المسلمين ثلاثة آلاف منهم عكرمة وابنه عمرو ، وسلمة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، وأثبت خالد بن سعيد فلا يدري أين ذهب وضرار بن الأزور ، وهشام بن العاص وعمرو بن الطفيل بن عمرو والدوسي ، وحقق الله رؤيا أبيه يوم اليمامة . وقد أتلف في هذا اليوم جماعة من الناس انهزم عمرو ابن العاص في أربعة حتى وصلوا إلى النساء ثم رجعوا حين زجرهم النساء ، وانكشف شرحبيل بن حسنة وأصحابه ثم تراجعوا حين وعظهم الأمير بقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية .

وثبت يومئذ يزيد بن أبي سفيان وقاتل قتالا شديداً ، وذلك أن أباه مر به فقال له : يا بني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين الا محفوقا بالقتال ، فكيف بك وبأشباهك الذين ولوا أمور المسلمين ؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة ، فأتق الله يا بني ولا يكونن أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجراً على عدو الاسلام منك . فقال : أفعل إن شاء الله . فقاتل يومئذ قتالا شديداً وكان من ناحية القلب رضى الله عنه ،

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه قال : هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتاً يكاد يملأ العسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثبات الثبات يامعشر المسلمين ، قال : فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد . وأكمل خالد ليلته في خيمة تدارق أخى هرقل - وهو أمير الروم كلهم يومئذ - هرب فيمن هرب ، وباتت الخيول تجول نحو خيمة خالد يقتلون من مر بهم من الروم حتى أصبحوا ، وقتل تدارق وكان له ثلاثون سرادقا وثلاثون رواقاً من ديباج بما فيها من الفرش والحرير ، فلما كان الصباح حازوا ما كان هنالك من الغنائم . وما فرحوا بما وجدوا بقدر حزنهم على الصديق حين أعلمهم خالد بذلك ولكن عوضهم الله بالفاروق رضى الله عنه .

وقال خالد حين عزى المسلمين في الصديق : الحمد لله الذى قضى على أبي بكر بالموت ، وكان أحب إلى من عمر ، والحمد لله الذى ولى عمر وكان أبغض إلى من أبي بكر والزمنى حبه .

وقد اتبع خالد من انهزم من الروم حتى وصل إلى دمشق فخرج إليه أهلها فقالوا : نحن على عهدنا وصلحنا ؟ قال : نعم . ثم اتبعهم إلى ثنية العقاب فقتل منهم خلقاً كثيراً ثم ساق وراءهم إلى حصن فخرج إليه أهلها فصالحهم كما صالح أهل دمشق . وبعث أبو عبيدة عياض بن غنم وراءهم أيضاً فساق حتى وصل ملطية فصالحه أهلها ورجع . فلما بلغ هرقل ذلك بعث إلى مقاتليها فحضروا بين يديه وأمر ملطية ففرقت وانتهت الروم منهزمة إلى هرقل وهو يحمص والمسلمون في آثارهم يقتلون ويأسرون ويفتمون . فلما وصل الخبر إلى هرقل ارتحل من حصن وجعلها بينه وبين المسلمين وترس بها وقال

هرقل : أما الشام فلا شام ، وويل للروم من المولود المشوم .

ومما قيل من الأشعار في يوم اليرموك قول القعقاع بن عمرو :

ألم ترنا على اليرموك فزنا * كما فزنا بأيام العراق
وعنداء المدائن قد فتحنا * ومرج الصفر... على العتاق
فتحنا قبلها بصرى وكانت * محرمة الجناب لدى العتاق
قتلنا من أقام لنا وفينا * نهابهم بأسياق رفاق
قتلنا الروم حتى ما تساوى * على اليرموك معروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استجالوا * على الواقوص بالبتير الرقاق
غداة تهاقتوا فيها فصاروا * إلى أمر يعضل بالذواق

وقال الأسود بن مقرن التميمي :

وكم قد أغرنا غارة بعد غارة * يوماً ويوماً قد كشفنا أهاوله
ولولا رجال كان عشو غنيمه * لدى ماقط رجت علينا أوائله
لقتناهم اليرموك لما تضايقت * بين حل باليرموك منه حمائله
فلا يمد من منا هرقل كتابنا * إذ أرامها رام الذى لا يحاوله

وقال عمرو بن العاص :

القوم ظلم وجذام في الحرب * ونحن والروم بمرج اضطرب
فان يعودوا بها لا نصطحب * بل نعصب الفرار بالضرب الكرب

وروى أحمد بن مروان المالكي في المجالسة : ثنا أبو إسحاق الترمذي ثنا أبو معاوية بن عمرو

عن أبي إسحاق قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على انطاكية لما قدمت منهزمة الروم : ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم ؟ قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن . قال : فما بالكم تهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أننا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونعصب ونظلم ونأمر بالسخط ونهيب عما يرضى الله ونفسد في الأرض . فقال : أنت صدقتني .

وقال الوليد بن مسلم : أخبرني من سمع يحيى بن يحيى النسائي يحدث عن رجلين من قومه قالا : لما نزل المسلمون بناحية الاردن ، تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك ،

فبينما نحن فيها إذ أرسل إلينا بطريقها فجتناه فقال: أتنا من العرب؟ قلنا نعم! قال: وعلى النصرانية؟ قلنا: نعم. فقال: ليذهب أحدكم فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم، وليثبت الآخر على متاع صاحبه. ففعل ذلك أحدنا، فلبث ملياً ثم جاءه فقال: جئتكم من عند رجال دقاق يركبون خيولاً عتاقاً، أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويتقفون القنا، لو حدثت جليسيك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر. قال فالتفت إلى أصحابه وقال: أنا كم منهم مالا طاقة لكم به.

﴿ انتقال إمرة الشام من خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة في الدولة

العمرية وذلك بعد وقعة اليرموك ﴾

وصيرورة الأمرة بالشام إلى أبي عبيدة، فكان أبو عبيدة أول من سعى أمير الأمراء.

قد تقدم أن البريد قدم بموت الصديق والمسلمون مصافو الروم يوم اليرموك، وأن خالداً كنتم ذلك عن المسلمين لثلاثين يوماً، فلما أصبحوا أجل لهم الأمر وقال ما قال، ثم شرع أبو عبيدة في جمع الغنيمة وتخميسها، وبعث بالفتح والخس مع قباب بن أشيم إلى الحجاز، ثم نودي بالرحيل إلى دمشق، فساروا حتى نزلوا مرج الصفر، وبعث أبو عبيدة بين يديه طليعة أبا أمامة الباهلي ومعه رجلان من أصحابه. قال أبو أمامة: فسرت فلما كان ببعض الطريق أمرت الآخر (١) فكمن هناك وسرت أنا وحدي حتى جئت باب البلد، وهو مغلق في الليل وليس هناك أحد، فنزلت وغرزت رحلي بالأرض ونزعت لجام فرسي، وعلقت عليه محلاته ونمت، فلما أصبح الصباح قتت فتوضأت وصليت الفجر، فاذا باب المدينة يقمع فلما فتح حملت على البواب فطعنته بالرمح فقتلته، ثم رجعت والطلب ورأى فلما انتهينا إلى الرجل الذي في الطريق من أصحابي ظنوا أنه كمين فرجعوا عني، ثم سرنا حتى أخذنا الآخر وجئت إلى أبي عبيدة فأخبرته بما رأيت، فأقام أبو عبيدة ينتظر كتاب عمر فيما يعتمده من أمر دمشق، فجاءه الكتاب يأمره بالمسير إليها، فساروا إليها حتى أحاطوا بها. واستخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب في خيل هناك.

﴿ وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام ﴾

وذلك أن أهل فارس اجتمعوا بعد مقتل ملكهم وابنه على تملك شيريار بن أردشير بن شيريار واستغنوا غيبة خالد عنهم فبعثوا إلى نائبه المثني بن حارثة جيشاً كثيفاً نحواً من عشرة آلاف عليهم هرمز بن حادويه، وكتب شيريار إلى المثني: إني قد بعثت إليك جنداً من وحش أهل فارس إنما هم رعاة الدجاج والخنازير، ولست أقاتلك إلا بهم. فكتب إليه المثني: من المثني إلى شيريار

(١) كندا في الأصلين ولعل فيه سقطاً.

إنما أنت أحد رجلين إما باع فذلك شركك وخير لنا، وإما كاذب فأعظم الكاذبين عقوبة وفضيحة عند الله في الناس الملوك، وأما الذي يدلنا عليه الرأي فانكم إنما اضطرتهم إليهم، فالحمد لله الذي رد كيدهم إلى رعاة الدجاج والخنازير. قال: فجزع أهل فارس من هذا الكتاب، ولأموا شيريار على كتابه إليه واستهجنوا رأيه. وسار المثني من الحرة إلى بابل، ولما التقى المثني وجيشهم بمكان عند عدوة الصراة الأولى، اقتتلوا قتالاً شديداً جداً، وأرسل الفرس فيلاً بين صفوف الخيل ليفرق خيول المسلمين، فحمل عليه أمير المسلمين المثني بن حارثة فقتله، وأمر المسلمين فحملوا، فلم تكن إلا هزيمة الفرس فقتلواهم قتلاً ذريعاً، وغنموا منهم مالا عظيماً، وفرت الفرس حتى انتهوا إلى المدائن في شرحالة، ووجدوا الملك قد مات فملكوا عليهم ابنة كسرى « بوران بنت أبرويز » فأقامت العدل، وأحسنات السيرة، فأقامت سنة وسبع شهور، ثم ماتت، فملكوا عليهم أختها « آرميدخت زنان » فلم ينتظم لهم أمر، فملكوا عليهم « سابور بن شيريار »، وجعلوا أمره إلى الفرخزاد بن البندوان فزوجه سابور بابنة كسرى « آرميدخت » فكرهت ذلك وقالت: إنما هذا عبد من عبيدنا. فلما كان ليلة عرسها عليه هموا إليه فقتلوه، ثم ساروا إلى سابور فقتلوه أيضاً، وملكوا عليهم هذه المرأة وهي « آرميدخت » ابنة كسرى. ولعبت فارس بملكها لعباً كثيراً، وآخر ما استقر أمرهم عليه في هذه السنة أن ملكوا امرأة وقد قال رسول الله ﷺ « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ». وفي هذه الوقعة التي ذكرنا يقول عبدة بن الطبيب السعدي، وكان قد هاجر لمهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل هذه، فلما آيسته رجع إلى البادية وقال:

هل جبل خولة بعد البين موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
ولالأحبة أيام تذكرها وللتوى قبل يوم البين تأويل
حلت خويلة في حي عهدتهم دون المدينة فيها الديك والفيل
يقارعون رؤس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل

وقد قال الفرزدق في شعره يذكر قتل المثني ذلك الفيل:

وبيت المثني قاتل الفيل عنوة بيابل إذ في فارس ملك بابل

ثم إن المثني بن حارثة استبطأ أخبار الصديق لتشاغله بأهل الشام، وما فيه من حرب اليرموك المتقدم ذكره، فسار المثني بنفسه إلى الصديق، واستتاب على العراق بشير بن الخصاصية، وعلى المساح سعيد بن مرة العجلي، فلما انتهى المثني إلى المدينة وجد الصديق في آخر مرض الموت. وقد عهد إلى عمر بن الخطاب، ولما رأى الصديق المثني قال لعمر: إذا أنا مت فلا تمسين حتى تنسب

الناس لحرب أهل العراق مع المشنى ، وإذا فتح الله على أمرائنا بالشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فاتهم أعلم بحربه .

فلما مات الصديق نذب عمر المسلمين إلى الجهاد بأرض العراق لقلعة من بقي فيه من المقاتلة بعد خالد بن الوليد ، فانتدب خلقاً وأمر عليهم أبا عبيدة بن مسعود ، وكان شاباً شجاعاً ، خبيراً بالحرب والمكيدة . وهذا آخر ما يتعلق بخبر العراق إلى آخر أيام الصديق وأول دولة الفاروق .

﴿ خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾

كانت وفاة الصديق رضى الله عنه في يوم الاثنين عشية ، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته ، وذلك ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوماً ، وكان عمر بن الخطاب يصلى عنه فيها بالمسلمين ، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذى كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا ، فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر ، وكان عمره يوم توفى ثلاثاً وستين سنة ، للسنة التى توفى فيها رسول الله ﷺ ، وقد جمع الله بينهما فى التربة ، كما جمع بينهما فى الحياة ، فرضى الله عنه وأرضاه .

قال محمد بن سعد عن أبي قطن عمرو بن الهيثم عن ربيع بن حسان الصائغ . قال : كان نقش خاتم أبي بكر « نعم القادر الله » . وهذا غريب وقد ذكرنا ترجمة الصديق رضى الله عنه ، وسيرته وأيامه وماروى من الأحاديث ، وماروى عنه من الأحكام فى مجلد والله الحمد والمنة . فقام بالأمر من بعده أتم القيام الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وهو أول من سمى بأمر المؤمنين . وكان أول من حياه بها المغيرة بن شعبة ، وقيل غيره كما بسطنا ذلك فى ترجمة عمر بن الخطاب وسيرته التى أفردها فى مجلد ، ومستنده والآثار المروية مرتباً على الأبواب فى مجلد آخر والله الحمد .

وقد كتب بوفاة الصديق إلى أمراء الشام مع شداد بن أوس ، ومحمد بن جريح ، فوصلوا والناس مصافون جيوش الروم يوم اليرموك كما قسمنا . وقد أمر عمر على الجيوش أبا عبيدة حين ولاء وعزل خالد بن الوليد . وذكر سلمة عن محمد بن إسحاق أن عمر إنما عزل خالدًا لكلام بلغه عنه ، ولما كان من أمر مالك بن نويرة ، وما كان يعتمد فى حربه . فلما ولى عمر كان أول ماتكم به أن عزل خالدًا ، وقال : لا يلى لى عملاً أبداً . وكتب عمر إلى أبي عبيدة إن أكتب خالد نفسه فهو أمير على ما كان عليه ، وإن لم يكتب نفسه فهو معزول ، فانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين . فلما قال أبو عبيدة ذلك لخالد قال له خالد : أهملنى حتى أستشير أختى ، فذهب إلى أخته فاطمة وكانت تحت الحارث بن هشام - فاستشارها فى ذلك ، فقالت له : إن عمر لا يحبك أبداً ، وإنه سيعزلك وإن كذبت نفسك . فقال لها : صدقت والله . فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ [إحدى] نعليه وترك له الآخرة ،

وخالد يقول سمعاً وطاعة لأمر المؤمنين .

وقد روى ابن جرير عن صالح بن كيسان أنه قال : أول كتاب كتبه عمر إلى أبي عبيدة حين ولاء وعزل خالدًا أن قال : « وأوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ماسواه ، الذى هدىنا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وقد استعملتكم على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذى يحق عليك ، لا تقدم المسلمين هلكة رجاء غنيمة ، ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستر يده لهم وتعلم كيف ماتوا ، ولا تبعث سرية إلا فى كنف من الناس ، وإياك وإلقاء المسلمين فى الهلكة ، وقد أهلك الله بنى وأبلا بنى بك ، فغض بصرك عن الدنيا ، وآله قلبك عنها ، وإياك أن تهلك كما أهلك من كان قبلك ، فقد رأيت مصارعهم . وأمرهم بالمسير إلى دمشق » ، وكان بعد ما بلغه الخبر بفتح اليرموك وجاءته به البشارة ، وحمل الخس إليه . وقد ذكر ابن إسحاق أن الصحابة قاتلوا بعد اليرموك أجنادين ثم بفحل من أرض الغور قريباً من بيسان بمكان يقال له الردغة سمي بذلك لكثرة ما لقوا من الأوحال فيها ، فأغلقوها عليهم ، وأحاط بها الصحابة . قال : وحينئذ جاءت الامارة لأبي عبيدة من جهة عمر وعزل خالد ، وهذا الذى ذكره ابن إسحاق من مجئ الامارة لأبي عبيدة فى حصار دمشق هو المشهور .

﴿ ذكر فتح دمشق ﴾

قال سيف بن عمر لما ارتحل أبو عبيدة من اليرموك فنزل بالجنود على مرج الصفر وهو عازم على حصار دمشق إذ أتاه الخبر بقدم مددم من حمص ، وجاءه الخبر بأنه قد اجتمع طائفة كبيرة من الروم بفحل من أرض فلسطين ، وهو لا يدري بأى الأمرين يبدأ . فكتب إلى عمر فى ذلك ، فجاء الجواب أن يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت مملكتهم ، فانهد لها واشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاهم ، فان فتحها الله قبل دمشق فذلك الذى نحب ، وإن فتحت دمشق قبلها فسر أنت ومن معك واستخلف على دمشق ، فاذا فتح الله عليكم فحل فسر أنت وخالد إلى حمص واترك عمراً وشرحبيل على الأردن وفلسطين .

قال : فسر ح أبو عبيدة إلى فحل عشرة أمراء مع كل أمير خمسة أمراء وعلى الجميع عمارة بن مخشى الصحابى ، فساروا من مرج الصفر إلى فحل فوجدوا الروم هناك قريباً من ثمانين ألفاً ، وقد أرسلوا المياه حولهم حتى أردغت الأرض فسما ذلك الموضع الردغة ، وفتحها الله على المسلمين فكانت أول حصن فتح قبل دمشق على ماسياتى تفصيله . وبعث أبو عبيدة جيشاً يكون بين دمشق وبين فلسطين ، وبعث ذا الكلاع فى جيش يكون بين دمشق وبين حمص ، ليرد من يرد إليهم من المدد من جهة هرقل . ثم سار أبو عبيدة من مرج الصفر قاصداً دمشق ، وقد جعل خالد بن الوليد

في القلب وركب أبو عبيدة وعمر وبن العاص في المجنبتين ، وعلى الخليل عياض بن غنم ، وعلى الرجالة شرحبيل بن حسنة ، فقدموا دمشق وعليها نسطاس بن نسطوس ، فنزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي وإليه باب كيسان أيضاً ، ونزل أبو عبيدة على باب الجابية الكبير ، ونزل يزيد بن أبي سفيان على باب الجابية الصغير ، ونزل عمر وبن العاص وشرحبيل بن حسنة على بقية أبواب البلد ونصبوا الحمايق والدبابات ، وقد أرسد أبو عبيدة أبا الدرداء على جيش ببرزة يكونون ردهاً له ، وكذا الذي بينه وبين حمص وحاصروها حصاراً شديداً سبعين ليلة ، وقيل أربعة أشهر ، وقيل ستة أشهر ، وقيل أربعة عشر شهراً فله أعلم . وأهل دمشق ممتنعون منهم غاية الامتناع ، ويرسلون إلى ملكهم هرقل - وهو مقيم بجمص - يطلبون منه المدد فلا يمكن وصول المدد إليهم من ذى الكلاع ، الذي قد أرسده أبو عبيدة رضى الله عنه بين دمشق وبين حمص - عن دمشق ليلة - فلما أيقن أهل دمشق أنه لا يصل إليهم مدد أبلسوا وفتلوا وضعفوا ، وقوى المسلمون واشتد حصارهم ، وجاء فصل الشتاء واشتد البرد وعسر الحال وعسر القتال ، فقدر الله الكبير المتعال ، ذو العزة والجلال ، أن ولد لبطريق دمشق مولود في تلك الليالي فصنع لهم طعاماً وسقاهم بعده شراباً . وباتوا عنده في وليته قد أكلوا وشربوا وتعبوا فناموا عن مواقعهم ، واشتغلوا عن أما كتبهم ، وفطن لذلك أمير الحرب خالد بن الوليد فانه كان لا ينام ولا يترك أحداً ينام ، بل مرصدهم ليلاً ونهاراً ، وله عيون وقصائد يرفعون إليه أحوال المقاتلة صباحاً ومساءً . فلما رأى خمدت تلك الليلة ، وأنه لا يقاوم على السور أحد كان قد أعد سلاخيم من جبال فجاء هو وأصحابه من الصناديد الأبطال ، مثل القعقاع بن عمرو ومنصور بن عدي ، وقد أحضر جيشه عند الباب وقال لهم : إذا سمعتم تكبيرنا فوق السور فأرثقوا إلينا . ثم نهدهم وأصحابه فقطعوا الخندق سباحة بقرب في أعناقهم ، فنصبوا تلك السلاخيم وأثبتوا أعاليها بالشرفات ، وأكدوا أسافلها خارج الخندق ، وصمدوا فيها ، فلما استوتوا على السور رفعوا أصواتهم بالتكبير ، وجاء المسلمون فصعدوا في تلك السلاخيم وانحدر خالد وأصحابه الشجعان من السور إلى البوابين فقتلهم ، وقطع خالد وأصحابه أغاليق الباب بالسيوف وفتحوا الباب عنوة ، فدخل الجيش الخالد من الباب الشرقي . ولما سمع أهل البلد التكبير ناروا وذهب كل فريق إلى أما كتبهم من السور ، لا يدرون ما الخبر ، فجعل كلما قدم أحد من أصحاب الباب الشرقي قتله أصحاب خالد ، ودخل خالد البلد عنوة قتل من وجده . وذهب أهل كل باب فسألوا من أميرهم الذي عند الباب من خارج الصلح - وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فيأبون عليهم - فلما دعوهم إلى ذلك أجابوهم . ولم يعلم بقية الصحابة ما صنع خالد . ودخل المسلمون من كل جانب وباب فوجدوا خالداً وهو يقتل من وجده فقالوا له : إنا قد أمنام ، فقال : إني فتحها عنوة . والتقت الأمراء في وسط البلد عند كنيسة المفسلاط بالقرب من

درب الريحان اليوم . هكذا ذكره سيف بن عمر وغيره وهو المشهور أن خالداً فتح الباب قسراً . وقال آخرون : بل الذي فتحها عنوة أبو عبيدة وقيل يزيد بن أبي سفيان ، وخالد صالح أهل البلد فمكسوا المشهور المعروف والله أعلم .

وقد اختلفت الصحابة فمات قائلون هي صلح - يعنى على ما صالحهم الأمير في نفس الأمر وهو أبو عبيدة - . وقال آخرون : بل هي عنوة ، لأن خالداً افتتحها بالسيوف أولاً كما ذكرنا ، فلما أحسوا بذلك ذهبوا إلى بقية الأمراء ومعهم أبو عبيدة فصالحوهم ، فانفقوا فيما بينهم على أن جعلوا نصفها صلحاً ونصفها عنوة ، فلك أهلها نصف ما كان بأيديهم وأقروا عليه ، واستقرت يد الصحابة على النصف . ويقوى هذا ما ذكره سيف بن عمر من أن الصحابة كانوا يطلبون إليهم أن يصالحوهم على المشاطرة فيأبون ، فلما أحسوا باليأس أتوا إلى ما كانت الصحابة دعوهم إليه فبادروا إلى إجابتهم . ولم تعلم الصحابة بما كان من خالد إليهم والله أعلم ،

ولهذا أخذ الصحابة نصف الكنيسة العظمى التي كانت بدمشق وتعرف « بكنيسة يوحنا » فأتخذوا الجانب الشرقي منها مسجداً ، وأبقوا لهم نصفها الغربي كنيسة ، وقد أبقوا لهم مع ذلك أربع عشرة كنيسة أخرى مع نصف الكنيسة المعروفة « بيوحنا » ، وهي جامع دمشق اليوم . وقد كتب لهم بذلك خالد بن الوليد كتاباً ، وكتب فيه شهادته أبو عبيدة وعمر وبن العاص ويزيد وشرحبيل : إحداهما كنيسة المفسلاط التي اجتمع عندها أمراء الصحابة ، وكانت مبنية على ظهر السوق الكبير ، وهذه القناطر المشاهدة في سوق الصابونيين من بقية القناطر التي كانت تحتمها ، ثم بادت فيما بعد وأخذت حجارتها في العارات . الثانية : كنيسة كانت في رأس درب القرشين وكانت صغيرة ، قال الحافظ ابن عساكر : وبعضها باق إلى اليوم وقد تشعثت . الثالثة : كانت بدار البطيخ العتيقة . قلت : وهي داخل البلد بقرب الكوشك ، وأظنها هي المسجد الذي قبل هذا المكان المذكور ، فانها خربت من دهر والله أعلم . الرابعة : كانت بدرب بنى نصر بين درب الحبالين ودرب التميمي . قال الحافظ ابن عساكر : وقد أدركت بعض بنياتها ، وقد خرب أكثرها . الخامسة : كنيسة بولص ، قال ابن عساكر : وكانت غربي القيسارية الفخرية وقد أدركت من بنياتها بعض أساس الخنية . السادسة : كانت في موضع دار الوكالة وتعرف اليوم بكنيسة القلانسيين . قلت : والقلانسيين هي الحواحين اليوم . السابعة : التي بدرب السقييل اليوم وتعرف بكنيسة حميد بن درة سابقاً ، لأن هذا الدرب كان أقطاعاً له وهو حميد بن عمرو بن مساحق القرشي العامري ، ودره أمه ، وهي درة ابنة هاشم بن عتبة بن ربيعة ، فأبواها خال معاوية . وكان قد أقطع هذا الدرب فنسبت هذه الكنيسة إليه ، وكان مسلماً ، ولم يبق لهم اليوم سواها ، وقد خرب أكثرها . وليعقوبية منهم كنيسة

داخل باب توما بين رغبة خالد - وهو خالد بن أسيد بن أبي العيص - وبين درب طلحة بن عمر وبن مرة الجهنى ، وهى الكنيسة الثامنة ، وكانت لليعقوبيين كنيسة أخرى فيما بين درب التنوى وسوق على . قال ابن عساكر : قد بقي من بنائها بعضه ، وقد خربت منذ دهر . وهى الكنيسة التاسعة وأما العاشرة فهى الكنيسة المصلبة قال الحافظ ابن عساكر : وهى باقية إلى اليوم بين الباب الشرقى وباب توما بقرب النبطين عند السرور . والناس اليوم يقولون النبطون . قال ابن عساكر : وقد خرب أكثرها هكذا قال . وقد خربت هذه الكنيسة وهدمت فى أيام صلاح الدين فاتح القدس بعد الثمانين وخمسة مائة بعد موت الحافظ ابن عساكر رحمه الله .

الحادية عشرة : كنيسة مريم داخل الباب الشرقى . قال ابن عساكر وهى من أكبر ما بقى بأيديهم . قلت : ثم خربت بعد موته بدهر فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى على ماسياتى بياته

الثانية عشر : كنيسة اليهود التى بأيديهم اليوم فى حارتهم ، ومحلها معروف بالقرب من الجبر وتسميه الناس اليوم بستان القبط وكانت لهم كنيسة فى درب البلاغة لم تكن داخلية فى العهد فهدمت فيما بعد وجعل مكانها المسجد المعروف بمسجد ابن السهروردى ، والناس اليوم يقولون درب الشاذورى . قلت : وقد أخرجت لهم كنيسة كانوا قد أحدثوها لم يذكروها أحد من علماء التاريخ لا ابن عساكر ولا غيره ، وكان إخراجها فى حدود سنة سبع عشرة وسبع مائة ولم يتعرض الحافظ ابن عساكر لذكر كنيسة السامرة بمرة . ثم قال ابن عساكر : ومما أحدث - يعنى التصارى - كنيسة بناها أبو جعفر المنصور بنى قطيطة فى الفريق عند قناة صالح قريبا من دارها وارمن اليوم^(١) ، وقد أخرجت فيما بعد وجعلت مسجداً يعرف بمسجد الجنيق وهو مسجد أبى اليمن . قال ومما أحدثت كنيسة العباد إحداهما عند دار ابن الماشلى وقد جعلت مسجداً . والأخرى التى فى رأس درب النقاشين وقد جعلت مسجداً . انتهى ما ذكره الحافظ ابن عساكر الدمشقى رحمه الله . قلت : وظاهر سياق سيف بن عمر يقتضى أن فتح دمشق وقع فى سنة ثلاث عشرة ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من أنها فتحت فى نصف رجب سنة أربع عشرة . كذا حكاه الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عائذ القرشى الدمشقى عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصين بن غلاق عن يزيد بن عبيدة قال : فتحت دمشق سنة أربع عشرة . ورواه دحيم عن الوليد . قال : سمعت أشياخاً يقولون إن دمشق فتحت سنة أربع عشرة . وهكذا قال سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر ومحمد بن إسحق ومعمر والأموى وحكاه عن المشايخ وابن الكلبي وخليفة بن خياط وأبو عبيدة القاسم بن سلام ، إن فتح دمشق كان فى سنة (١) هكذا فى الاصلين من قوله كنيسة بناها الى قوله وارمن اليوم ولم يظهر لنا المعنى .

أربع عشرة . وزاد سعيد بن عبد العزيز وأبو معشر والأموى : وكانت اليرموك بعدها بسنة . وقال بعضهم : بل كان فتحها فى شوال سنة أربع عشرة . وقال خليفة : حاصرهم أبو عبيدة فى رجب وشعبان ورمضان وشوال وتم الصلح فى ذى القعدة . وقال الاموى فى مغازيه : كانت وقعة أجنادين فى جمادى الاولى ، ووقعة لخل فى ذى القعدة من سنة ثلاث عشرة - يعنى ووقعة دمشق سنة أربع عشرة - وقال دحيم عن الوليد : حدثنى الاموى أن وقعة لخل وأجنادين كانت فى خلافة أبى بكر ثم مضى المسلمون إلى دمشق فقتلوا عليها فى رجب سنة ثلاث عشرة يعنى ففتحوها فى سنة أربع عشرة . وكانت اليرموك سنة خمس عشرة ، وقدم عمر إلى بيت المقدس سنة ست عشرة .

فصل

واختلف العلماء فى دمشق هل فتحت صلحاً أو عنوة ؟ فأكثر العلماء على أنه استقر أمرها على الصلح ، لأنهم شكوا فى المتقدم على الآخر أفنتحت عنوة ثم عدل الروم إلى المصالحة ، أو فتحت صلحاً ، أو اتفق الاستيلاء من الجانب الآخر قسراً ؟ فلما شكوا فى ذلك جعلوها صلحاً احتياطاً . وقيل بل جعل نصفها صلحاً ونصفها عنوة ، وهذا القول قد يظهر من صنع الصحابة فى الكنيسة العظمى التى كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها وتركوا لهم نصفها والله أعلم . ثم قيل : إن أبا عبيدة هو الذى كتب لهم كتاب الصلح ، وهذا هو الأ نسب والأ شهر ، فان خالداً كان قد عزل عن الامرة ، وقيل بل الذى كتب لهم الصلح خالد بن الوليد ، ولكن أقره على ذلك أبو عبيدة فله أعلم .

وذكر أبو حذيفة إسحاق بن بشر أن الصديق توفى قبل فتح دمشق ، وأن عمر كتب إلى أبى عبيدة يعزىه والمسلمين فى الصديق ، وأنه قد استنابه على من بالشام ، وأمره أن يستشير خالداً فى الحرب ، فلما وصل الكتاب إلى أبى عبيدة كتبه من خالد حتى فتحت دمشق بنحو من عشرين ليلة ، فقال له خالد : يرحمك الله ، ما منعك أن تعلمنى حين جاءك ؟ فقال : إنى كرهت أن أكره عليك حربك ، وما سلطان الدنيا أريد ، ولا للدنيا أعمل ، وما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإيماننا نحن إخوان وما يضر الرجل أن يليه أخوه فى دينه وديناه .

ومن أعجب ما يندكرهنا ما رواه يعقوب بن سفيان الفسوى : حدثنا هشام بن عمار ثنا عبد الملك ابن عبد ثنار راشد بن داود الصنعاني حدثنى أبو عثمان الصنعاني شراحيل بن مرثد ، قال : بعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى أهل اليمامة ، وبعث يزيد بن أبى سفيان إلى الشام ، فذكر الراوى فقال خالد لأهل اليمامة إلى أن قال : ومات أبو بكر واستخلف عمر فبعث أبا عبيدة إلى الشام فقدم دمشق فاستمد أبو عبيدة عمر فكتب عمر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى أبى عبيدة بالشام ، فذكر مسير

خالد من العراق إلى الشام كما تقدم وهذا غريب جداً فان اذى لايشك فيه أن الصديق هو الذي بعث أبا عبيدة وغيره من الامراء إلى الشام ، وهو الذي كتب الى خالد بن الوليد أن يقدم من العراق إلى الشام ليكون مدداً لمن به وأميراً عليهم ، ففتح الله تعالى عليه وعلى يديه جميع الشام على ما سنده إن شاء الله تعالى .

وقال محمد بن عائذ : قال الوليد بن مسلم : أخبرني صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة بن الجراح وافداً إلى أبي بكر بشيراً بالفتح فقدم المدينة فوجد أبا بكر قد توفي واستخلف عمر بن الخطاب فأعظم أن يتأمر أحد من الصحابة عليه فولاه جماعة الناس فقدم عليهم فقالوا : مرحباً بمن بعثناه يريدنا فقدم علينا أميراً ،

وقد روى الليث وابن لهيعة وحيوة بن شريح ومفضل بن فضالة وعمر بن الحارث وغير واحد عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن الحكم عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر أنه بعثه أبو عبيدة يريد دمشق قال : فقدمت على عمر يوم الجمعة فقال لي : منذ كم لم تنزع خفيك ؟ فقلت من يوم الجمعة وهذا يوم الجمعة . فقال : أصبت السنة

قال الليث : وبه نأخذ ، يعني أن المسح على الخفين للمسافر لا يتأقت ، بل له أن يمسح عليهما ما شاء ، وإليه ذهب الشافعي في القديم . وقد روى أحمد وأبو داود عن أبي بن عمار مرفوعاً مثل هذا ، والجمهور على ما رواه مسلم عن علي في تأقيت المسح للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وللمقيم يوم وليلة . ومن الناس من فصل بين البريد ومن في معناه وغيره ، فقال في الأول لا يتأقت ، وفيما عداه يتأقت لحديث عقبة وحديث علي والله أعلم .

فصل

ثم إن أبا عبيدة بعث خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحها بالسيف . وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون ، وعلى الروم رجل يقال له « سنان » تحدر على المسلمين من عقبة بيروت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون « عين ميسنون » عين الشهداء . واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان كما وعده بها الصديق . وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر في سرية ليهدوا أمرها . وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البثينة وحواران فصالح أهلها .

قال أبو عبيدة القاسم بن سلام رحمه الله : افتتح خالد دمشق صلحاً ، وهكذا سائر مدن الشام كانت صلحاً دون أرضها . فعلى يدي يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة . وقال الوليد بن مسلم : أخبرني غير واحد من شيوخ دمشق بينما هم على حصار دمشق إذ أقبلت خيل من

عقبة السلمية مخمرة بالحرير فنار إليهم المسلمون فالتقوا فيما بين بيت ليا والعقبة التي أقبلوا منها ، فهزمهم وطردهم إلى أبواب حمص ، فلما رأى أهل حمص ذلك ظنوا أنهم قد فتحو دمشق فقتل لهم أهل حمص إنا نصلحكم على ما صالحتم عليه أهل دمشق ففعلوا .

وقال خليفة بن خياط حدثني عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فان أهلها صالحوه . وهكذا قال ابن الكلابي . وقال بعث أبو عبيدة خالداً فغلب على أرض البقاع وصلحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً . وقال ابن المغيرة عن أبيه وصالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، ووضع الخراج . وقال ابن إسحاق وغيره وفي سنة أربع عشرة فتحت حمص وبعث صلحاً على يدي أبي عبيدة في ذي القعدة . قال خليفة ويقال في سنة خمس عشرة

﴿ وقعة فحل (١) ﴾

وقد ذكرها كثير من علماء السير قبل فتح دمشق وإنما ذكرها الامام أبو جعفر بن جرير بعد فتح دمشق وتبع في ذلك سياق سيف بن عمر فيما رواه عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة القيسي قال : خلف الناس يزيد بن أبي سفيان في خيله في دمشق وسار نحو فحل وعلى الناس الذين هم بالغور شرحبيل بن حسنة وسار أبو عبيدة وقد جعل على المقدمة خالد بن الوليد وأبو عبيدة على الميمنة وعمرو بن العاص على الميسرة ، وعلى الخليل ضرار بن الأزور ، وعلى الرجالة عياض بن غنم فوصلوا إلى فحل وهي بلدة بالغور وقد انحاز الروم إلى بيسان ، وأرسلوا مياه تلك الأراضي على ما هنالك من الأراضي فحال بينهم وبين المسلمين ، وأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بما هم فيه من مصابرة عدوهم وما صنعه الروم من تلك المكيدة ، إلا أن المسلمين في عيش رغيد ومدد كبير ، وهم على أهبة من أمرهم . وأمير هذا الحرب شرحبيل بن حسنة وهو لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة . وظن الروم أن المسلمين على غرة ، فركبوا في بعض الليالي لبيبتهم ، وعلى الروم سقلاب بن مخراق ، فجمعوا على المسلمين فنهضوا إليهم نهضة رجل واحد لأنهم على أهبة دائماً ، فقاتلهم حتى الصباح وذلك اليوم بكاله إلى الليل . فلما أظلم الليل فر الروم وقتل أميرهم سقلاب وركب المسلمون أكتافهم وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل الذي كانوا قد كادوا به المسلمين ففرقهم الله فيه ، وقتل منهم المسلمين بأطراف الرماح ما قارب الثمانين ألفاً لم ينج منهم إلا الشريد ، وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلاً . وانصرف أبو عبيدة وخالد بن منبها من الجيوش نحو حمص كما أمر أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب . واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة ، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص فحاصر بيسان فخرجوا إليه فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم صالحوه على مثل ما صالحت عليه

(١) بكسر الفاء . وقيل والحاء . والصحيح تسكينها .

دمشق، وضرب عليهم الجزية والخراج على أراضيهم وكذلك فعل أبو العور السلمي بأهل طبرية سواء

﴿ فصل فيما وقع بأرض العراق في هذه المدة من القتال ﴾

وقد قدمنا أن المثنى بن حارثة لما سار خالد من العراق بمن صحبه إلى الشام وقد قيل إنه سار بتسعة آلاف، وقيل بثلاثة آلاف، وقيل بسبعائة وقيل بأقل، إلا أنهم صناديد جيش العراق، فأقام المثنى بمن بقي فاستقل عددهم وخاف من سطوة الفرس لولا اشتغالهم بتبديل ملوكهم وملكاتهم، واستبطأ المثنى خبر الصديق فسار إلى المدينة فوجد الصديق في السياق، فأخبره بأمر العراق، فأوصى الصديق عمر أن يندب الناس لقتال أهل العراق. فلما مات الصديق ودفن ليلة الثلاثاء أصبح عمر فندب الناس وحتم على قتال أهل العراق، وحرضهم ورغبهم في الثواب على ذلك، فلم يبق أحد لأن الناس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوة سطوتهم، وشدة قتالهم. ثم ندهم في اليوم الثاني والثالث فلم يبق أحد وتمكلم المثنى بن حارثة فأحسن، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدي خالد من معظم أرض العراق، وما لم يترك من الأموال والأموال والأمتعة والزاد، فلم يبق أحد في اليوم الثالث فلما كان اليوم الرابع كان أول من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ثم تتابع الناس في الإجابة، وأمر عمر طائفة من أهل المدينة وأمر على الجميع أبو عبيد هذا ولم يكن صحابياً، فقيل لعمر: هلا أمرت عليهم رجلاً من الصحابة؟ فقال: إنما أؤمر أول من استجاب، إنكم إنما سبقتم الناس بنصرة هذا الدين، وإن هذا هو الذي استجاب قبلكم. ثم دعاه فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله ﷺ، (وأن يستشير سليط بن قيس فإنه رجل ياتر الحروب) (١) فسار المسلمون إلى أرض العراق (ومع سبعة آلاف رجل) (٢) وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممن قدم مع خالد إلى العراق (فجهر عشرة آلاف عليهم هاشم ابن عتبة وأرسل عمر جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق فقدم الكوفة ثم خرج منها فواقع هرقران المدار فقتله وانهزم جيشه وغرق أكثرهم في دجلة) (٣) فلما وصل الناس إلى العراق وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم، وآخر ما استقر عليه أمرهم أن ملكوا عليهم « بوران » بنت كسرى بعد ما قتلوا التي كانت قبلها « أزميدخت » وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له رستم بن فرخزاد على أن يقوم بأمر الحرب، ثم بصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك. وكان رستم هذا منجماً يعرف النجوم وعلمها جيداً، فقيل له: ما حملك على هذا؟ يعنون وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتم لك فقال: الطمع وحب الشرف

﴿ وقعة التمارق ﴾

بعث رستم أميراً يقال له « جابان » وعلى مجنبيه رجلاً يقال لأحدهما « حشش ماه » ويقال للآخر « مردانشاه » وهو خصي أمير حاجب الفرس، فالتقوا مع أبي عبيد بمكان يقال له التمارق، بين الحيرة والقادسية - وعلى الخليل المثنى بن حارثة، وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً وهزم الله الفرس وأسروا جابان ومردانشاه. فأما مردانشاه فإنه قتل الذي أسره، وأما جابان فإنه خدع الذي أسره حتى أطلقه فأمسكه المسلمون وأبو أن يطلقوه، وقالوا إن هذا هو الأمير وجاؤا به إلى أبي عبيد فقالوا اقتله فإنه الأمير فقال وان كان الأمير فاني لا أقتله. وقد أمنه رجل من المسلمين ثم ركب أبو عبيد في آثار من انهزم منهم وقد لجأوا إلى مدينة كسكر التي لابن خالة كسرى واسمه نرسی فوازهم نرسی على قتال أبي عبيد فقهرهم أبو عبيد وغنم منهم شيئاً كثيراً وأطعمت كثيرة جداً، والله الحمد. وبعث بخمس ما غنم من المال والطعام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة وقد قال في ذلك رجل من المسلمين

لعمرى وما عمرى على بهين * لقد صحبت بالخزى أهل التمارق

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهيم * يجوسونهم ما بين درنا وبارق

قتلناهم ما بين مرج مسلح * وبين الهواني من طريق التدارق

فالتقوا بمكان بين كسكر والسفاطية وعلى ميمته نرسی وميسرته ابنا خاله بندويه وبيرويه وأولاد نظام وكان رستم قد جهز الجيوش مع الجالينوس فلما بلغ أبو عبيد ذلك اعجل نرسی بالقتال قبل وصولهم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت الفرس وهرب نرسی والجالينوس إلى المدائن بعد وقعة جرت من أبي عبيد مع الجالينوس بمكان يقال له باروما فبعث أبو عبيد المثنى بن حارثة وسرايا أخرى إلى متاخم تلك الناحية كنهج جور ونحوها ففتحها صلحاً وقهراً وضربوا الجزية والخراج وغنموا الأموال الجزيلة والله الحمد والمنة وكسروا الجالينوس الذي جاء لتصرة جابان وغنموا جيشه وأمواله وكرهارياً إلى قومه حقيراً ذليلاً.

﴿ وقعة جسر أبي عبيد التي قتل فيها أمير المسلمين وخلق كثير منهم فانا لله وإنا إليه راجعون ﴾

لما رجع الجالينوس هارباً مما لقي من المسلمين تدارمت الفرس بينهم واجتمعوا إلى رستم فأرسل جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحاجب « بهمس حادويه » واعطاه راية أفر يدون وتسمى درفش كايان وكانت الفرس تتيمن بها. وحملوا معهم راية كسرى وكانت من جلود الثور عرضها ثمانية أذرع. فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر فأرسلوا: إما أن تعبروا إلينا وإما إن نعبر إليكم. فقال المسلمون لأمرهم أبي عبيد أمرهم فليعبرواهم إلينا. فقال ما هم بأجرأ على الموت منا. ثم اقتحم

إليهم فاجتمعوا في مكان ضيق هنالك فاقتتلوا قتالا شديداً لم يعهد مثله والمسلمون في نحو من عشرة آلاف وقد جاءت الفرس معهم بأفيلة كثيرة عليها الجلاجل ، قائمة لتدعير خيول المسلمين فجعلوا كلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم من الفيلة ومما تسمع من الجلاجل التي عليها ولا يثبت منها الا القليل على قسر . وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة ورشقهم الفرس بالنبل ، فنالوا منهم خلقاً كثيراً وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستة آلاف . وأمر أبو عبيد المسلمين أن يقتلوا الفيلة أولاً ، فاحتوشوها فقتلوا عنها ، وقد قدمت الفرس بين أيديهم فيلأعظبا أبيض ، فتقدم إليه أبو عبيد فضربه بالسيف فقطع ذلومه فحى الفيل ، وصاح صيحة هائلة وحمل فخطبه برجليه فقتله ووقف فوقه فحمل على الفيل خليفة أبي عبيد الذي كان أوصى أن يكون أميراً بعده فقتل ، ثم آخر ثم آخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان قد نص أبو عبيد عليهم واحداً بعد واحد ، ثم صارت الى المثنى بن حارثة بمقتضى الوصية أيضاً . وقد كانت دومة امرأة أبي عبيد رأت مناماً يدل على ما وقع سواء بسواء . فلما رأى المسلمون ذلك وهنوا عند ذلك ولم يكن بقي إلا الظفر بالفرس ، وضعف أمرهم ، وذهب ريجهم ، وولوا مدبرين ، وسأقت الفرس خلفهم فقتلوا بشراً كثيراً ، وانكشف الناس فكان أمراً بليغاً وجاؤا إلى الجسر فر بعض الناس . ثم انكسر الجسر فتحكم فيمن وراءه الفرس فقتلوا من المسلمين وغرق في الفرات نحو من أربعة آلاف . فانا لله وإنا اليه راجعون . وسار المثنى بن حارثة فوقف عند الجسر الذي جاؤا منه ، وكان الناس لما انهزموا جعل بعضهم يلقي بنفسه في الفرات فيغرق ، فنادى المثنى . أيها الناس على هيبنتكم فاني واقف على فم الجسر لا أجوزه حتى لا يبقى منكم أحد ههنا ، فلما عدى الناس إلى الناحية الأخرى سار المثنى فقتل بهم أول منزل ، وقام يحرسهم هو وشجعان المسلمين ، وقد جرح أكثرهم وأثخنوا . ومن الناس من ذهب في البرية لا يدري أين ذهب ، ومنهم من رجع إلى المدينة النبوية مذعوراً ، وذهب بالخبر عبد الله بن زيد بن عاصم المازني إلى عمر بن الخطاب فوجده على المنبر ، فقال له عمر : ما وراءك يا عبد الله بن زيد ؟ فقال : أتاك الخبر اليقين يا أمير المؤمنين ، ثم صعد إليه المنبر فأخبره الخبر سرراً ، ويقال كان أول من قدم بخبر الناس عبد الله بن يزيد بن الحصين الخطمي فأنه أعلم .

قال سيف بن عمر وكانت هذه الواقعة في شعبان من سنة ثلاث [عشرة] بعد اليرموك بأربعين يوماً فأنه أعلم ، وتراجع المسلمون بعضهم إلى بعض وكان منهم من فر إلى المدينة فلم يؤنب عمر الناس بل قال أنا فيكم وأشغل الله الجوس بأمر ملكهم . وذلك أن أهل المدائن عدوا على رسم فخلعوه ثم ولوه وأضافوا إليه الفيرزان ، واختلفوا على فرقتين ، فركب الفرس إلى المدائن ولحقهم المثنى بن حارثة في نفر من المسلمين ، فعارضه أميران من أمرائهم في جيشهم ، فأسرهما وأسر معهما بشراً كثيراً

فضرب أعناقهم . ثم أرسل المثنى إلى من بالعراق من أمراء المسلمين يستمدهم ، فبعثوا إليه بالأمداد ، وبعث إليه عمر بن الخطاب بمدد كثير فيهم جرير بن عبد الله البجلي ، في قومه بجيلة بكاملها ، وغيره من سادات المسلمين حتى كثر جيشه .

﴿ وقعة البويت التي اقتص فيها المسلمون من الفرس ﴾

فلما سمع بذلك أمراء الفرس ، وبكثرة جيوش المثنى ، بعثوا إليه جيشاً آخر مع رجل يقال له مهران فتوافواهم وإياهم بمكان يقال له « البويت » قريب من مكان الكوفة اليوم وبينهما الفرات . فقالوا : إما أن تعبروا إلينا ، أو نعبركم . فقال المسلمون : بل عبروا إلينا . فعبرت الفرس إليهم فتواقفوا ، وذلك في شهر رمضان . فعزم المثنى على المسلمين في الفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم ، وعبي الجيش ، وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل ويعظهم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت . وفي القوم جرير بن عبد الله البجلي في بجيلة وجماعة من سادات المسلمين . وقال المثنى لهم : إني مكبر ثلاث تكبيرات قهياً ، فاذا كبرت الرابعة فاحملوا . فقابلوا قوله بالسمع والطاعة والقبول . فلما كبر أول تكبيرات عاجلتهم الفرس فحملوا حتى خالقوهم ، واقتتلوا قتالا شديداً ، ورأى المثنى في بعض صفوفه خللاً ، فبعث إليهم رجلاً يقول : الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : لا تفضحوا العرب اليوم فاعتدلوا . فلما رأى ذلك منهم - وهم بنو عجل - أعجبه وضحك . وبعث إليهم يقول : يامعشر المسلمين عاداتكم ، انصروا الله ينصركم . وجعل المثنى والمسلمون يدعون الله بالظفر والنصر . فلما طالت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره ، وحمل على مهران فأزاله عن موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بني تغلب نصراني فقتل مهران وركب فرسه . كذا ذكره سيف بن عمر .

وقال محمد بن إسحاق بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبي فطعنه واحتر رأسه جرير بن عبد الله البجلي ، واختصا في سلبه ، فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقتة . وهربت الجوس وركب المسلمون أكتافهم يفصلونهم فصلاً . وسبق المثنى بن حارثة إلى الجسر فوقف عليه ليمنع الفرس من الجواز عليه ليمتكن منهم المسلمون . فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن أبعده إلى الليل فيقال إنه قتل منهم يومئذ وغرق قريب من مائة ألف والله الحمد والمنة . وغنم المسلمون ما لا جز يلا وطعاماً كثيراً ، وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رضي الله عنه . وقد قتل من سادات المسلمين في هذا اليوم بشر كثيراً أيضاً . وذلت هذه الواقعة رقاب الفرس وتمسكن الصحابة من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره . وحجرت أمور يطول ذكرها بعد يوم البويت وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام . وقد قال الأعرابي المثنى العبدى في ذلك : —

هاجت لأعور دار الحى أحزانا * واستبدلت بعد عبد القيس حسانا
وقد أرانا بها والشمل مجتمع * إذ بالنخيلة قتلى جند مهرانا
إذ كان سار المثنى بالخيول لم * فقتل الزحف من فرس وجيلانا
سما لمهران والجيش الذى معه * حتى أبادهم مثنى ووحदानا (١)

فصل

ثم بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص الزهرى أحد العشرة فى ستة آلاف أميراً على العراق ، وكتب إلى جرير بن عبد الله والمثنى بن حارثة أن يكونا تبعاً له وأن يسعاه ويطيعا ، فلما وصل إلى العراق كانا معه ، وكانا قد تنازعا الامرة ، فللمثنى يقول لجرير : إنما بعثك أمير المؤمنين مدداً إلى . ويقول جرير : إنما بعثنى أميراً عليك . فلما قدم سعد على أمر العراق انقطع نزاعهما . قال ابن إسحاق . وتوفى المثنى بن حارثة فى هذه السنة : كذا قال ابن إسحاق . والصحيح أن بعث عمر سعداً إنما كان فى أول سنة أربع عشرة كما سيأتى .

﴿ ذكر اجتماع الفرس على يزجرد بعد اختلافهم واضطرابهم ثم اجتمعت كلمتهم ﴾

كان شيرين قد جمع آل كسرى فى القصر الأبيض وأمر بقتل ذكرانهم كلهم ، وكانت أم يزجرد فيهم ومعها ابناها وهو صغير ، فواعدت أخواله فجاءوا وأخذوه منها وذهبوا به إلى بلادهم ، فلما وقع ما وقع يوم البيوت وقتل من قتل منهم كما ذكرنا ، وركب المسلمون أكتافهم وانتصروا عليهم وعلى أخذ بلادهم ، ومحاطهم وأقاليمهم . ثم سمعوا بقدم سعد بن أبي وقاص من جهة عمر ، اجتمعوا فيما بينهم وأحضروا الأميرين الكبيرين فيهم وهما رستم والفيرزان فتذاورا فيما بينهم وتواصوا وقالوا لهما لئن لم تقوما بالحرب كما ينبغي لتقتلنكما ونشتفى بكما . ثم رأوا فيما بينهم أن يبعثوا خلف نساء كسرى من كل فج ومن كل بقعة ، فن كان لها ولد من آل كسرى ملكوه عليهم . فجعلوا إذا أتوا بالمرأة عاقبوها هل لها ولد وهى تنكر ذلك خوفاً على ولدها إن كان لها ولد ، فلم يزالوا حتى دلوا على أم يزجرد ، فأحضروها وأحضروا ولدها فملكوه عليهم وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وهو من ولد شهر يار بن كسرى وعزلوا بوران واستوتقت الممالك له ، واجتمعوا عليه وفرحوا به ، وقاموا بين يديه بالنصر أتم قيام ، واستفحل أمره فيهم وقويت شكوتهم به ، وبعثوا إلى الأقاليم والرساتيق فغلبوا الطاعة للصحابة ونقضوا عهودهم وذهبهم ، وبعث الصحابة إلى عمر بالظفر ، فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهرانيهم

(١) من منتصف السطر الثالث والعشرين من صفحة ٢٨ إلى هنا زيادة من النسخة المصرية

وليكونوا على أطراف البلاد حولهم على المياه ، وأن تكون كل قبيلة تنظر إلى الأخرى بحيث إذا حدث حدث على قبيلة لا يخفى أمرها على جيرانهم . وتفاقم الحال جدا ، وذلك فى ذى القعدة من سنة ثلاث عشرة ، وقد حج بالناس عمر فى هذه السنة وقيل بل حج بهم عبد الرحمن بن عوف ولم يحج عمر هذه السنة والله أعلم .

﴿ ذكر ما وقع فى هذه السنة ﴾

أعنى سنة ثلاث عشرة من الحوادث إجمالاً ، ومن توفى من الأعيان

كانت فيها وقائع تقدم تفصيلها ببلاد العراق على يدى خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فتحت فيها الخيرة والأخبار وغيرهما من الأمصار ، وفيها سار خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على المشهور . وفيها كانت وقعة اليرموك فى قول سيف بن عمر واختيار ابن جرير ، وقتل بها من قتل من الأعيان ممن يطول ذكرهم وتراجهم رضى الله عنهم أجمعين . وفيها توفى أبو بكر الصديق . وقد أفردنا سيرته فى مجلد والله الحمد . وفيها ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الثلاثاء ثمان بقين من جمادى الآخرة منها فولى قضاء المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه واستناب على الشام أبا عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهرى ، وعزل عنها خالد بن الوليد الخزيمى ، وأبقاه على شورى الحرب . وفيها فتحت بصرى صالحاً وهى أول مدينة فتحت من الشام ، وفيها فتحت دمشق فى قول سيف وغيره كما قدمنا واستناب فيها يزيد بن أبى سفيان فهو أول من وليها من أمراء المسلمين رضى الله عنهم . وفيها كانت وقعة لخل من أرض الغور وقتل بها جماعة من الصحابة وغيرهم . وفيها كانت وقعة جسر أبى عبيد فقتل فيها أربعة آلاف من المسلمين منهم أميرهم أبو عبيد بن مسعود الثقفى ، وهو والد صفية امرأة عبد الله بن عمر وكانت امرأة سالحة رحمهما الله . ووالد المختار بن أبى عبيد كذاب ثقيف وقد كان نائباً على العراق فى بعض وقعات العراق كما سيأتى . وفيها توفى المثنى بن حارثة فى قول ابن إسحاق ، وقد كان نائباً على العراق استخلفه خالد بن الوليد حين سار إلى الشام ، وقد شهد مواقف مشهورة وله أيام مذكورة ولا سيما يوم البيوت بعد جسر أبى عبيد فقتل فيه من الفرس وغرق بالفرقة قريب من مائة ألف ، والذي عليه الجمهور أنه بقى إلى سنة أربع عشرة كما سيأتى بيانه . وفيها حج بالناس عمر بن الخطاب فى قول بعضهم وقيل بل حج عبد الرحمن بن عوف . وفيها اشتتفر عمر قبائل العرب لغزو العراق والشام فأقبلوا من كل النواحي فرمى بهم الشام والعراق . وفيها كانت وقعة أجنادين فى قول ابن إسحاق يوم السبت ثلاث من جمادى الأولى منها . وكذا عند الواقدى فيما بين الرملة وبين جسر بين وعلى الروم القيقلان وأمير المسلمين عمرو بن العاص ، وهو فى عشرين ألفاً فى قول فقتل القيقلان وانهمزمت الروم وقتل منهم خلق كثير . واستشهد من المسلمين أيضاً جماعة منهم هشام بن العاص

والفضل بن العباس ، وأبان بن سعيد وأخوه خالد وعمرو ، ونعيم بن عبد الله بن النحام ، والطفيل بن عمرو وعبد الله بن عمرو الدوسيان ، وضرار بن الأوزور ، وعكرمة بن أبي جهل ، وعمه سلمة بن هشام ، وهيار بن سفيان ، وصخر بن نصر ، وتميم وسعيد ابنا الحارث بن قيس رضى الله عنهم .

وقال محمد بن سعد قتل يومئذ طليب بن عمرو وأمه أروى بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ .
ومن قتل يومئذ عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وكان عمره يومئذ ثلاثين سنة فيما ذكره الواقدي قال : ولم يكن له رواية وكان ممن صبر يوم حنين . قال ابن جرير وقتل يومئذ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة والحارث بن أوس بن عتيك رضى الله عنهم . وفيها كانت وقعة مرج الصفر في قول خليفة بن خياط وذلك لثنتي عشرة بقية من جمادى الأولى وأمير الناس خالد بن سعيد بن العاص قتل يومئذ وقيل إنما قتل أخوه عمرو وقيل ابنه فله أعلم ،

قال ابن إسحق : وكان أمير الروم قتل من الروم مقتلة عظيمة حتى جرت طاحون هناك من دماهم . والصحيح أن وقعة مرج الصفر في أول سنة أربع عشرة كما سيأتي .

﴿ ذكر المتوفين في هذه السنة ﴾

(مرتبين على الحروف كما ذكرهم شيخنا الحافظ الذهبي في تاريخه)

أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي أبو الوليد المسكي صحابي جليل . وهو الذي أجاز عثمان ابن عفان يوم الحديبية حتى دخل مكة لأداء رسالة رسول الله ﷺ . أسلم بعد مرجع أخويه من الحبشة . خالد ، وعمرو ، فدعوا إلى الإسلام فأجابهما . وساروا فوجدوا رسول الله ﷺ قد فتح خيبر . وقد استعمله رسول الله ﷺ سنة تسع على البحرين وقتل بأجنادين * أنسة مولى رسول الله ﷺ المشهور أنه قتل ببدر فيما ذكره البخاري وغيره ، وزعم الواقدي فيما نقله عن أهل العلم أنه شهد أحداً وأنه بقي بعد ذلك زماناً . قال : وحدثنى ابن أبي الزناد عن محمد بن يوسف أن أنسة مات في خلافة أبي بكر الصديق ، وكان يكنى أبا مسروح . وقال الزهري كان يأذن للناس على النبي ﷺ * تميم بن الحارث بن قيس السهمي وأخوه قيس صحابيان جليلان هاجرا إلى الحبشة وقتلا بأجنادين * الحارث بن أوس بن عتيك من مهاجرة الحبشة . قتل بأجنادين * خالد بن سعيد بن العاص الأموي ، من السابقين الأولين ، ممن هاجر إلى الحبشة وأقام بها بضع عشرة سنة ويقال إنه كان على صنعاء من جهة رسول الله ﷺ . وأمره الصديق على بعض الفتوحات كما تقدم قتل يوم مرج الصفر في قول ، وقيل بل هرب فلم يتمكن الصديق من دخول المدينة تعزيراً له ، فأقام شهراً في بعض ظواهرها حتى أذن له . ويقال إن الذي قتله أسلم وقال رأيت له حين قتلته نوراً ساطعاً إلى السماء رضى الله عنه * سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة . ويقال حارثة بن خزيمة بن ثعلبة بن

طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي سيدهم ، أبو ثابت ، ويقال أبو قيس صحابي جليل كان أحد النقباء ليلة العقبة ، وشهد بدرًا في قول عمرو وموسى بن عقبة والبخاري وابن ماكولا . وروى ابن عساكر من طريق حجاج بن أرطاة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رواية المهاجرين يوم بدر كانت مع علي ورواية الأنصار مع سعد بن عباد رضى الله عنهما .

قلت : والمشهور أن هذا كان يوم الفتح والله أعلم . وقال الواقدي : لم يشهدا لأنه نهسته حية فشغلته عنها بعد أن تجهز لها ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره ، وشهد أحداً وما بعدها . وكذا قال خليفة بن خياط . وكانت له جفنة تدور مع النبي ﷺ حيث دار من بيوت نسائه بلحم وثريد ، أو لبن وخبز ، أو خبز بسمن أو بخل وزيت ، وكان ينادى عند أطمه كل ليلة لمن أراد القرى . وكان يحسن الكتابة بالعربي ، والرمي والسباحة ، وكان يسمى من أحسن ذلك كاملاً . وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر ما ذكره غير واحد من علماء التاريخ أنه تخلف عن بيعة الصديق حتى خرج إلى الشام فمات بقرية من حوران سنة ثلاث عشرة في خلافة الصديق . قاله ابن اسحاق والمدائني وخليفة . قال : وقيل في أول خلافة عمر . وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة . وقال الفلاس وابن بكر سنة ست عشرة

قلت : أما بيعة الصديق فقد روينا في مسند الامام أحمد أنه سلم للصديق ما قاله من إن الخلفاء من قریش . وأما موته بأرض الشام فحقيق والمشهور أنه بحوران . قال محمد بن عائذ الدمشقي عن عبد الأعلى عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال : أول مدينة فتحت من الشام بصرى ، وبها توفي سعد ابن عباد . وعند كثير من أهل زماننا أنه دفن بقرية من غوطة دمشق ، يقال لها « المنيحة » وبها قبر مشهور به . ولم أر الحافظ ابن عساكر تعرض لذكر هذا القبر في ترجمته بالكلية فله أعلم . قال ابن عبد البر : ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله ، وقد اخضر جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول :

قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد * رميناه بسهم فلم يخطئ فؤاده

قال ابن جريج : سمعت عطاء (يقول) سمعت أن الجن قالوا في سعد بن عباد هذين البيتين . له عن النبي ﷺ أحاديث ، وكان رضى الله عنه من أشد الناس غيرة ، ما تزوج امرأة إلا بكراً ، ولا طلق امرأة فتجاسر أحد أن يخطبها بعده . وقد روى أنه لما خرج من المدينة قسم ماله بين بنيه ، فلما توفي ولد له ولد فجاء أبو بكر وعمر إلى ابنه قيس بن سعد فأمراه أن يدخل هذا معهم ، فقال إني لا أغير ما صنع سعد ولكن نصيب لهذا الولد * سلمة بن هشام بن المغيرة ، أخو أبي جهل بن هشام ،

أسلم سلمة قديماً وهاجر إلى الحبشة فلما رجع منها حبسه أخوه وأجاعه فكان رسول الله ﷺ يدعو له في القنوت والجماعة معه من المستضعفين . ثم أسلم فلحق برسول الله ﷺ بالمدينة بعد الخندق ، وكان معه بها ، وقد شهد أجنادين وقتل بها رضي الله عنه * ضرار بن الأزور الأسدي ، كان من الفرسان المشهورين ، والأبطال المذكورين ، له مواقف مشهودة ، وأحوال محمودة . ذكر عروة وموسى بن عقبة أنه قتل بأجنادين . له حديث في استحباب إبقاء شيء من اللبن في الضرع عند الحلب * طليب ابن عمير بن وهب بن كثير بن هند بن قصي القرشي العبدي ، أمه أروى بنت عبد المطلب عمه النبي ﷺ . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الحجر الثانية ، وشهد بدرآ . قاله ابن إسحاق والواقدي والزبير بن بكار . ويقال إنه أول من ضرب مشركاً ، وذلك أن أبا جهل سب النبي ﷺ فضربه طليب بلحى جمل فشججه . استشهد طليب بأجنادين وقد شاع رضي الله عنه * عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، ابن عم النبي ﷺ كان من الأبطال المذكورين والشجعان المشهورين ، قتل يوم أجنادين بعد ما قتل عشرة من الروم مبارزة كلهم بطارقة أبطال . وله من العمر يومئذ بضعة وثلاثون سنة * عبد الله بن عمرو الدوسي قتل بأجنادين . وليس هذا الرجل معروفًا * عثمان بن طلحة العبدي الحنفي . قيل إنه قتل بأجنادين ، والصحيح أنه تأخر إلى ما بعد الأربعين * عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية الأموي أبو عبد الرحمن أمير مكة نيابة عن رسول الله ﷺ استعمله عليها عام الفتح ، وله من العمر عشرون سنة ، فحج بالناس عامئذ ، واستنابه عليها أبو بكر بعده عليه السلام . وكانت وفاته بمكة ، قيل يوم توفي أبو بكر رضي الله عنهما . له حديث واحد رواه أهل السنن الأربعة * عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عثمان القرشي المخزومي ، كان من سادات الجاهلية كآبيه ، ثم أسلم عام الفتح بعد ما فر ، ثم رجع إلى الحق . واستعمله الصديق على عمان حين ارتدوا فظفر بهم كما تقدم . ثم قدم الشام وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال : إنه لا يعرف له ذنب بعد ما أسلم . وكان يقبل المصحف ويبكي ويقول : كلام ربي كلام ربي . احتج بهذا الامام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته . وقال الشافعي : كان عكرمة محمود البلاء في الاسلام . قال عروة : قتل بأجنادين . وقال غيره : باليرموك بعد ما وجد به بضعة وسبعون ما بين ضربة وطعنة رضي الله عنه * الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، قيل إنه توفي في هذه السنة ، والصحيح أنه تأخر إلى سنة ثمانى عشرة * نعيم بن عبد الله بن النخام أحد بني عدى ، أسلم قديماً قبل عمر ولم يتهيأ له هجرة إلى ما بعد الحديبية ، وذلك لأنه كان فيه بر بأقاربه ، فقالت له قريش : أقم عندنا على أي دين شئت ، فوالله لا يتعرضك أحد إلا ذهبنا أنفسنا دونك . استشهد يوم أجنادين وقيل يوم اليرموك رضي الله عنه * هبار بن الأسود بن أسد أبو الأسود القرشي الاسدي ،

هذا الرجل كان قد طعن راحلة زينب بنت النبي ﷺ يوم خرجت من مكة حتى أسقطت ، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه ، وقتل بأجنادين رضي الله عنه * هبار بن سفيان بن عبد الأسود المخزومي ابن أخي أم سلمة . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة واستشهد يوم أجنادين على الصحيح ، وقيل قتل يوم مؤتة والله أعلم * هشام بن العاص بن وائل السهمي أخو عمرو بن العاص . روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « ابنا العاص مؤمنان » وقد أسلم هشام قبل عمرو ، وهاجر إلى الحبشة ، فلما رجع منها احتبس بمكة . ثم هاجر بعد الخندق ، وقد أرسله الصديق إلى ملك الروم . وكان من الفرسان . وقتل بأجنادين ، وقيل باليرموك ، والاول أصح والله أعلم * أبو بكر الصديق رضي الله عنه تقدم وله ترجمة مفردة والله الحمد .

﴿ سنة أربع عشرة من الهجرة النبوية ﴾

استهلت هذه السنة والخليفة عمر بن الخطاب يحث الناس ويحرضهم على جهاد أهل العراق ، وذلك لما بلغه من قتل أبي عبيد يوم الجسر ، وانتظام شمل الفرس ، واجتماع أمرهم على يزدجرد الذي أقاموه من بيت الملك ، وتفض أهل الذمة بالعراق عهدهم ، ونبتهم الموائيق التي كانت عليهم ، وآذوا المسلمين وأخرجوا العمال من بين أظهرهم . وقد كتب عمر إلى من هنالك من الجيش أن يتبرزوا من بين أظهرهم إلى أطراف البلاد . قال ابن جرير رحمه الله . وركب عمر رضي الله عنه في أول يوم من الحرم هذه السنة في الجيوش من المدينة فنزل على ماء يقال له صرار ، فمسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه واستخلف على المدينة على بن أبي طالب ، واستصحب معه عثمان بن عفان وسادات الصحابة . ثم عقد مجلساً لاستشارة الصحابة فيما عزم عليه ، ونودي ان الصلاة جامعة ، وقد أرسل إلى على فقدم من المدينة ، ثم استشارهم فكلمهم واقفوه على الذهاب إلى العراق ، إلا عبد الرحمن بن عوف فانه قال له : إني أخشى إن كثرت أن تضعف المسلمون في سائر أقطار الأرض ، وإني أرى أن تبعث رجلاً وترجع أنت إلى المدينة . فارأنا^(١) عمر والناس عند ذلك واستصوبوا رأى ابن عوف . فقال عمر فمن ترى أن تبعث إلى العراق ؟ فقال : قد وجدته . قال ومن هو ؟ قال الأسد في برائه سعد بن مالك الزهري . فاستجاد قوله وأرسل إلى سعد فأمره على العراق وأوصاه فقال : يا سعد بن وهيب لا يتركك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحبه ، فان الله لا يمحو السئى بالسئى ، ولكن يمحو السئى بالحسن ، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته ، فأناس شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت

(١) كذا في الحلبية (بالشاء) وفي المصرية هكذا : فارأنا . واملها فارأنا بمعنى جنح كما يفهم من النهاية والقاموس .

رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه ، فانه الأمر . هذه عظمى إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكننت من الخاسرين . ولما أراد فراقه قال له : إنك ستقدم على أمر شديد ، فالصبر الصبر على ما أصابك ونابك ، تجمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين ، في طاعته واجتناب معصيته ، وإنما طاعة من أطاعه يبعث الدنيا وحب الآخرة ، وإنما عصيان من عصاه يحب الدنيا وبعث الآخرة . وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ومنها العلانية ، فأما العلانية فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبتحبة الناس ، ومن محبة الناس . فلا ترهق في التحبب فان النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حبه ، وإذا أبغض عبداً بفضه ، فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس . قالوا : فسار سعد نحو العراق في أربعة آلاف ثلاثة آلاف من أهل اليمن ، وألف من سائر الناس ، وقيل في ستة آلاف . وشيخهم عمر من صرار إلى الأعرص وقام عمر في الناس خطيباً هنالك فقال : إن الله إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم القول لتحيي القلوب فان القلوب ميتة في صدورها حتى يحييها الله ، من علم شيئاً فلينتفع به ، فان للعدل أمارات وتباشير ، فأما الأمارات فالحياء والسخاء واللين واللين . وأما التباشير فالرحمة . وقد جعل الله لكل أمر باباً ، ويسر لكل باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ، ومفتاحه الزهد ، والاعتبار ذكر الموت والاستعداد بتقديم الاموال . والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق والاكتفاء بما يكفيه من الكفاف ، فان لم يكفه الكفاف لم يغنه شيء . إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحد ، وإن الله قد أزمى دفع الدعاء عنه فانها شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع فالي من يبلغناها نأخذ له الحق غير منقطع . ثم سار سعد إلى العراق ، ورجع عمر بمن معه من المسلمين إلى المدينة . ولما انتهى سعد إلى نهر زرود ، ولم يبق بينه وبين أن يجتمع بالثنى بن حارثة إلا اليسير ، وكل منهما مشتاق إلى صاحبه ، انقض جرح المثني بن حارثة الذي كان جرحه يوم الجسر فمات رحمه الله ورضي الله عنه ، واستخلف على الجيش بشير بن الخصاصية . ولما بلغ سعداً موته ترحم عليه وتزوج زوجته سلمى . ولما وصل سعد إلى محلة الجيوش انتهت إليه رياستها وإمرتها ، ولم يبق بالعراق أمير من سادات العرب إلا تحت أمره وأمه عمر بأمداد آخر حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً ، وقيل ستة وثلاثون . وقال عمر : والله لأرمن ملوك العجم بملوك العرب . وكتب إلى سعد أن يجعل الأمراء على القبائل ، والعرفاء على كل عشرة عرفياً على الجيوش ، وأن يواعدهم إلى القادسية ، ففعل ذلك سعد ، عرف العرفاء ، وأمر على القبائل ، وولى على الطلائع ، والمقدمات ، والمجنبات والساقات ، والرجال ، والركبان ، كما أمر أمير المؤمنين عمر .

قال سيف باسناده عن مشايخه قالوا : وجعل عمر على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النون ، وجعل إليه الافاض وقسمة الفيء ، وجعل داعية الناس وقاصمهم سلمان الفارسي . وجعل الكاتب زياد بن أبي سفيان . قالوا وكان في هذا الجيش كله من الصحابة ثلثمائة وبضعة عشر صحابياً ، منهم بضعة وسبعون بدرياً ، وكان فيه سبعمائة من أبناء الصحابة رضی الله عنهم . وبعث عمر كتابه إلى سعد يأمره بالمبادرة إلى القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وأن يكون بين الحجر والمدبر ، وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس ، وأن يدروهم بالضرب والشدة ، ولا يهولنك كثرة عددهم وعددهم ، فانهم قوم خدعة مكرة ، وإن أنتم صبرتم وأحسنتم ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً إلا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهم . وإن كانت الأخرى فارجعوا إلى ما وراءكم حتى تصلوا إلى الحجر فانكم عليه أجرأ ، وإنهم عنه أجبن وبه أجمل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة . وأمره بحراسة نفسه وموعظة جيشه ، وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فان النصر يأتي من الله على قدر النية ، والأجر على قدر الحسنة ، وسوا الله العافية ، وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، واكتب إلى جميع أحوالكم وتفصيلها ، وكيف تنزلون وأين يكون منكم عدوكم ، واجعلني بكتبك إلى كافي أنظر إليكم ، واجعلني من أمركم على الجلية ، وخف الله وارجه ولا تدل بشيء ، واعلم أن الله قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له ، فاحذر أن يصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم . فكتب إليه سعد يصف له كيفية تلك المنازل والاراضي بحيث كأنه يشاهدها ، وكتب إليه يخبره بأن الفرس قد جردوا لخر به رستم وأمثاله ، فهم يطلبوننا ونحن نطلبهم ، وأمر الله بعد ماض ، وقضاؤه مسلم ، إلى ما قدر لنا وعلينا ، ففسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية وكتب إليه عمر : قد جاءني كتابك وفهمته ، فاذا لقيت عدوك ومنحك الله أديارهم ، فانه قد ألقى في روعي أنكم ستمزومونهم فلا تشكن في ذلك ، فاذا هزمتهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فانه خرابها إن شاء الله . وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وله وللمسلمين عامة .

ولما بلغ سعد العذيب اعترض للمسلمين جيش للفرس مع شيرزاد بن ارذويه ، فغنموا مما معه شيئاً كثيراً ووقع منهم موقعاً كبيراً ، فخمسها سعد وقسم أربعة أخماسها في الناس واستبشر الناس بذلك وفرحوا ، وتفاءلوا ، وأفرد سعد سرية تكون حياطة لمن معهم من الحرير ، على هذه السرية غالب بن عبد الله الليثي .

﴿ فصل في غزوة القادسية ﴾

ثم سار سعد فقتل القادسية ، وبث سراياه ، وأقام بها شهراً لم ير أحداً من الفرس ، فكتب إلى عمر بذلك ، والسرايا تأتي بالميرة من كل مكان . فمجت رعايا الفرس من أطراف بلادهم إلى يزدجرد

من الذين يلقون من المسلمين من النهب والسبي . وقالوا : إن لم تنجدونا والا أعطينا ما بأيدينا وسلمنا إليهم الحصون . واجتمع رأى الفرس على إرسال رستم إليهم ، فبعث إليه يزيد جرد فأمره على الجيش فاستعفى رستم من ذلك ، وقال : إن هذا ليس برأى في الحرب ، إن إرسال الجيوش بعد الجيوش أشد على العرب من أن يكسروا جيشاً كثيفاً مرة واحدة . فأبى الملك إلا ذلك ، فجهز رستم للخروج . ثم بعث سعد كاشفاً إلى الخيرة وإلى صلوبا فأثاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاذ الأرمي ، وأمدته بالمساكر . فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب إليه عمر : لا يكره بك ما أتيتك عنهم ، ولا ما أتيتك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجلاً من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه ، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفلجاً عليهم ، وإني كنت إلى في كل يوم . ولما اقترب رستم بجيوشه وعسكر بساباط كتب سعد إلى عمر يقول : إن رستم قد عسكر بساباط وجر الخيول والفيول وزحف علينا بها ، وليس شيء أهم عندي ، ولا أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل . وبعث رستم فجعل على المقدمة وهي أربعمائة ألفاً الجالندوس ، وعلى اليمينه الهرمزان ، وعلى اليسرة مهران بن بهرام وذلك ستون ألفاً ، وعلى الساقة البندران في عشرين ألفاً ، فالجيش كله ثمانون ألفاً فيما ذكره سيف وغيره . وفي رواية : كان رستم في مائة ألف وعشرين ألفاً ، يتبعها ثمانون ألفاً ، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلًا منها فيل أبيض كان لسابور ، فهو أعظمها وأقدمها ، وكانت القبيلة تألفه . ثم بعث سعد جماعة من السادات منهم النعمان بن مقرن ، وفرات بن حبان ، وحنظلة بن الربيع التيمي ، وعطار بن حاجب ، والاشعث بن قيس ، والمغيرة بن شعبه ، وعمر بن معدى كرب ، يدعون رستم إلى الله عز وجل . فقال لهم رستم : ما أقدمكم ؟ فقالوا : جئنا لموعد الله إيانا ، أخذ بلادكم وسبي نسائكم وأبنائكم وأخذ أموالكم ، فنحن على يقين من ذلك ، وقد رأى رستم في منامه كان ملكاً نزل من السماء نخم على سلاح الفرس كله ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى عمر . وذكر سيف بن عمر أن رستم طاول سعداً في اللقاء حتى كان بين خروجه من المدائن وملتقاه سعداً بالقادسية أربعة أشهر كل ذلك لعله يضجر سعداً ومن معه ليرجعوا ، ولولا أن الملك استعجله ما التقاه ، لما يعلم من غلبة المسلمين لهم ونصرهم عليهم ، لما رأى في منامه ، ولما يتوسم ، ولما سمع منهم ، ولما عنده من علم النجوم الذي يعتقد صحته في نفسه لما له من الممارسة لهذا الفن . ولما دنا جيش رستم من سعد أحب سعد أن يطلع على أخبارهم على الجلية ، فبعث رجلاً سرية لتأنيبه رجل من الفرس وكان في السرية طليحة الاسدي الذي كان ادعى النبوة ثم تاب . وتقدم الحارث مع أصحابه حتى رجعوا . فلما بعث سعد السرية اخترق طليحة الجيوش والصفوف ، وتخطى الألو ، وقتل جماعة من الأبطال حتى أسر أحدهم وجاء به لا يملك من نفسه شيئاً ، فسأله

سعد عن القوم فجعل يصف شجاعة طليحة ، فقال دعنا من هذا وأخبرنا عن رستم ، فقال : هو في مائة ألف وعشرين ألفاً ، ويتبعها مثلها . وأسلم الرجل من فوره رحمه الله . قال سيف عن شيوخه : ولما توجه الجيشان بعث رستم إلى سعد أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه . فبعث إليه المغيرة بن شعبه رضى الله عنه . فلما قدم عليه جعل رستم يقول له : إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم ، فارجعوا إلى بلادكم ولا تمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا . فقال له المغيرة : إنا ليس طلبنا الدنيا ، وإنما همنا وطلبنا الآخرة ، وقد بعث الله إلينا رسولاً قال له : إني قد سلطت هذه الطائفة على من لم يدين بدينى فأنا منتقم بهم منهم ، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرين به ، وهو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به إلا عز . فقال له رستم : فما هو ؟ فقال أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والاقرار بما جاء من عند الله ، فقال ما أحسن هذا ؟ أى شيء أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم ، فهم أخوة لأب وأم ، قال وحسن أيضاً . ثم قال رستم : رأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا ؟ قال : إني والله ثم لا تقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة . قال : وحسن أيضاً . قال : ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الاسلام فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه قبحهم الله وأخزاهم وقد فعل .

قالوا : ثم بعث إليه سعد رسولاً آخر بطلبه وهو ربعي بن عامر ، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالتمارق المذهبة والزرابي الحرير ، وأظهر البواقيت واللاقي الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة . وقد جلس على سرير من ذهب . ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل ورابطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه . فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : إني لم آتكم ، وإنما جئكم حين دعوتوني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت . فقال رستم : إئتونا له ، فأقبل يتوكأ على راحته فوق التمارق تغرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بك ؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فنقبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفى إلى موعد الله . قالوا : وما موعد الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى . فقال رستم : قد سمعت مقاتلتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وننظر وا ؟ قال نعم ! كم أحب إليكم ؟ يوماً أو يومين ؟ قال : لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . فقال :

ماسن لنا رسول الله ﷺ أن تؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر في أمرهم وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، فقال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ؛ ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أذنهم على أعلامهم . فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال : هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا السكاب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال : ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة . إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ، ويصونون الأحساب . ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلاً فبعث إليهم حذيفة بن محصن فتكلم نحو ما قال ربي . وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبة فتكلم بكلام حسن طويل . قال فيه رستم للمغيرة : إنما مثلكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل . فقال من يوصلني إليه وله درهمان ؟ فلما سقط عليه غرق فيه ، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده ، وجعل يقول من يخلصني وله أربعة دراهم ؟ ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جحرًا في كرم فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمة فتركه ، فلما سمن أفسد شيئاً كثيراً فجاء يجيشه ، واستعان عليه بفلمانه فذهب ليخرج فلم يستطع لسمته فضر به حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا . ثم استشاط غضباً وأقسم بالشمس لأقتلنكم غداً [. فقال المغيرة : ستعلم . ثم قال رستم للمغيرة : قد أمرت لكم بكسوة . ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا . فقال المغيرة : أبعث أن أوهنا ملككم وضعفنا عزكم ، ولنأمددكم نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون وستصرون لنا عبيداً على رغبتكم ؟ فلما قال ذلك استشاط غضباً .] (١)

وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي ثنا أمية بن خالد ثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن . قال قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسية ومعه الناس قال لا أدري لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف بين ذلك ، والمشركون ثلاثون ألفاً ونحو ذلك ، فقالوا لا يد لكم ولا قوة ولا سلاح ، ماجاء بكم ؟ ارجعوا . قال : قلنا ما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من تبلينا ويقولون دوك دوك وشبهونا بالمغازل . فلما أبيننا عليهم أن نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلاً من عقلائكم يبين لنا ماجاء بكم . فقال المغيرة بن شعبة ، أنا : فبعث إليهم فقدم مع رستم على السرير فنخروا وصاحوا ، فقال : إن هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم . فقال رستم : صدق ، ماجاء بكم ؟ فقال : إنا كنا قوماً في شر وضلالة ، فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا على يديه ، فكان فيما رزقنا حبة تنبت في هذا البلد ، فلما أكلناها وأطعمناها أهلنا قالوا : لا صبر لنا عنها ، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة . فقال رستم إذا تقتلكم . قال إن قتلتونا دخلنا الجنة ، وإن

(١) ما بين القوسين المرعين زيادة في النسخة الحلبية .

قتلناكم دخلتم النار وأديتم الجزية . قال : فلما قال وأديتم الجزية نخروا وصاحوا وقالوا : لا صلح بيننا وبينكم . فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نمبر إليكم ؟ فقال رستم : بل نمبر إليكم . فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فمزموهم .

وذكر سيف أن سعداً كان به عرق النسا يومئذ ، وأنه خطب الناس وتلى قوله تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ، وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعاً وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله ، في طردهم إياهم ، وقتلهم لهم . وقودهم لهم كل مرصد ، وحفرهم لبعضهم في بعض الأماكن حتى أكلوا الكلاب والسنانير . ومارد شاردهم حتى وصل إلى نهاوند ، ولجأ أكثرهم إلى المدائن ، ولحقهم المسلمون إلى أبوابها . وكان سعد قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم ، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم ، والنعال في أرجلهم ، وخيوطهم الضعيفة ، وخبطها الأرض بأرجلها . وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها وعددها . ولما استأذنوا على الملك يزيد جرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه ، وكان متكبراً قليل الأدب ، ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها ؟ عن الأردية ، والنعال ، والسياط ثم كلما قالوا له شيئاً من ذلك تفاعل فرد الله فآله على رأسه . ثم قال لهم : ما الذي أقدمكم هذه البلاد ؟ أظنتم أنا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا ؟ فقال له النعمان بن مقرن : إن الله رحماً فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة . فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعدته ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص ، فكثرت كذلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينهد إلى من خلفه من العرب ويبدأ بهم ، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين مكروه عليه فاغتبط ، وطأع إياه فازداد . فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، وأمرنا أن نبداً بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين الاسلام حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء (١) فان أبيتم فللناجزة . وإن أجبتهم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه وترجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وأن أتيتمونا بالجزية (١) قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم . قال فتكلم يزيد جرد فقال : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نؤكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم ، لا نفرزكم فارس ولا تطعمون أن تقوموا لهم . فان كان عددكم كثير فلا يفرنكم منا ، وان كان الجهد دعاكم فرضنا

(١) كذا بالنسختين والمراد « الجزية » اهـ مصححه .

لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم . فاستكت القوم
 فقام المغيرة بن شعبه فقال : أيها الملك إن هؤلاء رؤس العرب وجوهمهم ، وهم أشرف يستحيون من
 الأشرف ، وإنما يكرم الأشرف الأشرف ، ويعظم حقوق الأشرف الأشرف ، وليس كل ما
 أرسلوا له جمعوه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بملهم إلا ذلك ،
 فجاؤني فأكون أنا الذي أبلغك ويشهدون على ذلك . إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها علماً ، فأما
 ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس
 والجملان والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فإنا هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا
 ما غزلنا من أوبار الابل وأشعار الغنم . ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغى بعضنا على بعض ،
 وإن كان أحدهما ليدين ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه ، وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت
 لك [وفي المعاد على ما ذكرت لك] فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ،
 فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته خير بيوتنا ، وقبيلته خير قبائلنا ، وهو نفسه كان
 خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا ، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد . أول ترب كان له
 الخليفة من بعده ، فقال وقتلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً إلا كان ، فغذف الله
 في قلوبنا التصديق له واتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين . فما قال لنا فهو قول الله ، وما
 أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا إن ربكم يقول : أنا الله وحدي لا شريك لي كنت إذ لم يكن شيء وكل شيء
 هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء وإلى يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدركنكم فبعثت إليكم هذا
 الرجل لأدلكم على السبيل التي أنجيكم بها بعد الموت من عذابي ، ولأحللكم داري دار السلام . فنشهد
 عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومن أبي
 فأعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبي فقاتلوه فإنا الحكم بينكم ، فمن قتل منكم
 أدخلته جنتي ، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من نلواه . فاختر إن شئت الجزية وأنت صاغر ،
 وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجى نفسك . فقال يزيد جرد : استقبلتني بمثل هذا ؟ فقال ما استقبلت
 إلا من كلني ، ولو كلني غيرك لم أستقبلك به . فقال : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء
 لكم عندي . وقال إن توني بوفر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات
 المدائن . إرجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليه رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكل
 به وبكم من بعد ، ثم أوردته بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور . ثم قال : من
 أشرفكم ؟ فسكت القوم فقال عاصم بن عمرو وافنات ليأخذ التراب أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء
 فحملني ، فقال : أ كذلك ؟ قالوا : نعم . فحمله على عنقه فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته

فحمله عليها ثم انجذب في السير ليأتوا به سهداً وسبقهم عاصم فر بياب قدس فطواه وقال بشروا
 الأمير بالفقر ، فظفرنا إن شاء الله تعالى ، ثم مضى حتى جدل التراب في الحجر ثم رجع فدخل على
 سعد فأخبره الخبر . فقال : ابشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم ، وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم .
 ثم لم يزل أمر الصحابة يزداد في كل يوم علواً وشرفاً ورفعة ، وينحط أمر الفرس سفلاً وذلاً وهناً .
 ولما رجع رستم إلى الملك يسأله عن حال من رأى من المسلمين ؟ فذكر له عقلهم وفصاحتهم وحمدة
 جوابهم ، وأنهم يرومون أمراً يوشك أن يدركوه . وذكر ما أمر به أشرفهم من حمل التراب وأنه
 استحمق أشرفهم في حمل التراب على رأسه ، ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أشعر . فقال له رستم : إنه ليس
 أحق ، وليس هو بأشرفهم ، إنما أراد أن يقتدي قومه بنفسه ولكن والله ذهبوا بمفاتيح أرضنا .
 وكان رستم منجماً ، ثم أرسل رجلاً وراءهم وقال : إن أدرك التراب فردته تداركنا أمرنا ، وإن ذهبوا
 به إلى أميرهم غلبونا على أرضنا . قال : فساق وراءهم فلم يدركهم بل سبقوه إلى سعد بالتراب . وساء
 ذلك فارس وغضبوا من ذلك أشد الغضب واستهجنوا رأى الملك .

فصل

كانت وقعة القادسية وقعة عظيمة لم يكن بالعراق أعجب منها ، وذلك أنه لما تواجه الصفة كان سعد
 رضى الله عنه قد أصابه عرق النسا ، ودما مل في جسده ، فهو لا يستطيع الركوب ، وإنما هو في قصر
 متكئ على صدره فوق وسادة وهو ينظر إلى الجيش ويدبر أمره ، وقد جعل أمر الحرب إلى خالد بن
 عرفطة ، وجعل على الميمنة جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى الميسرة قيس بن مكشوح ، وكان قيس
 والمغيرة بن شعبه قد قدما على سعد مدداً من عند أبي عبيدة من الشام بعد ما شهدا وقعة اليرموك .
 وزعم ابن إسحاق أن المسلمين كانوا ما بين السبعة آلاف إلى الثمانية آلاف ، وأن رستم كان في
 ستين ألفاً ، فولى سعد بالناس الظهر ثم خطاب الناس فودعهم وحثهم وتلا قوله تعالى (ولقد كتبنا
 في الزبور من بعد الذكرو أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وقرأ القراء آيات الجهاد وسوره ، ثم
 كبر سعد أربعاً ثم حملوا بعد الرابعة فاقتتلوا حتى كان الليل فتحاجزوا ، وقد قتل من الفريقين بشر
 كثير ، ثم أصبحوا إلى مواقيهم فاقتتلوا يومهم ذلك وعامة ليلتهم ، ثم أصبحوا كما أمسوا على مواقيهم ،
 فاقتتلوا حتى أمسوا ثم اقتتلوا في اليوم الثالث كذلك وأمست هذه الليلة تسمى ليلة الحرير ، فلما أصبح
 اليوم الرابع اقتتلوا قتالاً شديداً وقد قاسوا من الفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها
 أمراً بليغاً ، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها ، وقلعوا عيونها ، وأبلى جماعة من الشجعان في هذه
 الأيام مثل طليحة الأسدي ، وعمرو بن معدي كرب ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبد الله البجلي ،
 وضرار بن الخطاب ، وخالد بن عرفطة ، وأشكالهم وأضرابهم . فلما كان وقت الزوال من هذا اليوم

ويسمى يوم القادسية ، وكان يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة كما قاله سيف بن عمر التميمي ، هبت ريح شديدة فرفعت خيام الفرس عن أما كتبها وألقت سرير رستم الذي هو منصوب له ، فبادر فركب بغلته وهرب فأدركه المسلمون فقتلوه وقتلوا الجالينوس مقدم الطلائع القادسية ، وانتهزمت الفرس والله الحمد والمنة عن بكرة أبيهم ، ولحقهم المسلمون في أقطانهم فقتل يومئذ المسلمون بكاملهم وكانوا ثلاثين ألفاً ، وقتل في المعركة عشرة آلاف ، وقتلوا قبل ذلك قريباً من ذلك . وقتل من المسلمين في هذا اليوم وما قبله من الأيام ألفان وخمسمائة رحمهم الله . وساق المسلمون خلف المهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة الملك وهي المدائن التي فيها الايوان الكسروى ، وقد أذن لمن ذكرنا عليه ، فكان منهم إليه ما قدمنا . وقد غنم المسلمون من وقعة القادسية هذه من الأموال والسلاح مالا يحصى ولا يوصف كثرة ، فحصلت الغنائم بعد صرف الأسلاب وخمست وبعث بالخس والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . وقد كان عمر رضى الله عنه يستخبر عن أمر القادسية كل من لقيه من الركبان ، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستشقى الخبر ، فبينما هو ذات يوم من الأيام إذا هو براكب يلوح من بعد ، فاستقبله عمر فاستخبره ، فقال له : فتح الله على المسلمين بالقادسية وغنموا غنائم كثيرة وجعل يحدته وهو لا يعرف عمر وعمر ماش تحت راحلته ، فلما اقتربا من المدينة جعل الناس يحيون عمر بالامارة فعرف الرجل عمر فقال : يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني أنك الخليفة ؟ فقال لا حرج عليك يا أخى .

وقد تقدم أن سعداً رضى الله عنه كان به قروح وعرق النساء ، فثمة من شهود القتال لكنه جالس في رأس القصر ينظر في مصالح الجيش ، وكان مع ذلك لا يعلق عليه باب القصر لشجاعته ، ولو فر الناس لأخذته الفرس قبضاً باليد ، لا يمتنع منهم ، وعنده امرأته سلمى بنت حفص التي كانت قبله عند المثنى بن حارثة ، فلما فر بعض الخيل يومئذ فرغت وقالت : وامثلياه ولا مثنى لى اليوم . فغضب سعد من ذلك ولطم وجهها ، فقالت - أغيرة وجبنا يعني أنها تعيره بجلوسه في القصر يوم الحرب - وهذا عناد منها فانها أعلم الناس بعنزه وما هو فيه من المرض المانع من ذلك ، وكان عنده في القصر رجل مسجون على الشراب كان قد حد فيه مرات متعددة ، يقال سبع مرات ، فأمر به سعد فقيده وأودع في القصر فلما رأى الخيل تجول حول حى القصر وكان من الشجعان الأبطال قال :

كفى حزناً أن تدحم الخيل بالفتى * وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قت غنائى الحديد وغلقت * مصاريع من دونى تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة * وقد تركونى مفرداً لا أخاليا

ثم سأل من زبراء أم ولد سعد أن تطلقه وتعيره فرس سعد ، وحلف لها أنه يرجع آخر النهار فيضع

رجله في القيد فأطلقته ، وركب فرس سعد وخرج فقاتل قتالا شديداً ، وجعل سعد ينظر إلى فرسه فيعرفها وينكرها ويشبهه بأبى محجن ولكن يشك لظنه أنه في القصر موثق ، فلما كان آخر النهار رجع فوضع رجله في قيدها ونزل سعد فوجد فرسه يعرق فقال : ما هذا ؟ فذكروا له قصة أبى محجن فرضى عنه وأطلقه رضى الله عنهما .

وقد قال رجل من المسلمين في سعد رضى الله عنه :

تقاتل حتى أنزل الله نصره * وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فيقال إن سعداً نزل إلى الناس فاعتذر إليهم مما فيه من القروح في تخديه وإليته ، فعنزه الناس . ويذكر أنه دعا على قائل هذين البيتين وقال : اللهم إن كان كاذباً ، أو قال الذى قال رياء وسمعة وكذباً فأقطع لسانه ويده . فجاءه سهم وهو واقف بين الصفيين ، فوقع في لسانه فبطل شقه فلم يتكلم حتى مات رواه سيف عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر فذكره . وقال سيف عن المقدم بن شريح الحارثى عن أبيه قال قال جرير بن عبد الله البجلي :

أنا جرير وكنتى ابو عمرو * قد فتح الله وسعد فى القصر
فأشرف سعد من قصره وقال :

وما أرجو بجيلة غير أنى * أوئل أجرها يوم الحساب
وقد دلفت خيولهم خيولا * وقد وقع الفوارس فى الضراب
وقد دلفت بعرضهم خيول * كأن زهاءها إبل الجراب
فلولا جمع قعقاع بن عمرو * وحمال للجوا فى الركاب
ولولا ذاك ألفتهم رعا * تسيل جموعكم مثل النباب

وقد روى محمد بن إسحق عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم البجلي - وكان ممن شهد القادسية - قال : كان معنا رجل من ثقيف فلحق بالفرس مرتداً ، فأخبرهم أن بأس الناس في الجانب الذى فيه بجيلة . قال : وكنا ربيع الناس ، قال : فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً ، وجعلوا يلقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ، ويرشقوننا بالنشاب ، فلما كان المطر ، وقرىوا خيولهم بعضها إلى بعض ثلاثين فرساً . قال : وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدى يمر بنا فيقول : يامعشر المهاجرين ، كونوا أسوداً فانما الفارسى تيس . قال : وكان فيهم أسوار لا تسكاد تسقط له نشابة ، فقلنا له يا أبا ثور اتق ذاك الفارس فإنه لا تسقط له نشابة ، فوجه إليه الفارس ورماه بنشابة فأصاب ترسه وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه فاستلبه سوارين من ذهب ، ومنطقة من ذهب ، ويلمقا من ديباج . قال : وكان المسلمون

سنة آلاف أو سبعة آلاف ، قتل الله رسماً وكان الذي قتله رجل يقال له هلال بن علقمة التميمي ،
رماه رستم بنشابيه فأصاب قدمه وحمل عليه هلال فقتله واحترأ رأسه وولت الفرس فاتبعتهم المسلمون
يقتلونهم فأدركوهم في مكان قد نزلوا فيه واطمأنوا ، فبينما هم سكارى قد شربوا ولعبوا إذ هجم عليهم
المسلمون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقتل هنالك الجالينوس ، قتله زهرة بن حوية التميمي . ثم ساروا
خلفهم فكلموا الفريقان نصر الله حزب الرحمن ، وخذل حزب الشيطان وعبيدة النيران ،
واحتار المسلمون من الأموال ما يعجز عن حصره ميزان وقبان ، حتى أت منهم من يقول من
يقايض بيضاء بصفراء لكثرة ما غنموا من الفرسان . ولم يزالوا يتبعونهم حتى جازوا الفرات وراءهم
وفتحوا المدائن وجولوا على ما سياتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثقة

وقال سيف بن عمر عن سليمان بن بشير عن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعي قالت : شهدنا
القادسية مع سعد مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس ، شددنا علينا ثيابنا وأخذنا الهراوى
ثم أتينا القتلى ، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ، ومن كان من المشركين أجهزنا عليه ، ومعنا
الصبيان فنولهم ذلك - تعنى استلابهم - لئلا يكشف عن عورات الرجال .

وقال سيف باسانيدته عن شيوخه قالوا : وكتب سعد إلى عمر يخبره بالفتح وبعده من قتلوا
من المشركين . وبعده من قتل من المسلمين ، وبعث بالكتاب مع سعد بن عبيدة الفزاري وصورته
« أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحناهم سنين من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال
طويل ، وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤن مثل زهائبا ، فلم يفهم الله بذلك ،
بل سلوه ونقله عنهم إلى المسلمين ، واتبعتهم المسلمون على الأنهار ، وصفوف الآجام ، وفي الفجاج .
وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله ،
فانه بهم عالم كانوا يدعون بالقرآن إذا جن عليهم الليل كدوى النحل ، وهم آساد في النهار لا تشبههم
الأسود ، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذا لم تكتب لهم »

فيقال إن عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر رضى الله عنهم . ثم قال عمر للناس : إني
حريص على أن لا أرى حاجة إلا سددها ، ما أتبع بعضنا لبعض ، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في
عيشنا حتى نستوى في الكفاف ، ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ، ولست
معلمكم إلا بالعمل ، إني والله لست بملك فأستعبدكم ، ولكنى عبد الله عرض على الأمانة فان أبيتها
ورددها عليكم واتبعتكم حتى تشبهوا في بيوتكم وترووا سعدت بكم ، وإن أنا حملتها واستتبعتم
إلى بيتى شقيت بكم ، ففرحت قليلا وحزنت طويلا ، فبقيت لا أقال ولا أرد فأستعبد .

وقال سيف عن شيوخه قالوا : وكانت العرب من العذيب إلى عدن أبين ، يتر بصون وقعة

القادسية هذه ، يرون أن ثبات ملكهم وزواله بها ، وقد بعث أهل كل بلدة قاصداً يكشف
ما يكون من خبرهم ، فلما كان ما كان من الفتح سبقت الجن بالبشارة إلى أقصى البلاد قبل رسل
الأنس فسمعت امرأة ليلاً بصنعاء على رأس جبل وهي تقول :

فحييت عنا عكرم ابنة خالد * وما خير زاد بالقليل المصرد
وحييت عنى الشمس عند طلوعها * وحييت عنى كل تاج مفرد
وحييتك عنى عصبة نخعية * حسان الوجوه آمنوا بمحمد
أقاموا لكسرى يضربون جنوده * بكل رقيق الشفرتين مهند
إذا ثوب الداعي أناخوا بكامل * من الموت مسود الغياطل أجرد

قالوا : وسمع أهل اليمامة مجتازاً يعنى بهذه الايات :

وجدنا الاكرمين بنى نعيم * غداة الروع أكرهم رجلا
هموا ساروا بار عن مكفر * إلى جلب يرونهم رعلا
بحور للأكسر من رجال * كأسد الغاب تحسبهم جبلا
تركن لهم بقادس عز نجر * وبانخيفين أياماً طوالا
مقطعة أكرهم وسوق * بمرد حيث قابلت الرجالا

قالوا : وسمع ذلك في سائر بلاد العرب ، وقد كانت بلاد العراق بكاملها التي فتحها خالد نقضت
العهود والذمم والمواثيق التي كانوا أعطوها خالفاً ، سوى أهل بائقيا وبرسا ، وأهل أليس الآخرة
ثم عاد الجميع بعد هذه الواقعة التي أوردناها ، وادعوا أن الفرس أجبروهم على نقض العهود ، وأخذوا
منهم الخراج وغير ذلك . فصدقهم في ذلك تألفاً لقلوبهم وسنداً كحكم أهل السواد في كتابنا
الأحكام الكبير إن شاء الله تعالى . وقد ذهب ابن إسحاق وغيره إلى أن وقعة القادسية كانت في
سنة خمس عشرة ، وزعم الواقدي أنها كانت في سنة ست عشرة . وأما سيف بن عمر وجماعة
فدكروها في سنة أربع عشرة ، وفيها ذكرها ابن جرير والله أعلم .

قال ابن جرير والواقدي : في سنة أربع عشرة جمع عمر بن الخطاب الناس على أبي بن كعب في
الترابيح وذلك في شهر رمضان منها ، وكتب إلى سائر الأمصار يأمرهم بالاجتماع في قيام شهر رمضان قال
ابن جرير وفيها بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان إلى البصرة وأمره أن ينزل فيها بمن معه من
المسلمين ، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني ، وروايته . قال :
وزعم سيف أن البصرة إنما مصرت في ربيع من سنة ست عشرة وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى
البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جولاء وتكريت ، وجهه إليها سعد بأمر عمر رضى الله عنهم .

وقال أبو مخنف عن مجالد عن الشعبي رضي الله عنهم : إن عمر بعث عتبة بن غزوان إلى أرض البصرة في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وسار إليه من الأعراب ما كمل معه خمسمائة ، فترها في ربيع الأول سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشنة ، وجعل يرتاد لهم منزلاً حتى جاؤا حبال الجسر الصغير فاذا فيه حلقاً وقصب ثابت ، فنزلوا . فركب إليهم صاحب الفرات في أربعة آلاف أسوار ، فالتقاه عتبة بعد ما زالت الشمس ، وأمر الصحابة فحملوا عليهم فقتلوا الفرس عن آخرهم ، وأسروا صاحب الفرات ، وقام عتبة خطيباً فقال في خطبته : إن الدنيا قد آذنت بصرم ، وولت حذاء ، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الأناة ، وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا عما يحضرتكم ، فقد ذكر لي لو أن صخرة أقيت من شفير جهنم هوت سبعين خريفاً ولتلاؤه ، أو عجبتهم ؟ ولقد ذكر لي أن ما بين مصر اعين من مصاريح الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، ولقد رأيتني وأنا سابع سبعة ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام إلا ورق السم ، حتى تقرحت أشداقنا ، والنقطة بردة تشققها بيني وبين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحد إلا هو أمير على مصر من الأمصار ، وسيجر بون الناس بعدنا . وهذا الحديث في صحيح مسلم بنحو من هذا السياق .

وروى علي بن محمد المدائني أن عمر كتب إلى عتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة : يا عتبة إني استعملتك على أرض الهند وهي حومة من حومة العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، وأن يعينك عليها ، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي بمدك بعرفجة بن هرثة . فاذا قدم عليك فاستشره وقربه ، وادع إلى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة ، وإلا فالسيف في غير هواده ، واتفق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبر فتفسد عليك آخرتك ، وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت بعد الذلة ، وقويت بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مسلطاً ، وملكاً مطاعاً ، تقول فيسمع منك ، وتأمرك فيطاع أمرك ، فيأله نعمة إذا لم ترق فوق قدرك ، وتبطر على من دونك ، احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، وهي أخوفها عندي عليك أن يستدرجك ويخدعك فتسقط سقطة فتصير بها إلى جهنم ، أعيذك بالله ونفسي من ذلك ، إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا ترد الدنيا ، واتفق مصارع الظالمين .

وقد فتح عتبة الأيلة في رجب أو شعبان من هذه السنة . ولما مات عتبة بن غزوان في هذه السنة استعمل عمر على البصرة العنبرة بن شعبة سنتين ، فلما رمى بتارمي به عزله وولى عليها أبا موسى الأشعري رضي الله عنهم . وفي هذه السنة ضرب عمر بن الخطاب ابنه عبيد الله في الشراب هو وجماعة معه ، وفيها ضرب أبا محجن الثقفي في الشراب أيضاً سبع مرات ، وضرب معه ربيعة بن أمية بن

خلف ، وفيها نزل سعد بن أبي وقاص الكوفة ، وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب . قال : وكان بمكة عتاب بن أسيد ، وبالشام أبو عبيدة ، وبالبحرين عثمان بن أبي العاص وقيل العلاء بن الحضرمي ، وعلى العراق سعد ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

✽ ذكر من توفي في هذا العام من المشاهير والأعيان ✽

ففيها توفي سعد بن عبادة في قول والصحيح في التي قبلها والله أعلم * عتبة بن غزوان بن جابر بن هيب المازني ، حليف بني عبد شمس صحابي بدرى ، وأسلم قديماً بعد سنة (١) وهاجر إلى أرض الحبشة وهو أول من اختط البصرة عن أمر عمر في إمرته له على ذلك كما تقدم ، وله فضائل ومآثر ، وتوفي سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة ، وقيل سنة سبع عشرة ، وقيل سنة عشر من فلوله . وقد جاوز الحسين ، وقيل بلغ ستين سنة رضي الله عنه * عمرو بن أم مكتوم الأعمى ، ويقال اسمه عبد الله ، صحابي مهاجري ، هاجر بعد مصعب بن عمير ، قبل النبي ﷺ فكان يقرئ الناس القرآن ، وقد استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة غير مرة ، فيقال ثلاث عشرة مرة ، وشهد القادسية مع سعد زمن عمر فيقال إنه قتل بها شهيداً ويقال إنه رجع إلى المدينة وتوفي بها والله أعلم * المثني بن حارثة بن سلمة بن ضميم بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني نائب خالد على العراق ، وهو الذي صارت إليه الأثرة بعد أبي عبيد يوم الجسر ، فدأرى بالمسلمين حتى خلعهم من الفرس يومئذ ، وكان أحد الفرسان الأبطال ، وهو الذي ركب إلى الصديق فخره على غزو العراق ، ولما توفي تزوج سعد بن أبي وقاص بامراته سلمى بنت حفص رضي الله عنهما وأرضاهما . وقد ذكره ابن الأثير في كتابه الغابة في أسماء الصحابة * أبو يزيد الأنصاري التجاري أحد القراء الأربعة الذين حفظوا القرآن من الأنصار في عهد رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك ، وهم معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال أنس أحد عمومتي . قال الكلبى واسم أبي زيد هذا قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حزم بن جندب بن غنم بن عدى بن النجار شهيد بدرآ . قال موسى بن عقبة واستشهد يوم جسر أبي عبيد وهي عنده في سنة أربع عشرة ، وقال بعض الناس أبو زيد الذي يجمع القرآن سعد بن عبيد ، وردوا هذا برواية قتادة عن أنس بن مالك قال : افتخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حتمه الدهر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، ومنا الذي اهتزله عرش الرحمن سعد بن معاذ ، ومنا الذي جعلت شهادته شهادة رجلين خزيمية بن ثابت . فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ أبي ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ ، وأبو زيد رضي الله عنهم أجمعين * أبو عبيد بن (١) كذا في الاصلين ولعله يريد بعد سنة من البعثة لانه من السابقين الأولين .

مسعود بن عمرو الثقفي والد المختار بن أبي عبيد أمير العراق ، ووالد صفية امرأة عبد الله بن عمر .
أسلم أبو عبيد في حياة النبي ﷺ وذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر في الصحابة .

قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : ولا يبعد أن يكون له رواية والله أعلم .

أبو قحافة والد الصديق واسم أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن صخر
ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، أسلم أبو قحافة عام الفتح فجاء به الصديق
يقوده إلى النبي ﷺ فقال : هلا أفرتم الشيخ في بيته حتى كنا نحن نأتيه « تكرمه لابي بكر رضي
الله عنه فقال : بل هو أحق بالسعي إليك يا رسول الله . فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه ورأسه
كالنخامة بياضاً ودعاه ، وقال : « غيروا هذا الشيب بشيء وجنبوه السواد » . ولما توفي رسول الله
ﷺ وصارت الخلافة إلى الصديق أخبره المسلمون بذلك وهو بمكة ، فقال : أو أفرت بذلك بنو
هاشم وبنو مخزوم ؟ قالوا : نعم ! قال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ثم أصيب بابنه الصديق رضي
الله عنه . ثم توفي أبو قحافة في محرم وقيل في رجب سنة أربع عشرة بمكة ، عن أربع وسبعين سنة
رحمه الله واكرم مثواه .

ومن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي من المستشهدين في هذه السنة مرتبين على الحروف

أوس بن أوس بن عتيك قتل يوم الجسر * بشير بن عنبس بن يزيد الظفري أحدي ، وهو ابن
عم قتادة بن النعمان ويعرف بفارس الحواء اسم فرسه * ثابت بن عتيك ، من بني عمرو بن مبدول ،
صحابي قتل يوم الجسر * ثعلبة بن عمرو بن محسن النجاري بدرى قتل يومئذ * الحارث بن عتيك
ابن النعمان النجاري شهد أحداً قتل يومئذ * الحارث بن مسعود بن عبدة صحابي أنصاري قتل يومئذ ،
الحارث بن عدى بن مالك أنصاري أحدي قتل يومئذ * خالد بن سعيد بن العاص ، قيل إنه استشهد
يوم مرج الصفر ، وكان في سنة أربع عشرة في قول * خزيم بن أوس الأشملي قتل يوم الجسر *
ربيع بن الحارث بن عبد المطلب أرخ وفاته في هذه السنة ابن قانع * زيد بن سراقه يوم الجسر *
سعد بن سلامة بن وقش الأشملي * سعد بن عبادة في قول * سلمة بن أسلم بن حريش يوم الجسر *
ضمرة بن غزيرة يوم الجسر * عباد وعبد الله وعبد الرحمن بنو مريع بن قيطي قتلوا يومئذ * عبد الله بن
صعصعة بن وهب الأنصاري النجاري ، شهد أحداً وما بعدها . قال ابن الأثير في الغابة : وقتل يوم
الجسر * عتبة بن غزوان تقدم * عقبه وأخوه عبد الله حضرا الجسر مع أبيهما قيطي بن قيس وقتلا
يومئذ * العلاء بن الحضرمي توفي في هذه السنة في قول وقيل بعدها وسيأتي * عمرو بن أبي اليسر
قتل يوم الجسر * قيس بن السكن أبو زيد الأنصاري رضي الله عنه تقدم * المثني بن حارثة الشيباني ،
توفي في هذه السنة رحمه الله وقد تقدم * نافع بن غيلان قتل يومئذ * نوفل بن الحارث بن عبد المطلب

وكان أسن من عمه العباس ، قيل إنه توفي في هذه السنة والمشهور قبلها كما تقدم * واقد بن عبد الله قتل
يوم (١) * يزيد بن قيس بن الخطيم الأنصاري الظفري شهد أحداً وما بعدها ، قتل يوم الجسر ، وقد
أصابه يوم أحد جراحات كثيرة وكان أبوه شاعراً مشهوراً * أبو عبيد بن مسعود الثقفي أمير يوم الجسر
وبه عرف لقتله عنده ، تخبطه الفيل حتى قتله رضي الله عنه بعد ما قطع بسيفه خرطومها كما تقدم * أبو
قحافة التيمي والد أبي بكر الصديق ، توفي في هذه السنة رضي الله عنه . هند بنت عتبة بن ربيعة
ابن عبد شمس بن أمية الأموية ، والدة معاوية بن أبي سفيان ، وكانت من سيدات نساء قريش
ذات رأي ودهاء ورياسة في قومها ، وقد شهدت يوم أحد مع زوجها وكان لها تحريض على قتل
المسلمين يومئذ ، ولما قتل حمزة مثلت به وأخذت من كبده فلا كتبها فلم تستطع إساغتها ، لأنه كان
قد قتل أباه وأخاه يوم بدر ، ثم بعد ذلك كله أسلمت وحسن إسلامها عام الفتح ، بعد زوجها بليدة .
ولما أرادت الذهاب إلى رسول الله ﷺ لتبأيمه استأذنت أبا سفيان فقال لها : قد كنت بالأمس
مكذبة بهذا الأمر ، فقالت والله ما رأيت الله عبد حق عبادته بهذا المسجد قبل هذه الليلة ، والله لقد
باتوا ليهم كلهم يصلون فيه . فقال لها : إنك قد فعلت ما فعلت فلا تذهبي وحدكي . فذهبت إلى عثمان
ابن عفان ويقال إلى أخيها أبي حذيفة بن عتبة فذهب معها ، فدخلت وهي منتقبة ، فلما بايعها
رسول الله ﷺ مع غيرها من النساء قال « على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين »
فقالت : أو تزني الحرة ؟ « ولا تقتلن أولادكن » قالت : قدر بينناهم صغاراً تقتلهم كباراً ؟ ! فتبسم
رسول الله ﷺ ، « ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يمسينك » فبادرت وقالت :
في معروف . فقال في معروف ، وهذا من فصاحتها وحرزها ، وقد قالت لرسول الله ﷺ : والله
يا محمد ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من أهل خبائك ، فقد والله
أصبح اليوم وما على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي من أن يعزوا من أهل خبائك . فقال :
وكذلك والذي نفسى بيده . وشكت من شح أبي سفيان فأمرها أن تأخذ ما يكفيها ويكفي غيرها
بالمعروف ، وقصتها مع الفاكه بن المغيرة مشهورة ، وقد شهدت اليرموك مع زوجها وماتت يوم مات
أبو قحافة في سنة أربع عشرة وهي أم معاوية بن أبي سفيان .

* ثم دخلت سنة خمس عشرة *

قال ابن جرير قال بعضهم فيها مصر سعد بن أبي وقاص الكوفة دلم عليها ابن ببيعة قال لسعد :
أدلك على أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الغلاة ؟ فدلمهم على موضع الكوفة اليوم ، قال : وفيها
كانت وقعة مرج الروم ، وذلك لما انصرف أبو عبيدة وخالد من وقعة نخل قاصدين إلى حصص حسب

(١) بياض بالاصلين . وفي الاصابة انه توفي في أول خلافة عمر

ما أمر به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما تقدم في رواية سيف بن عمر ، فساروا حتى نزلوا على ذى الكلاع ، فبعث هرقل بطريقاً يقال له توذرا في جيش معه فنزل بمرج دمشق وغيرها ، وقد هجم الشتاء فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم ، وجاء أمير آخر من الروم يقال له شنس وعسكر معه كنيف ، فنازله أبو عبيدة فاشتغلوا به عن توذرا فسار توذرا نحو دمشق ليتنازها وينتزعها من يزيد ابن أبي سفيان ، فاتبه خالد بن الوليد وبرز إليه يزيد بن أبي سفيان من دمشق ، فاقتتلوا وجاء خالد وهم في المعركة فجعل يقتلهم من ورائهم ويزيد يفضل فيهم من أمامهم ، حتى أناموهم ولم يفلت منهم إلا الشارد ، وقتل خالد توذرا وأخذوا من الروم أموالاً عظيمة فاقتسموها ورجع يزيد إلى دمشق وانصرف خالد إلى أبي عبيدة فوجده قد وقع شنس بمرج الروم فقاتلهم فيه مقاتلة عظيمة حتى أنتنت الأرض من زهمهم ، وقتل أبو عبيدة شنس وركبوا أكتافهم إلى حمص فنزل عليها يحاصرها .

﴿ وقعة حمص الأولى ﴾

لما وصل أبو عبيدة في اتباعه الروم المهزبين إلى حمص ، نزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد بن الوليد فحاصرهما حصاراً شديداً ، وذلك في زمن البرد الشديد ، وصابر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنهم شدة البرد ، وصبر الصحابة صبراً عظيماً بحيث إنه ذكر غير واحد أن من الروم من كان يرجع ، وقد سقطت رجله وهي في الخلف ، والصحابة ليس في أرجلهم شيء سوى النعال ، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا أصبع أيضاً ، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشتاء فاشتد الحصار ، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا : أنصالح والملك منا قريب ؟ فيقال إن الصحابة كبروا في بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة حتى تفتطرت منها بعض الجدران ، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور ، فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا : ألا تنظرون إلى ما نزل بنا ، وما نحن فيه ؟ ألا تصالحون القوم عنا ؟ قال : فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق ، على نصف المنازل ، وضرب الخراج على الأراضى ، وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقير . وبعث أبو عبيدة بالاحماس والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود . وأنزل أبو عبيدة بحمص جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعة من الأمراء ، منهم بلال والمقداد وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء إلى الجزيرة وأنه يظهر نارة ويخفي أخرى . فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده .

﴿ وقعة قيسارية ﴾

لما فتح أبو عبيدة حمص بعث خالد بن الوليد إلى قيسارين ، فلما جاءها ثار إليه أهلها ومن عندهم من نصارى العرب ، فقاتلهم خالد فيها قتالاً شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فأما من هناك من الروم فأبادهم وقتل أميرهم ميناس . وأما الأعراب فانهم اعتدروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا

فقبل منهم خالد وكف عنهم ثم خلص إلى البلد فححصنوا فيه ، فقال لهم خالد إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا . ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه والله الحمد .

فلما بلغ عمر ما صنعه خالد في هذه الوقعة قال يرحم الله أبا بكر ، كان أعلم بالرجال مني ، والله إنني لم أعزله عن ريبة ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه . وفي هذه السنة تقهر هرقل بجنوده ، وارتحل عن بلاد الشام إلى بلاد الروم . هكذا ذكره ابن جرير عن محمد بن إسحاق . قال وقال سيف : كان ذلك في سنة ست عشرة ، قالوا : وكان هرقل كلما حج إلى بيت المقدس وخرج منها يقول عليك السلام ياسورية ، تسليم مودع لم يتقض منك وطراً وهو عائد . فلما عزم على الرحيل من الشام وبلغ الرها ، طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الروم ، فقالوا : إن بقاءنا هاهنا أنفع لك من رحيلنا معك ، فتركهم . فلما وصل إلى شمشاط وعلا على شرف هنالك التفت إلى نحو بيت المقدس وقال : عليك السلام ياسورية سلاماً لاجتماع بعده إلا أن أسلم عليك تسليم المفارق ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤم ، وياليتي لم يولد . ما أحلى فعله وأمر عاقبته على الروم ! ثم سار هرقل حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه ، وقد سأل رجلاً ممن اتبعه كان قد أسرم مع المسلمين ، فقال : أخبرني عن هؤلاء القوم ، فقال : أخبرك كأنك تنظر إليهم ، هم فرسان بالتهار ، رهبان بالليل ، لا يأكلون في ذمتهم إلا بشمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتني ليملكن موضع قدمي هاتين .

قلت وقد حاصر المسلمون قسطنطينية في زمان بني أمية فلم يملكوها ولكن سيملكها المسلمون في آخر الزمان كما سنبينه في كتاب الملاحم ، وذلك قبل خروج الدجال بقليل على ما صححت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ في صحيح مسلم وغيره من الأئمة والله الحمد والمنة ، وقد حرم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برمتها إلى آخر الدهر ، كما ثبت به الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنتفن كنوزهما في سبيل الله عز وجل » وقد وقع ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت ، وسيكون ما أخبر به جزماً لا يعود ملك القياصرة إلى الشام أبداً لأن قيصر علم جنس عند العرب يطلق على كل من ملك الشام مع بلاد الروم . فهذا لا يعود لهم أبداً .

﴿ وقعة قيسارية ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أمر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية وكتب إليه : أما بعد فقد وليت قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم ، وأكثرت من قول لاحول ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم ، الله ربنا وتقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير . فسار إليها فحاصرها ، وزاحنه أهلها مرات عديدة ، وكان آخرها وقعة أن قاتلوا قتالا عظيما ، وصم عليهم معاوية ، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً ، وكل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة ، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

قال ابن جرير : وفيها كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالمسير إلى إيليا ، ومناجزة صاحبها فاجتاز في طريقه عند الرملة بطائفة من الروم فكانت .

﴿ وقعة أجنادين ﴾

وذلك أنه سار بجيشه وعلى ميمنته ابنه عبدالله بن عمرو ، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكي ، من بني مالك بن كنانة ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، واستخلف على الأردن أبا الأعور السلمي ، فلما وصل إلى الرملة وجد عندها جمعاً من الروم عليهم الأرتطيون ، وكان أدهى الروم وأبعدها غورا ، وأنكأها فعلا ، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً وبإيليا جنداً عظيماً ، فكتب عمرو إلى عمر بالخبر .

فلما جاءه كتاب عمرو قال : قد رمينا أرتطيون الروم بأرتطيون العرب ، فالظروا عما تنفرج . وبعث عمرو بن العاص علقمة بن حكيم الفراسي ، ومسروق بن بلال العكي على قتال أهل إيليا . وأبا أيوب المالكي إلى الرملة ، وعليها التذارق ، فكانوا بأرطيم ليشعروهم عن عمرو بن العاص وجيشه ، وجعل عمر وكلما قدم عليه أمداد من جهة عمر يبعث منهم طائفة إلى هؤلاء وطائفة إلى هؤلاء . وأقام عمر وعلى

أجنادين لا يقدر من الأرتطيون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه ، فدخل عليه كأنه رسول ، فأبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حضرته حتى عرف ما أراد ، وقال الأرتطيون في نفسه : والله إن هذا لعمر أو أنه الذي يأخذ عمرو برأيه ، وما كنت لأصيب القوم بأمر هو أعظم من قتله . فدعا

حرسياً فسار به فأمره بفتكه فقال : اذهب فقم في مكان كذا وكذا ، فاذا مر بك فاقتله ، ففطن عمرو ابن العاص فقال للأرتطيون : أيها الأمير إنني قد سمعت كلامك وسمعت كلامي ، وإنني واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب لنكون مع هذا الوالي لنشهد أموره ، وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا

كلامك ويروا ما رأيت . فقال الأرتطيون : نعم ! فاذهب فأتني بهم ، ودعا رجلاً فسار به فقال : اذهب إلى فلان فرده . وقام عمر وذهب إلى جيشه ثم تحقق الأرتطيون أنه عمرو بن العاص ، فقال : خدعني الرجل ، هذا والله أدهى العرب . وبلغت عمر بن الخطاب فقال : لله در عمرو . ثم ناهضه عمرو فاقتلوا بأجنادين قتالاً عظيماً ، كقتال اليرموك ، حتى كثرت القتلى بينهم ثم اجتمعت بقية الجيوش إلى عمرو ابن العاص ، وذلك حين أعياهم صاحب إيليا وتحصن منهم بالبلد ، وكثر جيشه ، فكتب الأرتطيون إلى عمرو بأنك صديقي ونظيري وأنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد

أجنادين فارجع ولا تغر فتلقى مثل ما لقي الذين قبلك من الهزيمة ، فدعا عمرو رجلاً يتكلم بالرومية فبعثه إلى أرتطيون وقال : اسمع ما يقول لك ثم ارجع فأخبرني . وكتب إليه معه : جاءني كتابك وأنت نظيري ومثلي في قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتي وقد علمت أنني صاحب فتح هذه البلاد ، واقرأ كتابي هذا بمحضر من أصحابك ووزرائك . فلما وصله الكتاب جمع وزراءه وقرأ عليهم الكتاب فقالوا للأرتطيون : من أين علمت أنه ليس بصاحب فتح هذه البلاد ؟ فقال : صاحبها رجل اسمه على ثلاثة أحرف . فرجع الرسول إلى عمرو فأخبره بما قال فكتب عمرو إلى عمر يستمده ويقول له : إنني أعالج حرباً كؤوداً صدموا ، وبلاداً آذخرت لك ، فأريك . فلما وصل الكتاب إلى عمر علم أن عمر لم يقل ذلك إلا لأمر علمه ، فعزم عمر على الدخول إلى الشام لفتح بيت المقدس كما سند ذكر تفصيله .

قال سيف بن عمر عن شيوخه : وقد دخل عمر الشام أربع مرات ، الأولى كان راكباً فرساً حين فتح بيت المقدس ، والثانية على بعير ، والثالثة وصل إلى سرع ثم رجع لأجل ما وقع بالشام من الوباء . والرابعة دخلها على حمار هكذا نقله ابن جرير عنه .

﴿ فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

ذكره أبو جعفر بن جرير في هذه السنة عن رواية سيف بن عمر وملخص ما ذكره هو وغيره أن أبا عبيدة لما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، أو يبذلون الجزية أو يؤذونوا بحرب . فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه . فركب إليهم في جنوده واستخلف على دمشق سعيد بن زيد ثم حاصر بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فكتب إليه أبو عبيدة بذلك فاستشار عمر الناس في ذلك فأشار عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم . وأشار على بن أبي طالب بالمسير إليهم

ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم بينهم ، فهو ما قال على ولم يرو ما قال عثمان . وسار بالجيوش نحوهم واستخلف على المدينة على بن أبي طالب وسار العباس بن عبد المطلب على مقدمته ، فلما وصل إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤس الأمراء ، كخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر فأشار أبو عبيدة ليقبل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة فكف أبو عبيدة فكف عمر . ثم سار حتى صالح نصارى بيت المقدس واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث ثم دخلها

إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء . ويقال إنه لبي حين دخل بيت المقدس فصلى فيه تحية المسجد بحراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه ، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل ، ثم جاء إلى الصخرة

فاستدل على مكانها من كتب الأخبار وأشار عليه كتب أن يجعل المسجد من ورائه فقال ضاهيت اليهودية . ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس وهو العمري اليوم ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف رداءه وقبائه ، ونقل المسلمون معه في ذلك ، وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها ، وقد كانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود ، حتى أن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة ، وذلك مكافأة لما كانت اليهود عاملت به القمامة وهي المكان الذي كانت اليهود صلوا فيه المصلوب فجعلوا يلتفون على قبره القمامة فلاجل ذلك سمي ذلك الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هناك .

وقد كان هرقل حين جاء الكتاب النبوي وهو بايلياء وعظ النصارى فيما كانوا قد بالغوا في القاء الكناسة على الصخرة حتى وصلت إلى محراب داود قال لهم : انكم تخليق أن تقتلوا على هذه الكناسة مما أمتهتم هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا ثم أمروا بإزالتها فشرعوا في ذلك فما أزالوا ثلثها حتى فتحها المسلمون فأزالها عمر بن الخطاب وقد استقصى هذا كله بأسانيد ومثونه الحافظ بهاء الدين بن الحافظ أبي القاسم بن عساكر في كتابه المستقصى في فضائل المسجد الأقصى .

وذكر سيف في سياقه : أن عمر رضي الله عنه ركب من المدينة على فرس ليسرع السير بعد ما استخلف عليها علي بن أبي طالب ، فسار حتى قدم الجابية فنزل بها وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها : « أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم ، واعملوا لا آخرتكم تكفوا أمر دنياكم ، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى ولا بينه وبين الله هوادة ، فمن أراد لَحَبَ (طريق) وجه الجنة فليزِم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ، ولا يخلون أحدكم بامرأتان الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن » وهي خطبة طويلة اختصرناها . ثم صالح عمر أهل الجابية ورحل إلى بيت المقدس وقد كتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه في اليوم الغلاتي إلى الجابية فتوافوا أجمعون في ذلك اليوم إلى الجابية ، فكان أول من تلقاه يزيد بن أبي سفيان ، ثم أبو عبيدة ، ثم خالد بن الوليد في خيول المسلمين وعليهم يلامق الديباج ، فسار إليهم عمر ليحصبهم فاعتذروا إليه بأن عليهم السلاح ، وأنهم يحتاجون إليه في حر وبهم . فسكت عنهم واجتمع الأمراء كلهم بعد ما استخلفوا على أعمالهم ، سوى عمرو بن العاص وشرحبيل فانهما موافقان الأربطون بأجنادين ، فبينما عمر في الجابية إذا بكردوس من الروم بأيديهم سيوف مسللة ، فسار إليهم المسلمون بالسلاح فقال عمر : إن هؤلاء قوم يستأمنون . فساروا نحوهم فاذا هم جند من بيت المقدس يطلبون الأمان والصلح من أمير المؤمنين حين سمعوا بقدومه فأجابهم عمر رضي الله عنه إلى ما سألوا ، وكتب لهم كتاب أمان

ومصالحة ، وضرب عليهم الجزية ، واشترط عليهم شروطاً ذكرها ابن جرير ، وشهد في الكتاب خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وهو كاتب الكتاب وذلك في سنة خمسة عشر . ثم كتب لأهل لد ومن هنالك من الناس كتاباً آخر وضرب عليهم الجزية ، ودخلوا فيما صالح عليه أهل إيلياء ، وفر الأربطون إلى بلاد مصر ، فكان بها حتى فتحها عمرو بن العاص ، ثم فر إلى البحر فكان يلي بعض السرايا الذين يقاتلون المسلمين فظفر به رجل من قيس فقطع يد القيسى وقتله القيسى وقال في ذلك .

فان يكن أربطون الروم أفسدها * فان فيها بحمد الله منتفعا

وان يكن أربطون الروم قطعها * فقد تركت بها أو صاله قطعاً

ولما صالح أهل الرملة وتلك البلاد ، أقبل عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة حتى قدما الجابية فوجدا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب راكباً ، فلما اقتربا منه أكبأ على ركبته فقبلاها واعتنقها عمر معاً رضي الله عنهم * قال سيف ثم سار عمر إلى بيت المقدس من الجابية وقد توحى فرسه فاتوه ببرذون فركبه فجعل يهملج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك ، هذا من الخيلاء ، ثم لم يركب برذوناً قبله ولا بعده ، ففتحت إيلياء وأرضها على يديه ما خلا أجنادين . فعلى يدي عمرو . وقيصرية فعلى يدي معاوية . هذا سياق سيف بن عمر وقد خالفه غيره من أئمة السير فذهبوا إلى أن فتح بيت المقدس كان في سنة ست عشرة .

قال محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن حصن بن علان قال يزيد بن عبيدة : فتحت بيت المقدس سنة ست عشرة وفيها قدم عمر بن الخطاب الجابية . وقال ابو زرعة الدمشقي عن دحيم عن الوليد بن مسلم قال : ثم عاد في سنة سبع عشرة فرجع من سرع ثم قدم سنة ثمانى عشرة فاجتمع إليه الأمراء وسلموا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال فقسمها وجند الأجناد ومصر الأمصار ثم عاد إلى المدينة .

وقال يعقوب بن سفيان : ثم كان فتح الجابية وبيت المقدس سنة ست عشرة . وقال أبو معشر : ثم كان عمواس والجابية في سنة ست عشرة . ثم كانت سرع في سبع عشرة ، ثم كان عام الرمادة في سنة ثمانى عشرة قال : وكان فيها طاعون عمواس - يعني فتح البلدة المعروفة بعمواس - فاما الطاعون المنسوب إليها فكان في سنة ثمانى عشرة كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى .

قال أبو مخنف : لما قد عمر الشام فرأى غوطة دمشق ونظر إلى المدينة والقصور والبساتين تلا قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوماً آخرين) ثم أنشد قول النابغة .

عما فنيا دهر يكر عليهما * نهار وليل يلحقان التواليا

إذا ما عما مرّا يحيى بعبطة * أناخا بهم حتى يلاقوا الدواهيا

وهذا يقتضى بادي الرأي أنه دخل دمشق وليس كذلك ، فإنه لم ينقل أحد أنه دخلها في شيء من قدماته الثلاث إلى الشام ، أما الأولى وهي هذه فإنه سار من الجابية إلى بيت المقدس ، كما ذكر سيف وغيره والله أعلم . وقال الواقدي أما رواية غير أهل الشام فهي أن عمر دخل الشام مرتين ورجع الثالثة من سرع سنة سبع عشرة وهم يقولون دخل في الثالثة دمشق وحمص وأنكر الواقدي ذلك . قلت : ولا يعرف أنه دخل دمشق إلا في الجاهلية قبل إسلامه كما بسطنا ذلك في سيرته . وقد روينا أن عمر حين دخل بيت المقدس سأل كعب الأحمري عن مكان الصخرة فقال : يا أمير المؤمنين اذرع من وادي جهنم كذا وكذا ذراعاً فهي ثم . فذرعوا فوجدوها وقد أخذها النصارى من بله ، كما فعلت اليهود بمكان القمامة ، وهو المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي شبه به يسى فاعتقدت النصارى واليهود أنه المسيح . وقد كذبوا في اعتقادهم هذا كما نص الله تعالى على خطئهم في ذلك . والمقصود أن النصارى لما حكموا على بيت المقدس قبل البعثة بنحو من ثلاثمائة سنة ، طهروا مكان القمامة واتخذوه كنيسة هائلة بنتها أم الملك قسطنطين باني المدينة المنسوبة إليه ، واسم أمه هيلانة الحرائية البندقانية . وأمرت ابنتها فبنى للنصارى بيت لحم على موضع الميلاد ، وبنت هي على موضع القبر فيما يزعمون . والغرض أنهم اتخذوا مكان قبلة اليهود من بله أيضاً ، في مقابلة ما صنعوا في قديم الزمان وحديثه . فلما فتح عمر بيت المقدس وتحقق موضع الصخرة ، أمر بإزالة ما عليها من الكنيسة حتى قيل إنه كنىها بردائه ، ثم استشار كعباً أين يضع المسجد ؟ فأشار عليه بأن يجعله وراء الصخرة ، فضرب في صدره وقال : يا ابن أم كعب ضارعت اليهود : وأمر ببنائه في مقدم بيت المقدس .

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مريم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال قال ابن سلمة : فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم سمعت عمر يقول لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ قال إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر ضاهيت اليهودية لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه وكنى الكنيسة في رداءه وكنى الناس . وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج ، وقد تكلمنا على رجاله في كتابنا الذي أوردناه في مسند عمر ، ما رواه من الأحاديث المرفوعة وما روى عنه من الآثار الموقوفة مبوباً على أبواب الفقه والله الحمد والمنة .

وقد روى سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق ،

فقال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؟ لا هالله لا ترجع حتى يفتح الله عليك إيلياء . وقد روى أحمد بن مروان الدينوري عن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن الهيثم بن عدي عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم مولى عمر بن الخطاب أنه قدم دمشق في تجار من قریش ، فلما خرجوا تخلف عمر لبعض حاجته ، فبينما هو في البلد إذا ببطريق يأخذ بعنقه ، فذهب ينارعه فلم يقدر ، فأدخله داراً فيها تراب وفأس ومجرفة وزنبيل ، وقال له : حول هذا من ههنا إلى ههنا ، وغلق عليه الباب وانصرف فلم يحيى إلى نصف النهار . قال : وجلست مفكراً ولم أفعل مما قال لي شيئاً . فلما جاء قال : مالك لم تفعل ؟ ولستكفي في رأسي بيده قال : فأخذت الفأس فضربت بها فقتلته وخرجت على وجهي فجمت ديراً لراهب فجلست عنده من العشي ، فأشرف على فتزل وأدخلني الدير فأطعمني وسقاني ، وآخفتني ، وجعل يحقق النظر في ، وسألني عن أمرى فقلت : إني أضللت أصحابي . فقال : إنك لتنظر بعين خائف ، وجعل يتوسمى ثم قال : لقد علم أهل دين النصرانية أنني أعلمهم بكتابهم ، وإني لأراك الذي تخرجنا من بلادنا هذه ، فهل لك أن تكتب لي كتاب أمان على ديري هذا ؟ فقلت : يا هذا لقد ذهبت غير مذهب . فلم يزل بي حتى كتبت له صحيفة بما طلب مني ، فلما كان وقت الانصراف أعطاني أناناً فقال لي اركبها ، فإذا وصلت إلى أصحابك فابث إلى بها وحدها فانها لا تمر بدير إلا أكرموها . ففعلت ما أمرني به ، فلما قدم عمر لفتح بيت المقدس أتاه ذلك الراهب وهو بالجابية بتلك الصحيفة فأضاهها له عمر واشترط عليه ضياقة من يمر به من المسلمين ، وأن يرشدهم إلى الطريق . رواه ابن عساكر وغيره . وقد ساقه ابن عساكر من طريق أخرى في ترجمة يحيى بن عبيد الله بن أسامة القرشي البلقاوي عن زيد بن أسلم عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً عجيباً هذا بعضه . وقد ذكرنا الشروط العمرية على نصارى الشام مطولاً في كتابنا الأحكام ، وأوردنا له مصنفاً على حدة والله الحمد والمنة .

وقد ذكرنا خطبته في الجابية بالفاظها وأسانيدها في الكتاب الذي أوردناه لمسند عمر ، وذكرنا تواضعه في دخوله الشام في السيرة التي أوردناها له .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني الربيع بن ثعلب نا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم ابن هرمز المكي عن أبي الغالية الشامي قال : قدم عمر بن الخطاب الجابية على طريق إيلياء على جبل أورك ، تلوح صلعمته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة ، تصطفق رجلاه بين شعبي الرجل بلا ركاب ، وطاؤه كساء انبجاني ذو صوف هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل ، حقيقته نمره أو شملة محشوة ليفاً ، هي حقيقته إذا ركب ووسادته إذا نزل وعليه قميص من كرايس قد رسم وتخرق جنبه . فقال : ادعوا لي رأس القوم ، فدعوا له الجاوس ، فقال : اغسلوا قميصي وخطوطه وأعيروني ثوباً أوقميصاً .

فأتى بقميص كتان فقال : ماهذا ؟ قالوا : كتان . قال : وما الكتان ؟ فأخبروه فترزع قميصه فغسل ورقع وأتى به فترزع قميصهم وليس قميصه . فقال له الجاومس : أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الابل ، فلو لبست شيئاً غير هذا وركبت برذوناً لكان ذلك أعظم في أعين الروم . فقال : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بعير الله بديلاً . فأتى برذون فطرح عليه قطيفة بلاسرج ولا رحل فركبه بها فقال : احبسوا احبسوا ، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا فأتى بجمله فركبه .

وقال إسماعيل بن محمد الصفار : حدثنا سعد بن نصر حدثنا سفيان بن عيينة عن أبيه عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فتزل عن بعيره وترزع موقيه فأمسكها بيده وخاض الماء ومعه بعيره . فقال له أبو عبيدة : قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض ، صنعت كذا وكذا ، قال : فصك في صدره وقال : أولو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام فهما تطلبوا العز بغيره ينذكم الله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة - أعني سنة خمس عشرة - كانت بين المسلمين وفارس وقعت

في قول سيف بن عمر . وقال ابن إسحاق والواقدي : إنما كان ذلك في سنة ست عشرة ، ثم ذكر ابن جرير وقعت كثيرة كانت بينهم ، وذلك حين بعث عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص يأمره بالسير إلى المدائن ، وأن يخلف النساء والعيال بالعتيق^(١) في خيل كثيرة كثيفة . فلما تفرغ سعد من القادسية بعث على المقدمة زهرة بن حوية ، ثم أتبعه بالأمرأ واحد بعد واحد ، ثم سار في الجيوش وقد جعل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص على خلافته مكان خالد بن عرفطة ، وجعل خالداً هذا على الساقة ، فساروا في خيول عظيمة ، وسلاح كثير ، وذلك لأيام بقين من شوال من هذه السنة ، فترلوا الكوفة وارتحل زهرة بين أيديهم نحو المدائن ، فلقية بها بصبري في جيش من فارس فهزمهم زهرة وذهبت الفرس في هزيمتهم إلى بابل وبها جمع كثير من أنهرم يوم القادسية قد جعلوا عليهم الفيرزان ، فبعث زهرة إلى سعد فأعلمه باجتماع المنهزمين ببابل ، فسار سعد بالجيوش إلى بابل ، فتقابل هو والفيرزان عند بابل فهزمهم كأسرع من لفة الرداء ، وأنهرموا بين يديه فرقتين فرقة ذهبت إلى المدائن ، وأخرى سارت إلى نهاوند ، وأقام سعد ببابل أياماً ثم سار منها نحو المدائن فلقوا جمعاً آخر من الفرس فاقتلوا قتالاً شديداً وبارزوا أمير الفرس ، وهو شهر يار ، فبرز إليه رجل من المسلمين يقال له نائل الأعرجي أبو نباتة من شجيمان بنى تميم ، فتجالوا ساعة بالرمح ، ثم ألقياها فانتصيا سيفيهما وتصالوا بهما ، ثم تعانقا وسقطا عن فرسيهما إلى الأرض ، فوقع شهر يار على صدر أبي نباتة ، وأخرج خنجرًا ليذبحه بها ، فوقع أصبعه في فم أبي نباتة فقضمها حتى شغله عن نفسه ، وأخذ الخنجر فذبح شهر يار بها وأخذ

(١) العتيق : كذا في الاصلين وفي ابن جرير بالعتيق (بالتاء المثناة فوق) .

فرسه وسواريه وسلبه ، وانكشف أصحابه فهزموا ، فأقسم سعد على نائل ليلبس سوارى شهر يار وسلاحه ، وليركب فرسه إذا كان حرب فكان يفعل ذلك . قالوا : وكان أول من تسور بالعراق ، وذلك بمكان يقال له كوفى . وزار المكان الذى حبس فيه الخليل وصلى عليه وعلى سائر الأنبياء ، وقرأ (وتلك الأيام نداؤها بين الناس) الآية .

﴿ وقعة نهرشير^(١) ﴾

قالوا : ثم قدم سعد زهرة بين يديه من كوفى إلى نهرشير فمضى إلى المقدمة وقد تلقاه شيرزاد إلى ساباط بالصلح والجزية فبعثه إلى سعد فأمضاه ، ووصل سعد بالجنود إلى مكان يقال له مظلم ساباط ، فوجدوا هنالك كتائب كثيرة لكسرى يسمنها بوران ، وهم يقسمون كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا ، ومعهم أسد كبير لكسرى يقال له المقرط ، قد أرصده في طريق المسلمين فتقدم إليه ابن أخي سعد ، وهو هاشم بن عتبة ، فقتل الأسد والناس ينظرون وسمى يومئذ سيفه المتين^(٢) وقبل سعد يومئذ رأس هاشم ، وقبل هاشم قدم سعد . وحمل هاشم على الفرس فأزالهم عن أماكنهم وهزمهم وهو يتلو قوله تعالى (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) فلما كان الليل ارتحل المسلمون وترلوا نهرشير فجعلوا كلما وقفوا كبروا وكذلك حتى كان آخرهم مع سعد فأقاموا بها شهرين ودخلوا في الثالث وفرغت السنة .

قال ابن جرير : وفيها حيج بالناس عمر وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى الكوفة والعراق سعد ، وعلى الطائف يعلى بن أمية^(٣) وعلى البحرين واليمامة عثمان بن أبي العاص ، وعلى عمان حذيفة بن محصن .

قلت : وكانت وقعة اليرموك في سنة خمس عشرة في رجب منها عند الليث بن سعد وابن لبيعة وأبي معشر والوليد بن مسلم ويزيد بن عبيدة وخليفة بن خياط وابن الكلابي ومحمد بن عائذ وابن عساكر وشيخنا أبي عبد الله الذهبي الحافظ . وأما سيف بن عمر وأبو جعفر بن جرير فذكروا وقعة اليرموك في سنة ثلاث عشرة . وقد قدمنا ذكرها هنالك تبعاً لابن جرير ، وهكذا وقعة القادسية عند بعض الحفاظ أنها كانت في أواخر هذه السنة - سنة خمس عشرة - وتبعهم في ذلك شيخنا الحافظ الذهبي . والمشهور أنها كانت في سنة أربع عشرة كما تقدم ثم ذكر شيخنا الذهبي .

﴿ من توفى في هذه السنة مرتين على الحروف ﴾

سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي ، وهو أحد أقوال المؤرخين . وقد تقدم سعد بن عبيد بن

(١) وفي فتوح العجم والعراق للواقدي « نهمشير » . وفي الطبري « نهر سير » .

(٢) كذا بالأصلين . وفي الطبري « المتين » بفتح النونين . (٣) في الطبري « منية »

النهان أبو زيد الأنصاري الأوسي ، قتل بالقادسية ، ويقال إنه أبو زيد القاري أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ . وأنكر آخرون ذلك ، ويقال إنه والد عمير بن سعد الزاهد أمير حمص . وذكر محمد بن سعد وفاته بالقادسية وقال : كانت في سنة ست عشرة والله أعلم * سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن حسل بن عامر بن لؤي أبو يزيد العامري أحد خطباء قریش وأشرفهم ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان سمحاً جواداً فصيحاً كثير الصلاة والصوم والصدقة وقراءة القرآن والبكاء . ويقال إنه قام وصام حتى شحب لونه . وله سعي مشكور في صلح الحديبية . ولما مات رسول الله ﷺ خطب الناس بمكة خطبة عظيمة ثبتت الناس على الإسلام ، وكانت خطبته بمكة قريباً من خطبة الصديق بالمدينة ، ثم خرج في جماعة إلى الشام مجاهداً فحضر اليرموك وكان أميراً على بعض الكراديس ، ويقال إنه استشهد يومئذ . وقال الواقدي والشافعي : توفي بطاعون عمواس * عامر بن مالك بن أهيب الزهري أخى سعد بن أبي وقاص ، هاجر إلى الحبشة ، وهو الذي قدم بكتاب عمر إلى أبي عبيدة بولاية على الشام وعزل خالد عنها ، استشهد يوم اليرموك * عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي ، صحابي هاجر إلى الحبشة مع عمه أبي سلمة بن عبد الأسد . روى عنه عمرو بن دينار منقطعاً لأنه قتل يوم اليرموك * عبد الرحمن بن العوام ، أخو الزبير ابن العوام ، حضر بدرًا مشركاً ثم أسلم واستشهد يوم اليرموك في قول * عتبة بن غزوان ، توفي فيها في قول * عكرمة بن أبي جهل استشهد باليرموك في قول * عمرو بن أم مكتوم استشهد يوم القادسية وقد تقدم ، ويقال بل رجع إلى المدينة * عمرو بن الطفيل بن عمرو تقدم * عامر بن أبي ربيعة تقدم * فراس بن النضر بن الحارث يقال استشهد يوم اليرموك * قيس بن عدى بن سعد بن سهم من مهاجرة الحبشة قتل باليرموك * قيس بن أبي صعصعة * عمرو بن زيد بن عوف الأنصاري المازني شهد العقبة وبردًا ، وكان أحد أمراء الكراديس يوم اليرموك ، وقتل يومئذ ، وله حديث قال : قلت يا رسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال : « في خمس عشرة » الحديث ، قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي : ففيه دليل على أنه ممن جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ * نصير بن الحارث بن علقمة بن كعدة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدي ، أسلم عام الفتح ، وكان من علماء قریش ، وأعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة من الابل ، فتوقف في أخذها وقال : لا أرتشى على الإسلام ، ثم قال : والله ما طلبتها ولا سألتها ، وهي عطية من رسول الله ﷺ ، فأخذها وحسن إسلامه ، واستشهد يوم اليرموك * نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ ، كان أسن من أسلم من بني عبد المطلب ، وكان ممن أسر يوم بدر ففاداه العباس ، ويقال إنه هاجر أيام الخندق وشهد الحديبية والفتح ، وأعان رسول الله ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف ربح ، وثبت يومئذ وتوفي سنة خمس عشرة ،

وقيل سنة عشرين والله أعلم ، توفي بالمدينة وصلى عليه عمر ومشي في جنازته ودفن بالقيع وخلف عدة أولاد فضلاء ، وأكبر * هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص تقدم وقال ابن سعد : قتل يوم اليرموك .

ثم دخلت سنة ست عشرة *

استهلت هذه السنة وسعد بن أبي وقاص منازل مدينة نهرشير ، وهي إحدى مدينتي كسرى مما يلي دجلة من الغرب ، وكان قدوم سعد إليها في ذي الحجة من سنة خمس عشرة ، واستهلت هذه السنة وهو نازل عندها . وقد بعث السرايا والخيول في كل وجه ، فلم يجدوا واحداً من الجند ، بل جمعوا من الفلاحين مائة ألف فحبسوا حتى كتب إلى عمر ما يفعل بهم ، فكتب إليه عمر : إن من كان من الفلاحين لم يعن عليكم وهو مقيم ببلده فهو أمانه ، ومن هرب فأدر كتموه فشانكم به . فأطلقهم سعد بعد مادعاهم إلى الإسلام فأبوا إلا الجزية . ولم يبق من غربي دجلة إلى أرض العرب أحد من الفلاحين إلا تحت الجزية والخراج ، وامتنعت نهرشير من سعد أشد الامتناع ، وقد بعث إليهم سعد سلمان الفارسي فدعاهم إلى الله عز وجل أو الجزية أو المقاتلة ، فأبوا إلا المقاتلة والعصيان ، ونصبوا المجانيق والدبابات ، وأمر سعد بعمل المجانيق فعملت عشرون منجنيقاً ، ونصبت على نهرشير ، واشتد الحصار وكان أهل نهرشير يخرجون فيقاتلون قتالاً شديداً ويحلفون أن لا يفرؤ أبداً ، فأكد بهم الله وهزمهم زهرة بن حوية بعد ما أصابه سهم وقتل بعد مصابه كثيراً من الفرس وفرؤ بين يديه ولجؤوا إلى بلدهم ، فكانوا يحاصرون فيه أشد الحصار ، وقد انحصر أهل البلد حتى أكلوا الكلاب والسنانير وقد أشرف رجل منهم على المسلمين فقال : يقول لكم الملك : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة إلى جبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم ؟ أما شبعتم ؟ لا أشبع الله بطونكم . قال : فبدر الناس رجل يقال له أبو مقرن الأسود بن قطبة فأنطقه الله بكلام لم يدبر ما قال لهم ، قال : فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون من نهرشير إلى المدائن . فقال الناس لأبي مقرن : ما قلت لهم ؟ فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما قلت لهم إلا أن على سكينته وأنا أرجو أن أكون قد انطلقت بالذي هو خير ، وجعل الناس ينتابونه يسألونه عن ذلك ، وكان فيمن سأله سعد بن أبي وقاص ، وجاءه سعد إلى منزله فقال : يا أبا مقرن ما قلت ؟ فوالله إنهم هراب . فحلف له أنه لا يدري ما قال . فنادى سعد في الناس ونهد بهم إلى البلد والمجانيق تضرب في البلد ، فنادى رجل من البلد بالأمان فأمناء ، فقال والله ما بالبلد أحد ، فتسور الناس السور فما وجدنا فيها أحداً إلا قد هربوا إلى المدائن . وذلك في شهر صفر من هذه السنة فسألنا ذلك الرجل وأناساً من الأسارى فيها لأى شئ هربوا ؟ قالوا بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح فأجابته ذلك الرجل بأنه لا يكون بينكم وبينه صلح أبداً حتى نأكل

عسل افرينين ياترج كوفى . فقال الملك : يا ويلاه ان الملائكة لتتكلم على ألسنتهم ، ترد علينا وتجيئنا عن العرب . ثم أمر الناس بالرحيل من هناك إلى المدائن فجازوا في السفن منها إليها وبينهما دجلة ، وهي قريبة منها جداً ، ولما دخل المسلمون نهر شير لاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك الذى ذكره رسول الله ﷺ أنه سيفتحه الله على أمته ، وذلك قريب الصباح ، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب ، فقال : الله أكبر أبيض كسرى ، هذا ما وعدنا الله ورسوله . ونظر الناس إليه فتناهبوا التكبير إلى الصبح .

﴿ ذكر فتح المدائن التي هي مستقر ملك كسرى ﴾

لما فتح سعد نهر شير واستقر بها ، وذلك في صفة لم يجد فيها أحداً ولا شيئاً مما يعنى ، بل قد تحولوا بكاهم إلى المدائن وركبوا السفن وضمو السفن إليهم ، ولم يجد سعد رضى الله عنه شيئاً من السفن وتعدت عليه تحصيل شئ منها بالكيفية ، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها ، وأخبر سعد بأن كسرى يزدرج عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان ، وأنتك إن لم تدر كه قبل ثلاث فأت عليك وتفارط الأمر . فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شأوا فينا وشئونكم في سفينهم ، وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه ، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول : من يبدأ فيحمى لنا الفراض - يعنى ثغرة الخاضة من الناحية الأخرى - ليجوز الناس إليهم آمنين ، فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ستمائة ، فأمر سعد عليهم عاصم ابن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم : من ينتدب معى لنكون قبل الناس دخولا في هذا البحر فتحمى الفراض من الجانب الآخر ؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين - والأعاجم وقوف صفوفاً من الجانب الآخر - فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة ، فقال : أتخافون من هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً) ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس ، وقد أفرق الستون فرقتين أصحاب الخيل المذكور ، وأصحاب الخيل الأثالث . فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا : دبوانا دبوانا . يقولون مجانين مجانين . ثم قالوا : والله ماتقاتلون إنساً بل تقاتلون جنناً . ثم أرسلوا فرساناً منهم في الماء يلتقون أول المسلمين لينعموهم من الخروج من الماء ، فأمر عاصم بن عمرو وأصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين ، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم ، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من

الماء ، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر ، ووقفوا على حافة الدجلة من الجانب الآخر ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة في دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب وكانوا يسمون الكتيبية الأولى كتيبية الأهوال ، وأميرها عاصم بن عمرو ، والكتيبة الثانية الكتيبية الخرساء وأميرها القعقاع بن عمرو . وهذا كله وسعد والمسلمون ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس ، وسعد واقف على شاطئ دجلة . ثم نزل سعد ببقيّة الجيش ، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين ، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسرون على وجه الأرض حتى ملؤا ما بين الجانبين ، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن ، والوثوق بأمر الله ووعدته ونصره وتأيدته ، ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وقد توفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، ودعاه . فقال « اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته » والمقطع به أن سعداً دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر ، وقد رمى بهم في هذا اليم فسددهم الله وسلمهم ، فلم يفقد من المسلمين رجل واحد غير أن رجلاً واحداً يقال له غرقدة البارقي ، ذل عن فرس له شقراء ، فأخذ القعقاع بن عمرو وبلجامها ، وأخذ بيد الرجل حتى عدله على فرسه ، وكان من الشجعان ، فقال : عجز النساء أن يلدن مثل القعقاع بن عمرو . ولم يعدم للمسلمين شئ من أمتعتهم غير قدح من خشب لرجل يقال له مالك بن عامر ، كانت علاقته رثة فأخذته الموج ، فدعا صاحبه الله عز وجل ، وقال : اللهم لا تجعلني من بينهم يذهب متاعى . فرده الموج إلى الجانب الذى يقصدونه فأخذته الناس ثم ردوه على صاحبه بعينه . وكان الفرس إذا أعيأ وهو في الماء يقيض الله له مثل النسر المرتفع فيقف عليه فيستريح ، وحتى أنف بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها ، وكان يوماً عظيماً وأمرأ هائلاً ، وخطباً جليلاً ، وخارقاً باهراً ، ومعجزة لرسول الله ﷺ ، خلقها الله لأصحابه لم ير مثلها في تلك البلاد ، ولا في بقعة من البقاع ، سوى قضية العلاء بن الحضرمي المتقدمة ، بل هذا أجل وأعظم ، فان هذا الجيش كان أضعاف ذلك . قالوا : وكان الذى يسير سعد ابن أبي وقاص في الماء سلمان الفارسي ، فجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه وليظهرن الله دينه ، وليهزم من الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان : إن الاسلام جديد . ذلت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر ، أما الذى نفس سلمان

بيده ليخرجن منه أفواجاً كما دخلوا أفواجاً . فخرجوا منه كما قال سلمان لم يفرق منهم أحد ، ولم يفتقدوا شيئاً .

ولما استقل المسلمون على وجه الأرض خرجت الخيول تنفض أعراقها صاهلة ، فساقوا وراء الأعاجم حتى دخلوا المدائن ، فلم يجدوا بها أحداً ، بل قد أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل وتركوا ما عجزوا عنه من الانعام والثياب والمتاع ، والآنية والالطاف والادهان ما لا يدري قيمته . وكان في خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف دينار ثلاث مرات فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقارب به . فكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الكتيبة الخرساء ، فأخذوا في سككها لا يلتقون أحداً ولا يخشونه غير القصر الأبيض ففنيه مقاتلة وهو محصن .

فلما جاء سعد بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسي ، فلما كان اليوم الثالث نزلوا منه وسكنه سعد واتخذ الأيوان مصلى ، وحين دخله تلا قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين) ثم تقدم إلى صدره فضلى ثمان ركعات صلاة الفتح ، وذكر سيف في روايته أنه صلاها بتسليمة واحدة وأنه جمع بالايوان في صفر من هذه السنة فكانت أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك لأن سعداً نوى الإقامة بها ، وبعث إلى العيالات فأنزلهم دون المدائن واستوطنوها ، حتى فتحوا جلولاء وتكريت والموصل ، ثم تحولوا إلى الكوفة بعد ذلك كما سنده كره . ثم أرسل السرايا في إثر كسرى يزجره فلحق بهم طائفة فقتلوه وشردوهم واستلبوا منهم أموالاً عظيمة . وأكثر ما استرجعوا من ملابس كسرى وتاجه وحليه . وشرع سعد في تحصيل ما هنالك من الأموال والحواصل والتحف ، مما لا يقوم ولا يحسد ولا يوصف كثرة وعظمة . وقدر وينا أنه كان هناك تماثيل من جص فنظر سعد إلى أحدها وإذا هو يشير بأصبعه إلى مكان ، فقال سعد : إن هذا لم يوضع هكذا سدى ، فأخذوا ما يسامت أصبعه فوجدوا قبالتها كنزاً عظيماً من كنوز الأكامرة الأوائل ، فأخرجوا منه أموالاً عظيمة جزيلة ، وحواصل باهرة ، وتحف فخورة . واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد في الدنيا أعجب منه . وكان في جملة ذلك تاج كسرى وهو مكال بالجواهر النفيسة التي تحير الأبصار ، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقباؤه وبساط إيوانه ، وكان مر بعا ستون ذراعاً في مثلها ، من كل جانب ، والبساط مثله سواء ، وهو منسوج بالذهب واللائي والجواهر الثمينة ، وفيه مصور جميع ممالك كسرى ، بلاده بأنهارها وقلاعها ، وأقاليمها ، وكنوزها ، وصفة الزروع والأشجار التي في بلاده . فكان إذا جلس على كرسي مملكته ودخل تحت تاجه ، وتاجه معلق بسلاسل الذهب ، لأنه كان لا يستطيع أن يقله

على رأسه لثقله ، بل كان يجيء فيجلس تحته ثم يدخل رأسه تحت التاج والسلاسل الذهب تحمله عنه ، وهو يستره حال لبسه فإذا رفع الحجاب عنه خرت له الامراء سجوداً . وعليه المنطقة والسواران والسيف والقباء المرصع بالجواهر فينظر في البلدان واحدة واحدة ، فيسأل عنها ومن فيها من النواب ، وهل حدث فيها شيء من الأحداث ؟ فيخبره بذلك ولاية الامور بين يديه . ثم ينتقل الى الاخرى ، وهكذا حتى يسأل عن أحوال بلاده في كل وقت لا يهمل أمر المملكة ، وقد وضوا هذا البساط بين يديه تدكراً له بشأن الممالك ، وهو إصلاح جيد منهم في أمر السياسة . فلما جاء قدر الله زالت تلك الأيدي عن تلك الممالك والاراضي وتسامها المسلمون من أيديهم قسراً ، وكسروا شوكتهم عنها وأخذوها بأمر الله صافية ضافية ، والله الحمد والمنة . وقد جعل سعد بن أبي وقاص على الأقباض عمرو بن عمرو بن مقرن فكان أول ما حصل ما كان في القصر الأبيض ومنازل كسرى ، وسائر دور المدائن ، وما كان بالايوان مما ذكرنا ، وما يفد من السرايا الذين في صحبة زهرة بن حوية ، وكان فيما رد زهرة بغل كان قد أدركه وغضبه من الفرس وكانت تحوطه بالسيوف فاستنقذه منهم وقال إن لهذا لسناً فردته إلى الأقباض وإذا عليه سفظان فيهما ثياب كسرى وحليه ، ولبسه الذي كان يلبسه على السير كما ذكرنا ، وبغل آخر عليه تاجه الذي ذكرنا في سفظين أيضاً رداً من الطريق مما استلبه أصحاب السرايا ، وكان فيما ردت السرايا أموال عظيمة وفيها أكثر أثاث كسرى وأمتعه والأشياء النفيسة التي استصحبوها معهم ، فلحقهم المسلمون فاستلبوها منهم . ولم تقدر الفرس على حمل البساط لثقله عليهم ، ولا حمل الاموال لسكثرتها . فانه كان المسلمون يجيئون بعض تلك الدور فيجدون البيت ملاناً إلى أعلاه من أواني الذهب والفضة ، ويجدون من الكافور شيئاً كثيراً ، فيحسبونه ملحاً ، وربما استعمله بعضهم في العجين فوجدوه مرراً حتى تبينوا أمره فتحصل النبي على أمر عظيم من الأموال ، وشرع سعد نخمسه وأمر سلمان الفارسي فقسم الاربعة الاخماس بين الغانمين ، فحصل لكل واحد من الفرسان اثنتي عشر ألفاً ، وكانوا كلهم فرساناً ، ومع بعضهم جنائب ، واستوهب سعد أربعة أخماس البساط ولبس كسرى من المسلمين ، لبيعه إلى عمر و المسلمين بالمدينة لينظروا إليه ويتعجبوا منه ، فظيبيوا له ذلك وأذنوا فيه ، فبعثه سعد إلى عمر مع الحسن مع بشير بن الخصاصية ، وكان الذي بشر بالفتح قبله حليس بن فلان الأسدي ، فروينا أن عمر لما نظر إلى ذلك قال إن قوماً أدوا هذا لأمناء ، فقال له علي بن أبي طالب : إنك عفتت رعييتك ، ولورعت لرتعت . ثم قسم عمر ذلك في المسلمين فأصاب علياً قطعة من البساط فباعها بعشرين ألفاً ،

وقد ذكر سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب ألبس ثياب كسرى نخشبة ونصّبها أمامه ليرى الناس ما في هذه الزينة من العجب ، وما عليها من زهرة الحياة الدنيا الفانية . وقدر وينا أن عمر

ألبس ثياب كسرى لسراقة بن مالك بن جعشم أمير بني مدح رضى الله عنه .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا عبد الله بن يوسف الأصبهاني ثنا أبو سعيد ابن الأعرابي . قال وجدت في كتابي بخط يدي عن أبي داود حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حماد ثنا يونس عن الحسن أن عمر بن الخطاب أتى بفرقة كسرى فوضعت بين يديه وفي القوم سراقة بن مالك بن جعشم ، قال فألقى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلهما في يده فبلغا منكبيه فلما رأهما في يدي سراقة قال الحمد لله سوارى كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدح . وذكر الحديث . هكذا ساقه البيهقي . ثم حكى عن الشافعي أنه قال : وإنما البسهما سراقة لأن رسول الله ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه « كأني بك وقد ألبست سوارى كسرى » قال الشافعي : وقد قال عمر لسراقة حين ألبسه سوارى كسرى : قل الله أكبر . فقال الله أكبر . ثم قال : قل الحمد لله الذي سلّهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابي من بني مدح . وقال الهيثم بن عدي : أخبرنا أسامة بن زيد الليثي ثنا القاسم بن محمد بن أبي بكر ، قال بعث سعد بن أبي وقاص أيام القادسية إلى عمر بقاء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقبضه وتاجه وخفيه ، قال فنظر عمر في وجوه القوم . وكان أجسامهم وأبدانهم قامة سراقة بن مالك بن جعشم فقال ياسراق قم فالبس ، قال سراقة فطمعت فيه فقممت فلبست فقال أدبر فأدبرت ، ثم قال أقبل فأقبلت ، ثم قال يخب بخ ، أعرابي من بني مدح عليه بقاء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه . رب يوم ياسراق بن مالك ، لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى ، كان شرفاً لك ولقومك ، انزع . فترعت . فقال : اللهم إنك منعت هذا رسولك ونبيك ، وكان أحب إليك مني وأكرم عليك مني . ومنعته أبا بكر وكان أحب إليك مني ، وأكرم عليك مني ، وأعطيتني فأعوذ بك أن تكون أعطيتني لتمكركي . ثم بكى حتى رحه من كان عنده . ثم قال لعبد الرحمن بن عوف : أقسمت عليك لما بعته ثم قسمته قبل أن تسمى .

وذكر سيف بن عمر التميمي : أن عمر حين ملك تلك الملابس والجواهر جئ بسيف كسرى ومعه عدة سيوف منها سيف النعمان بن المنذر نائب كسرى على الخيرة وأن عمر قال : الحمد لله الذي جعل سيف كسرى فيما يضره ولا ينفعه . ثم قال : إن قوما أدوا هذا لأمناء ، أولئنا أمانة . ثم قال : إن كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتى عن آخرته فجمع لزوج امرأته ، أو زوج ابنته ، ولم يقدم لنفسه ، ولو قدم لنفسه ووضع الفضول في مواضعها لحصل له . وقد قال بعض المسلمين وهو أبو نجيد نافع بن الأسود في ذلك :

وأملنا على المدائن خيلاً * بجرها مثل برهن أريضا

فانتشلنا خزائن المرء كسرى * يوم ولوا وحاص منا جر يضا

* وقعة جلولا *

لما سار كسرى وهو يزدرج بن شهر يار من المدائن هاربا إلى حلوان شرع في أثناء الطريق في جمع رجال وأعوان وجنود ، من البلدان التي هناك ، فاجتمع إليه خلق كثير ، وجم غفير من الفرس وأمر على الجميع مهران ، وسار كسرى إلى حلوان فأقام الجمع الذي جمعه بينه وبين المسلمين في جلولا ، واحترفوا خندقاً عظيماً حولها ، وأقاموا بها في العدد والعدد وآلات الحصار ، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك . فكتب إليه عمر أن يقيم هو بالمدائن ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميراً على الجيش الذي يبعثه إلى كسرى ، ويكون على المقدمة القعقاع بن عمرو ، وعلى الميمنة سعد بن مالك وعلى الميسرة أخوه عمر بن مالك ، وعلى الساقة عمرو بن مرة الجبني . ففعل سعد ذلك وبعث مع ابن أخيه جيشاً كبيراً يقارب اثني عشر ألفاً ، من سادات المسلمين ووجوه المهاجرين والأ نصار ، ورءوس العرب . وذلك في صفر من هذه السنة بعد فراغهم من أمر المدائن ، فساروا حتى انتهوا إلى المجوس وهم بجلولا قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم هاشم بن عتبة ، وكانوا يخرجون من بلدهم للقتال في كل وقت فيقاتلون قتالاً لم يسمع بمثله . وجعل كسرى يبعث إليهم الأمداد ، وكذلك سعد يبعث المدد إلى ابن أخيه ، مرة بعد أخرى . وحمى القتال ، واشتد النزاع ، واضطربت نار الحرب ، وقام في الناس هاشم فخطبهم غير مرة ، فحرضهم على القتال والتوكل على الله . وقد تعاقدت الفرس وتعاهدت ، وحلفوا بالنار أن لا يفروا أبداً حتى يفنوا العرب . فلما كان الموقف الأخير وهو يوم الفصيل والفرقان ، توافقوا من أول النهار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يمهده مثله حتى فنى الشباب من الطرفين ، وتقصفت الرماح من هؤلاء ومن هؤلاء ، وصاروا إلى السيوف والطبرزيات ، وحانت صلاة الظهر فصلى المسلمون إيماءً ، وذهبت فرقة المجوس وجاءت مكاتبها أخرى ، فقام القعقاع بن عمرو في المسلمين فقال : أهالك ما رأيتم أيها المسلمون ؟ قالوا : نعم إنا كالون وهم مريجون ، فقال : بل إنا حاملون عليهم ومجدون في طلبهم ، حتى يحكم الله بيننا ، فاحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى نخالطهم ، فحمل وحمل الناس ، فأما القعقاع فإنه صمم الحملة في جماعة من الفرسان والأبطال والشجعان ، حتى انتهى إلى باب الخندق ، وأقبل الليل بظلامه وجالت بقية الأبطال بين معهم في الناس وجعلوا يأخذون في التحايز من أجل إقبال الليل وفي الأبطال يومئذ طليحة الاسدي ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدي ، وقيس بن مكشوح ، وحجر بن عدي . ولم يعملوا بما صنعه القعقاع في ظلمة الليل ، ولم يشعروا بذلك ، لولا مناديه ينادي : أين أيها المسلمون ، هذا أميركم على باب خندقهم . فلما سمع ذلك المجوس فروا وحمل المسلمون نحو القعقاع بن عمرو فاذا هو على باب الخندق قد ملكه

عليهم ، وهربت الفرس كل مهرب ، وأخذهم المسلمون من كل وجه ، وقعدوا لهم كل مرصد ، فقتل منهم في ذلك الموقف مائة ألف حتى جلاوا وجه الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . وغنموا من الاموال والسلاح والذهب والفضة قريبا مما غنموا من المدائن قبلها

وبعث هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو في إثر من انهزم منهم وراء كسرى ، فساق خلفهم حتى أدرك مهران منهزماً ، فقتله القعقاع بن عمرو ، وأفلتتم الفيرزان فاستمر منهزماً ، وأسر سبايا كثيرة بعث بها إلى هاشم بن عتبة ، وغنموا دواب كثيرة جداً . ثم بعث هاشم بالغنائم والأموال إلى عمه سعد بن أبي وقاص فنقل سعد ذوى النجدة ثم أمر بقسم ذلك على الغائبين .

قال الشعبي : كان المال المتحصل من وقعة جلولاء ثلاثين ألف ألف ، فكان خسه ستة آلاف ألف وقال غيره : كان الذى أصاب كل فارس يوم جلولاء نظير ما حصل له يوم المدائن - يعنى اثني عشر ألفاً لكل فارس - وقيل أصاب كل فارس تسعة آلاف وتسع دواب . وكان الذى ولى قسم ذلك بين المسلمين وتحصيله ، سلمان الفارسي رضى الله عنه . ثم بعث سعد بالأخماس من المال والرقيق والدواب مع زياد بن أبي سفيان ، وقضاعى بن عمرو ، وأبى مقرب الاسود . فلما قدموا على عمر سأل عمر زياد بن أبي سفيان عن كيفية الوقعة فدكرها له ، وكان زياد فصيحاً ، فأعجب إirاده لها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأحب أن يسمع المسلمون منه ذلك ، فقال له : أنتستطيع أن تخطب الناس بما أخبرتني به ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه ليس أحد على وجه الأرض أهيب عندي منك ، فكيف لا أقوى على هذا مع غيرك ؟ فقام في الناس فقص عليهم خبر الوقعة ، وكما قتلوا ، وكما غنموا ، بعبارة عظيمة بليغة فقال عمر : إن هذا هو الخطيب المصقع - يعنى الفصيح - فقال زياد : إن جندنا أطلقوا بالفعل لساننا . ثم حلف عمر بن الخطاب أن لا يجن هذا المال الذى جاؤا به سقوف حتى يقسمه ، فبات عبد الله بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف يحرسانه في المسجد ، فلما أصبح جاء عمر في الناس ، بعد ما صلى الغداة وطلعت الشمس ، فأمر فكشفت عنه جلابيبه ، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وذهبه الاصر وفضته البيضاء ، بكى عمر ، فقال له عبد الرحمن : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله إن هذا لموطن شكر ، فقال عمر : والله ما ذلك يبكيك ، والله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم . ثم قسمه كما قسم أموال القادسية .

وروى سيف بن عمر عن شيوخه أنهم قالوا : وكان فتح جلولاء في ذى القعدة من سنة ستة عشر ، وكان بينه وبين فتح المدائن تسعة أشهر وقد تكلم ابن جرير به هنا فيما رواه عن سيف على ما يتعلق بأرض السواد وخراجها ، وموضع نجر ذلك كتاب الاحكام .

وقد قال هاشم بن عتبة في يوم جلولاء :

يوم جلولاء ، ويوم رسم * ويوم زحف الكوفة المقدم
ويوم عرض الشهر المحرم * وأيام خلت من بينهن صرم
شيين أصدغى فهن هرم * مثل ثغام البلد المحرم
وقال أبو نجيذ في ذلك :

ويوم جلولاء الوقيمة أصبحت * كتابنا تردى بأسد عوايس
فضضت جموع الفرس ثم أنتمهم * فتباً لأجساد المجوس النجائس
وأفلتبن الفيرزان بجمرة * ومهران أردت يوم حز القوانس
أقاموا بدار المنية موعداً * وللترب تحشوها خجوج الرواس
* ذكر فتح حلوان *

ولما انقضت الوقعة أقام هشام بن عتبة بجلولاء عن أمر عمر بن الخطاب - في كتابه إلى سعد - وتقدم القعقاع بن عمرو إلى حلوان ، عن أمر عمر أيضاً ليكون ردها للمسلمين هنالك ، ومرا ابطاً لكسرى حيث هرب . فسار كما قدمنا ، وأدرك أمير الوقعة وهو مهران الرازي ، فقتله وهرب منه الفيرزان ، فلما وصل إلى كسرى وأخبره بما كان من أمر جلولاء ، وما جرى على الفرس بعده ، وكيف قتل منهم مائة ألف ، وأدرك مهران فقتل ، هرب عند ذلك كسرى من حلوان إلى الري ، واستناب على حلوان أميراً يقال له خسرو وشنوم ، فتقدم إليه القعقاع بن عمرو ، وبرز إليه خسرو وشنوم إلى مكان خارج من حلوان ، فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً ثم فتح الله ونصر المسلمين وانهزم خسرو وشنوم ، وساق القعقاع إلى حلوان فتسلمها ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا ، وأقاموا بها ، وضربوا الجزية على من حولها من الكور والأقاليم ، بعد ما دعوا إلى الدخول في الاسلام فأبوا إلا الجزية . فلم يزل القعقاع بها حتى تحول سعد من المدائن إلى الكوفة ، فسار إليها كما سندا كره إن شاء الله تعالى .

﴿ فتح تكريت والموصل ﴾

لما افتتح سعد المدائن بلغه أن أهل الموصل قد اجتمعوا بتكريت على رجل من الكفرة يقال له الأنطاق ، فكتب إلى عمر بأمر جلولاء واجتماع الفرس بها ، وبأمر أهل الموصل ، فتقدم ما ذكرناه من كتاب عمر في أهل جلولاء ، وما كان من أمرها . وكتب عمر في قضية أهل الموصل الذين قد اجتمعوا بتكريت على الأنطاق ، أن يعين جيشاً لحربهم ، ويؤمر عليه عبد الله بن المعتم ، وأن يجعل على مقدمته ربيع بن الأفكل الغزى ، وعلى الميمنة الحارث بن حسان الدهلي ، وعلى الميسرة فرات بن حيان العجلي ، وعلى الساقية هاني بن قيس ، وعلى الخليل عرجة بن هرثمة . ففصل عبد الله ابن المعتم في خمسة آلاف من المدائن ، فسار في أربع حتى نزل بتكريت على الأنطاق ، وقد اجتمع

إليه جماعة من الروم ، ومن الشهاجرة ، ومن نصارى العرب ، من إياد وتغلب والنمر . وقد أحرقوا بتكريت ، فحاصرهم عبد الله بن المعتم أربعين يوماً . وزاحفوه في هذه المدة أربعة وعشرين مرة ، ما من مرة إلا وينتصر عليهم ويقتل جموعهم ، فضعف جانبهم ، وعزمت الروم على الذهاب في السفن بأموالهم ، وراسل عبد الله بن المعتم إلى من هنالك من الأعراب ، فدعاهم إلى الدخول معه في النصرة على أهل البلد ، فجاءت القصاد إليه عنهم بالاجابة إلى ذلك ، فأرسل إليهم : إن كنتم صادقين فيما قلتم فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقرأوا بما جاء من عند الله . فرجعت القصاد إليه بأنهم قد أسلموا فبعث إليهم : إن كنتم صادقين فاذا كبرنا وحملنا على البلد الليلة فأمسكوا علينا أبواب السفن ، وامنعوا أن يركبوا فيها ، واقتلوا منهم من قدرتم على قتله . ثم شد عبد الله وأصحابه ، وكبروا تكبيرة رجل واحد ، وحملوا على البلد فكبرت الأعراب من الناحية الأخرى ، فخار أهل البلد ، وأخذوا في الخروج من الابواب التي تلي دجلة ، فتلقتهم إياد والنمر وتغلب ، فقتلوا قتلاً ذريعاً ، وجاء عبد الله بن المعتم بأصحابه من الابواب الأخر فقتل جميع أهل البلد عن بكرة أبيهم ، ولم يسلم إلا من أسلم من الأعراب من إياد وتغلب والنمر ، وقد كان عمر عهد في كتابه إذا نصرنا على تكريت أن يبعثوا ربعي بن الأفكل إلى الحصنين وهي الموصل سريعاً ، فسار إليها كما أمر عمر ، ومعه سرية كثيرة ، وجماعة من الابطال ، فسار إليها حتى نجثها قبل وصول الاخبار إليها ، فما كان إلا أن واقفها حتى أجابوا إلى الصلح فضربت عليهم الذمة عن يدهم صاغرون ، ثم قسمت الاموال التي تحصلت من تكريت ، فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف ، وسهم الراجل ألف درهم . وبعثوا بالاحماس مع فرات بن حيان ، وبالفتح مع الحارث بن حسان ، وولى إمرة حرب الموصل ربعي بن الأفكل ، وولى الخراج بها عرجة بن هرثة .

فتح ماسبندان من أرض العراق

لما رجع هاشم بن عتبة من جلولاء إلى عمر بالمداين ، بلغ سعيماً أن آذين بن الهرمزان قد جمع طائفة من الفرس ، فكتب إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن ابعث جيشاً وأمر عليهم ضرار بن الخطاب . فخرج ضرار في جيش من المداين ، وعلى مقدمته ابن الهزيل الاسدي ، فتقدم ابن الهزيل بين يدي الجيش ، فالتقى مع آذين وأصحابه قبل وصول ضرار إليه ، فكسر ابن الهزيل طائفة الفرس ، وأسرى آذين بن الهرمزان ، وفرغ منه أصحابه ، وأمر ابن الهزيل فضرب عنق آذين بين يديه ، وساق وراء المنهزمين حتى انتهى إلى ماسبندان - وهي مدينة كبيرة - فأخذها عنوة ، وهرب أهلها في رؤوس الجبال والشعاب ، فدعاهم فاستجابوا له ، وضرب على من لم يسلم الجزية ، وأقام نائباً عليها حتى تحول سعد من المداين إلى الكوفة كما سيأتي .

فتح قرقيسيا وهيت في هذه السنة

قال ابن جرير وغيره : لما رجع هاشم من جلولاء إلى المداين وكان أهل الجزيرة قد أمدوا أهل محص على قتال أبي عبيدة وخالد - لما كان هرقل بقنسرين - واجتمع أهل الجزيرة في مدينة هيت ، كتب سعد إلى عمر في ذلك ، فكتب إليه أن يبعث إليهم جيشاً ، وأن يؤمر عليهم عمر بن مالك ابن عتبة بن نوفل بن عبيد مناف ، فسار فيمن معه من المسلمين إلى هيت ، فوجدهم قد خندقوا عليهم ، فحاصرهم حيناً فلم يظفر بهم ، فسار في طائفة من أصحابه واستخلف على محاصرة هيت الحارث بن يزيد ، فراح عمر بن مالك إلى قرقيسيا فأخذها عنوة ، وأنبأوا إلى بذل الجزيرة ، وكتب إلى نائبه على هيت : إن لم يصلحوا أن يحفر من وراء خندقهم خندقاً ، ويجعل له أبواباً من ناحيته . فلما بلغهم ذلك أنابوا إلى المصالحة .

قال شيخنا أبو عبد الله الحافظ الذهبي : وفي هذه السنة بعث أبو عبيدة عمرو بن العاص بعد فراغه من اليرموك إلى قنسرين فصالح أهل حلب ، ومنبج ، وأنطاكية ، على الجزية . وفتح سائر بلاد قنسرين عنوة . قال : وفيها افتتحت سروج والرها على يدي عياض بن غنم .

قال : وفيها فيما ذكر ابن السكبي سار أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد ، فحاصر إيليا فسألوا الصالح على أن يقدم عمر فيصالحهم على ذلك ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر فقدم حتى صالحهم وأقام أياماً ثم رجع إلى المدينة . قلت : قد تقدم هذا فيما قبل هذه السنة والله أعلم .

قال الواقدي : وفي هذه السنة حوى عمر الرينة بخيل المسلمين ، وفيها غرّب عمر أبا محجن الثقفي إلى باضع^(١) ، وفيها تزوج عبد الله بن عمر صفية بنت أبي عبيد . قلت : الذي قتل يوم الجسر ، وكان أمير السرية ، وهي أخت المختار بن أبي عبيد أمير العراق فيما بعد ، وكانت امرأة سالحة ، وكان أخوها فاجراً وكافراً أيضاً . قال الواقدي : وفيها حج عمر بالناس ، واستخلف على المدينة زيد بن ثابت .

قال : وكان نائبه على مكة عتاب ، وعلى الشام أبو عبيدة ، وعلى العراق سعد ، وعلى الطائف عثمان ابن أبي العاص ، وعلى اليمن يلى بن أمية ، وعلى اليمامة والبحرين اللاء بن الحضرمي ، وعلى عمان حذيفة بن محصن ، وعلى البصرة المغيرة بن شعبه ، وعلى الموصل ربعي بن الأفكل ، وعلى الجزيرة عياض بن غنم الأشعري .

قال الواقدي وفي ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة ست عشرة - كتب عمر بن الخطاب التاريخ ، وهو أول من كتبه . قلت : قد ذكرنا سببه في سيرة عمر ، وذلك أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر يدين بحمل عليه في شعبان ، فقال : أي شعبان ؟ أمن هذه السنة (١) في الاصلين : إلى ما صنع وحكاية نفيه معروفة . وباضع عين أو جزيرة بساحل اليمن .

أم التي قبلها ، أم التي بعدها ؟ ثم جمع الناس فقال : ضعوا للناس شيئاً يعرفون فيه حلول ديونهم .
فيقال إنهم أراد بعضهم أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بلوكهم ، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية
الذي بعده ، ففكرهوا ذلك . ومنهم من قال : أرخوا بتاريخ الروم من زمان اسكندر ففكرهوا ذلك ،
ولطوله أيضاً . وقال قائلون : أرخوا من مولد رسول الله ﷺ . وقال آخرون من مبعثه عليه السلام .
وأشار على بن أبي طالب وآخرون أن يؤرخ من هجرته من مسكة إلى المدينة لظهوره لكل أحد فانه
أظهر من المولد والمبعث . فاستحسن ذلك عمر والصحابه ، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله ﷺ
وأرخوا من أول تلك السنة من محرمة ، وعند مالك رحمه الله فيها حكمة عن السهيلي وغيره أن أول
السنة من ربيع الأول لقدمه عليه السلام إلى المدينة . والجمهور على أن أول السنة من المحرم ، لأنه
أضبط لثلاث مختلف الشهور ، فان المحرم أول السنة الهلالية العربية . وفي هذه السنة - أعني ستة ست
عشرة - توفيت مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، وذلك في المحرم منها فيما ذكره الواقدي وابن
جرير وغير واحد ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ، وكان يجمع الناس لشهود جنازتها ، ودفنت بالبقيع
رضي الله عنها وأرضاها ، وهي مارية القبطية ، أهداها صاحب اسكندرية - وهو جريج بن مينا - في
جملة تحف وهدايا لرسول الله ﷺ ، وقبل ذلك منه ، وكان معها أختها شيرين التي وهبها رسول الله
ﷺ لحسان بن ثابت ، فولدت له ابنه عبيد الرحمن بن حسان . ويقال أهدى المقوقس معهما
جارتين أخرتين ، فيحتمل أنهما كانتا خادمتين لمارية وسيرين . وأهدى معهن غلاماً خصياً اسمه
مابور ، وأهدى مع ذلك بفتة شهباء اسمها اللدلى ، وأهدى حلة حرير من عمل الاسكندرية . وكان
قدوم هذه الهدية في سنة ثمان . فحمت مارية من رسول الله ﷺ بإبراهيم عليه السلام ، فعمش
عشرين شهراً ، ومات قبل أبيه رسول الله ﷺ بسنة سواء . وقد حزن عليه رسول الله ﷺ وبكى
عليه وقال : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بك يا إبراهيم لحزونون ،
وقد تقدم ذلك في سنة عشر . وكانت مارية هذه من الصالحات الخيرات الحسان . وقد حظيت
عند رسول الله ﷺ وأعجب بها ، وكانت جميلة ملاحه ، أي حلوة ، وهي تشابه هاجر سريه الخليل ،
فان كلا منهما من ديار مصر وتسراها نبي كريم ، وخليل جليل ، عليهما السلام .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة ﴾

في المحرم منها انتقل سعد بن أبي وقاص من المدائن إلى الكوفة ، وذلك أن الصحابة استوخوا
المدائن ، وتغيرت ألوانهم ، وضعفت أبدانهم ، لكثرة ذبابها وغبارها . فكتب سعد إلى عمر في
ذلك ، فكتب عمر : إن العرب لا تصلح إلا حيث يوافق إبلها . فبعث سعد حذيفة وسلمان بن زياد
برتادان للمسلمين منزلاً مناسباً يصلح لأقامتهم . فقرأ على أرض الكوفة وهي حصباء في رملة حمراء ،

فأعجبتهما ووجد هنالك ديرات ثلاث دبر حرقه بنت النعمان ، ودبر أم عمرو ، ودبر سلسلة ، وبين ذلك
خصاص خلال هذه الكوفة ، فترلا فضليا هنالك وقال كل واحد منهما : اللهم رب السماء وما أظلت ،
ورب الأرض وما أقلت ، ورب الريح وما ذرت ، والنجوم وما هوت ، والبحار وما جرت ، والشياطين
وما أضلت ، والخصاص وما أجنبت ، بارك لنا في هذه الكوفة واجعلها منزل ثبات . ثم كتب إلى سعد
بالخبر ، فأمر سعد باختطاط الكوفة ، وسار إليها في أول هذه السنة في محرمة ، فكان أول بناء وضع
فيها المسجد . وأمر سعد رجلاً رامياً شديد الرمي ، فرمى من المسجد إلى الأربع جهات فحيث سقط
سهمه بنى الناس منازلهم ، وعمر قصرآ تلقاء محراب المسجد للامارة وبيت المال ، فكان أول ما بنوا
المنازل بالقصب ، فاحترقت في أثناء السنة ، فبنوها باللبن عن أمر عمر ، بشرط أن لا يسرفوا
ولا يجاوزوا الحد . وبعث سعد إلى الامراء والتبائل فقدموا عليه ، فأنزلهم الكوفة ، وأمر سعد
أبا هياج الموكل بانزال الناس فيها بأن يعمروا ويدعوا للطريق المنتهج وسع أربعين ذراعاً . ولما دون
ذلك ثلاثين وعشرين ذراعاً ، وللأزقة سبعة أذرع . وبنى لسعد قصر قريب من السوق ، فكانت
غوغاء الناس تمنع سعداً من الحديث ، فكان يغلق بابه ويقول : سكن الصويت فلما بلغت هذه
السكامة عمر بن الخطاب بعث محمد بن مسلمة ، فأمره إذا انتهى إلى الكوفة أن يقدم زناده ويجمع
حطباً ويحرق باب القصر ثم يرجع من فورهِ . فلما انتهى إلى الكوفة فعل ما أمره به عمر ، وأمر سعداً
أن لا يغلق بابه عن الناس ، ولا يجعل على بابه أحداً يمنع الناس عنه ، فامتنل ذلك سعد وعرض على
محمد بن مسلمة شيئاً من المال فامتنع من قبوله ، ورجع إلى المدينة ، واستمر سعد بعد ذلك في الكوفة
ثلاث سنين ونصف ، حتى عزله عنها عمر ، من غير عجز ولا خيانة .

﴿ قصة أبي عبيدة وحصر الروم له بخصم وقدم عمر إلى الشام أيضاً لينصره ﴾

وذلك أن جمعاً من الروم عزموا على حصار أبي عبيدة بخصم ، واستجاشوا بأهل الجزيرة ،
وخلق ممن هنالك ، وقصدوا أبا عبيدة ، فبعث أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه من قنشرين ، وكتب
إلى عمر بذلك ، واستشار أبو عبيدة المسلمين في أن يناجز الروم أو يتحصن بالبلد حتى يجيء أمر
عمر ؟ فكلمهم أشار بالتحصن ، إلا خالداً فانه أشار بمناجرتهم ، فمضاه وأطاعهم . وتحصن بخصم وأحاط
به الروم ، وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عنه بأمرهم ، ولو تركوا ما هم فيه وأقبلوا إلى حصص
لا نخرم النظام في الشام كله . وكتب عمر إلى سعد أن يندب الناس مع التقاع بن عمرو ، ويسيرهم
إلى حصص من يوم يقدم عليه الكتاب ، نجدة لأبي عبيدة فانه محصور ، وكتب إليه أن يجيز جيشاً
إلى أهل الجزيرة الذين مالاؤا الروم على حصار أبي عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض
ابن غنم . فخرج الجيشان معاً من الكوفة ، التقعا في أربعة آلاف نحو حصص لنجدة أبي عبيدة ،

وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة ، فبلغ الجابية وقيل إنما بلغ سرع . قاله ابن إسحاق ، وهو أشبه والله أعلم . فلما بلغ أهل الجزيرة الذين مع الروم على حصص أن الجيش قد طرد بلادهم ، انشعروا إلى بلادهم ، وفارقوا الروم ، وسمعت الروم بقدم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فضعف جانبهم جداً . وأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهزمت الروم هزيمة فظيعة . وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الامداد إليهم بثلاث ليال . فكتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح وأن المدد وصل إليهم بعد ثلاث ليال وسأله هل يدخلهم في القسم معهم مما أفاء الله عليهم ؟ فجاء الجواب بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فإن العدو إنما ضعف وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم ، فأشركهم أبو عبيدة في الغنيمة . وقال عمر : جزى الله أهل الكوفة خيراً يحمون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار .

﴿ فتح الجزيرة ﴾

قال ابن جرير : وفي هذه السنة فتحت الجزائر فيما قاله سيف بن عمر ، قال ابن جرير : في ذي الحجة من سنة سبع عشرة فوافق سيف بن عمر في كونها في هذه السنة . وقال ابن إسحاق : كان ذلك في سنة تسع عشرة . سار إليها عياض بن غنم . وفي صحبته أبو موسى الأشعري وعمر بن سعد ابن أبي وقاص ، وهو غلام صغير السن ليس إليه من الأمر شيء ، وعثمان بن أبي العاص . فقتل الرها فصالحه أهلها على الجزيرة ، وصالح حوران على ذلك . ثم بعث أبو موسى الأشعري إلى نصيبين ، وعمر بن سعد إلى رأس العين ، وسار بنفسه إلى دارا ، فافتتحت هذه البلدان ، وبعث عثمان بن أبي العاص إلى أرمينية ، فكانت عندها شيء من قتال قتل فيه صفوان بن المعطل السلمي شهيداً . ثم صالحهم عثمان بن أبي العاص على الجزيرة ، على كل أهل بيت دينار .

وقال سيف في روايته : جاء عبد الله بن عبد الله بن غسان فسلك على رجله حتى انتهى إلى الموصل فعبث إلى بلد حتى انتهى إلى نصيبين ، فلقوه بالصلح وصنعوا كما صنع أهل الرقة . وبعث إلى عمر بن موسى النصارى من عرب أهل الجزيرة ، فقال لهم عمر : أدوا الجزيرة . فقالوا : أبلغنا ما أمنا فوالله لئن وضعت علينا الجزيرة لندخلن أرض الروم ، والله لتفضحننا من بين العرب . فقال لهم : أنتم فضحتن أنفسكم ، وخالفتن أمتكم ، ووالله لتؤدن الجزيرة وأنتم صغرة قنفة ، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ، ثم لأسبينكم . قالوا : نخذ منا شيئاً ولا تسميه جزية . فقال : أما نحن فنسميه جزية ، وأما أنتم فسموه ما شئتم . فقال له علي بن أبي طالب : ألم يضعف عليهم سعد الصدقة ؟ قال : بلى : وأصغى إليه ورضى به منهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام فوصل إلى سرع

في قول محمد بن إسحاق ، وقال سيف : وصل إلى الجابية . قلت : والأشهر أنه وصل سرع ، وقد تلقاه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، إلى سرع فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، فاستشار عمر المهاجرين والأنصار فاحتلفوا عليه ، فمن قائل يقول : أنت قد جئت لأمر فلا ترجع عنه . ومن قائل يقول : لا نرى أن تقدم بوجوه أصحاب رسول الله ﷺ على هذا الوباء . فيقال إن عمر أمر الناس بالرجوع من الغد . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ قال : نعم ! نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرايت لو هبطت وادياً ذا عدوتين إحداهما نخصة والأخرى مجذبة ، فإن رعيت النخصة رعيتها بقدر الله ، وإن أنت رعيت الجذبة رعيتها بقدر الله ؟ ثم قال لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة .

قال ابن إسحاق في روايته وهو في صحيح البخاري : وكان عبد الرحمن بن عوف متغيّباً في بعض شأنه ، فلما قدم قال : إن عندي من ذلك علماً ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه . فحمد الله عمر - يعني لسكونه وافق رأيه - ورجع بالناس . وقال الامام أحمد : ثنا وكيع ثنا سفيان بن حسين بن أبي ثابت عن إبراهيم بن سعد عن سعد بن مالك بن أبي وقاص وخزيمة بن ثابت وأسامة بن زيد قالوا : قال رسول الله ﷺ « إن هذا الطاعون رجس وبقية عذاب عذب به قوم قبلكم ، فاذا وقع بأرض أنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً منه ، وإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه » ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث سعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد عن سعد بن أبي وقاص به . قال سيف بن عمر : كان الوباء قد وقع بالشام في المحرم من هذه السنة ثم ارتفع ، وكان سيفاً يعتقد أن هذا الوباء هو طاعون عمواس ، الذي هلك فيه خلق من الأمراء ووجوه المسلمين ، وليس الأمر كما زعم ، بل طاعون عمواس من السنة المستقبلية بعد هذه ، كما سنبيته إن شاء الله تعالى . وذكر سيف بن عمر أن أمير المؤمنين عمر كان قد عزم على أن يطوف البلدان ، ويزور الأمراء ، وينظر فيما اعتمده وما آثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة فمن قائل يقول أبدأ بالعراق ، ومن قائل يقول بالشام . فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قسم موارث من مات من المسلمين في طاعون عمواس ، فانه أشكل قسمها على المسلمين بالشام فعزم على ذلك . وهذا يقتضي أن عمر عزم على قدوم الشام بعد طاعون عمواس ، وقد كان الطاعون في سنة ثمانى عشرة كما سيأتي ، فهو قدوم آخر غير قدوم سرع . والله أعلم .

قال سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع بن النعمان قالوا : قال عمر : ضاعت موارث الناس بالشام أبدأ بها فأقسم الموارث وأقيم لهم ما في نفسي ، ثم أرجع فأقلب في البلاد وأبند إليهم أمرى . قالوا : فأتى عمر الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ، ومرتين في سنة سبع

عشرة ، ولم يدخلها في الأولى من الآخرين . وهذا يقتضى ما ذكرناه عن سيف أنه يقول بكون طاعون عمواس في سنة سبع عشرة . وقد خالفه محمد بن إسحاق وأبو معشر وغير واحد ، فذهبوا إلى أنه كان في سنة ثمانى عشرة . وفيه توفى أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان ، وغيرهم من الأعيان ، على ما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى .

✽ ذكر شئ من أخبار طاعون عمواس ✽

الذى توفى فيه أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان وغيرهم من أشرف الصحابة وغيرهم . أورده ابن جرير في هذه السنة .

قال محمد بن إسحاق عن شعبة عن المختار بن عبد الله البجلي عن طارق بن شهاب البجلي . قال : أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لتتحدث عنده فلما جلسنا قال : لا تحفوا فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم ، ولا عليكم أن تنزهوا عن هذه القرية فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزها ، حتى يرتفع هذا البلاء ، فإني سأخبركم بما يكره مما يتقى . من ذلك أن يظن من خرج أنه لو قام مات ، ويظن من أقام فأصابه ذلك أنه لو خرج لم يصبه ، فإذا لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج وأن يتنزه عنه ، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام عام طاعون عمواس ، فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه : أن سلام عليك أما بعد فإنه قد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشفقك بها ، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا أن لا تضعه من يدك حتى تقبل إلى : قال فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء . فقال : يفر الله لأمر المؤمنين . ثم كتب إليه يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إلى ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم ، فليست أريد فراقهم حتى يقضى الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه ، فغفلى من عزمتك يا أمير المؤمنين ، ودعني في جندي . فلما قرأ عمر الكتاب بكى فقال الناس يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ قال : لا ، وكان قد . قال : ثم كتب إليه « سلام عليك أما بعد فإنك أنزلت الناس أرضاً عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة » قال أبو موسى : فلما أتاه كتابه دعاني فقال : يا أبا موسى ، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى ، فأخرج فارتد للناس منزلاً حتى أتبعك بهم ، فرجعت إلى منزلي لأرتحل فوجدت صاحبتي قد أصيبت ، فرجعت إليه وقلت : والله لقد كان في أهلي حدث . فقال : لعل صاحبتك قد أصيبت ؟ قلت : نعم ، فأمر ببعير فرحل له فلما وضع رجله في غرزه طعن فقال : والله لقد أصيبت ، ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن الناس الوباء .

وقال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن شهر بن حوشب عن رابة - رجل من قومه - . وكان قد خلف على أمه بعد أبيه ، وكان قد شهد طاعون عمواس . قال : لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة في

الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظه ، فطعن ، فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل ، فقام خطيباً بعده . فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع رحمة بكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وإن معاذاً يسأل الله تعالى أن يقسم لأل معاذ حظه ، فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ، ثم قام فدعا لنفسه فطعن في راحته فلقد رأيت يظن إليها ثم يقلب^(١) ظهر كفه ثم يقول : ما أحب أن لى بما فيك شيئاً من الدنيا . فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص فقام فيهم خطيباً فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع إذا وقع فأنما يشتعل اشتعال النار ، فتحصنوا منه في الجبال . فقال أبو وائل الهذلي : كذبت والله لقد صحبت رسول الله ﷺ وأنت شر من حمارى هذا . فقال : والله ما أرد عليك ما تقول ، وأيم الله لا نقيم عليه . قال : ثم خرج وخرج الناس ففترقوا ودفعه الله عنهم . قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب من رأى عمرو بن العاص فوالله ما كرهه . قال ابن إسحاق : ولما انتهى إلى عمر مصاب أبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ، أمر معاوية على جند دمشق وخراجها ، وأمر شرحبيل بن حسنة على جند الأردن وخراجها .

وقال سيف بن عمر عن شيوخة قالوا : لما كان طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلها وطال مكثه ، وفي خلق كثير من الناس ، حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين لذلك . قلت : ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا لما أشكل أمرها على الأمراء ، وطابت قلوب الناس بقدمه ، واتعمت الأعداء من كل جانب لمحيطه إلى الشام والله الحمد والمنة .

وقال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عمواس في آخر سنة سبع عشرة ، قال : فلما أراد القبول إلى المدينة في ذى الحجة منها خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ألا إني قد وليت عليكم وقضيت الذى على فى الذى ولائى الله من أمركم إن شاء الله ، فبسطنا بينكم فياًكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغناكم ما لدينا ، فخذنا لكم الجنود ، وهياتنا لكم العروج ، وبوأنا لكم ، ووسعنا عليكم ما بلغ فيؤمكم وما قاتلم عليه من شامكم ، وسمينا لكم أطعماتكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومغانمكم . فمن علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله . قال وحضرت الصلاة فقال الناس : لو أمرت بلالا فأذن ؟ فأمره فأذن فلم يبق أحد كان أدرك رسول الله ﷺ وبلال يؤذن إلا بكى حتى بل لحيته ، وعمر أشدهم بكاء ، وبكى من لم يدركه لبكاهم ولذكره ﷺ . وذكر ابن جرير في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي الجالد أن عمر بن الخطاب

(١) كذا بالنسختين . وفي الطبرى : يقبل .

بعث ينكر على خالد بن الوليد في دخوله إلى الحمام ، وتدللكه بعد النورة بعصفر معجون بخمر ، فقال في كتابه : إن الله قد حرم ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرم ظاهر الائم وباطنه ، وقد حرم مس الخمر فلا تسوها أجسامكم فانها نجس ، فان فعلتم فلا تؤدوا . فكتب إليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولاً غير خمر . فكتب إليه عمر : إني أظن أن آل المغيرة قد ابتلوا بالجفاء فلا أماتكم الله عليه فانتهى لذلك .

قال سيف : وأصاب أهل البصرة تلك السنة طاعون أيضاً فمات بشر كثير وجم غفير ، رحمهم الله ورضى الله عنهم أجمعين . قالوا : وخرج الحارث بن هشام في سبعين من أهله إلى الشام فلم يرجع منهم إلا أربعة . فقال المهاجر بن خالد في ذلك .

من يسكن الشام يعرس به * والشام إن لم يفننا كرب
أفنى بني ريطة فرساتهم * عشرون لم يقصص لهم شارب
ومن بني أعمامهم مثلهم * لمثل هذا يعجب العاجب
طعننا وطاعونا مناياهم * ذلك ما خط لنا الكاتب
* كائنة غريبة فيها عزل خالد عن قنسر بن أيضاً *

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أدرب خالد بن الوليد وعياض بن غنم ، أي سلكا درب الروم وأغارا عليهم ، فغنموا أموالاً عظيمة وسبياً كثيراً . ثم روى من طريق سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة والربيع وأبي الجالد . قالوا : لما رجع خالد ومعه أموال جزيلة من الصائفة انتجعه الناس ينتغون رفته ونائله ، فكان ممن دخل عليه الأشعث بن قيس فأجازه بعشرة آلاف فلما بلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة يأمره أن يقيم خالداً ويكشف عمامته ويتزع عنه قلنسوته ويقيده بعمامة ويسأله عن هذه العشرة آلاف ، إن كان أجازها الأشعث من ماله فهو سرف ، وإن كان من مال الصائفة فهي خيانة ثم اعزله عن عمله . فطلب أبو عبيدة خالداً وصعد أبو عبيدة المنبر ، وأقيم خالد بين يدي المنبر ، وقام إليه بلال ففعل ما أمر به عمر بن الخطاب هو والبريد الذي قدم بالكتاب . هذا وأبو عبيدة ساكت لا يتكلم ، ثم نزل أبو عبيدة واعتذر إلى خالد مما كان بغير اختياره وإرادته ، فعذره خالد وعرف أنه لا قصد له في ذلك . ثم سار خالد إلى قنسر بن غنم أهل البلد وودعهم ، وسار بأهله إلى حمص فخطبهم أيضاً وودعهم وسار إلى المدينة ، فلما دخل خالد على عمر أنشد عمر قول الشاعر

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع * وما يصنع الأقوم فالله صانع

ثم سأله من أين هذا اليسار الذي تميز منه بعشرة آلاف ؟ فقال : من الأقال والسهمان . قال :

فما زاد على الستين ألفاً فلك ، ثم قوم أمواله وعروضه وأخذ منه عشرين ألفاً ثم قال : والله إنك على لكريم ، وإنك إلى لحبيب ، ولن تعمل لي بعد اليوم على شيء .

وقال سيف عن عبد الله عن المستورد عن أبيه عن عدى بن سهل . قال : كتب عمر إلى الأمصار : إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع . ثم رواه سيف عن مبشر عن سالم قال : لما قدم خالد على عمر فدكر مثله . قال الواقدي : وفي هذه السنة اعتمر عمر في رجب منها ، وعمر في المسجد الحرام وأمر بتجديد أنصاب الحرم ، أمر بذلك لحرمة بن نوفل ، وأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وسعيد بن يربوع . قال الواقدي : وحدثني كثير بن عبد الله المرى عن أبيه عن جده قال : قدم عمر مكة في عمرة سنة سبع عشرة ، فر في الطريق فكلمه أهل المياه أن يبنيوا منازل بين مكة والمدينة - ولم يكن قبل ذلك بناء - فأذن لهم وشرط عليهم أن ابن السبيل أحق بالظل والماء .

قال الواقدي : وفيها تزوج عمر بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ودخل بها في ذى القعدة . وقد ذكرنا في سيرة عمر ومسنده صفة تزويجه بها وأنه أمرها أربعين ألفاً ، وقال إنما تزوجتها لقول رسول الله ﷺ « كل سبب ونسب فانه ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » قال : وفي هذه السنة ولي عمر أبا موسى الأشعري البصرة ، وأمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبه في ربيع الأول ، فشهد عليه فيما حدثني معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب : أبو بكر ، وشبل بن معبد البجلي ، ونافع بن عبيد ، وزياد . ثم ذكر الواقدي وسيف هذه القصة وملخصها : أن امرأة كان يقال لها أم جميل بنت الاقتم ، من نساء بني عامر بن صعصعة ، ويقال من نساء بني هلال . وكان زوجها من ثقيف قد توفي عنها ، وكانت تعشى نساء الأُمراء والأشراف ، وكانت تدخل على بيت المغيرة بن شعبه وهو أمير البصرة ، وكانت دار المغيرة تجاه دار أبي بكر ، وكان بينهما الطريق ، وفي دار أبي بكر كوة تشرف على كوة في دار المغيرة ، وكان لا يزال بين المغيرة وبين أبي بكر شأن . فبينما أبو بكر في داره وعنده جماعة يتحدثون في العلية ، إذ فتحت الريح باب الكوة ، فقام أبو بكر ليغلقها ، فإذا كوة المغيرة مفتوحة ، وإذا هو على صدر امرأة وبين رجلها ، وهو يجامعها ، فقال أبو بكر لأصحابه : تعالوا فانظروا إلى أميركم يزني بأم جميل . فقاموا فنظروا إليه وهو يجامع تلك المرأة ، فقالوا لأبي بكر : ومن أين قلت إنها أم جميل ؟ - وكان رأسها من الجانب الآخر . - فقال : انتظروا ، فلما فرغتم المرأة فقال أبو بكر : هذه أم جميل . ففرقوها فيما يظنون . فلما خرج المغيرة - وقد اغتسل - ليصلي بالناس منعه أبو بكر أن يتقدم . وكتبوا إلى عمر في ذلك ، فولى عمر أبا موسى الأشعري أميراً على البصرة . وعزل المغيرة ، فسار إلى البصرة فنزل

البرد . فقال المغيرة : والله ما جاء أبو موسى تاجراً ولا زائراً ولا جاء إلا أميراً . ثم قدم أبو موسى على الناس وتناول المغيرة كتاباً من عمر هو أوجز كتاب فيه «أما بعد فإنه بلغني نبأ عظيم فبعثت أبا موسى أميراً فسلم مافي يديك والعجل» وكتب إلى أهل البصرة : إني قد وليت عليكم أبا موسى ليأخذ من من قويمكم لضعيفكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن دينكم وليجئ لكم فيأكم ثم يقسمه بينكم . وأهدى المغيرة لأبي موسى جارية من مولدات الطائف تسمى عقيلة وقال : إني رضيتهما لك ، وكانت فارهة . وارتحل المغيرة والذين شهدوا عليه وهم أبو بكر ، ونافع بن كلدة ، وزباد بن أمية ، وشبل بن معبد البجلي . فلما قدموا على عمر جمع بينهم وبين المغيرة . فقال المغيرة : سل هؤلاء الأعبد كيف رأوني ؟ مستقبلهم أو مستدبرهم ؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها ، فإن كانوا مستقبلي فكيف لم يستروا ؟ أو مستدبري فكيف استحلوا النظر في منزلي على امرأتي ؟ والله ما أتيت إلا امرأتى وكانت تشبهها . فبدأ عمر بأبي بكر فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه كالليل في المكحلة ، قال : كيف رأيتهما ؟ قال : مستدبرها . قال : فكيف استبنت رأسها قال : تحاملت . ثم دعا شبل ابن معبد فشهد بمثل ذلك ، فقال استقبلتهما أم استدبرتهما ؟ قال : استقبلتهما . وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكر ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم . قال : رأيته جالساً بين رجلي امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين يخفقان وأستين مكشوفتين ، وسمعت حفزاناً شديداً . قال : هل رأيت كالليل في المكحلة ؟ قال : لا . قال : فهل تعرف المرأة ؟ قال : لا ولكن أشبهها . قال : ففتح . وروى أن عمر رضي الله عنه كبر عند ذلك ثم أمر بالثلاثة فخلدوا . الخد وهو يقرأ قوله تعالى (فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) فقال المغيرة : اشفني من الأعبد . قال : أسكت أسكت الله فاك ، والله لو تمت الشهادة لرجمناك بأحجارك

﴿ فتح الأهواز ومناذر ونهر تيرى ﴾

قال ابن جرير : كان في هذه السنة ، وقيل : في سنة ست عشرة . ثم روى من طريق سيف عن شيوخه أن الهرمزان كان قد تغلب على هذه الأقاليم وكان ممن فر يوم القادسية من الفرس ، فجهز أبو موسى من البصرة ، وعتبة بن غزوان من الكوفة جيشين لقتاله ، فنصرهم الله عليه ، وأخذوا منه ما بين دجلة إلى دجيل ، وغنموا من جيشه ما أرادوا ، وقتلوا من أرادوا ، ثم صانعهم وطلب مصالحتهم عن بقية بلاده ، فشاورا في ذلك عتبة بن غزوان فصالحه ، وبعث بالأخماس والبشارة إلى عمر ، وبعث وفداً فيهم الأخنف بن قيس . فأعجب عمر به وحظي عنده . وكتب إلى عتبة يوصيه به ويأمره بمشاورته والاستعانة برأيه . ثم نقض الهرمزان العهد والصالح ، واستعان بطائفة من الأكراد ، وغرته نفسه ، وحسن له الشيطان عمله في ذلك . فبرز إليه المسلمون فنصروا عليه وقتلوا من جيشه جمًّا

غفيراً ، وخلقاً كثيراً ، وجمعاً عظيماً ، واستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى تستر ، فتحصن بها ، وبعثوا إلى عمر بذلك . وقد قال الأسود بن سريع في ذلك - وكان صحابياً رضي الله عنه - .
لعمر ك ما أضاع بنو أينا * ولكن حافظوا فيمن يطيعوا .
أطاعوا ربهم وعصاه قوم * أضاعوا أمره فيمن يضيع
بجوس لا ينههها كتاب * فلاقوا كبة فيها قبوع
وولى الهرمزان على جواد * سريع الشد يثفنه الجميع
وخلى سرة الأهواز كرها * غداة الجسر إذ نجم الربيع
وقال حرقوص بن زهير السعدي وكان صحابياً أيضاً :

غلبنا الهرمزان على بلاد * لها في كل ناحية ذخائر
سواء برهم والبحر فيها * إذا صارت نواحيها بواكر
لها بحر يبعج بجانبه * جعافر لا يزال لها زواجر
﴿ فتح تستر المرة الأولى صلحاً ﴾

قال ابن جرير : كان ذلك في هذه السنة في قول سيف وروايته . وقال غيره : في سنة ست عشرة وقال غيره : كانت في سنة تسع عشرة . ثم قال ابن جرير : ذكر الخبر عن فتحها ، ثم ساق من طريق سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو قالوا : ولما افتتح حرقوص بن زهير سوق الأهواز ، وفر الهرمزان بين يديه ، فبعث في إثره جزء بن معاوية - وذلك عن كتاب عمر بذلك - فما زال جزء يتبعه حتى انتهى إلى رامهرمز فنحصن الهرمزان في بلادها ، وأعجز جزءاً تطلبه ، واستحوذ جزء على تلك البلاد والأقاليم والأراضي ، فغضب الجزية على أهلها ، وعمر عامرها ، وشق الأنهار إلى خرابها ومواتها : فصارت في غاية العمارة والجودة . ولما رأى الهرمزان ضيق بلاده عليه لمجاورة المسلمين ، طلب من جزء بن معاوية المصالحة ، فكتب إلى حرقوص ، فكتب حرقوص إلى عتبة بن غزوان ، وكتب عتبة إلى عمر في ذلك . فجاء الكتاب العمري بالمصالحة على رامهرمز ، وتستر ، وجندسابور ، ومدائن أخرى مع ذلك . فوقع الصالح على ذلك كما أمر به عمر رضي الله عنه .

﴿ ذكر غزو بلاد فارس من ناحية البحرين ﴾

(فيما حكاه ابن جرير عن سيف في هذه السنة)

وذلك أن العلاء بن الحضرمي كان على البحرين في أيام الصديق ، فلما كان عمر عزله عنها وولاهها لقدمية بن مظعون . ثم أعاد العلاء بن الحضرمي إليها . وكان العلاء بن الحضرمي يبارى سعد بن أبي وقاص . فلما افتتح سعد القادسية ، وأزاح كسرى عن داره ، وأخذ حدود مايلي السواد ، واستعلى

وجاء بأعظم مما جاء به العلاء بن الحضرمي من ناحية البحر من فارس فأحب العلاء أن يفعل فعلا في فارس نظير ما فعله سعد فيهم ، فندب الناس إلى حربهم ، فاستجاب له أهل بلاده ، فجزأهم أجزاء ، فعلى فرقة الجارود بن المعلى ، وعلى الأخرى السوار بن همام ، وعلى الأخرى خليل بن المنذر بن ساوى ، وخليد هو أمير الجماعة . فحملهم في البحر إلى فارس ، وذلك بغير إذن عمر له في ذلك . وكان عمر يكره ذلك لأن رسول الله ﷺ وأبا بكر ما أغزيا فيه المسلمين . فعبرت تلك الجنود من البحر إلى فارس ، فخرجوا من عند اصطخر فحالت فارس بينهم وبين سفنهم ، فقام في الناس خليل بن المنذر فقال : أيها الناس ، إنما أراد هؤلاء القوم بصنيعهم هذا محاربتكم ، وأنتم جئتم لمحاربتهم ، فاستعينوا بالله وقتلواهم ، فاتما الأرض والسفن لمن غلب ، واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين فأجابوه إلى ذلك فضلوا الظهر ثم ناهدوهم فاقتتلوا قتالا شديداً في مكان من الأرض يدعى طاوس ، ثم أمر خليل المسلمون فترجلوا وقتلوا فصبروا ، ثم ظفروا وقتلوا فارس مقتلة لم يقتلوا قبلها مثلها . ثم خرجوا يريدون البصرة ففرقت بهم سفنهم ، ولم يجدوا إلى الرجوع في البحر سبيلاً ووجدوا شرك في أهل اصطخر قد أخذوا على المسلمين بالطرق ، فمكروا وامتنعوا من العدو . ولما بلغ عمر ما صنع العلاء بن الحضرمي ، اشتد غضبه عليه ، وبعث إليه فعزله وتوعده ، وأمره بأثقل الأشياء عليه ، وأبغض الوجوه إليه . فقال : الحق بسعد بن أبي وقاص [فخرج العلاء إلى سعد بن أبي وقاص (٢)] مضافاً إليه ، وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان : إن العلاء بن الحضرمي خرج بجيش فأقطعهم أهل فارس وعصائي ، وأظنه لم يرد الله بذلك ، فخشيت عليهم إن لا ينصروا ، أن يغلبوا وينشبوا ، فاندب إليهم الناس وضمهم إليك من قبل أن يجتاحوا . فندب عتبة المسلمين وأخبرهم بكتاب عمر إليه في ذلك ، فاتدب جماعة من الأمراء الأبطال ، منهم هاشم بن أبي وقاص ، وعاصم بن عمرو ، وعرفجة بن هرثة ، وحذيفة بن محسن ، والأخنف بن قيس ، وغيرهم ، في اثني عشر ألفاً . وعلى الجميع أبو سبرة بن أبي رهم . فخرجوا على البغال يجنبون الخيل سراعاً ، فساروا على الساحل لا يلتقون أحداً حتى انتهوا إلى موضع الوقعة التي كانت بين المسلمين من أصحاب العلاء ، وبين أهل فارس بالمكان المسمى بطاوس ، وإذا خليل بن المنذر ومن معه من المسلمين محصورون قد أحاط بهم العدو من كل جانب ، وقد تداعت عليهم تلك الأمم من كل وجه ، وقد تكاملت أمداد المشركين ، ولم يبق إلا القتال . فقدم المسلمون إليهم في أحوج ما هم فيه إليهم ، فالتقوا مع المشركين رأساً ، فسكر أبو سبرة المشركين كسرة عظيمة ، وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة باهرة ، واستنقذ خليداً ومن معه من المسلمين من أيديهم ، وأعز به الإسلام وأهله ، ودفع

الشرك وذلّه والله الحمد والمنة ثم عادوا إلى عتبة بن غزوان إلى البصرة . ولما استكمل عتبة فتح تلك الناحية ، استأذن عمر في الحج فأذن له فسار إلى الحج واستخلف على البصرة أبا سبرة بن أبي رهم ، واجتمع بعمر في الموسم ، وسأله أن يقبله فلم يفعل ، وأقسم عليه ليرجعن إلى عمله . فدعا عتبة الله عز وجل فمات ببطن نخلة ، وهو منصرف من الحج ، فتأثر عليه عمر وأثنى عليه خيراً ، وولى بعده بالبصرة المغيرة بن شعبة ، فوليها بقية تلك السنة والتي تليها ، لم يقع في زمانه حدث ، وكان مرزوق السلامة في عمله . ثم وقع الكلام في تلك المرأة من أبي بكر فكان من أمره ما قدمنا . ثم بعث إليها أبا موسى الأشعري واليا عليها رضي الله عنهم .

ذكر فتح تستر ثانية عنوة والسوس ورامهرمز وأسر الهرمزان

وبعثه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن جرير : كان ذلك في هذه السنة في رواية سيف بن عمر التميمي . وكان سبب ذلك أن يزجرد كان يحرص أهل فارس في كل وقت ويؤنبهم بملك العرب بلادهم وقصدت إياهم في حصونهم فكتب إلى أهل الأهواز وأهل فارس فتحركوا وتعاهدوا وتعاقدوا على حرب المسلمين ، وأن يقصدوا البصرة . وبلغ الخبر إلى عمر ، فكتب إلى سعد - وهو بالكوفة - أن ابعث جيشاً كثيفاً إلى الأهواز مع النعمان بن مقرن ومجمل وليكونوا بازاء الهرمزان ، وسمى رجلاً من الشجعان الأعيان الأمراء يكونون في هذا الجيش ، منهم جرير بن عبد الله البجلي ، وجرير بن عبد الله الحميري ، والنعمان بن مقرن ، وسويد بن مقرن : وعبد الله بن ذى السهمين . وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة أن ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً وأمر عليهم سهيل بن عدي ، وليكن معه البراء بن مالك ، وعاصم بن عمرو ، ومجزأة بن ثور ، وكعب بن ثور ، وعرفجة بن هرثة ، وحذيفة بن محسن ، وعبد الرحمن بن سهل ، والحصين بن معبد . وليكن على أهل الكوفة وأهل البصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم ، وعلى كل من أتاه من المدد . قالوا : فسار النعمان بن مقرن بجيش الكوفة فسبق البصريين فأنهس إلى رامهرمز وبها الهرمزان ، فخرج إليه الهرمزان في جنده ونقض العهد بينه وبين المسلمين ، فبادره طمعاً أن يقطع قبل مجيئ أصحابه من أهل البصرة رجاء أن ينصر أهل فارس ، فالتقى معه النعمان بن مقرن بأربل ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، فهزم الهرمزان وفر إلى تستر ، وترك رامهرمز فقتلها النعمان عنوة وأخذ ما فيها من الخواصل والذخائر والسلاح والعدد . فلما وصل الخبر إلى أهل البصرة بما صنع الكوفيون بالهرمزان وأنه فر فلجأ إلى تستر ، ساروا إليها ولحقهم أهل الكوفة حتى أحاطوا بها فحاصروها جميعاً ، وعلى الجميع أبو سبرة [فوجدوا الهرمزان قد حشد بها خلقاً كثيراً ، وجمّاً غفيراً . وكتبوا إلى عمر في ذلك وسألوه أن يمدد ، فكتب إلى أبي موسى أن يسير إليهم . فسار إليهم - وكان أمير أهل

البصرة واستمر أبو سبرة [١] على الامرة على جميع أهل الكوفة والبصرة ، فخاصهم أشهراً وأكثر القتل من الفريقيين ، وقتل البراء بن مالك أخو أنس بن مالك يومئذ مائة مبارز سوى من قتل غير ذلك ، وكذلك فعل كعب بن ثور ، ومجزأة بن ثور ، وأبو يمامة [٢] وغيرهم من أهل البصرة ، وكذلك أهل الكوفة قتل منهم جماعة مائة مبارزة كحبيب بن قرة ، وزبي بن عامر ، وعامر بن عبد الأسود وقد تراخفوا أياماً متعددة ، حتى إذا كان في آخر زحف قال المسلمون للبراء بن مالك - وكان محاب الدعوة - : يا براء اقم على ربك ليهزم منهم لنا . فقال : اللهم اهزمهم لنا ، واستشهدني قال : فهزمهم المسلمون حتى أدخلهم خنادقهم واقتحموها عليهم ، ولجأ المشركون إلى البلد فتحصنوا به ، وقد ضاقت بهم البلد ، وطلب رجل من أهل البلد الأمان من أبي موسى فأمنه ، فبعث يدل المسلمين على مكان يدخلون منه إلى البلد ، وهو من مدخل الماء إليها ، فندب الأمراء الناس إلى ذلك فاتدب رجال من الشجعان والأبطال ، وجاءوا فدخلوا مع الماء - كالبط - إلى البلد ، وذلك في الليل ، فيقال كان أول من دخلها عبد الله بن مغفل المزني ، وجاءوا إلى البوابين فأناموهم وفتحوا الأبواب ، وكبر المسلمون فدخلوا البلد ، وذلك في وقت الفجر إلى أن تعالي النهار ، ولم يصلوا الصبح يومئذ إلا بعد طلوع الشمس [كما حكاه البخاري عن أنس بن مالك قال : شهدت فتح تستر ، وذلك عند صلاة الفجر ، فاشتغل الناس بالفتح فما صلوا الصبح إلا بعد طلوع الشمس] [٣] فما أحب أن لي بتلك الصلاة حمر النعم . احتج بذلك البخاري لمكحول والأوزاعي في ذهابهما إلى جواز تأخير الصلاة لعذر القتال . وجنح إليه البخاري واستدل بقصة الخندق في قوله عليه السلام « شغلونا عن الصلاة الوسطى مسلأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً » وبقوله يوم بني قريظة « لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة » فأخرها فريق من الناس إلى بعد غروب الشمس ، ولم يعنفهم ، وقد تكلمنا على ذلك في غزوة الفتح

والمقصود أن الهرمزان لما فتحت البلد لجأ إلى القلعة فتبعه جماعة من الأبطال ممن ذكرنا وغيرهم فلما حصروه في مكان من القلعة ولم يبق إلا تلافه أو تلافهم ، قال لهم بعد ما قتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور رحمهما الله : إن مبي جعبة فيها مائة سهم ، وإنه لا يتقدم إلى أحد منكم إلا رميته بسهم قتله ، ولا يسقط لي سهم إلا في رجل منكم ، فإذا يتفعم إن أسرتوني بعد ما قتلت منكم مائة رجل ؟ قالوا : فإذا تريد ؟ قال : تؤمنوني حتى أسلمكم يدي فتهبوا بي إلى عمر بن الخطاب فيحكم في بما يشاء . فأجابوه إلى ذلك فألقى قوسه ونشابه وأسرود فشدوه وثاقاً وأرصدوه لبيعتوه إلى أمير (١) لم ترد في المصرية . (٢) كذا في الحلبية . وفي المصرية : وأبو عتبة . وفي الطبري أبو تيمية (٣) لم ترد في الحلبية .

المؤمنين عمر ، ثم تسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل فاقسموا أربعة أخماسه فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل ألف درهم .

﴿ فتح السوس ﴾

ثم ركب أبو سبرة في طائفة من الجيش ومعه أبو موسى الأشعري والنعمان بن مقرن ، وامتصحبوا معهم الهرمزان ، وساروا في طلب المنهزمين من الفرس حتى نزلوا على السوس ، فأحاطوا بها . وكتب أبو سبرة إلى عمر فجاء الكتاب بأن يرجع أبو موسى إلى البصرة ، وأمر عمر زربن عبد الله بن كليب الغنيمي - وهو صحابي - أن يسير إلى جند سابور ، فسار . ثم بعث أبو سبرة بالخمسة والهرمزان مع وفد فيهم أنس بن مالك والأحنف بن قيس ، فلما اقتربوا من المدينة هيؤا الهرمزان بلبسه الذي كان يلبسه من الديباج والذهب المكمل بالياقوت واللاكي . ثم دخلوا المدينة وهو كذلك فتميموا به منزل أمير المؤمنين ، فسألوا عنه فقالوا : انه ذهب إلى المسجد بسبب وفد من الكوفة . فجاءوا المسجد فلم يروا أحداً فرجعوا ، فاذا غلمان يلعبون فسألوهم عنه فقالوا : إنه نأتم في المسجد متوسداً برنساء له . فرجعوا إلى المسجد فاذا هو متوسد برنساء له كان قد لبسه للوفد ، فلما انصرفوا عنه توسد البرنس ونام وليس في المسجد غيره ، والدررة معلقة في يده . فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا . وجعل الناس يخفضون أصواتهم لئلا ينفهوه ، وجعل الهرمزان يقول : وأين حجابي ؟ أين حرسه ؟ فقالوا : ليس له حجاب ولا حرس ، ولا كاتب ولا ديوان . فقال : ينبغي أن يكون نبياً . فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء . وكثر الناس فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالساً ، ثم نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم . فتأمل ما عليه ثم قال : أعوذ بالله من النار وأستعين بالله . ثم قال : الحمد لله الذي أذل بالاسلام هذا وأشياعه ، يامعشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين ، واهتدوا بهدى نبيكم ، ولا تبطنر نكم الدنيا فانها غدارة . فقال له الوفد : هذا ملك الأهواز فكلمه . فقال : لا حتى لا يبقى عليه من حليته شيء . ففعلوا ذلك وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال عمر : يا هرمرزان كيف رأيت وبال الغدر وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمر : أنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم ، اذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلما كان معكم غلبتمونا . فقال عمر : إنما غلبتمونا في الجاهلية باجتماعكم وتفرقتنا . ثم قال : ما عندك وما حجتك في انفاضك مرة بعد مرة ؟ فقال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك . قال : لا تخف ذلك . فاستسقى الهرمزان ماء فألقى به في قدح [غليظ ، فقال : لومت عطشاً لم أستطع أن أشرب في هذا . فألقى به في قدح] [١] آخر يرضاه فلما أخذه جعلت يده ترعد ، وقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب . فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشرب به فأكفاه . فقال عمر :

(١) لم ترد في الحلبية .

أعيدوه عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش . فقال : لا حاجة لي في الماء ، إنما أردت أن أستأنس به . فقال له عمر : إني قاتلك ، فقال انك أمتني . قال : كذبت ، فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ويحك يا أنس أنا أؤمن من قتل مجزأة والبراء ؟ لتأتيني بمخرج والا عاقبتك ، قال : قلت لا بأس عليك حتى تخبرني . وقلت لا بأس عليك حتى تشر به ، وقال له من حوله مثل ذلك . فأقبل على الهرمزان فقال : خدعتني والله لا أتخدع إلا أن تسلم . فأسلم ففرض له في ألفين وأنزله المدينة . وفي رواية أن الترجمان بين عمر وبين الهرمزان كان المغيرة بن شعبه ، فقال له عمر : قل له من أي أرض أنت ؟ قال مخرجاني . قال : تكلم بحدك . فقال : أ كلام حي أم ميت ؟ قال : بل كلام حي . فقال قد أمتني ، فقال خدعتني ولا أقبل ذلك إلا أن تسلم . فأسلم ففرض له في ألفين وأنزله المدينة . ثم جاء زيد فترجم بينهما أيضاً .

قلت : وقد حسن إسلام الهرمزان وكان لا يفارق عمر حتى قتل عمر فاتهم بعض الناس بمالأة أبي لؤلؤة هو وجفينة ، فقتل عبيد الله بن عمر الهرمزان وجفينة على ما سيأتي تفصيله . وقد روينا أن الهرمزان لما علاه عبيد الله بالسيف قال : لا إله إلا الله . وأما جفينة فصلب على وجهه .

والمقصود أن عمر كان يحجر على المسلمين أن يتوسعوا في بلاد العجم خوفاً عليهم من العجم ، حتى أشار عليه الأحنف بن قيس بأن المصلحة تقتضي توسعهم في الفتوحات فان الملك يزيد لا يزال يستحهم على قتال المسلمين ، وإن لم يستأصل شأو العجم وإلا طمعوا في الاسلام وأهله ، فاستحسن عمر ذلك منه وصوبه . وأذن للمسلمين في التوسع في بلاد العجم ، ففتحوا بسبب ذلك شيئاً كثيراً ، والله الحمد . وأكثر ذلك وقع في سنة ثمانى عشرة كما سيأتي بيانه فيها .

ثم نعود إلى فتح السوس وجند سابور وفتح نهاوند في قول سيف . كان قد تقدم أن أبا سبرة سار من معه من علية الأمراء من تستر إلى السوس ، فنازلها حيناً وقتل من الفريقين خلق كثير ، فأشرف عليه علماء أهلها فقالوا : يا معشر المسلمين لا تتبعوا في حصار هذا البلد فانا نأثر فيما نرويه عن قدمائنا من أهل هذا البلد أنه لا يفتحه إلا الدجال أو قوم معهم الدجال ، واتفق أنه كان في جيش أبي موسى الأشعري صاف بن صياد ، فأرسله أبو موسى فيمن يحاصره ، فجاء إلى الباب فدقه برجله فنقطعت السلاسل ، وتكسرت الأغلاق ، ودخل المسلمون البلد فقتلوا من وجدوا حتى نادوا بالأمان ودعوا إلى الصلح فأجابهم إلى ذلك ، وكان على السوس شهر يار أخو الهرمزان ، فاستحوذ المسلمون على السوس ، وهو بلد قديم العارة في الأرض يقال إنه أول بلد وضع على وجه الأرض والله أعلم . وذكر ابن جرير أنهم وجدوا قبر دانيال بالسوس ، وأن أبا موسى لما قدم بها بعد مضي أبي سبرة

إلى جندی سابور ، كتب إلى عمر في أمره فكاتب إليه أن يدفنه وأن يغيب عن الناس موضع قبره ، ففعل . وقد بسطنا ذلك في سيرة عمر والله الحمد .

قال ابن جرير : وقال بعضهم ان فتح السوس ورامهز وتسيير الهرمزان من تستر إلى عمر في سنة عشرين والله أعلم وكان الكتاب العمري قد ورد بأن النعمان بن مقرن يذهب إلى أهل نهاوند فسار إليها فرماه - بلدة كبيرة قبلها - فافتتحها ثم ذهب إلى نهاوند ففتحها والله الحمد .

قلت : المشهور أن فتح نهاوند إنما وقع في سنة إحدى وعشرين كما سيأتي فيها بيان ذلك ، وهي وقعة عظيمة وفتح كبير ، وخبر غريب ونبأ عجيب ، وفتح زر بن عبد الله الفقيمي مدينة جندی سابور (١) فاستوثقت تلك البلاد للمسلمين . هذا وقد تحول يزيدجرد من بلد إلى بلد ، حتى انتهى أمره إلى الإقامة بأصبهان ، وقد كان صرف طائفة من أشرف أصحابه قريبا من ثلثائة من العطاء عليهم رجل يقال له سياه ، فكانوا يفرون من المسلمين من بلد إلى بلد حتى فتح المسلمون تستر واصطخر ، فقال سياه لأصحابه : إن هؤلاء بعد الشقاء والذلة ملكوا أما كن الملوك الأقدمين ، ولا يلقون جنداً إلا كسروه ، والله ما هذا عن باطل . - ودخل في قلبه الاسلام وعظمته - فقالوا له : نحن تبع لك . وبعث عمار ابن ياسر في غضون ذلك يدعوهم إلى الله ، فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري باسلامهم [وكتب فيهم إلى عمر في ذلك ، فأمره أن يفرض لهم في ألفين ألفين ، وفرض لستة منهم في ألفين وخمسمائة ، وحسن إسلامهم] (٢) وكان لهم نكايه عظيمة في قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصناً فامتنع عليهم فجاء أحدهم فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن وضمخ ثيابه بدم ، فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم ، ففتحوا إليه باب الحصن ليأووه فثار إلى البواب فقتله ، وجاء بقية أصحابه ففتحوا ذلك الحصن ، وقتلوا من فيه من الجوس . إلى غير ذلك من الأمور العجيبة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وذكر ابن جرير أن عمر بن الخطاب عقد الألوية والرايات الكبيرة في بلاد خراسان والعراق لغزو فارس والتوسع في بلادهم كما أشار عليه بذلك الأحنف بن قيس ، فحصل بسبب ذلك فتوحات كثيرة في السنة المستقبلية بعدها كما سنينيه ونبيه عليه والله الحمد والمنة .

قال : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ثم ذكر نوابه على البلاد ، وهم من ذكر في السنة قبلها غير المغيرة فان على البصرة بدله أبو موسى الأشعري .

قلت : وقد توفي في هذه السنة أقوام قيل إنهم توفوا قبلها وقد ذكرناهم ، وقيل فيما بعدها وسيأتي ذكرهم في أما كتبهم والله تعالى أعلم .

(١) في النسختين « جند سابور بدون ياء . والتصحيح من الطبري (٢) لم ترد في الحلبية .

ثم دخلت سنة ثمانية عشر *

المشهور الذي عليه الجمهور أن طاعون عمواس كان بها ، وقد تبعنا قول سيف بن عمر وابن جرير في إيراده ذلك في السنة التي قبلها ، لكننا نذكر وفاة من مات في الطاعون في هذه السنة إن شاء الله تعالى ، قال ابن إسحاق ، وأبو معشر : كان في هذه السنة طاعون عمواس وعام الرمادة ، فتفانى فيهما الناس . قلت : كان في عام الرمادة جذب عم أرض الحجاز ، وجاع الناس جوعاً شديداً . وقد بسطنا القول في ذلك في سيرة عمر . وسميت عام الرمادة لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد . وقيل : لأنها تسفي الريح تراباً كالرماد . ويمكن أن تكون سميت لكل منهما والله أعلم . وقد أجذبت الناس في هذه السنة بأرض الحجاز ، وجفلت الأحياء إلى المدينة ولم يبق عند أحد منهم زاد فلجأوا إلى أمير المؤمنين فاتفق فيهم من حواصل بيت المال مما فيه من الأطعمة والأموال حتى أنفده ، وأزم نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس ، فكان في زمن الخصب يبيت له الخبز باللبن والسمن ، ثم كان عام الرمادة يبيت له بالزيت والخل ، وكان يستمرى الزيت . وكان لا يشبع مع ذلك ، فاسود لون عمر رضي الله عنه وتغير جسمه حتى كاد يخشى عليه من الضعف . واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر ، ثم تحول الحال إلى الخصب والدعة وانثمر الناس عن المدينة إلى أما كنهم .

قال الشافعي : بلغني أن رجلاً من العرب قال لعمر حين ترحلت الأحياء عن المدينة : لقد أنجحت عنك ولانك لابن حرة . أي واسيت الناس وأنصفتهم وأحسنيت إليهم . وقد روينا أن عمر عس المدينة ذات ليلة عام الرمادة فلم يجد أحداً يضحك ، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة ، ولم ير سائلاً يسأل ، فسأل عن سبب ذلك فقيل له : يا أمير المؤمنين إن السؤال سألوا فلم يعطوا فقطعوا السؤال ، والناس في هم وضيق فهم لا يتحدثون ولا يضحكون . فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة أن ياغوثاه لأمة محمد . وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر أن ياغوثاه لأمة محمد . فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الاطعمات ، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة . وهذا الأثر جيد الاسناد ، لكن ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة مشكلاً ، فان مصر لم تكن فتحت في سنة ثمانى عشرة ، فلما أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثمانى عشرة ، أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة وهم والله أعلم .

وذكر سيف عن شيوخه أن أبا عبيدة قدم المدينة ومعه أربعة آلاف راحلة تحمل طعاماً ، فأمره عمر بتفريقها في الأحياء حول المدينة ، فلما فرغ من ذلك أمر له بأربعة آلاف درهم فأبى أن يقبلها ، فلع عليه عمر حتى قبلها .

وقال سيف بن عمر عن سهل بن يوسف السلمي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة ، وأول سنة ثمانى عشرة ، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس ، حتى جعلت الوحش تأوى إلى الانس ، فكان الناس بذلك وعمر كالمحضور عن أهل الأمصار حتى أقبل بلال بن الحارث المزني فاستأذن على عمر فقال : أنا رسول رسول الله إليك ، يقول لك رسول الله ﷺ « لقد عهدتكم كيباً ، وما زلت على ذلك (١) ، فما شأنك » ؟ قال : متى رأيت هذا ؟ قال : البارحة . فخرج فنأدى في الناس الصلاة جامعة ، فصلى بهم ركعتين ثم قام فقال : أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون منى أمراً غيره خير منه ؟ فقالوا : اللهم لا ، فقال : إن بلال بن الحارث يزعم ذية وذية . قالوا : صدق بلال فاستغث بالله ثم بالمسلمين . فبعث إليهم . وكان عمر عن ذلك محصوراً . فقال عمر : الله أكبر ، بلغ البلاء مدته فانكشف . ما أذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم الأذى والبلاء . وكتب إلى أمراء الأمصار أن أغيشوا أهل المدينة ومن حولها ، فانه قد بلغ جهدهم . وأخرج الناس إلى الاستسقاء فخرج وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشياً ، فخطب وأوجز وصلى ثم جثى لركبته وقال : اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا . ثم انصرف فما بلغوا المنازل راجعين حتى خاضوا الغدران .

ثم روى سيف عن مبشر بن الفضيل عن جبير بن صخر عن عاصم بن عمر بن الخطاب أن رجلاً من مزينة عام الرمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال : ليس فيهن شىء . فألحوا عليه فذبح شاة فاذا عظامها حمر فقال يا محمداه . فلما أمسى أرى في المنام أن رسول الله ﷺ يقول له : « أبشر بالحياة » ، إيت عمر فأقره منى السلام وقل له إن عهدى بك وفي العهد شديد العمد ، فالكيس الكيس يا عمر ، فجاء حتى أتى باب عمر فقال لعلامة استأذن لرسول رسول الله ﷺ . فأتى عمر فأخبره ففرغ ثم صعد عمر المنبر فقال للناس أنشدكم الله الذي هداكم للإسلام هل رأيتم منى شيئاً تكرهونه ؟ فقالوا : اللهم لا ، وعم ذلك ؟ فأخبرهم بقول المزني . وهو بلال بن الحارث . ففطنوا ولم يفتن . فقالوا : إنما استبطأك في الاستسقاء فاستسقى بنا . فنأدى في الناس بخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال : اللهم عجزت عنا أنصارنا ، وعجزت عنا حولنا وقوتنا ، وعجزت عنا أنفسنا ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم اسقنا وأحى العباد والبلاد .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا : حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ (١) في الطبري : فما زالت على رجل .

فقال : يا رسول الله استسقى الله لأمتك فانهم قد هلكوا . فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال : إيت عمر فأقره مني السلام واخبرهم أنهم مسقون ، وقل له عليك بالكيس الكيس . فأتى الرجل فأخبر عمر فقال : يارب ما آلوا إلا ما عجرت عنه . وهذا إسناد صحيح .

وقال الطبراني : حدثنا أبو مسلم الكشي حدثنا أبو محمد الأنصاري ثنا أبي عن ثمامة بن عبد الله ابن أنس ، عن أنس أن عمر خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى يقول : اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ . وقد رواه البخاري عن الحسن بن محمد بن محمد بن عبد الله به ولفظه «عن أنس أن عمر كان إذا قحطوا يستسقى بالعباس ابن عبد المطلب فيقول : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاستقنا . قال : فيسقون . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا - في كتاب المطر وفي كتاب مجابى الدعوة - حدثنا أبو بكر النيسابوري ثنا عطاء بن مسلم عن العمري عن خوات بن جبير قال : خرج عمر يستسقى بهم فصلى ركعتين فقال : اللهم إنا نستغفرك ونستغفرك فما برح من مكانه حتى مطروا فقدم أعراب فقالوا : يا أمير المؤمنين بينا نحن في وادينا في ساعة كذا إذ أظلمنا غمامة فسمعنا منها صوتاً : أتاك الغوث أبا حفص ، أتاك الغوث أبا حفص . وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا سفيان عن مطرف بن طريف عن الشعبي قال : خرج عمر يستسقى بالناس فما زاد على الاستغفار حتى رجع فقالوا يا أمير المؤمنين ما تارك استسقيت . فقال : لقد طلبت المطر بمحاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرأ (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) ثم قرأ (وأن استغفروا ربكم وتوبوا إليه) الآية .

وذكر ابن جرير في هذه السنة من طريق سيف بن عمر عن أبي المجالد والربيع وأبي عثمان وأبي حارثة وعن عبد الله بن شبرمة عن الشعبي قالوا : كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب أن نفرأ من المسلمين أصابوا الشراب ، منهم ضرار وأبو جندل بن سهل ، فسالناهم فقالوا : خيرنا فاخترنا . قال فهل أنتم منتهون؟ ولم يعزم . فجمع عمر الناس فأجمعوا على خلافهم ، وأن المعنى : فهل أنتم منتهون أى انتهوا . وأجمعوا على جلد ثمانين ثمانين . وأن من تأول هذا التأويل وأصر عليه يقتل . فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعهم فسلمهم عن الخمر فإن قالوا هي حلال فاقتلهم ، وإن قالوا هي حرام فاجلدوهم . فاعترف القوم بتحريرها ، فجلدوا الحد وندموا على ما كان منهم من اللجاجة فيما تأولوه ، حتى وسوس أبو جندل في نفسه ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر في ذلك ، وسأله أن يكتب إلى أبي جندل ويذكره ، فكتب إليه عمر بن الخطاب في ذلك ، من عمر إلى أبي جندل ، إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فتب وارفع رأسك وابرز ولا تقنط فان الله تعالى يقول

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وكتب عمر إلى الناس : إن عليكم أنفسكم ومن غير فغيروا عليه ، ولا تعيروا أحداً فيفسو فيكم البلاء ، وقد قال أبو الزهراء القشيري في ذلك .

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى * وليس على صرف المنون بقادر
صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتي * ولست عن الصهباء يوما بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها * نخلانها يبكون حول المقاصر

قال الواقدي وغيره : وفي هذه السنة في ذى الحجة منها حول عمر المقام - وكان ملصقا بجدار الكعبة - فأخره إلى حيث هو الآن لثلاثين شوش المصلون عنده على الطائفين . قلت : قد ذكرت أسانيد ذلك في سيرة عمر والله الحمد والمنة * قال : وفيها استفضى عمر شريحا على الكوفة ، وكتب ابن سور على البصرة [قال وفيها حج عمر بالناس وكانت نوابه فيها الذين تقدم ذكرهم في السنة الماضية]^(١) وفيها فتحت الرقة والرها وحران على يد عياض بن غنم . قال : وفتحت رأس عين الوردية على يد عمر بن سعد بن أبي وقاص . وقال غيره خلاف ذلك . وقال شيخنا الحافظ الذهبي في تاريخه : وفيها - يعني هذه السنة - افتتح أبو موسى الأشعري الرها وشمشاط عنوة ، وفي أوائلها وجه أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة فوافق أبا موسى فافتتحا حران ونصيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل صلحا . وفيها سار عياض إلى الموصل فافتتحها وماحولها عنوة . وفيها بنى سعد جامع الكوفة . وقال الواقدي : وفيها كان طاعون عمواس ثمان فيه خمسة وعشرون ألفا . قلت : هذا الطاعون منسوب إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس - وهي بين القدس والزملة - لأنها كان أول ما نجم الداء بها ، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها ، فانا لله وإنا إليه راجعون . قال الواقدي توفي : في عام طاعون عمواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفا . وقال غيره : ثلاثون ألفا . وهذا ذكر طائفة من أعيانهم رضى الله عنهم * الحارث بن هشام *
أخو أبي جهل أسلم يوم الفتح ، وكان سيداً شريفاً في الاسلام كما كان في الجاهلية ، استشهد بالشام في هذه السنة في قول ، وتزوج عمر بعده بامرأته فاطمة .

* شرحبيل بن حسنة *

أحد أمراء الأرباع ، وهو أمير فلسطين ، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن قطن الكندي حليف بني زهرة ، وحسنة أمه ، نسب إليها وغلب عليه ذلك . أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة وجيزه الصديق إلى الشام ، فكان أميراً على ربع الجيش ، وكذلك في الدولة العميرية ، وطعن هو

(١) لم ترد في المصرية .

وأبو عبيدة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد سنة ثمان عشرة . له حديثان روى ابن ماجه أحدهما في الوضوء وغيره ﴿ عامر بن عبد الله بن الجراح ﴾

ابن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي أبو عبيدة بن الجراح الفهري ، أمين هذه الأمة ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد ، وهم عثمان بن مظعون ، وعبيدة بن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وأبو عبيدة بن الجراح . أسلموا على يدى الصديق . ولما هاجر وا أخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ ، وقيل بين محمد بن مسلمة . وقد شهد بدرًا وما بعدها ، وقال رسول الله ﷺ « إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ثبت ذلك في الصحيحين . وثبت في الصحيحين أيضاً أن الصديق قال يوم السقيفة : وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فيأبوه - يعنى عمر بن الخطاب وأبا عبيدة - وبعثه الصديق أميراً على ربيع الجيش إلى الشام ، ثم لما اتدب خالدًا من العراق كان أميراً على أبي عبيدة وغيره لعله بالحروب . فلما انتهت الخلافة إلى عمر عزل خالدًا وولى أبا عبيدة ابن الجراح ، وأمره أن يستشير خالدًا ، فجمع للأمة بين أمانة أبي عبيدة وشجاعة خالد . قال ابن عساکر : وهو أول من سمي أمير الأمراء بالشام . قالوا : وكان أبو عبيدة طوالاً نحيفاً أجنى معروق الوجه ، خفيف اللحية ، أتم ، وذلك لأنه لما انزع الخلقين من اجنتى رسول الله ﷺ يوم أحد خاف أن يؤلم رسول الله ﷺ فتحامل على ثنيديه فسقطنا ، فما رأى أحسنهما منه . توفي بالطاعون عام عمواس كما تقدم سياقه في سنة ست عشرة عن سيف بن عمر . والصحيح أن عمواس كانت في هذه السنة - سنة ثمان عشرة - بقرية نخل ، وقيل بالجابية . وقد اشتهر في هذه الأعصار قبر بالقرب من عقبة ينسب إليه والله أعلم . وعمره يوم مات ثمان وخمسون سنة .

﴿ الفضل بن عباس بن عبد المطلب ﴾

كان حسناً وسياً جميلاً ، أردفه رسول الله ﷺ وراءه يوم النحر من حجة الوداع ، وهو شاب حسن ، وقد شهد فتح الشام ، واستشهد بطاعون عمواس ، في قول محمد بن سعد والزبير بن بكار وأبي حاتم وابن الرقي وهو الصحيح . وقيل يوم مرج الصفر ، وقيل بأجنادين . ويقال باليرموك سنة ثمان وعشرين .

﴿ معاذ بن جبل ﴾

ابن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدي بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن المدني صحابي جليل كبير القدر . قال الواقدي : كان طوالاً حسن الشعر والنعر براق الثنايا ، لم يولد له . وقال غيره : بل ولد له ولد وهو عبد الرحمن . شهد معه اليرموك . وقد شهد معاذ العقبة . ولما هاجر الناس أخى رسول الله ﷺ

بينه وبين ابن مسعود . وحكى الواقدي الاجماع على ذلك . وقد قال محمد بن إسحق : أخى بينه وبين جعفر بن أبي طالب . وشهد بدرًا وما بعدها . وكان أحد الأربعة من الخزرج ، الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ ، وهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو زيد عمر بن أنس بن مالك . وصح في الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن الصنابحي . عن معاذ أن رسول الله ﷺ قال له « يا معاذ والله إنى لأحبك فلا تدعن أن تقول في دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » وفي المسند والنسائي وابن ماجه من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعاً « وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل » وقد بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال له « بم تحكم » ؟ فقال : بكتاب الله وبالحديث . وكذلك أقره الصديق على ذلك يعلم الناس الخير باليمن . ثم هاجر إلى الشام فكان بها حتى مات بعد ما استخلفه أبو عبيدة حين طعن ثم طعن بعده في هذه السنة . وقد قال عمر بن الخطاب : إن معاذاً يبعث أمام العلماء بربرة . ورواه محمد بن كعب مرسلًا . وقال ابن مسعود : كنا نشبهه بإبراهيم الخليل . وقال ابن مسعود : إن معاذاً كان قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين . وكانت وفاته شرقي غور ينسان سنة ثمان عشرة . وقيل سنة تسع عشرة [وقيل سبع عشرة ، عن ثمان وثلاثين سنة على المشهور] (١) وقيل غير ذلك والله أعلم .

﴿ يزيد بن أبي سفيان ﴾

أبو خالد صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، أخو معاوية ، وكان يزيد أكبر وأفضل . وكان يقال له يزيد الخير ، أسلم عام الفتح ، وحضر حنيناً وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الابل وأربعين أوقية ، واستعمله الصديق على ربيع الجيش إلى الشام ، وهو أول أمير وصل إليها ، ومشي الصديق في ركابه يوصيه ، وبعث معه أبا عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة فهؤلاء أمراء الأرباع . ولما افتتحوا دمشق دخل هو من باب الجابية الصغير عنوة كخالد في دخوله من الباب الشرقي عنوة وكان الصديق قد وعده بأمرتها ، فولبها عن أمر عمر وأنفذ له ما وعده الصديق ، وكان أول من وليها من المسلمين . المشهور أنه مات في طاعون عمواس كما تقدم . وزعم الوليد بن مسلم أنه توفي سنة تسع عشرة بعد ما فتح قيسارية . ولما مات كان قد استخلف أخاه معاوية على دمشق فأمضى عمر بن الخطاب له ذلك رضى الله عنهم . وليس له في الكتب شيء ، وقد روى عنه أبو عبد الله الأشعري أن رسول الله ﷺ قال « مثل الذي يصلى ولا يتم ركوعه ولا سجوده مثل الجائع الذي لا يأكل إلا التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئاً » .

(١) لم ترد في الحلبية .

﴿ أبو جندل بن سهيل ﴾

ابن عمرو ، وقيل اسمه العاص أسلم قديما وقد جاء يوم صلح الحديبية مسلما يرسف في قيوده لأنه كان قد استضعف فرده أبوه وأبي أن يصلح حتى يرد ، ثم لحق أبو جندل بأبي بصير إلى سيف البحر ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد فتح الشام . وقد تقدم أنه تأول آية الحجر ثم رجع ، ومات بطاعون عمواس رحمه الله ورضي عنه * أبو عبيدة بن الجراح هو عامر بن عبد الله تقدم * أبو مالك الأشعري ، قيل اسمه كعب بن عاصم قدم مهاجرا سنة خير مع أصحاب السفينة ، وشهد ما بعدها ، واستشهد بالطاعون عام عمواس هو وأبو عبيدة ومعاذ في يوم واحد رضي الله عنهم أجمعين .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة ﴾

قال الواقدي وغيره : كان فتح المدائن وجولاء فيها . والمشهور خلاف ما قال كما تقدم . وقال محمد بن إسحاق : كان فتح الجزيرة والرها وحران ورأس العين ونصيبين في هذه السنة . وقد خالفه غيره . وقال أبو معشر وخليفة وابن السكابي : كان فتح قيسارية في هذه السنة وأميرها معاوية . وقال غيره يزيد بن أبي سفيان . وقد تقدم أن معاوية افتتحها قبل هذا بستين . وقال محمد بن إسحاق كان فتح قيسارية من فلسطين وهرب هرقل وفتح مصر في سنة عشرين . وقال سيف بن عمر : كان فتح قيسارية وفتح مصر في سنة ست عشرة . قال ابن جرير : فأما فتح قيسارية فقد تقدم ، وأما فتح مصر فإني سأذكره في سنة عشرين إن شاء الله تعالى . قال الواقدي : وفي هذه السنة ظهرت نار من حرة ليلاً فأراد عمر أن يخرج بالرجال إليها ، ثم أمر المسلمين بالصدقة فطفت والله الحمد . ويقال كان فيها وقعة أرمينية ، وأميرها عثمان بن أبي العاص ، وقد أصيب فيها صفوان بن المعطل بن رخصة السلمي ثم الذكواني ، وكان أحد الامراء يومئذ . وقد قال فيه رسول الله ﷺ « ما علمت عليه إلا خيرا » وهو الذي ذكره المناقون في قصة الافك فبرأ الله ساحته ، وجناب أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ مما قالوا . وقد كان إلى حين قالوا لم يتزوج ، ولهذا قال والله ما كشفت كنف أنثى قط . ثم تزوج بعد ذلك ، وكان كثير النوم ربما غلب عليه عن صلاة الصبح في وقتها ، كما جاء في سنن أبي داود وغيره . وكان شاعرا ثم حصلت له شهادة في سبيل الله . قيل بهذا البلد ، وقيل بالجزيرة ، وقيل بشمشاط . وقد تقدم بعض هذا فيما سلف . وفيها فتحت تكريت في قول والصحيح قبل ذلك ، وفيها فيما ذكرنا أسرت الروم عبد الله بن حذافة . وفيها في ذي الحجة منها كانت وقعة بأرض العراق قتل فيها أمير الجوس شهرك ، وكان أمير المسلمين يومئذ الحكم بن أبي العاص رضي الله عنه . قال ابن جرير وفيها حج بالناس عمر ، ونوابه في البلاد وقضاته هم المذكورون قبلها والله أعلم *

﴿ ذكر من توفي فيها من الأعيان ﴾

ومن توفي فيها من الأعيان أبي بن كعب سيد القراء ، وهو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، أبو المنذر وأبو الطفيل ، الأنصاري النجاري سيد القراء شهد العقبة و بدر وما بعدها ، وكان سيداً جليلاً القدر . وهو أحد القراء الأربعة الخزرجيين الذين جمعوا القرآن في حياة رسول الله ﷺ وقد قال لعمر يوماً : إني تلقيت القرآن ممن تلقاه منه جبريل وهو رطب . وفي المسند والنسائي وابن ماجه من طريق أبي قلابة عن أنس مرفوعاً « أقرأ أمي أبي ابن كعب » وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال له « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن » . قال : وسأني لك ؟ « قال نعم » فزرت عيناه وقد تكلمنا على ذلك في التفسير عند سورة (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) قال الهيثم بن عدى : توفي أبي سنة تسع عشرة . وقال يحيى بن معين : سنة سبع عشرة أو عشرين . وقال الواقدي عن غير واحد : توفي سنة ثنتين وعشرين . وبه قال أبو عبيد وابن نمير وجماعة . وقال الفلاس وخليفة : توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه * وفيها مات خباب مولى عتبة بن غزوان من المهاجرين شهد بدر وما بعدها ، وهو صحابي من السابقين وصلى عليه عمر * ومات فيها صفوان بن المعطل في قول كما تقدم والله أعلم .

﴿ سنة عشرين من الهجرة ﴾

قال محمد بن إسحاق : فيها كان فتح مصر . وكذا قال الواقدي : إنها فتحت هي واسكندرية في هذه السنة . وقال أبو معشر : فتحت مصر سنة عشرين ، واسكندرية في سنة خمس وعشرين . وقال سيف : فتحت مصر واسكندرية في سنة ست عشرة في ربيع الأول منها . ورجح ذلك أبو الحسن ابن الأثير في الكامل لقصة بعث عمر والميرة من مصر عام الرمادة ، وهو معذور فيما رجحه والله أعلم . وفيها كان فتح تستر في قول طائفة من علماء السير بعد محاصرة سنتين وقيل سنة ونصف والله أعلم .

﴿ صفة فتح بلاد مصر مجموعاً من كلام ابن إسحاق وسيف وغيرها ﴾

قالوا : لما استكمل عمرو والمسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص إلى مصر وزعم سيف أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزبير بن العوام وفي صحبته بشر بن أرطاة ، وخارجة بن حذافة ، وعمير ابن وهب الجمحي . فاجتمعوا على باب مصر فلقبهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريم في أهل الثبات ، بعثه المقوقس صاحب اسكندرية لمنع بلادهم ، فلما تصافوا قال عمرو بن العاص لا تمجلوا حتى نعلم ، ليبرز إلى أبو مريم وأبو مريم راهبا هذه البلاد ، فبرزوا إليه ، فقال لهما عمرو بن العاص : أنتم راهبا هذه البلاد فاسمعا ، إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ﷺ ، وأدى

إلىنا كل الذي أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الاعتذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الاسلام ، فن أجابنا إليه فثقلنا ، ومن لم يجينا عرضنا عليه الجزية و بذلنا له المنعة ، وقد أعلننا أننا مفتوحونكم ، وأوصانا بكم حفظا لرحمتنا منكم ، وأن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة .
 ومما عهد إلينا أمرنا استوصوا بالقبطيين خيراً ، فان رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً ، لأن لهم رحماً وذمة . فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء معروفة شريفة ، كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك فيهم فأدبل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام مرحباً به وأهلاً . أمنا حتى نرجع إليك ، فقال عمرو : إن مثلي لا يندفع ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتنظروا وتناظرا قومكما وإلا نأجزتكم . قالوا : زدنا ، فزادهم يوماً ، فقالوا : زدنا . فزادهم يوماً . فرجعوا إلى المقوقس فأبى أن يرحبهم وأمر بمناديتهم ، فقالوا لأهل مصر : أما نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم . وقد بقيت أربعة أيام قاتلوا وأشار عليهم بأن يبيتوا المسلمين ، فقال الملاء منهم : ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى وقبضوا وغلبوهم على بلادهم . فألح الأربطون في أن يبيتوا المسلمين ففعلوا فلم يظفروا بشيء بل قتل منهم طائفة منهم الأربطون ، وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع . وارتقى الزبير عليهم سور البلد ، فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو وكتاب أمان : « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمرو ابن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبجرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم التوبة ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما حق لصونهم ، فان أبي أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم ، وذمتنا من أبي بريثة . وإن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صالحهم من الروم والتوبة ، فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبي واختار الذهب فهو آمن حتى يبلغ أمانه أو يخرج من سلطانتنا ، عليهم ما عليهم أثلاثاً ، في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمة المؤمنين ، وعلى التوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً ، وكذا وكذا فرساً على أن لا يفزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان وحضر » فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح واجتمعت الخيول بمصر و عمرو والفسطاط ، وظهر أبو مريم وأبو مريم فكما عمرآ في السبايا التي أصيبت بعد المعركة . فأبى عمرو أن يردها عليهم ، وأمر بطردها وأخرجها من بين يديه ، فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمرو بن

الخطاب أمر أن كل سبي أخذ في الخمسة أيام التي آمنهم فيها أن يرد عليهم ، وكل سبي أخذ ممن لم يقاتل وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سبايا . وقيل إنه أمره أن يخبروا من في أيديهم من السبي بين الاسلام وبين أن يرجع إلى أهله ، فمن اختار الاسلام فلا يردوه إليهم ، ومن اختارهم رده عليهم وأخذوا منه الجزية ، وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل إلى الحرمين وغيرها ، فانه لا يقدر على ردهم ولا ينبغي أن يصلحهم على ما يتعذر الوفاء به . ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين ، وجمع السبايا وعرضوهم وخبروهم فمنهم من اختار الاسلام ، ومنهم من عاد إلى دينه ، وانفقد الصلح بينهم . ثم أرسل عمرو جيشاً إلى اسكندرية . وكان المقوقس صاحب الاسكندرية قبل ذلك يؤدي خراج بلده وبلد مصر إلى ملك الروم . فلما حاصره عمرو بن العاص جمع أساقفته وأكابر دولته وقال لهم : إن هؤلاء العرب غلبوا كسرى وقبضوا وأزالوهم عن ملكهم ولا طاقة لنا بهم ، والرأى عندي أن تؤدي الجزية إليهم . ثم بعث إلى عمرو بن العاص يقول : إني كنت أؤدي الخراج إلى من هو أبغض إلى منكم - فارس والروم - ثم صالحه على أداء الجزية ، وبعث عمرو بالفتح والأخماس إلى عمرو بن الخطاب رضي الله عنه .

وذكر سيف أن عمرو بن العاص لما التقى مع المقوقس جعل كثير من المسلمين يفر من الزحف فجعل عمر يزمرهم ويحثهم على الثبات : فقال له رجل من أهل اليمن : إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد . فقال له عمرو : اسكت فأنا ، أنت كلب . فقال له الرجل فأنت إذا أمير الكلاب . فأعرض عنه عمرو ونادى يطلب أصحاب رسول الله ﷺ فلما اجتمع إليه من هناك من الصحابة قال لهم عمرو : تقدموا فيكم ينصر الله المسلمين . فتهدوا إلى القوم ففتح الله عليهم وظفروا أتم الظفر . قال سيف : ففتحت مصر في ربيع الأول من سنة ست عشرة وقام فيها ملك الاسلام والله الحمد والمنة . وقال غيره : فتحت مصر في سنة عشرين ، وفتحت اسكندرية في سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوة ، وقيل صلحاً على اثني عشر ألف دينار . وقد ذكر أن المقوقس سأل من عمرو أن يهادنه أولاً ، فلم يقبل عمرو وقال له : قد علمتم ما فعلنا بملككم الاكبر هرقل . فقال المقوقس لأصحابه : صدق فنحن أحق بالاذعان . ثم صالح على ما تقدم . وذكر غيره أن عمرآ والزبير سارا إلى عين شمس فحاصرها وأن عمرآ بعث إلى الفرما أبرهة بن الصباح ، وبعث عوف بن مالك إلى الاسكندرية ، فقال كل منهما لأهل بلده : إن نزلتم فلكم الامان . فتر بصوا ماذا يكون من أهل عين شمس ، فلما صالحوا صالح الباقون . وقد قال عوف بن مالك لأهل اسكندرية : ما أحسن بلدكم ؟ فقالوا : إن اسكندر لما بناها قال : لا بنين مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس . فبقيت بهجتها . وقال أبرهة لاهل الفرما : ما أقبح مدينتكم ؟ فقالوا إن الفرما - وهو أخو الاسكندر - لما بناها قال لا بنين مدينة



غنية عن الله فقيرة إلى الناس . فهي لا يزال ساقطاً بناؤها فشوهت بذلك

وذكر سيف أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما ولي مصر بعد ذلك زاد في الخراج عليهم
رءوساً من الرقيق يهدونها إلى المسلمين في كل سنة ، ويعوضهم المسلمون بطعام مسمى وكسوة . وأقر
ذلك عثمان بن عفان وولاية الأمور بعده ، حتى كان عمر بن عبد العزيز فأفضاه أيضاً نظراً لهم ، وإبقاء
لعهدهم . قلت : وإنما سميت ديار مصر بالفسطاط نسبة إلى فسطاط عمرو بن العاص ، وذلك أنه
نصب خيمته وهي الفسطاط موضع مصر اليوم ، وبني الناس حوله ، وتركت مصر القديمة من زمان
عمرو بن العاص وإلى اليوم ، ثم رفع الفسطاط وبني موضعه جامعاً وهو المنسوب إليه اليوم . وقد غزا
المسلمون بعد فتح مصر التوبة فنهلم جراحات كثيرة ، وأصيبت أعين كثيرة ، لجودة رمي التوبة
فسموم جند الخندق . ثم فتحها الله بعد ذلك وله الحمد والمنة . وقد اختلف في بلاد مصر فقيل :
فتحت صلحا إلا الاسكندرية ، وهو قول يزيد بن أبي حبيب . وقيل : كلها عنوة وهو قول ابن عمر
وجماعة . وعن عمرو بن العاص أنه خطب الناس فقال : ما قدمت متعدي هذا ولا أحد من القبط عندي
عهد إن شئت - قلت ، وإن شئت بعث وإن شئت خمست إلا لاهل الطابلس فان لم عهداً نوفي به .

﴿ قصة نيل مصر ﴾

روينا من طريق ابن أبي عمير عن قيس بن الحجاج عن حدثه قال : لما افتتحت مصر أتى أهلها
عمرو بن العاص - حين دخل بؤنة من أشهر العجم - فقالوا : أيها الأمير ، لنيلنا هذا سنة لا يجرى
إلا بها . قال : وما ذلك ؟ قالوا : إذا كانت امتنى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية
بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الخلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم أتيناهما في هذا
النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الاسلام ، إن الاسلام يهدم ما قبله . قال : فأقاموا
بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلاً ولا كثيراً ، حتى هموا بالجللاء ، فكتب عمرو إلى عمر
ابن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل
كتابي ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمر و البطاقة فاذا فيها « من عبد الله عمر أمير المؤمنين
إلى نيل أهل مصر ، أما بعد ، فان كنت إنما تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا
فيك ، وإن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك »
قال : فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة
وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم .

قال سيف بن عمر : وفي ذي القعدة من هذه السنة - وهي عنده سنة ست عشرة - جعل عمرو
المسالح على أرجاء مصر ، وذلك لأن هرقل أغزا الشام ومصر في البحر . قال ابن جرير : وفي هذه

السنة غزا أرض الروم أبو بجرية عبد الله بن قيس العبدى - وهو أول من دخلها فيما قيل - فسلم وغنم
وقيل أول من دخلها ميسرة بن مسروق العبسى . قال الواقدي : وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون
عن البحرين ، وحنه في الشراب . وولى على البحرين واليمامة أبا هريرة الدوسي رضي الله عنه .
قال : وفيها شكوا أهل الكوفة سعداً في كل شيء ، حتى قالوا : لا يحسن يصلى ، فعزله عنها وولى
عليها عبد الله بن عبد الله بن عتيان - وكان نائب سعد - وقيل بل ولاها عمرو بن ياسر . وقال
الامام أحمد : حدثنا سفيان عن عبد الملك سمعه من جابر بن سمرة . قال : شكوا أهل الكوفة سعداً إلى
عمر فقالوا : إنه لا يحسن يصلى ، قال الاعرابي ؟ والله ما آلوهم صلاة رسول الله ﷺ في الظهر
والعصر ، اردد في الأولين وأصرف في الأخيرين . فسمعت عمر يقول : كذا الظن بك يا أبا إسحق .
وفي صحيح مسلم أن عمر بعث من يسأل عنه أهل الكوفة فأثنوا خيراً إلا رجلاً يقال له : أبو سعدة
قتادة بن أسامة قام فقال : أما إذ أنشدتنا فان سعداً لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية ، ولا يخرج
في السرية . فقال سعد : اللهم إن كان عندك هذا قام مقام رياء وسمعة ، فأطل عمره وأدم فقره وعرضه
للفتن . فأصابته دعوة سعد - فكان شيخاً كبيراً يرفع حاجبيه عن عينيه ، ويتعرض للجوارى في
الطرق فيغمزهن ، فيقال له في ذلك ، فيقول : شيخ كبير مفتون أصابته دعوة سعد . وقد قال عمر في
وصيته - وذكره في السنة - « فان أصابت الامرة سعداً فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ولى ، فان لم أعزله
عن عجز ولا خيانة . قال : وفيها أجلى عمر يهود خيبر عنها إلى أذرعات وغيرها ، وفيها أجلى عمر يهود
نجران منها أيضاً إلى الكوفة ، وقسم خيبر ، ووادي القرى ، ونجران بين المسلمين . قال : وفيها دون
عمر الدواوين ، وزعم غيره أنه دونها قبل ذلك فأنه أعلم . قال : وفيها بعث عمر علقمة بن مجزز
المدلجى إلى الحبشة في البحر فأصيبوا فآلى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشاً في البحر بعدها . وقد
خالف الواقدي في هذا أبو معشر فزعم أن غزوة الحبشة إنما كانت في سنة إحدى وثلاثين - يعنى
في خلافة عثمان بن عفان - والله أعلم . قال الواقدي : وفيها تزوج عمر فاطمة بنت الوليد بن عتبة .
التي مات عنها الحارث بن هشام في الطاعون . وهي أخت خالد بن الوليد . قال : وفيها مات هلال
بدمشق ، وأسيد بن الحضير في شعبان ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين . وهي أول من مات من
أمهات المؤمنين رضي الله عنها . قال : وفيها مات هرقل وقام بعده ولده قسطنطين . قال : وحج بالناس
في هذه السنة عمر ونوابه وقضاته من تقدم في التي قبلها . سوى من ذكرنا أنه عزله وولى غيره .

﴿ ذكر المتوفين في هذه السنة من الأعيان - أسيد بن الحضير ﴾

ابن سهاك الأنصارى الأشبلى من الأوس ، أبو يحيى أحد النقباء ليلة العقبة ، وكان أبوه رئيس
الأوس يوم بعث ، وكان قبل الهجرة بست سنين وكان يقال له حضير الكتائب ، يقال إنه أسلم

على يدي مصعب بن عمير . ولما هاجر الناس آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، ولم يشهد بدرًا . وفي الحديث الذي صححه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نعم الرجل أبو بكر ، نعم الرجل عمر ، نعم الرجل أسيد بن الحضير » وذكر جماعة . وقدم الشام مع عمر وأثنت عليه عائشة ، وعلى سعد بن معاذ ، وعبيد بن بشر ، رضى الله عنهم . وذكر ابن بكير أنه توفي بالمدينة سنة عشرين ، وأن عمر حمل بين عموديه وصلى عليه ودفن بالبقيع ، وكذا أرخ وفاته سنة عشرين الواقدي وأبو عبيد وجماعة .

﴿ أنيس بن مرثد بن أبي مرثد الغنوي ﴾

هو وأبوه وجده صحابة وكان أنيس هذا عينا رسول الله ﷺ يوم حنين ، ويقال إنه الذي قال له رسول الله ﷺ « إغدا يا أنيس إلى امرأة هذا فان اعترفت فأرجها » والصحيح أنه غيره ، فان في الحديث « فقال لرجل من أسلم » فقيل : انه أنيس بن الضحالك الأسلمي . وقد مال ابن الأثير إلى ترجيحه والله أعلم . له حديث في الفتنه قال إبراهيم بن المنذر : توفي في ربيع الأول سنة عشرين .

﴿ بلال بن أبي رباح الحبشي المؤذن مولى أبي بكر ﴾

ويقال له بلال بن حمامة . وهي أمه . أسلم قديما فمدب في الله فصبير فاشتراه الصديق فأعتقه ، شهد بدرًا وما بعدها . وكان عمر يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا . رواه البخاري . ولما شرع الأذان بالمدينة كان هو الذي يؤذن بين يدي رسول الله ﷺ وابن أم مكتوم يتناوبان ، تارة هذا وتارة هذا ، وكان بلال ندى الصوت حسنه ، فصيحًا ، وما يروى « أن سين بلال عند الله شينا » فليس له أصل . وقد أذن يوم الفتح على ظهر الكعبة . ولما توفي رسول الله ﷺ ترك الأذان ، ويقال أذن للصديق أيام خلافته ولا يصح . ثم خرج إلى الشام مجاهدًا ، ولما قدم عمر إلى الجابية أذن بين يديه بعد الخطبة لصلاة الظهر ، فاتتجب الناس بالبكاء . وقيل إنه زار المدينة في غضون ذلك [فأذن فبكى الناس بكاء شديدًا ويحرق لهم ذلك]^(١) رضى الله عنهم . وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لبلال « إني دخلت الجنة فسمعت خشف نعليك أمامي فأخبرني بأرجي عمل عملته » . فقال : ما تروضت إلا واصلت ركعتين . « فقال بذلك » وفي رواية « ما أحدثت إلا تروضت وما تروضت إلا رأيت أن علي أن أصلي ركعتين » قالوا : وكان بلال آدم شديد الأدمة طويلا نحيفا كثير الشعر خفيف العارضين . قال ابن بكير : توفي بدمشق في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة . وقال محمد بن إسحق وغير واحد : توفي سنة عشرين . قال الواقدي : ودفن بباب الصغير وله بضع وستون سنة .

(١) لم ترد في الخلية .

وقال غيره : مات بداريا ودفن بباب كيسان . وقيل دفن بداريا ، وقيل إنه مات بجلب . والأول أصح والله أعلم .

﴿ سعيد بن عامر بن خديم ﴾

من أشرف بني جمح ، شهد خيبر وكان من الزهاد والعباد ، وكان أميراً لعمر على حمص بعد أبي عبيدة ، بلغ عمر أنه قد أصابته جراحة شديدة ، فأرسل إليه بألف دينار فتصدق بها جميعها ، وقال لزوجته : أعطيناها لمن يتجر لنا فيها رضى الله عنه . قال خليفة : فتح هو ومعاوية قيسارية كل منهما أمير على من معه .

﴿ عياض بن غنم ﴾

أبو سعد الفهري من المهاجرين الأولين ، شهد بدرًا وما بعدها ، وكان سمحا جوادا ، شجاعا ، وهو الذي افتتح الجزيرة ، وهو أول من جاز درب الروم غازيا ، واستنابه أبو عبيدة بعده على الشام فأقره عمر عليها إلى أن مات سنة عشرين عن ستين سنة .

﴿ أبو سفيان بن الحارث ﴾

ابن عبد المطلب بن عم رسول الله ﷺ قيل اسمه المغيرة . أسلم عام الفتح فحسن إسلامه جدا وكان قبل ذلك من أشد الناس على رسول الله ﷺ ، وعلى دينه ومن تبعه ، وكان شاعرا مطبقا يهجو الاسلام وأهله ، وهو الذي رد عليه حسان بن ثابت رضى الله عنه في قوله :

ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغلظة فقد برح الخفاء

هجوت محمداً وأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء * فشركا نخير كما الفداء

ولما جاء هو وعبد الله بن أبي أمية ليسلما لم يأذن لهما عليه السلام حتى شفعت أم سلمة لأخيها فأذن له ، وبلغه أن أبا سفيان هذا قال : والله لئن لم يأذن لي لأخذن بيد بني هذا - لولد معه صغير - فلا ذهبن فلا يدري أين أذهب . فرق حينئذ له رسول الله ﷺ وأذن له ، ولزم رسول الله ﷺ يوم حنين وكان آخذاً بلجام بغلته يومئذ ، وقد روى أن رسول الله ﷺ أحبه وشهد له بالجنة ، وقال « أرجو أن تكون خلفا من حمزة » وقد روى رسول الله ﷺ حين توفي بقصيدة ذكرناها فيما سلف وهي التي يقول فيها :

ارقت فبات ليلي لا يزول * وليل أخ المصيبة فيه طول

وأسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل

فقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول

فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل

ذكروا أن أبا سفيان حج فلما حلق رأسه قطع الخالق ثؤلوله في رأسه فتمرض منه فلم يزل كذلك حتى مات بعد مرجعه إلى المدينة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب . وقد قيل إن أخاه نوفلاً توفي قبله بأربعة أشهر والله أعلم .

﴿ أبو الهيثم بن التيهان ﴾

هو مالك بن مالك بن عسل بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن دعورا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ، شهد العقبة نقيبا ، وشهد بدرآ وما بعدها ، ومات سنة عشرين ، وقيل إحدى وعشرين ، وقيل إنه شهد صفين مع علي ، قال ابن الأثير وهو الأكثر . وقد ذكره شيخنا هنا فإله أعلم .

﴿ زينب بنت جحش ﴾

ابن رباب الأسدي من أسد خزيمية أول أمهات المؤمنين وفاة ، أمها أميمة بنت عبد المطلب ، وكان اسمها برة ، فسماها رسول الله زينب ، وتكنى أم الحكم ، وهي التي زوجها الله بها ، وكانت تفتخر بذلك على سائر أزواج النبي ﷺ ، فتقول : زوجكن أهلوكن وزوجني الله من السماء . قال الله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) الآية . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ، فلما طلقها تزوجها رسول الله ﷺ . قيل كان ذلك في سنة ثلاث وقيل أربع وهو الأشهر . وقيل سنة خمس . وفي دخوله عليه السلام بها نزل الحجاب كما ثبت في الصحيحين عن أنس . وهي التي كانت تسمى عائشة بنت الصديق في الجمال والخطوة ، وكانت دينية ورعة عابدة كثيرة الصدقة . وذلك الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « أسرعن لحاقا بي أطولكن يدا » أي بالصدقة . وكانت امرأة صناعا تعمل بيديها وتتصدق على الفقراء . قالت عائشة : ما رأيت امرأة قط خيرا في الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة من زينب بنت جحش . ولم تحج بعد حجة الوداع لاهي ولا سودة ، لقوله عليه السلام لا زواجه « هذه ثم ظهور الحصر » وأما بقية أزواج النبي ﷺ فكان يخرجن إلى الحج وقالت زينب وسودة : والله لا نخرجنا بعده دابة . قالوا : وبعث عمر إليها فرضها اثني عشر ألفا فتصدقت به في أفاربها . ثم قالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد هذا . فماتت في سنة عشرين وصلى عليها عمر . وهي أول من صنع لها النعش ، ودفنت بالبقيع .

﴿ صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ ﴾

وهي أم الزبير بن العوام ، وهي شقيقة حمزة والمقوم وحجل ، أمهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف ابن زهرة . لاخلاف في إسلامها وقد حضرت يوم أحد ووجدت على أخيها حمزة وجدا كثيرا ، وقتلت

يوم الخندق رجلا من اليهود جاء فجعل يطوف بالحصن التي هي فيه وهو فارغ حصن حسان فقالت حسان : انزل فاقته ، فأبى ، فنزلت إليه فقتلته ثم قالت : انزل فاسلبه فلولا أنه رجل لاستلبته . فقال : لا حاجة لي فيه . وكانت أول امرأة قتلت رجلا من المشركين . وقد اختلف في إسلام من عداها من عمات النبي ﷺ فقيل : أسلمت أروى وعاتكة . قال ابن الأثير وشيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ : والصحيح أنه لم يسلم منهن غيرها . وقد تزوجت أولا بالحارث بن حرب بن أمية . ثم خلف عليها العوام بن خويلد فولدت له الزبير وعبد الكعبة . وقيل تزوج بها العوام بكرا ، والصحيح الأول توفيت بالمدينة سنة عشرين عن ثلاث وسبعين سنة . ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وقد ذكر ابن إسحق من توفي غيرها .

﴿ عويم بن ساعدة الأنصاري ﴾

شهد العقبتين والمشاهد كلها وهو أول من استنجد بالماء ، وفيه نزل قوله تعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين) وله روايات توفي هذه السنة بالمدينة * بشر بن عمرو بن حنش يلقب بالجارود ، أسلم في السنة العاشرة ، وكان شريفا مطاعا في عهد القيس ، وهو الذي شهد على قدامة بن مظعون أنه شرب الخمر ، فعزله عمر عن اليمن وحده قتل الجارود شهيدا * أبو خراشة خويلد بن مرة الهذلي ، كان شاعرا مجيدا مخضرا أدرك الجاهلية والإسلام وكان إذا جرى سبق الخيل . نهشته حية فمات بالمدينة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ففيها كانت وقعة نهاوند وفتحها على المشهور ﴾

﴿ وهي وقعة عظيمة جدا لما شأن رفيع ونبا عجيب ، وكان المسلمون يسمونها فتح الفتوح ﴾

قال ابن إسحق والواقدي : كانت وقعة نهاوند في سنة إحدى وعشرين . وقال سيف : كانت في سنة سبع عشرة . وقيل في سنة تسع عشرة والله أعلم . وإنما ساق أبو جعفر بن جرير قصتها في هذه السنة فتبعناه في ذلك وجمعنا كلام هؤلاء الأئمة في هذا الشأن سياقا واحدا ، حتى دخل سياق بعضهم في بعض . قال سيف وغيره : وكان الذي هاج هذه الوقعة أن المسلمين لما افتتحوا الأهواز ومنعوا جيش العلاء من أيديهم واستولوا على دار الملك القديم من اصطخر مع ما حازوا من دار مملكتهم حديثا ، وهي المدائن ، وأخذ تلك المدائن والأقاليم والبلدان الكثيرة ، فموا عند ذلك واستجاشهم يزجروا الذي تقهر من بلد إلى بلد حتى صار إلى أصبهان مبعدا طريدا ، لكنه في أسرة من قومه وأهله وماله ، وكتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان ، فاجتمعوا وتراسلوا حتى كمل لهم من الجنود ما لم يجتمع لهم قبل ذلك ، فبعث سعد إلى عمر يعلمه بذلك ، وثار أهل الكوفة على سعد في غضون هذا الحال . فشكوه في كل شيء حتى قالوا : لا يحسن يصلى . وكان الذي نهض

بهذه الشكوى رجل يقال له : الجراح بن سنان الأسدي في نفر معه ، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه قال لهم عمر : إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم في هذا الحال عليه ، وهو مستعد لقتال أعداء الله ، وقد جمعوا لكم ، ومع هذا لا يمنعني أن أنظر في أمركم . ثم بعث محمد بن مسلمة - وكان رسول العمال - فلما قدم محمد بن مسلمة الكوفة طاف على القبائل والعشائر والمساجد بالكوفة فكل يثنى على سعد خيراً إلا ناحية الجراح بن سنان فانهم سكتوا فلم يندموا ولم يشكروا ، حتى انتهى إلى بني عبيس ، فقام رجل يقال له أبو سعدة أسامة بن قتادة ، فقال : أما إذ ناشدتنا فان سعدا لا يقسم بالسوية ، ولا يعدل في الرعية ، ولا يفرز في السرية . فدعا عليه سعد فقال : اللهم إن كان قالها كذبا ورياءاً وسمعة فاعم بصره ، وكثر عياله ، وعرضه لمضلات العتن . فعمى واجتمع عنده عشر بنات ، وكان يسمع بالمرأة فلا يزال حتى يأتيها فيجسها فاذا عثر عليه قال : دعوة سعد الرجل المبارك . ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه فكل أصابته فارعة في جسده ، ومصيبة في ماله بعد ذلك . واستنفر محمد بن مسلمة أهل الكوفة لغزو أهل نهاوند في غضون ذلك عن أمر عمر بن الخطاب . ثم سار سعد ومحمد بن مسلمة والجراح وأصحابه حتى جاءوا عمر فسأله عمر : كيف يصلي ؟ فأخبره أنه يطول في الأوليين ويخفف في الأخيرين وما آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله ﷺ . فقال له عمر : ذاك الظن بك يا أبا إسحق . وقال سعد في هذه القصة . لقد أسامت خامس خمسة ، ولقد كنا ومالنا طعام إلا ورق الحبلبة حتى تفرحت أشداقنا ، وإني لأول رجل رمى بسهم في سبيل الله ، ولقد جمع لي رسول الله ﷺ أبويه وما جمعهما لأحد قبلي ، ثم أصبحت بنو أسد يقولون لا يحسن يصلي . وفي رواية يفرز في علي الإسلام ، لقد خبت إذا وضل عملي . ثم قال عمر لسعد : من استخلفت على الكوفة ؟ فقال : عبد الله بن عبد الله ابن عتبان ، فأقره عمر على نيابته الكوفة - وكان شيخاً كبيراً من أشرف الصحابة حليفاً لبني الحلبى من الأنصار - واستمر سعد معزولاً من غير عجز ولا خيانة ويهدد أولئك النفر ، وكاد يوقع بهم بأساً . ثم ترك ذلك خوفاً من أن لا يشكو أحداً أميراً .

والمقصود أن أهل فارس اجتمعوا من كل فج عميق بأرض نهاوند ، حتى اجتمع منهم مائة ألف وخمسون ألف مقاتل ، وعليهم الفيرزان ويقال : بندار ، ويقال ذو الحاجب . وتنادموا فيما بينهم ، وقالوا : إن محمداً الذي جاء العرب لم يتعرض لبلادنا ، ولا أبو بكر الذي قام بعده تعرض لنا في دار ملكنا ، وإن عمر بن الخطاب هذا لما طال ملكه انتهك حرمتنا وأخذ بلادنا ، ولم يكفه ذلك حتى أغزانا في عقر دارنا ، وأخذ بيت المملكة وليس بمنته حتى يخرجكم من بلادكم . فتعاهدوا وتعاهدوا على أن يقصدوا البصرة والكوفة ثم يشغلوا عمر عن بلاده ، وتواثقوا من أنفسهم وكتبوا بذلك عليهم كتاباً . فلما كتب سعد بذلك إلى عمر - وكان قد عزل سعداً في غضون ذلك - شافه سعد عمر بما

تماثروا عليه وتصدوا إليه ، وأنه قد اجتمع منهم مائة وخمسون ألفاً . وجاء كتاب عبد الله بن عبد الله ابن عتبان من الكوفة إلى عمر مع قريب بن ظفر العبدى بأنهم قد اجتمعوا وهم متحرفون متنادمرون على الإسلام وأهله ، وأن المصلحة يا أمير المؤمنين أن نقصدكم فنعاملهم عما هموا به وعزموا عليه من المسير إلى بلادنا . فقال عمر لحامل الكتاب : ما اسمك ؟ قال : قريب . قال : ابن من ؟ قال : ابن ظفر . فتفاهل عمر بذلك وقال : ظفر قريب . ثم أمر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس وكان أول من دخل المسجد لذلك سعد بن أبي وقاص ، فتفاهل عمر أيضاً بسعد ، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال : إن هذا يوم له ما بعده من الأيام ، ألا وإني قد هممت بأمر فاسموا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، إني قد رأيت أن أسير عن قبلي حتى أنزل منزلاً وسطاً بين هذين المصرين فأستنفر الناس ، ثم أكون لهم رداً حتى يفتح الله عليهم . فقام عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف في رجال من أهل الرأي ، فتكلم كل منهم بانفراده فأحسن وأجاد ، واتفق رأيهم على أن لا يسير من المدينة ، ولكن يبعث البعوث ويحصرهم برأيه ودعائه . وكان من كلام علي رضي الله عنه أن قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة ، هو دينه الذي أظهر ، وجنده الذي أعزّه وأمدّه بالملائكة حتى بلغ ما بلغ . فنحن على موعود من الله والله منجز وعده ، وناصر جنده ، ومكانك منهم يا أمير المؤمنين مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فاذا انحل تفرق ما فيه وذهب ، ثم لم يجتمع بخذافيره أبداً . والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثير عزيز بالإسلام ، فأقم مكانك واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤسائهم ، فليذهب منهم الثلثان ويقيم الثلث ، واكتب إلى أهل البصرة يمدونهم أيضاً . - وكان عثمان قد أشار في كلامه أن يمدهم في جيوش من أهل اليمن والشام . ووافق عمر على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة - فرد على علي عثمان في موافقته على الذهاب إلى ما بين البصرة والكوفة كما تقدم ، ورد رأى عثمان فيما أشار به من استمداد أهل الشام خوفاً على بلادهم إذا قل جيوشها من الروم . ومن أهل اليمن خوفاً على بلادهم من الحبشة . فأعجب عمر قول علي وسر به - وكان عمر إذا استشار أحداً لا يبرم أمراً حتى يشاور العباس - فلما أعجبه كلام الصحابة في هذا المقام عرضه على العباس فقال : يا أمير المؤمنين خفض عليك ، فانما اجتمع هؤلاء الفرس لتقمة تنزل عليهم . ثم قال عمر : أشيروا علي بن أوليه أمر الحرب وليكن عراقياً . فقالوا : أنت أبصر بجندك يا أمير المؤمنين . فقال : أما والله لأولين رجلاً يكون أول الأُسنة إذا لقيها غدا . قالوا : من يا أمير المؤمنين ؟ قال : النعمان بن مقرن . فقالوا : هو لها - وكان النعمان قد كتب إلى عمر وهو على كسرك وسأله أن يعزله عنها ويوليها قتال أهل نهاوند - فلها أجابه إلى ذلك وعينه له ، ثم كتب عمر إلى حذيفة أن يسير من الكوفة بجنود

منها ، وكتب إلى أبي موسى أن يسير بجنود البصرة ، وكتب إلى النعمان - وكان بالبصرة - أن يسير
 من هناك من الجنود إلى نهاوند ، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه والأمر على الناس كلهم
 النعمان بن مقرن . فاذا قتل حذيفة بن اليمان ، فان قتل فجرير بن عبد الله ، فان قتل قيس بن مكشوح ،
 فان قتل قيس ففلان ثم فلان ، حتى عد سبعة أحدهم المغيرة بن شعبة ، وقيل لم يسم فيهم والله أعلم .

وصورة الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى النعمان بن مقرن
 سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فانه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم
 كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فاذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله
 بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرأ فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة ،
 فان رجلاً من المسلمين أحب إلى من مائة ألف دينار ، والسلام عليك . فسر في وجهك ذلك حتى
 تأتي ما فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها ، فاذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الغيرزان
 ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا وأكثروا من لاحول ولا قوة إلا
 بالله . » وكتب عمر إلى نائب الكوفة - عبد الله بن عبد الله - أن يعين جيشاً ويبعثهم إلى نهاوند ،
 وليكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن ، فان قتل النعمان حذيفة ، فان
 قتل فنعيم بن مقرن . وولى السائب بن الأقرع قسم الغنائم . فسار حذيفة في جيش كثيف نحو النعمان
 ابن مقرن ليوافوه بماء ، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق ، وقد أرصد في كل كورة
 ما يكفيها من المقاتلة ، وجعل الحرس في كل ناحية ، واحتاطوا احتياطاً عظيماً ، ثم انتهوا إلى النعمان
 ابن مقرن حيث اتعدوا ، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده في
 هذه الواقعة ، فكل جيش المسلمين في ثلاثين ألفاً من المقاتلة فيما رواه سيف عن الشعبي ، فنهزم من
 سادات الصحابة ورموس العرب خلق كثير وجم غفير ، منهم عبد الله بن عمر أمير المؤمنين ،
 وجريير بن عبد الله البجلي ، وحذيفة بن اليمان ، والمغيرة بن شعبة ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدي ،
 وطليحة بن خويلد الأسدي ، وقيس بن مكشوح المرادي . فسار الناس نحو نهاوند وبعث النعمان بن
 مقرن الأمير بين يديه طليحة ثلاثة وهم طليحة ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدي ، وعمرو بن أبي سلمة .
 ويقال له عمرو بن ثبي أيضاً ، ليكشفوا له خبر القوم وما هم عليه . فسارت الطليحة يوماً وليلة فرجع
 عمرو بن ثبي فقيل له : ما رجعت ؟ فقال : كنت في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً
 عالمها . ثم رجع بعده عمرو بن معدى كرب وقال : لم تر أحداً وخفت أن يؤخذ علينا الطريق ، ونفذ
 طليحة ولم يحفل برجوعهما فسار بعد ذلك نحواً من بضعة عشر فرسخاً حتى انتهى إلى نهاوند ، ودخل
 في العجم وعلم من أخبارهم ما أحب . ثم رجع إلى النعمان فأخبره بذلك ، وأنه ليس بينه وبين نهاوند

شيء يكرهه . فسار النعمان على تعبته وعلى المقدمة نعيم بن مقرن ، وعلى المجنبتين حذيفة وسويد بن
 مقرن ، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقية مجاشع بن مسعود ، حتى انتهوا إلى الفرس وعليهم
 الغيرزان ، ومعه من الجيش كل من غاب عن القادسية في تلك الأيام المتقدمة ، وهو في مائة وخمسين
 ألفاً ، فلما تراءى الجمعان كبر النعمان وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، فزلزلت الأعاجم ورعبوا من ذلك
 رعباً شديداً . ثم أمر النعمان بحط الأتقال وهو واقف ، فخط الناس أقدامهم ، وتركوا رحلهم ، وضربوا
 خيامهم وقبابهم . وضربت خيمة للنعمان عظيمة ، وكان الذين ضربوا أربعة عشر من أشرف الجيش ،
 وهم حذيفة بن اليمان ، وعتبة بن عمرو ، والمغيرة بن شعبة ، وبشير بن الخصاصية ، وحنظلة الكاتب ،
 وابن الهوبر ، ورعي بن عامر ، وعامر بن مطر ، وجريير بن عبد الله الحميري ، وجريير بن عبد الله
 البجلي ، والأقرع بن عبد الله الحميري ، والأشعث بن قيس الكندي ، وسعيد بن قيس الهمداني ،
 ووائل بن حجر ، فلم ير بالعراق خيمة عظيمة أعظم من بناء هذه الخيمة ، وحين حطوا الأتقال أمر
 النعمان بالقتال وكان يوم الأربعاء ، فاقتتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سجال ، فلما كان يوم
 الجمعة انحجزوا في حصنهم ، وحاصرهم المسلمون فأقاموا عليهم ماشاء الله ، والأعاجم يخرجون إذا
 أرادوا ويرجعون إلى حصونهم إذا أرادوا . وقد بعث أمير الفرس يطلب رجلاً من المسلمين ليكلمه ،
 فذهب إليه المغيرة بن شعبة ، فدكر من عظم ما رأى عليه من لبسه ومجلسه ، وفيما خاطبه به من الكلام
 في احتقار العرب واستهانتهم بهم ، وأنهم كانوا أطول الناس جوعاً ، وأقلهم داراً وقدرًا . وقال : ما يمنع
 هؤلاء الأساورة حولى أن ينتظموا بالنشاب إلا بما من جيفكم ، فان تذهبوا نخل عنكم ، وإن تابوا
 نزركم مصارعكم . قال : فتشهدت وحمدت الله وقلت : لقد كنا أسوأ حالاً مما ذكرت ، حتى بعث الله
 رسوله فوعدنا النصر في الدنيا ، والخير في الآخرة ، وما زلنا نتعرف من ربنا النصر منذ بعث الله
 رسوله إلينا ، وقد جئناكم في بلادكم وإنا لن نرجع إلى ذلك الشقاء أبداً حتى نغلبكم على بلادكم وما في
 أيديكم أو تقتل بأرضكم . فقال : أما والله إن الأعداء لقد صدقكم ما في نفسه . فلما طال على المسلمين
 هذا الحال واستمر ، جمع النعمان بن مقرن أهل الرأي من الجيش ، وتشاوروا في ذلك ، وكيف يكون
 من أمرهم حتى يتواجهوا هم والمشركون في صعيد واحد ، فتكلم عمرو بن أبي سلمة أولاً - وهو أسن من
 كان هناك - فقال : إن بقاءهم على ما هم عليه أضر عليهم من الذي يطلبه منهم وأبقى على المسلمين .
 فرد الجميع عليه وقالوا : إنا لعلى يقين من إظهار ديننا ، وإنجاز موعود الله لنا . وتكلم عمرو بن
 معدى كرب فقال : ناهدكم وكأثرهم ولا تحفهم . فردوا جميعاً عليه وقالوا : إنما تناطح بنا الجدران
 والجدران أعوان لهم علينا . وتكلم طليحة الأسدي فقال : إنهما لم يصيبا ، وإني أرى أن تبعث
 سرية فتحقق بهم وينأوشوهم بالقتال ويحمشوهم فاذا برزوا إليهم فليفروا إلينا هرباً ، فاذا استظردوا

وراءهم وانتصروا إلينا عزمنا أيضا على الفرار كلنا ، فانهم حينئذ لا يشكون في الهزيمة فيخرجون من
حصونهم عن بكرة أبيهم ، فاذا تكامل خروجهم رجعنا إليهم فجالدناهم حتى يقضى الله بيننا .
فاستجد الناس هذا الرأي ، وأمر النعمان على المجردة القعقاع بن عمرو ، وأمرهم أن يذهبوا إلى البلد
فيحاصروهم وحدهم ويهربوا بين أيديهم إذا برزوا إليهم . ففعل القعقاع ذلك ، فلما برزوا من
حصونهم نكص القعقاع بمن معه ثم نكص ثم نكص فاعتنمها الأعاجم ، ففعلوا ما ظن طليحة ،
وقالوا : هي هي ، فخرجوا بأجمعهم ولم يبق بالبلد من المقاتلة إلا من يحفظ لهم الأبواب ، حتى انتهوا
إلى الجيش ، والنعمان بن مقرن على تعبته . وذلك في صدر نهار جمعة ، فعزم الناس على مصادمتهم ،
فتهاجم النعمان وأمرهم أن لا يقتلوا حتى تزول الشمس ، وتهب الأرواح ، وينزل النصر كما كان رسول
الله ﷺ يفعل . وألح الناس على النعمان في الحملة فلم يفعل - وكان رجلا ثابتاً - فلما حان الزوال صلى
بالمسلمين ثم ركب برذوناً له أحوى قريباً من الأرض ، فجعل يقف على كل راية ويختمهم على الصبر
ويأمرهم بالثبات ، ويقدم إلى المسلمين أنه يكبر الأولى فيتأهب الناس للحملة ، ويكبر الثانية فلا
يبقى لأحد أهبة ، ثم الثالثة ومعها الحملة الصادقة . ثم رجع إلى موقفه . وتعبت الفرس تعبته عظيمة
واصطفوا صفوفاً هائلة . في عدد وعدد لم ير مثله ، وقد تغفل كثير منهم بعضهم في بعض وألقوا
حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم الهرب ولا الفرار ، ولا التحيز . ثم إن النعمان بن مقرن
رضي الله عنه كبر الأولى وهز الراية فتأهب الناس للحملة ، ثم كبر الثانية وهز الراية فتأهبوا أيضاً ،
ثم كبر الثالثة وحمل وحمل الناس على المشركين وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كانهضاض
العقاب على الفريسة ، حتى تصالحوا بالسيوف فاقتتلوا قتالاً لم يعهد مثله في موقف من المواقف
المتقدمة ، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها ، قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبق
وجه الأرض دماً ، بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه ، حتى قيل إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به
حصانه في ذلك الدم فوق وقع وجاء سهم في خاصرته فقتله ، ولم يشعر به أحد سوى أخيه سويد ، وقيل
نعيم ، وقيل غطاه بثوبه وأخفى موته ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان ، فأقام حذيفة أخاه نعيماً مكانه ،
وأمر بكتف موته حتى ينفصل الحال لئلا ينهزم الناس . فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم
المسلمون [وكان الكفار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفاً بالسلاسل وحفروا حولهم خندقاً ، فلما انهزموا وقعوا
في الخندق وفي تلك الأودية نحو مائة ألف] وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم فهلك منهم بشر
كثير نحو مائة ألف أو يزيدون ، سوى من قتل في المعركة ، ولم يفلت منهم إلا الشريد . وكان
الفيروزان أميرهم قد صرع في المعركة فانفلت وانهزم واتبعه نعيم بن مقرن ، وقدم القعقاع بين يديه

(١) سقط من المصرية .

وقصد الفيروزان همدان فلحقه القعقاع وأدركه عند ثنية همدان ، وقد أقبل منها بغال كثير وحمر تحمل
عسلاً ، فلم يستطع الفيروزان صعودها منهم ، وذلك لحينه فترجل وتعلق في الجبل فاتبعه القعقاع حتى
قتله ، وقال المسلمون يومئذ : إن لله جنوداً من عسل ، ثم غنموا ذلك العسل وما خالطه من الأحمال
وسميت تلك الثنية ثنية العسل . ثم لحق القعقاع بقية المنهزمين منهم إلى همدان وحاصرها وحوى ما حولها ،
فنزّل إليه صاحبها - وهو خسروشم - فصالحه عليها . ثم رجع القعقاع إلى حذيفة ومن معه من المسلمين ،
وقد دخلوا بعد الوقعة مهاوندا عنوة ، وقد جمعوا الأسلاب والمغانم إلى صاحب الأقباض وهو السائب
ابن الأقرع . ولما سمع أهل ماه بخبر أهل همدان بعثوا إلى حذيفة وأخذوا لهم منه الأمان ، وجاء رجل
يقال له الهزند - وهو صاحب نارهم - فسأل من حذيفة الأمان ويدفع إليهم ودعية عنده لكسرى ،
ادخرها لنوائب الزمان ، فأتمته حذيفة وجاء ذلك الرجل بسفطين مملوءتين جوهرًا ثميناً لا يقوم ، غير
أن المسلمين لم يعجبوا به ، واتفق رأيهم على بعثه لعمر خاصة ، وأرسلوه صحبة الأحماس والسبي صحبة
السائب بن الأقرع ، وأرسل قبله بالفتح مع طريف بن سهم ، ثم قسم حذيفة بقية الغنيمة في الغانمين ،
ورضخ ونفل لذوى النجيدات ، وقسم لمن كان قد أرسد من الجيوش لحفظ ظهور المسلمين من
ورائهم ، ومن كان ردها لهم ، ومنسوبا إليهم . وأما أمير المؤمنين فإنه كان يدعو الله ليلاً ونهاراً لهم ،
دعاء الحوامل المقربات ، وابتهاج ذوى الضرورات ، وقد استبطأ الخبر عنهم فبينما رجل من المسلمين
ظاهر المدينة إذا هو براكب فسأله من أين أقبل ؟ فقال : من مهاوند . فقال : ما فعل الناس ؟ قال :
فتح الله عليهم وقتل الأمير ، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة أصاب الفارس ستة آلاف ، والراجل
ألفان . ثم فاتته وقدم ذلك الرجل المدينة فأخبر الناس وشاع الخبر حتى بلغ أمير المؤمنين فطلبه فسأله
عن أخباره ، فقال : راكب . فقال : إنه لم يجئني ، وإنما هو رجل من الجن وهو يريدني واسمه عثيم ،
ثم قدم طريف بالفتح بعد ذلك بأيام ، وليس معه سوى الفتح ، فسأله عن قتل النعمان فلم يكن معه علم
حتى قدم الذين معهم الأحماس فأخبروا بالأمر على جليته ، فاذا ذلك قد الجنى شهد الوقعة ورجع
سرياً إلى قومه نذيراً . ولما أخبر عمر بمقتل النعمان بكى وسأل السائب عن قتل من المسلمين فقال :
فلان وفلان وفلان ، لأعيان الناس وأشرافهم .

ثم قال وآخرون من أفناد الناس ممن لا يعرفهم أمير المؤمنين ، فجعل يبكي ويقول : وما ضرهم أن
لا يعرفهم أمير المؤمنين ؟ لكن الله يعرفهم وقد أكرمهم بالشهادة ، وما يصنعون بمعرفة عمر . ثم أمر
بقسمة الخمس على عادته ، وحملت ذانك السفطان إلى منزل عمر ، ورجعت الرسل ، فلما أصبح عمر
طلبهم فلم يجدهم ، فأرسل في إثرهم البرد فما لحقهم البريد إلا بالكوفة .

قال السائب بن الأقرع : فلما أنحت بعيري بالكوفة ، أناخ البريد على عرقوب بعيري ، وقال :

أجب أمير المؤمنين ، فقلت : لماذا ؟ فقال : لا أدري . فرجنا على إثرنا ، حتى انتهيت إليه . قال : مالي ولك يا ابن أم السائب ، بل مال ابن أم السائب ومالي ، قال : فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويحك والله إن هو إلا أن تمت في الليلة التي خرجت فيها فباتت ملائكة الله تسجني إلى ذنوك السفطين وهما يشتعلان ناراً ، يقولون لنكونك بهما . فأقول : إني سأقسمهما بين المسلمين . فاذهب بهما لا أبالك فبعمهما فاقسمهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم ، فانهم لا يدرون ما وهبوا ولم تدر أنت معهم .

قال السائب : فأخذتهما حتى جئت بهما مسجد الكوفة وغشيتني التجار فابتاعهما مني عمرو بن حريث الخزومي بألفي ألف . ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف . فما زال أكثر أهل الكوفة ما لا بعد ذلك . قال سيف : ثم قسم بينهما بين الغائبين فنال كل فارس أربعة آلاف درهم من ثمن السفطين . قال الشعبي : وحصل للفارس من أصل الغنيمة ستة آلاف وللا رجل ألفان وكان المسلمون ثلاثين ألفاً .

قال : وافتتحت نهاوند في أول سنة تسع عشرة لسبع سنين من إمارة عمر ، رواه سيف عن عمرو ابن محمد عنه . وبه عن الشعبي قال : لما قدم سبي نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤلؤة - فيروز غلام المغيرة ابن شعبة - لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال : أكل عمر كبدي - وكان أصل أبي لؤلؤة من نهاوند فأسرته الروم أيام فارس وأسرتهم المسلمون بعد ، فنسب إلى حيث سبي - قالوا : ولم تقم للأعاجم بعد هذه الواقعة قائمة ، وأتخف عمر الذين أبوا فيها بالذين تشريفاً لهم وإظهاراً لشأنهم . وفي هذه السنة افتتح المسلمون أيضاً بمد نهاوند مدينة جبي - وهي مدينة أصبهان - بعد قتال كثير وأمور طويلة ، فصالحوا المسلمين وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمان وصلح وفر منهم ثلاثون نفرأ إلى كرمان لم يصالحوا المسلمين . وقيل : إن الذي فتح أصبهان هو النعمان بن مقرن وأنه قتل بها ، ووقع أمير الجوس وهو ذو الحاجبين عن فرسه فانشق بطنه ومات وانهمزم أصحابه . والصحيح أن الذي فتح أصبهان عبد الله بن عبد الله بن عتبان - الذي كان نائب الكوفة - وفيها افتتح أبو موسى قم وقاشان ، وافتتح سهيل بن عدي مدينة كرمان .

وذكر ابن جرير عن الواقدي : أن عمرو بن العاص سار في جيش معه إلى طرابلس قال : وهي بركة فافتتحها صلحاً على ثلاثة عشر ألف دينار في كل سنة .

قال : وفيها بعث عمرو بن العاص عقبة بن نافع الفهري إلى زويلة ففتحها بصلح ، وصار ما بين بركة إلى زويلة سلماً للمسلمين . قال : وفيها ولي عمر عمار بن ياسر على الكوفة بدل زياد بن حنظلة الذي ولاه بعد عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وجعل عبد الله بن مسعود على بيت المال ، فاشتكى

أهل الكوفة من عمار فاستعفى عمار من عمله ، فعزله وولى جبير بن مطعم ، وأمره أن لا يعلم أحداً ، وبعث المغيرة بن شعبة امرأته إلى امرأة جبير يعرض عليها طعاماً للسفر فقالت : اذهبي فأثيني به . فذهب المغيرة إلى عمر فقال : بارك الله يا أمير المؤمنين فيمن وليت على الكوفة . فقال : وما ذاك ؟ وبعث إلى جبير بن مطعم فعزله وولى المغيرة بن شعبة ثانية ، فلم يزل عليها حتى مات عمر رضي الله عنهم . قال : وفيها حج عمر واستخلف على المدينة زيد بن ثابت وكان عماله على البلدان المتقدمون في السنة التي قبلها سوى الكوفة .

قال الواقدي : وفيها توفي خالد بن الوليد بممص وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقال غيره توفي سنة ثلاث وعشرين ، وقيل بالمدينة . والأول أصح . وقال غيره : وفيها توفي العلاء بن الحضرمي فولى عمر مكانه أبا هريرة . وقد قيل إن العلاء توفي قبل هذا كما تقدم والله أعلم .

وقال ابن جرير فيما حكاه عن الواقدي : وكان أمير دمشق في هذه السنة عمير بن سعيد ، وهو أيضاً على حمص وحموران وقنسرين والجزيرة ، وكان معاوية على البلقاء والأردن ، وفلسطين ، والسواحل وإطاكية ، وغير ذلك .

✽ ذكر من توفي في هذه السنة أعني سنة إحدى وعشرين ✽

✽ خالد بن الوليد ✽

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أبو سليمان الخزومي ، سيف الله ، أحد الشجعان المشهورين ، لم يقهر في جاهلية ولا إسلام . وأمه عصماء بنت الحارث ، أخت لبابة (١) بنت الحارث ، وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين . قال الواقدي : أسلم أول يوم من صفر سنة ثمان ، وشهد مؤتة وانتهت إليه الامارة يومئذ عن غير إمرة ، فقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم ير مثله ، اندقت في يده تسعة أسياف ، ولم تثبت في يده إلا صفيحة يمانية . وقد قال رسول الله ﷺ « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه » . وقد روى أن خالداً سقطت قلنسوته يوم اليرموك وهو في الحرب فجعل يستحث في طلبها فعوتب في ذلك ، فقال : إن فيها شيئاً من شعر ناصية رسول الله ﷺ ، وإنها ما كانت معي في موقف إلا نصرت بها .

وقد روي في مسند أحمد من طريق الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده وحشي بن حرب عن أبي بكر الصديق أنه لما أمر خالداً على حرب أهل الردة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « فنعمة عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد ، خالد بن الوليد سيف من سيوف الله الذي في المصرية : أمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين .

سأله الله على الكفار والمنافقين» وقال أحمد: حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن عبد الملك بن عمير قال: استعمل عمر بن الخطاب أبا عبيدة على الشام وعزل خالد بن الوليد، فقال خالد: بعث إليكم أمين هذه الأمة، [سمعت رسول الله ﷺ يقول «أمين هذه الأمة»] أبو عبيدة بن الجراح» فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول «خالد سيف من سيوف الله نعم فتي العشرة» وقد أورده ابن عساکر من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وأبي هريرة، ومن طرق مرسله يقوى بعضها بعضاً، وفي الصحيح «وأما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس أذراعه وأعبده في سبيل الله» وشهد الفتح وشهد حنيناً وغزا بني جذيمة أميراً في حياته عليه السلام. واختلف في شهوده خبيراً [وقد دخل مكة أميراً على طائفة من الجيش وقتل خلقاً كثيراً من قريش، كما قدمنا ذلك مبسوطاً في موضعه، والله الحمد والمنة. وبعثه رسول الله ﷺ إلى العزى - وكانت لهوازن - فكسر قمتها أولاً ثم دعتها وجعل يقول: يا عزي كفرانك لا سبحانك * إني رأيت الله قد أهانك. ثم حرقها] (٢) وقد استعمله الصديق بعد رسول الله ﷺ على قتال أهل الردة وما نعى الزكاة، فشنى واشتقى. ثم وجهه إلى العراق ثم أتى الشام فكانت له من المقامات ما ذكرناها مما تقر بها القلوب والعيون، وتتشف بها الأسماع. ثم عزله عمر عنها وولى أبا عبيدة وأبقاه مستشاراً في الحرب، ولم يزل بالشام حتى مات على فراشه رضى الله عنه.

وقد روى الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: لما حضرت خالداً الوفاة بكى ثم قال: لقد حضرت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء. وقال أبو يعلى: ثنا شريح بن يونس ثنا يحيى بن زكريا عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس. قال: قال خالد بن الوليد: ما ليلة يهدى إلى فيها عروس، أو أبشر فيها بغلام بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو. وقال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن خيشمة قال: أتى خالد برجل معه زق خمر فقال: اللهم اجعله عسلاً، فصار عسلاً. وله طرق، وفي بعضها مر عليه رجل معه زق خمر فقال له خالد: ما هذا؟ فقال: عسل فقال: اللهم اجعله خلا، فلما رجع إلى أصحابه قال: جئتكم بخمر لم يشرب العرب مثله، ثم فتحه فإذا هو خل، فقال أصابته والله دعوة خالد رضى الله عنه. وقال حماد بن سامة عن ثمامة عن أنس. قال: لقي خالد عدواً له فولى عنه المسلمون منهزمين وثبت هو وأخو البراء بن مالك: وكنت بينهما واقفاً، قال: فنكس خالد رأسه ساعة إلى الأرض ثم رفع رأسه إلى السماء ساعة - قال: وكذلك كان يفعل إذا أصابه مثل هذا - ثم

قال لأخي البراء: قم فركبا، واختطبت خالد من معه من المسلمين وقال: ماهو إلا الجنة وما إلى المدينة سبيل. ثم حمل بهم فهزم المشركين.

وقد حكى مالك عن عمر بن الخطاب أنه قال لأبي بكر: اكتب إلى خالد أن لا يعطى شاة ولا بعيراً إلا بأمرك. فكتب أبو بكر إلى خالد بذلك، فكتب إليه خالد: إما أن تدعنى وعملى، وإلا فشأنك بملك. فأشار عليه عمر بعزله، فقال أبو بكر: فمن يجزى عنى جزاء خالد؟ قال عمر: أنا. قال: فأنت. فتجهز عمر حتى أتى الظاهر في الدار، ثم جاء الصحابة فأشاروا على الصديق بإبقاء عمر بالمدينة وإبقاء خالد بالشام. فلما ولى عمر كتب إلى خالد بذلك فكتب إليه خالد بمثل ذلك فعزله، وقال: ما كان الله ليراني أمر أبابكر بشيء لا أفذه أنا. وقد روى البخاري في التاريخ وغيره من طريق علي بن رباح عن ياسر بن سمي البرقي، قال: سمعت عمر يعتذر إلى الناس بالجباية من عزل خالد، فقال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف واللسان، فأمرت أبا عبيدة. فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: ما اعتذرت يا عمر، لقد نزعنا عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، ووضعت لواءه رفعه رسول الله ﷺ، وأخذت سيفاً سله الله، ولقد قطعت الرحم، وحسدت ابن العم. فقال عمر: إنك قريب القرابة، حديث السن مغضب في ابن عمك. قال الواقدي رحمه الله، ومحمد بن سعيد وغير واحد: مات سنة إحدى وعشرين بقرية على

ميل من حمص، وأوصى إلى عمر بن الخطاب. وقال دحيم وغيره: مات بالمدينة. والصحيح الأول. وقدمنا فيما سلف تعزير عمر له حين أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف، وأخذ من ماله عشرين ألفاً أيضاً. وقدمنا عتبه عليه لدخوله الحمام وتدلكه بعد التورة بدقيق عصفور معجون بخمر، واعتذار خالد إليه بأنه صار غسولاً. وروينا عن خالد أنه طلق امرأة من نسائه وقال: إني لم أطلقها عن ريبة، ولكنهما لم تمرض عندي ولم يصبها شيء في بدنها ولا رأسها ولا في شيء من جسدها. وروى سيف وغيره: أن عمر قال حين عزل خالداً عن الشام، والمنى بن حارثة عن العراق: إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما وأن القوة لله جميعاً. وروى سيف أيضاً أن عمر قال حين عزل خالداً عن قنسرين وأخذ منه ما أخذ: إنك على لكريم، وإنك عندي لعزير، ولن يصل إليك مني أمر تكرهه بعد ذلك. وقد قال الأصمعي عن سبعة عن بلال عن مجالد عن الشعبي قال: اصطرع عمر وخالد وهما غلامان - وكان خالد ابن خال عمر - فكسر خالد ساق عمر، فعوجت وجبرت، وكان ذلك سبب العداوة بينهما. وقال الأصمعي عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال: دخل خالد على عمر وعليه قيض حرير فقال عمر: ما هذا يا خالد؟ فقال: وما بأس يا أمير المؤمنين، أليس قد لبسه عبد الرحمن بن عوف؟ فقال: وأنت مثل ابن عوف؟ ولك مثل ما لابن عوف؟ عزمت

على من بالبيت إلا أخذ كل واحد منهم بطائفة مما يليه . قال : فزقوه حتى لم يبق منه شيء . وقال عبد الله بن المبارك عن حماد بن زيد حدثنا عبد الله بن المختار عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل - ثم شك حماد في أبي وائل - قال : ولما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال : لقد طلبت القتل في مظانته فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي . وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليسة بتها وأنا متوسر السماء تهلني تمطر إلى الصبح ، حتى تغير على الكفار . ثم قال : إذا أنامت فانظروا إلى سلاحى وفرسى فأجملوه عدة في سبيل الله . فلما توفي خرج عمر على جنازته فدكر قوله : ما على آل نساء الوليد أن يسفنن على خالد من دموعهن ما لم يكن تقعا أو لقلقة .

قال ابن المختار : النقع التراب على الرأس ، والقلقة الصوت . وقد علق البخارى في صحيحه بعض هذا فقال : وقال عمر : دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن تقعا أو لقلقة . وقال محمد بن سعد ثنا وكيع وأبو معاوية وعبد الله بن نمير قالوا : حدثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة قال : لما مات خالد ابن الوليد اجتمع نسوة بنى المغيرة في دار خالد يبكين عليه فقيل لعمر : إنهن قد اجتمعن في دار خالد يبكين عليه ، وهن خلقاء أن يسمعنك بعض ماتكركه . فأرسل إليهن فأنهين . فقال عمر : وما عليهن أن يتزفن من دموعهن على أبي سليمان ، ما لم يكن تقعا أو لقلقة . ورواه البخارى في التاريخ من حديث الأعمش بنحوه .

وقال إسحق بن بشر وقال محمد : مات خالد بن الوليد بالمدينة فخرج عمر في جنازته وإذا أمه تندبه وتقول :

أنت خير من ألف من القوم * م إذا ما كبت وجوه الرجال

فقال : صدقت والله إن كان كذلك .

وقال سيف بن عمر عن شيوخه عن سالم . قال : فأقام خالد في المدينة حتى إذا ظن عمر أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به ، وقد عزم على توليته بعد أن يرجع من الحج ، واشتكى خالد بعده وهو خارج من المدينة زائراً لأمه فقال لها : احذروني إلى مهاجري ، فقدمت به المدينة ومرضته فلما ثقل وأظلم قدوم عمر لقيه لاق على مسيرة ثلاث صادراً عن حجة فقال له عمرهم^(١) فقال : خالد ابن الوليد ثقيل لمابه . فطوى عمر ثلاثاً في ليلة فادركه حين قضى ، ففرق عليه واسترجع وجلس ببابه حتى جهز ، وبكته البواكي ، فقيل لعمر : ألا تسمع ألا تنهأهن ؟ فقال : وما على نساء قریش أن يبكين أبا سليمان ؟ ما لم يكن تقعا ولا لقلقة . فلما خرج لجنازته رأى عمر امرأة محرمة تبكيه وتقول :

أنت خير من ألف من النسا * س إذا ما كبت وجوه الرجال

(١) كذا بالحلية وفي المصرية بياض .

أشجاع فأنت أشجع من ليث * ضمير بن جهم أبي أشبال
أجواد فأنت أجود من سيل * دياس يسيل بين الجبال
فقال عمر : من هذه ؟ فقيل له : أمه . فقال : أمه والاله ثلاثاً . وهل قامت النساء عن مثل خالد . قال : فكان عمر يتمثل في طيه تلك الثلاث في ليلة وفي قدومه .

تبكي ما وصلت به الندامى * ولا تبكي فوارس كالجبال

أولئك إن بكيت أشد فقدا * من الأذهاب والعكر الجلال

تمنى بعدم قوم مدام * فلم يدنوا لأسباب السكال

وفي رواية أن عمر قال لأُم خالد : أخالداً أو أجره ترزقين ؟ عزمت عليك أن لا تبيني حتى تسود يدك من الخضاب . وهذا كله مما يقتضى موته بالمدينة النبوية ، وإليه ذهب دحيم عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي ، ولكن المشهور عن الجمهور وهم الواقدي ، وكاتبه محمد بن سعد ، وأبو عبيد القاسم ابن سلام ، وإبراهيم بن المنذر ، ومحمد بن عبد الله بن نمير ، وأبو عبد الله العصفري ، وموسى بن أيوب ، وأبو سليمان بن أبي محمد وغيرهم ، أنه مات بجمص سنة إحدى وعشرين . زاد الواقدي : وأوصى إلى عمر بن الخطاب . وقد روى محمد بن سعد عن الواقدي عن عبد الرحمن بن أبي الزناد وغيره قالوا : قدم خالد المدينة بعد ما عزله عمر فاعتمر ثم رجع إلى الشام ، فلم يزل بها حتى مات في سنة إحدى وعشرين . وروى الواقدي أن عمر رأى حجاجاً يصلون بمسجد قباء فقال : أين نزلتم بالشام ؟ قالوا : بجمص ، قال : فهل من معرفة خبير ؟ قالوا : نعم مات خالد بن الوليد . قال : فاسترجع عمر وقال : كان والله سداداً لنحور العدو ، ميمون النقيبة . فقال له على : فلم عزله ؟ قال : لبذله المال لذوى الشرف واللسان .

وفي رواية أن عمر قال لعلى : ندمت على ما كان مني . وقال محمد بن سعد : أخبرنا عبد الله بن الزبير الحميدي ثنا سفيان بن عيينة ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت قيس بن أبي حازم يقول : لما مات خالد بن الوليد قال عمر : رحم الله أبا سليمان ، لقد كنا نظن به أموراً ما كانت . وقال جوبرية عن نافع قال : لما مات خالد لم يوجد له إلا فرسه وغلماؤه وسلاحه ، وقال القاضي المعافى بن زكريا الحريري : ثنا أحمد بن العباس العسكري ، ثنا عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الرحمن بن حمزة اللخمي ثنا أبو علي الحرنازي قال : دخل هشام بن البحتري في ناس من بني مخزوم على عمر بن الخطاب فقال له : ياهشام أنشدني شعرك في خالد . فأنشده فقال : قصرت في الثناء على أبي سليمان رحمه الله ، إنه كان ليحب أن يذل الشرك وأهله ، وإن كان الشامت به لتعرضاً لقت الله . ثم قال عمر قاتل الله أخا بني تميم ما أشعره .

وقل للذي يبقى خلاف الذي مضى * تهباً لأخرى مثلها فكان قدى
فما عيش من قد عاش بعدى بنافعي * ولا موت من قد مات يوماً بمخلدى
ثم قال عمر : رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه . ولقد مات سعيداً وعاش حميداً
ولكن رأيت الدهر ليس بقائل .

﴿ طليحة بن خويلد ﴾

ابن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن قعس بن طريف بن عمر بن قعير بن الحارث بن
ثعلبة بن داود بن أسد بن خزاعة الأسدي القعسي ، كان ممن شهد الخندق من ناحية المشركين ،
ثم أسلم سنة تسع ، ووفد على رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم ارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ في أيام
الصديق ، وادعى النبوة كما تقدم ، وروى ابن عساکر أنه ادعى النبوة في حياة رسول الله ﷺ
وأن ابنه خيال قدم على رسول الله ﷺ فسأله : ما اسم الذي يأتي إلى أبيك ؟ فقال : ذو النون
الذي لا يكذب ولا يخون ، ولا يكون كما يكون . فقال : لقد سمى ملكاً عظيماً الشأن ، ثم قال لابنه :
قتلك الله وحرمتك الشهادة . وردته كما جاء . فقتل خيال في الردة في بعض الوقائع قتله عكاشة بن
محسن ثم قتل طليحة عكاشة وله مع المسلمين وقائع . ثم خذله الله على يدي خالد بن الوليد ، وتفرق
جسده فهرب حتى دخل الشام فنزل على آل جفنة ، فأقام عندهم حتى مات الصديق حياء منه ، ثم
رجع إلى الإسلام واعتزم ، ثم جاء يسلم على عمر فقال له : اغرب عني فانك قاتل الرجلين الصالحين ،
عكاشة بن محسن ، ونابت بن أرقم ، فقال : يا أمير المؤمنين هما رجلان أكرمهما الله على يدي ولم
يهتئ بأيديهما . فأعجب عمر كلامه ورضى عنه . وكتب له بالوصاية إلى الأمراء أن يشاوروا ولا يولي شيئاً
من الأمر ثم عاد إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك وبعض حروب كالفارسية ونهاوند الفرس ، وكان من
الشجعان المذكورين ، والأبطال المشهورين ، وقد حسن إسلامه بعد هذا كله . وذكروه محمد بن سعد
في الطبقة الرابعة من الصحابة وقال : كان يعد بألف فارس لشدة وشجاعته وبصره بالحرب . وقال
أبو نصر بن مالك : أسلم ثم ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه ، وكان يعدل بألف فارس . ومن شعره
أيام رده وادعائه النبوة في قتل المسلمين أصحابه .

فما ظنكم بالقوم إذ تقتلونهم * أليسوا وإن لم يسلموا برجال
فان يكن اذداد أصيب ونسوة * فلم يذهبوا فرعا بقتل خيال
نصبت لهم صدر الحماله إنها * معاودة قتل الكجاة نزال
فيوماً تراها في الجلال مصونة * ويوماً تراها غير ذات جلال
ويوماً تراها تضي المشرفية نحوها * ويوماً تراها في ظلال عوالي

عشية غادرت ابن أرقم ناولياً * وعكاشة العمى عند مجال
وقال سيف بن عمر عن مبشر بن الفضيل عن جابر بن عبد الله . قال : بالله الذي لا إله إلا هو
ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة ، ولقد أتبعنا ثلاثة نفر فما رأينا كما
هجمنا عليهم من أمانتهم وزهدهم ، طليحة بن خويلد الأسدي ، وعمرو بن معدى كرب ، وقيس
ابن المكشوح . قال ابن عساکر : ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن الفراس الوراق أن طليحة
استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين مع النعمان بن مقرن ، وعمرو بن معدى كرب رضي الله عنهم .

﴿ عمرو بن معدى كرب ﴾

ابن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن عمرو بن زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة
ابن شيبه وهو زبيد الأكبر بن الحارث بن صعف بن سعد العشير بن مذحج الزبيدي المذحجي
أبو ثور ، أحد الفرسان المشاهير الأبطال ، والشجعان المداكبر ، قدم على رسول الله ﷺ سنة تسع ،
وقيل عشر ، مع وفد مراد ، وقيل في وفد زبيد قومه . وقد ارتد مع الأسود العنسي فسار إليه خالد بن
سعيد بن العاص ، فقاتله فضر به خالد بن سعيد بالسيف على عاتقه فهرب وقومه ، وقد استلب خالد
سيفه الصمصامة ، ثم أسروا ودفع إلى أبي بكر فأنبه وعاتبه واستتابه ، فتاب وحسن إسلامه بعد ذلك ،
فسيره إلى الشام ، فشهد اليرموك ثم أمره عمر بالسير إلى سعد وكتب بالوصاية به ، وأن يشاور ولا
يولي شيئاً ، فنفق الله به الإسلام وأهله ، وأبى بلاء حسناً يوم القادسية . وقيل إنه قتل بها ، وقيل
بنهاوند ، وقيل مات عطشاً في بعض القرى يقال لها روضة فأنه أعلم . وذلك كله في إحدى وعشرين
فقال بعض من رثاه من قومه :

لقد غادر الزكيان يوم تحملوا * بروذة شخصاً لا جباناً ولا غمرا
فقل لزبيد بل لمذحج كلها * رزقتم أبا ثور قريع الوغى عمرا
وكان عمرو بن معدى كرب رضي الله عنه من الشعراء المجيدين ، فمن شعره :
أعاذل عدتي بدني ورمحي * وكل مقلص سلس القياد
أعاذل : إنما أفنى شبابي * إجابتي الصريح إلى المنادى
مع الأبطال حتى سل جسمي * وأفرغ عاتقي حمل النجاد
ويبقى بعد حلم القوم حلمي * ويفني قبل زاد القوم زادي
تمنى أن يلاقيني قبيس * وددت وأينما منى ودادي
فمن ذا عاذري من ذي سفاه * يرود بنفسه منى المرادي
أريد حياته ويريد قتلي * عذرك من خليلك من مرادي

له حديث واحد في التلمية رواه شراحيل بن القعقاع عنه ، قال : كنا نقول في الجاهلية إذا لبينا : لبيك تعظيماً إليك عندي * هذي زبيد قد أتتك قسراً * يمدو بها مضمرات شزراً * يقطعن خبتنا وجبالاً وعراً * قد تركوا الاوثان خلواً صفرأ * قال عمرو : فنحن نقول الآن والله الحمد كما علمنا رسول الله ﷺ : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

✽ العلاء بن الحضرمي ✽

أمير البحرين لرسول الله ﷺ وأقره عليها أبو بكر ثم عمر . تقدم أنه توفي سنة أربع عشرة ومئتم من يقول إنه تأخر إلى سنة إحدى وعشرين ، وعزله عمر عن البحرين وولى مكانه أباهريرة . وأمره عمر على الكوفة فأت قبل أن يصل إليها منصرفه من الحج . كما قدمنا ذلك والله أعلم . وقد ذكرنا في دلائل النبوة قصته في سيره بجيشه على وجه الماء وما جرى له من خرق العادات والله الحمد .

✽ النعمان بن مقرن بن عائذ المزني ✽

أمير وقعة نهاوند ، صحابي جليل ، قدم مع قومه من مزينة في أربع مائة راكب ، ثم سكن البصرة وبعثه الفاروق أميراً على الجنود إلى نهاوند ، ففتح الله على يديه فتحاً عظيماً ، ومكن الله له في تلك البلاد ، ومكنه من رقاب أولئك العباد ، ومكن به للمسلمين هنالك إلى يوم التناد ، ومنحه النصر في الدنيا ويوم يقوم الأشهداء ، وأتاح له بعدما أراه ما أحب شهادة عظيمة وذلك غاية المراد ، فكان ممن قال الله تعالى في حقه في كتابه المبين وهو صراطه المستقيم (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

✽ ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ✽

✽ وفيها كانت فتوحات كثيرة فيما ذكره ابن جرير وغيره من الأئمة في هذا الشأن ✽

✽ فتح همدان ثانية ثم الرى وما بعدها ثم أذربيجان ✽

قال الواقدي وأبو معشر : كانت في سنة ثنتين وعشرين . وقال سيف : كانت في سنة ثمانى عشرة بعد فتح همدان والرى وجرجان . وأبو معشر يقول بأن أذربيجان كانت بعد هذه البلدان ، ولكن عنده أن الجميع كان في هذه السنة . وعند الواقدي أن فتح همدان والرى في سنة ثلاث وعشرين ، فهمدان افتتحها المغيرة بعد مقتل عمر بستة أشهر ، قال : ويقال كان فتح الرى قبل وفاة عمر بستين ، إلا أن الواقدي وأبا معشر متفقان على أن أذربيجان في هذه السنة ، وتبعهما ابن جرير وغيره . وكان السبب في ذلك أن المسلمين لما فرغوا من نهاوند وما وقع من الحرب المتقدم ، فتحوا

حلوان وهمدان بعد ذلك . ثم إن أهل همدان تقضوا عهدهم الذي صالحهم عليه القعقاع بن عمرو ، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همدان ، وأن يجعل على مقدمته أخاه سويد بن مقرن ، وعلى مجنبيه ربعي بن عامر الطائي ، ومهلل بن زيد التميمي . فسار حتى نزل على ثنية العسل ، ثم تحدر على همدان ، واستولى على بلادها ، وحاصرها فسألوه الصلح فصالحهم ودخلها ، فبينما هو فيها ومعه اثني عشر ألفاً من المسلمين اذ تسكف الروم والديلم وأهل الرى وأهل أذربيجان ، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن في جمع كثير ، فعلى الديلم ملكهم واسمه موتا ، وعلى أهل الرى أبو الفرخان ، وعلى أذربيجان أسفندياذ أخو رستم ، فخرج إليهم بن معه من المسلمين حتى التقوا بمكان يقال له واج الروذ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً وكانت وقعة عظيمة تعدل نهاوند ولم تك دونها ، فقتلوا من المشركين جمعاً كثيراً ، وجمعاً غفيراً لا يحصون كثرة ، وقتل ملك الديلم موتا وتمزق شملهم ، وانهمزموا بأجمعهم ، بعد من قتل بالمعركة منهم ، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم من المسلمين : وقد كان نعيم كتب إلى عمر يعلمه باجتماعهم فبه ذلك واغتم له . فلم يفتجأ إلا البريد بالبشارة فحمد الله وأثنى عليه ، وأمر بالكتاب فقريء على الناس ، وفرحوا وحمدوا الله عز وجل . ثم قدم عليه بالأخماس ثلاثة من الأمراء وهم سماك بن خرشة ، ويعرف بأبي دجاجة ، وسماك بن عبيد ، وسماك بن محرمة . فلما استسماهم عمر قال : اللهم اسمك بهم الاسلام ، وأمد بهم الاسلام ، ثم كتب إلى نعيم بن مقرن بأن يستخلف على همدان ويسير إلى الرى . فامثل نعيم . وقد قال نعيم في هذه الوقعة :

ولما أتاني أن موتا ورهطه * بنى باسل جروا جنود الأعاجم
نهضت إليهم بالجنود مساميا * لا منع منهم ذمتي بالقواصم
فجئنا إليهم بالحديد كأننا * جبال تراءى من فروع القلاصم
فلما لقيناهم بها مستفيضة * وقد جعلوا يسمون فعل المسام
صدمناهم في واج روذ بجمعنا * غداة رميناهم بأحدى العظام
فما صبروا في حومة الموت ساعة * لحد الرماح والسيوف الصوارم
كأنهم عند انبثاث جموعهم * جدار تشظى لبته للهادم
أصبنا بها موتا ومن لف جمعه * وفيها نهاب قسمه غير عاتم
تبغناهم حتى أووا في شعابهم * فنقتلهم قتل الكلاب الجواحم
كأنهم في واج روذ وجوه * ضنين أصابتها فروع الحارم

✽ فتح الرى ✽

استخلف نعيم بن مقرن على همدان يزيد بن قيس الهمداني وسار بالجيش حتى لحق بالرى فلقى

هناك جمعاً كثيراً من المشركين فاقتتلوا عند سفح جبل الري فصبروا صبراً عظيماً ثم انهزموا فقتل منهم النعمان بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عدوا بالقصب فيها ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة قريباً مما غنم المسلمون من المدائن . وصالح أبو الفرخان على الري ، وكتب له أماناً بذلك ، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ثم بالأخماس والله الحمد والمنة .

﴿ فتح قومن ﴾

ولما ورد البشير بفتح الري وأخماسها كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قومن . فسار إليها سويد ، فلم يبق له شيء حتى أخذها مسلماً وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح .

﴿ فتح جرجان ﴾

لما عسكر سويد بقومن بعث إليه أهل بلدان شتى منها جرجان وطبرستان وغيرها يسألونه الصلح على الجزية ، فصالح الجميع وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان وصلح . وحكى المدائني أن جرجان فتحت في سنة ثلاثين أيام عثمان بالله أعلم .

﴿ وهذا فتح أذربيجان ﴾

لما افتتح نعيم بن مقرن همدان ثم الري ، وكان قد بعث بين يديه بكير بن عبد الله من همدان إلى أذربيجان ، وأردفه بسماك بن خرشة ، فلقى أسفندياذ بن الفرخزاذ بكيراً وأصحابه ، قبل أن يقدم عليهم سماك ، فاقتتلوا فهزم الله المشركين ، وأسر بكير أسفندياذ ، فقال له أسفندياذ : الصلح أحب إليك أم الحرب ؟ فقال : بل الصلح . قال : فأمسكني عندك . فأمسكه ثم جعل يفتح بلداً بلداً وعتبة بن فرقد أيضاً يفتح معه بلداً بلداً في مقابلته من الجانب الآخر . ثم جاء كتاب عمر بأن يتقدم بكير إلى الباب وجعل سماك موضعه نائباً لعتبة بن فرقد ، وجمع عمر أذربيجان كلها لعتبة بن فرقد ، وسلم إليه بكير أسفندياذ ، وسار كما أمره عمر إلى الباب . قالوا : وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاذ لعتبة بن فرقد فهزمه عتبة وهرب بهرام ، فلما بلغ ذلك أسفندياذ وهو في الأسر عند بكير قال : الآن تم الصلح وطفئت الحرب . فصالحه فأجاب إلى ذلك كلهم . وعادت أذربيجان مسلماً ، وكتب بذلك عتبة وبكير إلى عمر ، وبعثوا بالأخماس إليه ، وكتب عتبة حين انتهت إمرة أذربيجان لأهلها كتاب أمان وصلح .

﴿ فتح الباب ﴾

قال ابن جرير : وزعم سيف أنه كان في هذه السنة كتب عمر بن الخطاب كتاباً بالامرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو - الملقب بندي النور - وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ، ويقال له

- ذو النور أيضاً - وجعل على إحدى الجنبتين حذيفة بن أسيد ، وعلى الأخرى بكير بن عبد الله الليثي - وكان قد تقدمهم إلى الباب - وعلى المقام سلمان بن ربيعة . فساروا كما أمرهم عمر وعلى تعبته ، فلما انتهى مقدم العساكر - وهو عبد الرحمن بن ربيعة - إلى الملك الذي هناك عند الباب وهو شهر براز ملك أرمينية وهو من بيت الملك الذي قتل بنو إسرائيل وغزا الشام في قديم الزمان ، فكتب شهر براز لعبد الرحمن واستأمنه فأمنه عبد الرحمن بن ربيعة ، فقدم عليه الملك ، فأنبى إليه أن صفوه إلى المسلمين ، وأنه مناصح للمسلمين . فقال له : إن فوق رجلاً فاذهب إليه . فبعثه إلى سراقة ابن عمرو وأمير الجيش ، فسأل من سراقة الأمان ، فكتب إلى عمر فأجاز ما أعطاه من الأمان ، واستحسنه ، فكتب له سراقة كتاباً بذلك . ثم بعث سراقة بكيراً ، وحييب بن مسلمة ، وحذيفة ابن أسيد ، وسلمان بن ربيعة ، إلى أهل تلك الجبال المحيطة بأرمينية جبال اللان وتغليس وموقان ، فاقتتح بكير موقان ، وكتب لهم كتاب أمان ومات في غضون ذلك أمير المسلمين هنالك ، وهو سراقة بن عمرو ، واستخلف بعده عبد الرحمن بن ربيعة ، فلما بلغ عمر ذلك أقره على ذلك وأمره بغزو الترك .

﴿ أول غزو الترك ﴾

وهو تصديق الحديث المتقدم الثابت في الصحيح عن أبي هريرة وعمر بن تغلب ، أن رسول الله ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً عراض الوجوه ، دلف الأنوف ، حمر الوجوه ، كأن وجوههم الحجان المطرقة . وفي رواية « يتلعون الشعر »

لما جاء كتاب عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو الترك ، سار حتى قطع الباب قاصداً لما أمره عمر ، فقال له شهر براز : أين تريد ؟ قال : أريد ملك الترك بلنجر ، فقال له شهر براز : إنا لنرضى منهم بالموادعة ، ونحن من وراء الباب . فقال له عبد الرحمن : إن الله بعث إلينا رسولا ، ووعدنا على لسانه بالنصر والظفر ، ونحن لا نزال منصورين ، فقاتل الترك وسار في بلاد بلنجر مائتي فرسخ ، وغزا مرات متعددة . ثم كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان كما سنورده في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال سيف بن عمر عن العيص بن القاسم عن رجل عن سلمان بن ربيعة . قال : لما دخل عليهم عبد الرحمن بن ربيعة بلادهم حال الله بين الترك والخروج عليه ، وقالوا : ما اجترأ علينا هذا الرجل إلا ومعهم الملائكة تمنعهم من الموت . فتحصنوا منه وهربوا بالغمم والظفر . ثم إنه غزاهم غزوات في زمن عثمان فظفر بهم ، كما كان يظفر بغيرهم . فلما ولي عثمان على الكوفة بعض من كان ارتد ، غزاهم فتدامرت الترك وقال بعضهم لبعض : إنهم لا يموتون ، قال : انظروا وقلوا فاختلفوا لهم في الفيض .

فرمى رجل منهم رجلاً من المسلمين على غرة فقتله وهرب عنه أصحابه ، فخرجوا على المسلمين بعد ذلك حتى عرفوا أن المسلمين يموتون ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ونادى مناد من الجوس صبراً آل عبد الرحمن وموعدكم الجنة ، فقاتل عبد الرحمن حتى أقتل وانكشف الناس وأخذ الراية سلمان بن ربيعة فقاتل بها ، ونادى المنادى من الجوس صبراً آل سلمان بن ربيعة . فقاتل قتالاً شديداً ثم تميز سلمان وأبو هريرة بالمسلمين ، وفروا من كثرة الترك ورميهم الشديد الشديد على جيلان فقطعوها إلى جرجان ، واجترأت الترك بعدها ، ومع هذا أخذت الترك عبد الرحمن بن ربيعة فدفنوه في بلادهم ، فهم يستسقون بقبره إلى اليوم . وسيأتي تفصيل ذلك كله .

﴿ قصة السد ﴾

ذكر ابن جرير بسنده أن شهر براز قال لعبد الرحمن بن ربيعة لما قدم عليه حين وصل إلى الباب وأراه رجلاً فقال شهر براز : أيها الأمير إن هذا الرجل كنت بعثته نحو السد ، وزودته مالا جزيلاً وكتبت له إلى الملك الذين يولوني ، وبعثت لهم هدايا ، وسألت منهم أن يكتبوا له إلى من يليهم من الملوك حتى ينتهي إلى سدذي القرنين ، فينظر إليه ويأتينا بخبره . فسار حتى انتهى إلى الملك الذي السد في أرضه ، فبعثه إلى عامله مما يلي السد ، فبعث معه بازياره ومعه عقابه ، فلما انتهوا إلى السد إذا جيلان بينهما سد مسدود ، حتى ارتفع على الجبلين ، وإذا دون السد خندق أشد سواداً من الليل لبعده ، فنظر إلى ذلك كله وتفرس فيه ، ثم لما هم بالانصراف قال له البازيار : على رسلك ، ثم شرح بضعة لحم معه فألقاها في ذلك الهواء ، وانقض عليها العقاب . فقال : إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء ، وإن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء . قال : فلم تدركها حتى وقعت في أسفله واتبعها العقاب فأخرجها فاذا فيها ياقوتة وهي هذه . ثم ناولها الملك شهر براز لعبد الرحمن بن ربيعة ، فنظر إليها عبد الرحمن ثم ردها إليه ، فلما ردها إليه فرح وقال : والله لهنه خير من مملكة هذه المدينة - يعني مدينة باب الأبواب التي هو فيها - والله لأنتم أحب إلي اليوم من مملكة آل كسرى ، ولو كنت في سلطنتهم وبلغهم خبرها لانزعوها مني . وأيم الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر . ثم أقبل عبد الرحمن بن ربيعة على الرسول الذي ذهب على السد فقال : ما حال هذا الردم ؟ - يعني ما صفته - فأشار إلى ثوب في زرقه وحمرة فقال : مثل هذا . فقال رجل لعبد الرحمن : صدق والله لقد نفذ ورأى . فقال : أجل وصف صفة الحديد والصفير . قال الله تعالى (يتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطراً) وقد ذكرت صفة السد في التفسير ، وفي أوائل هذا الكتاب . وقد ذكر البخاري في صحيحه تعليقا أن رجلاً قال للنبي ﷺ رأيت السد . فقال : « كيف رأيته » ؟ قال : مثل البرد المحبر رأيتنه .

قالوا : ثم قال عبد الرحمن بن ربيعة لشهر براز : كم كانت هديتك ؟ قال : قيمة مائة ألف في بلادى وثلاثة آلاف في تلك البلدان .

﴿ بقية من خبر السد ﴾

أورد شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ في هذه السنة ما ذكره صاحب كتاب مسالك الممالك عما أملاه عليه سلام الترجمان ، حين بعثه الواثق بأمر الله بن المعتصم - وكان قد رأى في النوم كأن السد قد فتح - فأرسل سلاماً هذا وكتب له إلى الملوك بالوصاية به ، وبعث معه ألفي بغل تحمل طعاماً فساروا بين سامرا إلى إسحق بتفليس ، فكتب لهم إلى صاحب السرير ، وكتب لهم صاحب السرير إلى ملك اللان ، فكتب لهم إلى قبلان شاه ، فكتب لهم إلى ملك الخزر ، فوجه معه خمسة أولاد فساروا ستة وعشرين يوماً فاتهموا إلى أرض سواداء منتنة حتى جعلوا يشمون الخل ، فساروا فيها عشرة أيام ، فاتهموا إلى مدائن خراب مدة سبعة وعشرين يوماً ، وهي التي كانت يأجوج ومأجوج تطرقها فغربت من ذلك الحين ، وإلى الآن ، ثم اتهموا إلى حصن قريب من السد فوجدوا قوماً يعرفون بالعربية وبالفارسية ويحفظون القرآن ، ولهم مكاتب ومساجد ، فجعلوا يعجبون منهم ويسألونهم من أين أقبلوا ، فذكروا لهم أنهم من جهة أمير المؤمنين الواثق فلم يعرفوه بالكلية . ثم اتهموا إلى جبل أملس ليس عليه خضرا وإذا السد هنالك من لبن حديد مغيب في نحاس ، وهو مرتفع جدا لا يكاد البصر ينتهي إليه ، وله شرفات من حديد ، وفي وسطه باب عظيم بمصر عين مغلقين ، عرضهما مائة ذراع ، في طول مائة ذراع ، في ثخانة خمسة أذرع ، وعليه قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع - وذكر أشياء كثيرة - وعند ذلك المسكان حرس يضربون عند القفل في كل يوم فيسمعون بعد ذلك صوتاً عظيماً مزججاً ، فيعلمون أن وراء هذا الباب حرس وحفظة ، وقريب من هذا الباب حصنان عظيمان بينهما عين ماء عذبة ، وفي إحداهما بقايا العمارة من مغارف ولبن من حديد وغير ذلك ، وإذا طول اللبنة ذراع ونصف في مثله ، في سلك شهر . وذكروا أنهم سألوا أهل تلك البلاد هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فأخبرهم وهم أنهم رأوا منهم يوماً أشخاصاً فوق الشرفات ، فهبت الرياح فألقتهم إليهم ، فاذا طول الرجل منهم شهر أو نصف شهر والله أعلم

قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا معاوية الصائفة ، من بلاد الروم ، وكان معه حماد والصحابة فسار وغنم ورجع سالماً . وفيها ولد يزيد بن معاوية ، وعبد الملك بن مروان . وفيها حج بالناس عمر ابن الخطاب وكان عماله فيها على البلاد ، هم الذين كانوا في السنة قبلها . وذكر أن عمر عزل عمارة في هذه السنة عن الكوفة اشتكاه أهلها وقالوا : لا يحسن السياسة ، فعزله وولى أبا موسى الأشعري ، فقال أهل الكوفة : لا نريده ، وشكوا من غلامه فقال : دعوني حتى أنظر في أمري ، وذهب إلى طائفة من

المسجد ليفكر من يولى . فنام من الهم فجاءه المغيرة فجعل يحرسه حتى استيقظ فقال له : إن هذا الأمر عظيم يا أمير المؤمنين ، الذى بلغ بك هذا . قال : وكيف وأهل الكوفة مائة ألف لا يرضون عن أمير ولا يرضى عنهم أمير . ثم جمع الصحابة واستشارهم ، هل يولى عليهم قوياً مشدداً أو ضعيفاً مسلماً ؟ فقال له المغيرة بن شعبه : يا أمير المؤمنين ، إن القوى قوته لك والمسلمين وتشديده لنفسه ، وأما الضعيف المسلم فضعفه عليك وعلى المسلمين وإسلامه لنفسه . فقال عمر للمغيرة - واستحسن ما قال له - اذهب فقد وليت الكوفة . فرده إليها بعد ما كان عزله عنها بسبب ما كان شهد عليه الذين تقدم حدهم بسبب قذفه ، والعم عند الله عز وجل . وبعث أبا موسى الأشعري إلى البصرة [فقيل له : أساءك العزل ؟ فقال : والله ما سرتنى الولاية ، ولقد ساءنى العزل . وفى رواية أن الذى سأله عن ذلك عمر رضى الله عنه] ^(١) ثم أراد عمر أن يبعث سعد بن أبى وقاص على الكوفة بدل المغيرة فعاجلته المنية فى سنة ثلاث وعشرين على ما سأتى بيانه ، ولهذا أوصى لسعد به .

قال الواقدي : وفى هذه السنة غزا الأحنف بن قيس بلاد خراسان ، وقصد البلد الذى فيه يزجرد ملك الفرس . قال ابن جرير : وزعم سيف أن هذا كان فى سنة ثمانى عشرة . قلت : والأول هو المشهور والله أعلم .

﴿ قصة يزجرد بن شهر يار بن كسرى ﴾

﴿ الذى كان ملك الفرس ﴾

لما استلب سعد من يديه مدينة ملكه ، ودار مقره ، وإبوان سلطانه ، وبساط مشورته وحواصله ، تحول من هناك إلى حلوان ، ثم جاء المسلمون ليحاصروا حلوان فتحول إلى الرى ، وأخذ المسلمون حلوان ثم أخذت الرى ، فتحول منها إلى أصبهان ، فأخذت أصبهان ، فسار إلى كرمان فقصد المسلمون كرمان فافتتحوها ، فانتقل إلى خراسان فنزلها . هذا كله والنار التى يعدها من دون الله يسير بها معه من بلد إلى بلد ، ويبنى لها فى كل بلد بيت توقد فيهم على عادتهم ، وهو يحمل فى الليل فى مسيره إلى هذه البلدان على بعير عليه هودج ينام فيه . فبينما هو ذات ليلة فى هودجه وهو نائم فيه ، إذ مروا به على مخاضة فأرادوا أن ينهبوه قبلها لئلا ينزعج إذا استيقظ فى المخاضة ، فلما أيقظوه تغضب عليهم شديداً وشتهمهم ، وقال : حرمتونى أن أعلم مدة بقاء هؤلاء فى هذه البلاد وغيرها ، إنى رأيت فى منامى هذا أنى ومجداً عند الله ، فقال له : ملككم مائة سنة ، فقال : زدنى . فقال : عشر أومائة . فقال : زدنى . فقال : عشرين ومائة سنة . فقال : زدنى فقال لك ، وأنبتهمونى ، فلو تركتمونى لعلمت مدة هذه الأمة .

(١) سقط من الحلبية .

﴿ غزو المسلمين بلاد خراسان ﴾

﴿ مع الأحنف بن قيس ﴾

وذلك أن الأحنف بن قيس هو الذى أشار على عمر بأن يتوسع المسلمون بالفتوحات فى بلاد العجم ، ويضيقوا على كسرى يزجرد ، فانه هو الذى يستحث الفرس والجنود على قتال المسلمين . فأذن عمر بن الخطاب فى ذلك عن رأيه ، وأمر الأحنف ، وأمره بغزو بلاد خراسان . فركب الأحنف فى جيش كثيف إلى خراسان قاصداً حرب يزجرد ، فدخل خراسان فافتتح هراة عنوة واستخلف عليها صحار بن فلان العبدى ، ثم سار إلى مرو والشاهجان وفيها يزجرد ، وبعث الأحنف بين يديه مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى نيسابور ، والحارث بن حسان إلى سرخس . ولما اقترب الأحنف من مرو والشاهجان ، ترحل منها يزجرد إلى مرو الروذ [فافتتح الأحنف مرو والشاهجان فنزلها . وكتب يزجرد حين نزل مرو الروذ] ^(١) إلى خاقان ملك الترك يستمده ، وكتب إلى ملك الصفد [يستمده ، وكتب إلى ملك الصين] ^(٢) يستعينه . وقصد الأحنف بن قيس إلى مرو الروذ وقد استخلف على مرو والشاهجان حارثة بن النعمان ، وقد وفدت إلى الأحنف أمداد من أهل الكوفة مع أربعة أمراء ، فلما بلغ مسيره إلى يزجرد [ترحل إلى بلخ ، فالتقى معه ببلخ يزجرد] ^(٣) فهزمه الله عز وجل وهرب هو ومن بقى معه من جيشه فعبى النهر واستوثق ملك خراسان على يدى الأحنف ابن قيس ، واستخلف فى كل بلدة أميراً ، ورجع الأحنف فنزل مرو الروذ ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكاملها . فقال عمر : وددت أنه كان بيننا وبين خراسان بحر من نار . فقال له على : ولم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن أهلها سينقضون عهدهم ثلاث مرات فيجتاحون فى الثالثة ، فقال : يا أمير المؤمنين [لأن يكون ذلك بأهلها ، أحب إلى من] ^(٤) أن يكون ذلك بالمسلمين وكتب عمر إلى الأحنف ينهيه عن العبور إلى ما وراء النهر . وقال : احفظ ما بيدك من بلاد خراسان . ولما وصل رسول يزجرد إلى اللذين استنجد بهما لم يحتفلا بأمره ، فلما عبر يزجرد النهر ودخل فى بلادها تعين عليهما إنجاده فى شرع الملوك ، فسار معه خاقان الأعظم ملك الترك ، ورجع يزجرد بجنود عظيمة فيهم ملك التتار خاقان ، فوصل إلى بلخ واسترجعها ، وفر عمال الأحنف [إليه إلى مرو الروذ ، وخرج المشركون من بلخ حتى نزلوا على الأحنف] ^(٥) بمرو الروذ فتهرب الأحنف بمن معه من أهل البصرة وأهل الكوفة والجميع عشرون ألفاً فسمع رجلاً يقول لآخر : إن كان الأمير ذا رأى فانه يقف دون هذا الجبل فيجعله وراء ظهره ويبقى هذا النهر خندقاً حوله فلا يأتيه العدو إلا من جهة واحدة . فلما أصبح الأحنف أمر المسلمين فوقفوا فى ذلك الموقف بعينه ،

(١) - (٥) سقط من الحلبية .

وكان أمانة النصر والرشد ، وجاءت الأتراك والفرس في جمع عظيم هائل مزيج ، فقام الأحنف في الناس خطيباً فقال : إنكم قليل وعدوكم كثير ، فلا يهولونكم ، (فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) فكانت الترك يقاتلون بالنهار ولا يدري الأحنف أين يذهبون في الليل . فسار ليلة مع طليعة من أصحابه نحو جيش خاقان ، فلما كان قريب الصبح خرج فارس من الترك طليعة وعليه طوق وضرب بطبله فتقدم إليه الأحنف فاختلفا طعنتين فطعن الأحنف فقتله وهو يرتجز .

ان على كل رئيس حقا * ان يخضب الصعدة أو يندقا

ان لها شيخا بها ملقى * بسيف أبي حفص الذي تبقى

قال : ثم استلب التركي طوقه ووقف موضعه ، فخرج آخر عليه طوق ومعه طبل فجعل يضرب بطبله ، فتقدم إليه الأحنف فقتله أيضاً واستلبه طوقه ووقف موضعه فخرج ثالث فقتله وأخذ طوقه . ثم أسرع الأحنف الرجوع إلى جيشه ولا يعلم بذلك أحد من الترك بالكيفية . وكان من عادتهم أنهم لا يخرجون من صبيبتهم حتى تخرج ثلاثة من كهولهم بين أيديهم يضرب الأول بطبله ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم يخرجون بعد الثالث . فلما خرجت الترك ليلتشد بعد الثالث ، فأتوا على فرسانهم مقتلين ، تشاءم بذلك الملك خاقان وتطير ، وقال لعسكره : قد طال مقامنا وقد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم نصب بمثله ، مالنا في قتال هؤلاء القوم من خير ، فانصرفوا بنا . فرجعوا إلى بلادهم وانتظروا المسلمون يومهم ذلك ليخرجوا إليهم من شعبهم فلم يروا أحدا منهم ، ثم بلغهم انصرفهم إلى بلادهم راجعين عنهم [وقد كان يزدرج - وخاقان في مقابلة الأحنف بن قيس ومقاتلته - ذهب] (٢) إلى مرو والشاهجان فحاصرها وحرارته بن النعمان بها واستخرج منها خزانته التي كان دفعها بها ، ثم رجع وانتظره خاقان ببلخ حتى رجع إليه .

وقد قال المسلمون للأحنف : ماترى في اتباعهم ؟ فقال : أقيموا بمكانكم ودعوهم . وقد أصاب الأحنف في ذلك ، فقد جاء في الحديث « أتروا الترك ما تركوكم » وقد (رد الله الذين كفروا بغبيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً) . ورجع كسرى خاسراً الصقعة لم يشف له غليل ، ولا حصل على خير ، ولا انتصر كما كان في زعمه ، بل تخلى عنه من كان يرجو النصر منه ، وتحنى عنه وتبرأ منه أحوج ما كان إليه ، وبقي مذنباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً) وتخير في أمره ماذا يصنع ؟ وإلى أين يذهب ؟ وقد أشار عليه بعض أولى النهى من قومه حين قال : قد عزمتم أن أذهب إلى بلاد الصين أو أكون مع خاقان في بلاده (١) سقط من الحلبية .

فقالوا : إنا نرى أن نصانع هؤلاء القوم فان لهم ذمة وديننا يرجعون إليه ، فنكون في بعض هذه البلاد وهم مجاورينا ، فهم خير لنا من غيرهم . فأبى عليهم كسرى ذلك . ثم بعث إلى ملك الصين يستغيث به ويستنجده فجعل ملك الصين يسأل الرسول عن صفة هؤلاء القوم الذين قد فتحوا البلاد وقهروا رقاب العباد ، فجعل يخبره عن صفتهم ، وكيف يركبون الخيل والابل ، وماذا يصنعون وكيف يصلون . فكتب معه إلى يزدرج : إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمر وآخره بالصين الجهالة بما يحق على ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك [صفتهم لو يحاولون الجبال لهدوها ، ولو جئت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك] (١) فسالمهم وارض منهم بالمسألة . فأقام كسرى وآل كسرى في بعض البلاد مقهورين . ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل بعد سنتين من إمارة عثمان كما سنورده في موضعه . ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح وما آفاه الله عليهم من أموال الترك ومن كان معهم ، وأنهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلة عظيمة ، ثم ردهم الله بغبيظهم لم ينالوا خيراً . فقام عمر على المنبر وقرئ الكتاب بين يديه ، ثم قال عمر : إن الله بعث محمداً بالهدى [ووعده على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة ، فقال : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى] (٢) ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر جنده . ألا وإن الله قد أهلك ملك الجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شبراً يضير بمسلم ، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبنائهم لينظر كيف تعملون ، فقوموا في أمره على وجل ، يوف لكم بعده ، ويؤتكم وعده ، ولا تغيروا يستبدل قوماً غيركم ، فإني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي الحافظ في تاريخ هذه السنة - أعنى سنة ثنتين وعشرين - : وفيها فتحت أذربيجان على يدي المغيرة بن شعبة . قاله ابن إسحاق : فيقال ، إنه صالحهم على ثمانمائة ألف درهم . وقال أبو عبيدة : فتحها حبيب بن سامة الفهري بأهل الشام عنوة ، ومعه أهل الكوفة فيهم حذيفة فافتتحها بعد قتال شديد والله أعلم . وفيها افتتح حذيفة الدينور عنوة - بعد ما كان سعد افتتحها فانتقضوا عهدهم - . وفيها افتتح حذيفة ماہ سندان عنوة - وكانوا نقضوا أيضاً عهد سعد - وكان مع حذيفة أهل البصرة فلحقهم أهل الكوفة فاختمصوا في الغنيمة ، فكتب عمر : إن الغنيمة لمن شهد الواقعة . قال : أبو عبيدة ثم غزا حذيفة همدان فافتتحها عنوة ، ولم تكن فتحت قبل ذلك ، وإليها انتهى فتوح حذيفة . قال : ويقال افتتحها جري بن عبد الله بأمر المغيرة ويقال : افتتحها المغيرة سنة أربع وعشرين . وفيها افتتحت جرجان . قال خليفة : وفيها افتتح عمر وبن العاص (١) و (٢) سقط من الحلبية .

طرابلس المغرب ، ويقال في السنة التي بمدها . قلت : وفي هذا كله غرابة لنسبته إلى ما سلف والله أعلم . قال شيخنا : وفيها توفي أبي بن كعب في قول الواقدي وابن عمير والذهلي والترمذي ، وقد تقدم في سنة تسع عشرة . ومعه بن يزيد الشيباني استشهد بأذربيجان ولا صحبة له .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ﴾

﴿ وفيها وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

قال الواقدي وأبو معشر : فيها كان فتح اصطخر وهمدان . وقال سيف : كان فتحها بعد فتح توج الآخرة . ثم ذكر أن الذي افتتح توج مجاشع بن مسعود ، بعد ما قتل من الفرس مقتلة عظيمة وغنم منهم غنائم حمة ، ثم ضرب الجزية على أهلها ، وعقد لهم الذمة ، ثم بعث بالفتح وخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ثم ذكر أن عثمان بن أبي العاص افتتح جور بعد قتال شديد كان عندها ، ثم افتتح المسلمون اصطخر . وهذه المرة الثانية ، وكان أهلها قد تقضوا العهد بعد ما كان جند العلاء بن الحضرمي افتتحوها حين جاز في البحر . من أرض البحرين . والتقوا هم والفرس في مكان يقال له طاوس ، كما تقدم بسط ذلك في موضعه . ثم صالحه الهربد على الجزية ، وأن يضرب لهم الذمة . ثم بعث بالأخماس والبشارة إلى عمر . قال ابن جرير : وكانت الرسل لها جوائز ، وتقضى لهم حوائج ، كما كان رسول الله ﷺ يعاملهم بذلك . ثم إن شهرك خلع العهد ، وتقض الذمة ، ونشط الفرس ، فتقضوا ، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص ابنه وأخاه الحكم ، فاقتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين ، وقتل الحكم بن أبي العاص شهرك ، وقتل ابنه معه أيضاً . وقال أبو معشر : كانت فارس الأولى واصطخر الآخرة سنة ثمان وعشرين في إمارة عثمان ، وكانت فارس الآخرة ووقعة جور في سنة تسع وعشرين .

﴿ فتح فسا ودار أيجرد وقصة سارية بن زعيم ﴾

ذكر سيف عن مشايخه أن سارية بن زعيم قصد فسا ودار أيجرد ، فاجتمع له جوع . من الفرس والأكراد . عظيمة ، ودم المسلمون منهم أمر عظيم وجمع كثير ، فرأى عمر في تلك الليلة فيما يرى النائم معركتهم وعددهم في وقت من النهار ، وأنهم في صحراء وهناك جبل إن أسندوا إليه لم يؤتوا إلا من وجه واحد ، فنادى من الغد الصلاة جامعة ، حتى إذا كانت الساعة التي رأى أنهم اجتمعوا فيها ، خرج إلى الناس وصعد المنبر ، فخطب الناس وأخبرهم بصفة ما رأى ، ثم قال : ياسارية الجبل الجبل ، ثم أقبل عليهم وقال : إن الله جنوداً ولعل بعضها أن يبلغهم . قال : ففعلوا ما قال عمر ، فنصرهم الله على عدوهم ، وفتحوا البلد . وذكر سيف في رواية أخرى عن شيوخه أن عمر بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ قال : ياسارية بن زعيم الجبل الجبل . فلجأ المسلمون إلى جبل هناك فلم يقدر العدو عليهم إلا من جهة واحدة

فأظفرهم الله بهم ، وفتحوا البلد . وغنموا شيئاً كثيراً ، فكان من جملة ذلك سفظ من جوهر فاستوهبه سارية من المسلمين لعمر ، فلما وصل إليه مع الأخماس قدم الرسول بالخمس فوجد عمر قائماً في يده عصا وهو يطعم المسلمين سماطهم ، فلما رآه عمر قال له : اجلس - ولم يعرفه - ، فجلس الرجل فأكل مع الناس ، فلما فرغوا انطلق عمر إلى منزله واتبعه الرجل ، فاستأذن فأذن له وإذا هو قد وضع له خبز وزيت وملح ، فقال : ادن فكل . قال : فجلست فجعل يقول لامرأته : ألا تخرجين ياهذه فتأكلين ؟ فقالت : إني أسمع حس رجل عندك . فقال : أجل ، فقالت : لو أردت أن أبرز للرجال اشتريت لي غير هذه الكسوة . فقال : أوما ترضين أن يقال أم كلثوم بنت علي وامرأة عمر . فقالت : ما أقل غناء ذلك عني . ثم قال للرجل : ادن فكل فلو كانت راضية لكان أطيب مما ترى . فأكلا فلما فرغا قال : أنا رسول سارية بن زعيم يا أمير المؤمنين . فقال : مرحباً وأهلاً . ثم أدناه حتى مست ركبته ركبته ، ثم سأله عن المسلمين ، ثم سأله عن سارية بن زعيم ، فأخبره ثم ذكر له شأن السفظ من الجوهر فأبى أن يقبله وأمر برده إلى الجند . وقد سأل أهل المدينة رسول سارية عن الفتح فأخبرهم ، فسألوه : هل سمعوا صوتاً يوم الواقعة ؟ قال : نعم ، سمعنا قائلاً يقول : ياسارية الجبل ، وقد كدنا نهلك فلجأنا إليه ففتح الله علينا . ثم رواه سيف عن مجالد عن الشعبي بنحو هذا . وقال عبد الله بن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن عمر وجه جيشاً ورأس عليهم رجلاً يقال له سارية ، قال : فبينما عمر يخطب فجعل ينادي : ياسارى الجبل ياسارى الجبل ثلاثاً . ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر : فقال : يا أمير المؤمنين هزمننا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا متنادياً ياسارية الجبل ثلاثاً فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمنهم الله . قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك . وهذا إسناد جيد حسن .

وقال الواقدي : حدثني نافع بن أبي نعيم عن نافع مولى ابن عمر . أن عمر قال على المنبر : ياسارية ابن زعيم الجبل . فلم يدر الناس ما يقول حتى قدم سارية بن زعيم المدينة على عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين كنا محاصري العدو فكنا نقيم الأيام لا يخرج علينا منهم أحد ، نحن في خفض من الأرض وهم في حصن عال ، فسمعت صائحاً ينادي بكذا وكذا ياسارية بن زعيم الجبل ، فعلوت بأصحابي الجبل ، فما كان إلا ساعة حتى فتح الله علينا . وقد رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر بنحوه ، وفي صحته من حديث مالك نظر . وقال الواقدي : حدثني أسامة بن زيد عن أسلم عن أبيه . وأبوسليمان عن يعقوب بن زيد قال : خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة إلى الصلاة فصعد المنبر ثم صاح : ياسارية بن زعيم الجبل ، ياسارية بن زعيم الجبل ، ظلم من استرعى الذئب الغنم . ثم خطب حتى فرغ ، فجاء كتاب سارية إلى عمر : إن الله قد فتح علينا يوم الجمعة ساعة كذا وكذا . لتلك الساعة التي خرج فيها عمر فتكلم على المنبر . قال : سارية فسمعت صوتاً

ياسارية بن زعيم الجبل ، ياسارية بن زعيم الجبل ، ظم من استرعى الذئب الغنم ، فعلوت بأصحابي الجبل ، ونحن قبل ذلك في بطن واد ، ونحن محاصروا العدو ففتح الله علينا . فقيل لعمر بن الخطاب ما ذلك الكلام ؟ فقال : والله ما ألقيت له إلا بشئ ألقى على لساني . فهذه طرق يشد بعضها بعضاً . ثم ذكر ابن جرير عن طريق سيف عن شيوخه فتح كرمان على يدي سهيل بن عدى وأمه عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، وقيل على يدي عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وذكروا فتح سجستان على يدي عاصم بن عمرو ، بعد قتال شديد ، وكانت ثغورها متمعة ، وبلاؤها متناثية ، ما بين السند إلى نهر بلخ ، وكانوا يقاتلون التمدُّهار والتركي من ثغورها وفر وجهها . وذكروا فتح مكران على يدي الحكم بن عمرو ، وأمه بشهاب بن المخارق بن شهاب ، وسهيل بن عدى ، وعبد الله بن عبد الله ، واقتلوا مع ملك السند فهزم الله جموع السند ، وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة ، وكتب الحكم ابن عمرو بالفتح وبعث بالأخماس مع صحار العبدى ، فلما قدم على عمر سأله عن أرض مكران فقال : يا أمير المؤمنين أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل ، وثمرها دقل ، وعدوها بطل ، وخيرها قليل ، وشرها طويل ، والكتير بها قليل ، والقليل بها ضائع ، وما وراءها شر (١) منها . فقال عمر : أسجّع أنت أم مخبر ؟ فقال : لا ، بل مخبر ، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو أن لا يغزو بعد ذلك مكران ، وليقتصر على مادون النهر . وقد قال الحكم بن عمرو في ذلك :

لقد شبع الأرامل غير نخر * بنى جاءهم من مكران
أنام بعد مسغبة وجهد * وقد صفر الشتاء من الدخان
فاني لا ينم الجيش فعلى * ولا سيفي ينم ولا لساني
غداة أذافع الأوباش دفعا * إلى السند العريضة والمداني
ومهران لنا فيما أردنا * مطيع غير مسترخی العنان
فلولا ما نهى عنه أميرى * قطعناه إلى البدد الزواني
* غزوة الاكراد *

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن سيف عن شيوخه : أن جماعة من الأكراد والتف إليهم طائفة من الفرس اجتمعوا فلقبهم أبو موسى بمكان من أرض بيزوذ قريب من نهر تيرى ، ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان وقد استخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ، فتمسلم الحرب وحنق عليهم ، فهزم الله العدو وله الحمد والمنة ، كما هي عادته المستمرة وسنته المستقرة ، في عبادة المؤمنين ، وحزبه المفلحين ، من أتباع سيد المرسلين . ثم خست الغنيمة وبعث بالفتح والخمس (١) في المصرية خير منها .

إلى عمر رضى الله عنه ، وقد سار ضبة بن محسن العنزي فاشتكى أبا موسى إلى عمر ، وذكروا عنه أموراً لا ينقم عليه بسببها ، فاستدعاه عمر فسأله عنها فاعتذر منها بوجوه مقبولة فسمعها عمر وقبلها ، وردته إلى عمله وعذر ضبة فيما تأوله [ومات عمر ، وأبو موسى على صلاة البصرة] (١) .

* خبر سلمة بن قيس الأشجعي والأكراد *

بعثه عمر على سرية ووصاه بوصايا كثيرة بضمون حديث بريدة في صحيح مسلم « اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله » الحديث إلى آخره ، فساروا فلقوا جمعاً من المشركين فدعواهم إلى إحدى ثلاث خلال ، فأبوا أن يقبلوا واحدة منها ، فقاتلهم فقتلوا مقاتلتهم ، وسبوا ذراريتهم ، وغنموا أموالهم . ثم بعث سلمة بن قيس رسولا إلى عمر بالفتح وبالغنائم ، فدكروا وروده على عمر وهو يطعم الناس ، وذهابه معه إلى منزله ، كنعو ما تقدم من قصة أم كلثوم بنت علي ، وطلبها الكسوة كما يكسى طلحة وغيره أزواجهم ، فقال : ألا يكفئك أن يقال بنت علي وامرأة أمير المؤمنين ؟ ثم ذكر طعامه الخشن ، وشرابه من سلت ، ثم شرع يستعلمه عن أخبار المهاجرين ، وكيف طعامهم وأشعارهم ، وهل يأكلون اللحم الذي هو شجرتهم ، ولا بقاء للعرب دون شجرتهم ؟ وذكروا عرضه عليه ذلك السقط من الجوهر ، فأبى أن يأخذه وأقسم على ذلك ، وأمره بأن يرده فيقسم بين الغانمين . وقد أوردته ابن جرير مطولا جداً .

وقال ابن جرير : وفي هذه السنة حج عمر بأزواج النبي ﷺ ، وهي آخر حجة حجها رضى الله عنه . قال : وفي هذه السنة كانت وفاته . ثم ذكر صفة قتله مطولا أيضاً ، وقد ذكرت ذلك مستقصى في آخر سيرة عمر ، فليكتب من هناك إلى هنا .

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان القرشي ، أبو حفص العدوي ، الملقب بالفاروق قيل لقبه بذلك أهل الكتاب . [وأمه حنتمة بنت هشام أخت أبي جهل بن هشام . أسلم عمر وعمره سبع وعشرين سنة ، وشهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وخرج في عدة سرايا ، وكان أميراً على بعضها ، وهو أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ ، وجمع الناس على التراويح ، وأول من عسَّ بالمدينة ، وحمل الدرّة وأدب بها ، ووجد في الحرثمانين ، وفتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، ووجد الأجناد . ووضع الخراج ، ودوّن الدواوين ، وعرض الأعطية ، واستقصى القضاة ، وكوّر الكور ، مثل السواد والأهواز والجبال وفارس وغيرها ، وفتح الشام كله ، والجزيرة والموصل ، (١) سقط من المصرية .

وميا فارقين ، وأمد ، وأرمينية ، ومصر واسكندرية . ومات وعساكره على بلاد الرى . فتح من الشام
اليرموك وبصرى ودمشق والأردن ، وبيسان ، وطبرية ، والجابية ، وفلسطين والزملة ، وعسقلان
وغزة والسواحل والقدس وفتح مصر واسكندرية وطرابلس الغرب وبرقة ، ومن مدن الشام بعلبك
وحمص وقنسرين وحلب وإنطاكية وفتح الجزيرة وحران والرها والرقه ونصيبين ورأس عين وشمشاط
وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة وبلاد الموصل وأرمينية جميعها . وبالعراق القادسية والحيرة
ونهرسبر وساباط ، ومدائن كسرى وكورة الفرات ودجلة والابلة والبصرة والأهواز وفارس ونهاوند
وهمدان والرى وقومس وخراسان واصطخر وأصبهان والسوس ومر و نيسابور وجرجان وأذربيجان
وغير ذلك ، وقطعت جيوشه النهر مراراً ، وكان متواضعاً في الله ، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديداً
في ذات الله ، يرفع الثوب بالأديم ، ويحمل القرية على كتفيه ، مع عظم هيئته ، ويركب الحمار عربياً ،
والبعير مخطوماً بالليف ، وكان قليل الضحك لا يمازح أحداً وكان نقش خاتم كفى بالملوت واعظاً يامر .
وقال النبي ﷺ « أشد أمتي في دين الله عمر » وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال « إن لي
وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض ، فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل
ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر ، وإنيهما السمع والبصر » وعن عائشة أن النبي ﷺ قال
« إن الشيطان يفرق من عمر » وقال « أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر » وقيل لعمر
إنك قضاء . فقال : الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رحماً وملكاً قلوبهم لي رعباً . وقال عمر : لا يحل لي من
مال الله إلا حلتيان حلة للشتاء وحلة للصيف ، وقوت أهلي كرجل من قریش ليس بأغناهم ، ثم أنا
رجل من المسلمين . وكان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين
واشترط عليه أن لا يركب برذونا ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون ذوى
الحاجات . فان فعل شيئاً من ذلك حلت عليه العقوبة . وقيل إنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث
فيكذب فيه الكلمة والكلمتين فيقول عمر : احبس هذه احبس هذه ، فيقول الرجل : والله كلما
حدثتك به حق غير ما أمرتني أن احبسه .

وقال معاوية بن أبي سفيان : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته فلم يردها ،
وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن . وعوتب عمر فقيل له : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على
الحق ؟ فقال : إني تركت صاحبي على جادة ، فان أدركت جادتهما فلم أدركهما في المنزل . وكان يلبس
وهو خليفة جبة صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف بالأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ،
وإذا مر بالنوى وغيره يلتقطه ويرمي به في منازل الناس ينتفعون به .
وقال أنس : كان بين كتفي عمر أربع رقاع ، وإزاره مرقوع بأدم . وخطب على المنبر وعليه إزار

فيه اثني عشر رقعة ، وأنفق في حجته ستة عشر ديناراً ، وقال لابنه : قد أسرفنا ، وكان لا يستظل
بشيء غير أنه كان يلقى كساءه على الشجر ويستظل تحته ، وليس له خيمة ولا فسطاط . ولما قدم
الشام لفتح بيت المقدس كان على جمل أورق تلوح صلته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة
قد طبق رجله بين شعبي الرجل بلا ركاب ، ووطاؤه كبش من صوف ، وهو فراشه إذا نزل ،
وحقيقته محشوة ليفاً ، وهي وسادته إذا نام ، وعليه قميص من كرايس قد رسم وتخرق جيبه ، فلما نزل
قال : ادعوا لي رأس القرية ، فدعوه فقال : اغسلوا قميصي وخيطوه وأعبروني قميصاً ، فأني بقميص
كتان ، فقال : ما هذا ؟ فقيل كتان . فقال : فما الكتان ؟ فأخبروه . فنزع قميصه ففسلوه وخاطوه
ثم لبسه ، فقال له : أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الابل . فأني ببرذون فطرح
عليه قطيفة بلاسرج ولا رحل ، فلما سار جعل [البرذون] يهملج به فقال لمن معه : احبسوا ، ما كنت
أظن الناس يركبون الشياطين ، هاتوا جملي . ثم نزل وركب الجملي .

وعن أنس قال : كنت مع عمر فدخل حائطاً لحاجته فسمعتة يقول - ويذني وبينه جدار الحائط -
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ بخ ، والله لتنتقين الله بنى الخطاب أو ليعذبنك . وقيل : إنه حمل
قربة على عاتقه فقيل له في ذلك فقال : إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذها ؟ وكان يصلي بالناس العشاء
ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر . وما مات حتى سرد الصوم ، وكان في عام الرمادة لا يأكل
إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده ويتبول : بنس الوالى أنا إن شبعت والناس جياع . وكان في وجهه
خطان أسودان من البكاء ، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعاً إلى منزله فيعمد
أياماً ليس به مرض إلا الخوف . وقال طلحة بن عبد الله : خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتاً
فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فاذا عجوز عمياء مقعدة فقلت لها : ما بال هذا الرجل يأتيكي ؟
فقلت : إنه يتعاهدني مدة كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى . فقلت لنفسي :
تكتنك أمك ياطلحة ، أعترت عمر تتبع ؟ .

وقال أسلم مولى عمر : قدم المدينة رقة من تجار ، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف :
هل لك أن نحرسهم الليلة ؟ قال : نعم ! فباتا يحرساتهم ويصليان ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه
فقال لأمه : اتق الله تعالى وأحسني إلى صبيك . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاء فعاد إلى أمه فقال
لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأني إلى أمه فقال لها : ويحك ،
إنك أم سوء ، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ ! فقالت : يا عبد الله إني أشغله عن الطعام
فيأني ذلك ، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للمظوم . قال : ولم عمر ابنك هذا ؟ قالت :
كذا وكذا شهراً ، فقال : ويحك لا تعجله عن الطعام . فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس

قراءته من البكاء . قال : يؤسأ لعمر . كم قتل من أولاد المسلمين . ثم أمر مناديه فنادى ، لاتهمجوا صبيانكم عن الغطام ، فانا نفرض لكل مولود في الاسلام . وكتب بذلك إلى الآفاق .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدناه فاذا فيه امرأة تمخض وتبكي ، فسألها عمر عن حالها فقالت : أنا امرأة عربية وليس عندي شيء . فبكي عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب : هل لك في أجر ساقه الله إليك ؟ وأخبرها الخبر ، فقالت : نعم ، فحمل على ظهره دقيقتاً وشحماً ، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة وجاء ، فدخلت أم كلثوم على المرأة ، وجلس عمر مع زوجها - وهو لا يعرفه - يتحدث ، فوضعت المرأة غلاماً فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام . فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر . فقال عمر : لا بأس عليك ، ثم أوصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف .

وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار إذا بنا رق قال : يا أسلم هبنا ركب قد قصر بهم الليل ، انطلق بنا إليهم ، فأتيناهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقد منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ، قالت : وعليك السلام . قال : أدنو . قالت : ادن أو دع . فدنا فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد . قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : من الجوع . فقال : وأي شيء على النار ؟ قالت : ماء أعلهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر . فبكي عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدداً من دقيق وجراب شحم ، وقال : يا أسلم احمله على ظهري ، فقلت : أنا أحمله عنك . فقال : أنت تحمل وزري يوم القيامة ؟ . فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فالتقى عن ظهره وأخرج من الدقيق في القدر ، وألقى عليه من الشحم ، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة ، ثم أنزلها عن النار وقال : إيتيني بصحفة . فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان وقال : كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا - والمرأة تدعوله وهي لا تعرفه - فلم يزل عندهم حتى نام الصغار ، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف ، ثم أقبل على فقال : يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم .

وقيل : إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رأى عمر وهو يعدو إلى ظاهر المدينة فقال له : إلى أين يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قد نددت بعير من إبل الصدقة فانا أطلبه . فقال : قد أتعبت الخلفاء من بعدك . وقيل : إنه رأى جارية تمايل من الجوع فقال : من هذه ؟ فقالت ابنة عبد الله : هذه ابنتي . قال : فما بالها ؟ فقالت : إنك تحبس عنا ما في يدك فيصيبنا ما ترى . فقال : يا عبد الله ، بيني وبينكم كتاب الله ، والله ما أعطيك إلا ما فرض الله لكم ، أتريدون مني أن أعطيك ما ليس لكم ؟

فأعود خائناً ؟ ^(١) . روى ذلك عن الزهري .

وقال الواقدي : حدثنا أبو حمزة يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم عن أبي عمر وقال : قلت لعائشة : من سمى عمر الفاروق أمير المؤمنين ؟ قالت : النبي ﷺ قال « أمير المؤمنين هو » وأول من حياه بها المغيرة بن شعبة « وقيل غيره فله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن عبد الصمد الأنصاري حدثتني أم عمر و بنت حسان الكوفية - وكان قد أتى عليها مائة وثلاثون سنة - عن أبيها قال : لما ولي عمر قالوا : يا خليفة خليفة رسول الله . فقال عمر : هذا أمر يطول ، بل أنتم المؤمنون وأنا أميركم . فسمى أمير المؤمنين .

وملخص ذلك أن عمر رضي الله عنه لما فرغ من الحج سنة ثلاث وعشرين ونزل بالأبطح دعا الله عز وجل وشكوا إليه أنه قد كبرت سنه وضعفت قوته ، وانتشرت رعيته ، وخاف من التقصير ، وسأل الله أن يقبضه إليه ، وأن يمن عليه بالشهادة في بلد النبي ﷺ ، كما ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول : اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك ، وموتاً في بلد رسولك ، فاستجاب له الله هذا الدعاء ، وجمع له بين هذين الأمرين الشهادة في المدينة النبوية وهذا عزيز جداً ، ولكن الله لطيف بما يشاء تبارك وتعالى ، فاتفق له أن ضربه أبو لؤلؤة فيروز الجوسمي الأصل ، الرومي الدار ، وهو قائم يصلي في المحراب ، صلاة الصبح من يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذى الحجة من هذه السنة بخنجر ذات طرفين ، فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ست ضربات ، إحداهن تحت سترته قطعت السفاق فخر من قامته ، واستخلف عبد الرحمن بن عوف ، ورجع العليج بخنجره لا يمر بأحد إلا ضربه ، حتى ضرب ثلاثة عشر رجلاً مات منهم ستة ، فألقى عليه عبد الله بن عوف برنسا فانتحر نفسه لعنه الله ، وحمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه - وذلك قبل طلوع الشمس - فجعل يفيق ثم يغشى عليه ، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول : نعم ، ولاحظ في الاسلام لمن تركها . ثم صلى في الوقت ، ثم سأل عن قتله من هو ؟ فقالوا له : هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة . فقال : الحمد لله الذي لم يجعل منيقي على يدي رجل يدعى الايمان ولم يسجد لله سجدة . ثم قال : قبحه الله ، لقد كنا أمرنا به معروفاً - وكان المغيرة قد ضرب عليه في كل يوم درهمين ثم سأل من عمر أن يزيد في خراجه فانه نجار نقاش حداد فزاد في خراجه إلى مائة في كل شهر - وقال له : لقد بلغني أنك تحسن أن تعمل رحا تدور بالهواء فقال أبو لؤلؤة : أما والله لأعملن لك رحا يتحدث عنها الناس في المشارق والمغرب - وكان هذا يوم الثلاثاء عشية - وطعنه صبيحة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة . وأوصى عمر أن يكون الأمر شورى بعده في ستة من توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وهم عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير

(١) من أول السطر الخامس عشر من الصحيفة نمرة ١٣٣ إلى هنا سقط من المصرية .

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، ولم يذكر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي فيهم ، لكونه من قبيلته ، خشية أن يراعى في الامارة بسببه ، وأوصى من يستخلف بعده بالناس خيراً على طبقاتهم وعراتهم ، ومات رضي الله عنه بعد ثلاث ، ودفن في يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين ، بالحجرة النبوية ، إلى جانب الصديق ، عن إذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك ، وفي ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قال الواقدي رحمه الله : حدثني أبو بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال : طعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين ، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر وأحد عشر يوماً ، وبويع لعثمان يوم الاثنين لثلاث مضي من المحرم . قال : فذكرت ذلك لعثمان الأحنس فقال : ما أراك إلا وهلت . توفي عمر لأربع ليال بقين من ذي الحجة وبويع لعثمان للياسة بقيت من ذي الحجة فاستقبل بخلافته المحرم سنة أربع وعشرين . وقال أبو معشر : قتل عمر لأربع بقين من ذي الحجة تمام سنة ثلاث وعشرين وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وبويع لعثمان ابن عفان .

وقال ابن جرير : حدثت عن هشام بن محمد قال : قتل عمر لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام . وقال سيف بن خالد بن وفرة ومجالد قالا : استخلف عثمان لثلاث من المحرم فخرج فصلى بالناس صلاة العصر . وقال علي بن محمد المدائني عن شريك عن الأعمش - أو جابر الجعفي - عن عوف بن مالك الأشجعي وعامر بن أبي محمد عن أشياخ من قومه ، وعثمان بن عبد الرحمن عن الزهري قال : طعن عمر يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة والقول الأول هو الأشهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ صفته رضي الله عنه ﴾

كان رجلاً طويلاً أصلع أعسر أيسر أحوار العينين ، آدم اللون ، وقيل كان أبيض شديد البياض تعلوه حمرة ، أشدب الأسنان ، وكان يصفر لحيته ، ويرجل رأسه بالحناء .

واختلف في مقدار سنه يوم مات رضي الله عنه على أقوال عدتها - عشرة - فقال ابن جرير : حدثنا زيد بن أخزم ثنا أبو قتيبة عن جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قتل عمر ابن الخطاب وهو ابن خمس وخمسين سنة ، ورواه الدروردي عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر . وقاله عبد الرزاق عن ابن جريج عن الزهري ، ورواه أحمد عن هشيم عن علي بن زيد عن سالم بن عبد الله ابن عمر ، وعن نافع رواية أخرى ست وخمسون سنة . قال ابن جرير : وقال آخرون : كان عمره

ثلاثاً وخمسين سنة ، حدثت بذلك عن هشام بن محمد . ثم روى عن عامر الشعبي أنه توفي وله ثلاث وستون سنة .

قلت : وقد تقدم في عمر الصديق مثله ، وروى عن قتادة أنه قال : توفي عمر وهو ابن إحدى وستين سنة ، وعن ابن عمر والزهري خمس وستون . وعن ابن عباس ست وستون ، وروى ابن جرير عن أسلم مولى عمر أنه قال : توفي وهو ابن ستين سنة . قال الواقدي : وهذا أثبت الأقوال عندنا . وقال المدائني : توفي عمر وهو ابن سبع وخمسين سنة .

﴿ ذكر زوجاته وأبنائه وبناته ﴾

قال الواقدي وابن الكلبي وغيرهما : تزوج عمر في الجاهلية زينب بنت مظعون أخت عثمان ابن مظعون فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة رضي الله عنهم . وتزوج مليكة بنت جروول فولدت له عبيد الله فطلقها في الهدنة ، خلف عليها أبو الجهم بن حذيفة ، قاله المدائني .

وقال الواقدي : هي أم كلثوم بنت جروول فولدت له عبيد الله وزيداً الأصغر . قال المدائني

وتزوج قريبة بنت أبي أمية المخزومي ففارقها في الهدنة ، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر .

قالوا : وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها - حين قتل في الشام - فولدت له فاطمة

ثم طلقها . قال المدائني وقيل لم يطلقها . قالوا : وتزوج جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح من

الأوس . وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي مليكة

ولما قتل عمر تزوجها بعده الزبير بن العوام رضي الله عنهم ، ويقال هي أم ابنه عياض فأنه أعلم . قال

المدائني : وكان قد خطب أم كلثوم ابنة أبي بكر الصديق وهي صغيرة وراسل فيها عائشة فقالت أم

كلثوم : لا حاجة لي فيه ، فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه خشن العيش

فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فصدده عنها ودله على أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، ومن

فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وقال تعلق منها بسبب من رسول الله ﷺ ، فخطبها من علي فزوجها

إياها ، فأصدقها عمر رضي الله عنه أربعين ألفاً ، فولدت له زبيداً ورقية ، قالوا : وتزوج لهية - امرأة

من اليمن - فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، وقيل الأوسط . وقال الواقدي : هي أم ولد وليست

بزوجة ، قالوا : وكانت عنده فكيفة أم ولد فولدت له زينب . قال الواقدي وهي أصغر ولده . قال

الواقدي : وخطب أم أبان بنت عتبة بن شيبه فكرهته وقالت : يغلق بابي ويمنع خيريه ويدخل

عابساً ويخرج عابساً .

قلت : فجملة أولاده رضي الله عنه وأرضاه ثلاثة عشر ولداً ، وهم زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ،

وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، قال الزبير بن بكار وهو

أبوشحمة ، وعبد الرحمن الأصغر وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة ،
رضي الله عنهم . ومجموع نسائه اللاتي تزوجهن في الجاهلية والاسلام ممن طلقهن أو ماتن عنهن سبع ،
وهن جميلة بنت عاصم بن ثابت بن الأفلح ، وزينب بنت مظعون ، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن
نفيل ، وقريبة بنت أبي أمية ، ومليكة بنت جرول ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وأم كلثوم
بنت علي بن أبي طالب ، وأم كلثوم أخرى وهي مليكة بنت جرول . وكانت له أمتان له منهما أولاد ،
وهما فكيهة وطمية ، وقد اختلف في هوية هذه فقال بعضهم : كانت أم ولد ، وقال بعضهم : كان أصلها
من اليمن وتزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فأنه أعلم .

﴿ ذكر بعض ما روي به ﴾

قال علي بن محمد المدائني : عن ابن داب وسعيد بن خالد ، عن صالح بن كيسان عن المغيرة
ابن شعبه قال : لما مات عمر بكتته ابنة أبي خيشمة فقالت : واعمرها ، أقام الأود وأبر العهد ، أمات
الفتن وأحيا السنن ، خرج نقي الثوب برياً من العيب .

قال فقال علي بن أبي طالب : والله لقد صدقت ، ذهب بخيرها ، ونجا من شرها ، أما والله
ما قالت ولكن قولت . قال : وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل في زوجها عمر .

فجعتني فيروز لا در دره * بأبيض تال للكتاب منيب
رؤف على الأذى غليظ على العدى * أختي ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يُكذب القول فعله * سريع إلى الخيرات غير قطوب
وقالت أيضاً :

عين جودي بعبرة ونجيب * لا تملى على الأمام النجيب
فجعتنا المنون بالفارس العي * لم يوم الهياج والتليب
عصمة الناس والمعين على الده * روغيث المنتاب والمحروب
قل لأهل السراء والبؤس موتوا * قد سقته المنون كأس سغوب

وقالت امرأة من المسلمين تبيكه :

سبيكيك نساء الح * بي يبكين شجيات
ويخمشن وجوها كالسدنانير نقيات
ويلبسن ثياب الحز * ن بعد القصبيات [١]

وقد ذكر ابن جرير ترجمة طويلة لعمر بن الخطاب ، وكذلك أطال ابن الجوزي في سيرته ،

(١) زيادة من المصرية .

وشيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه ، وقد جمعنا متفرقات كلام الناس في مجلد مفرد ، وأفردنا
لما أسنده وروى عنه من الأحكام مجلداً آخر كبيراً مرتباً على أبواب الفقه والله الحمد .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة توفي قتادة بن النعمان ، وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية
ومعه من الصحابة عبادة بن الصامت ، وأبو أيوب ، وأبو ذر ، وشداد بن أوس . وفيها فتح معاوية
عسقلان صلحاً . قال : وفيها كان على قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة كعب بن سوار ،
قال : وأما مصعب الزبيري فإنه ذكر أن مالكا روى عن الزهري أن أبا بكر وعمر لم يكن لهما قاض
وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في تاريخه في سنة ثلاث وعشرين . فيها كانت قصة سارية بن زعيم .
وفيها فتحت كerman وأميرها سهيل بن عدي . وفيها فتحت سجستان ، وأميرها عاصم بن عمرو .
وفيها فتحت مكران ، وأميرها الحكم بن أبي العاص ، أخو عثمان ، وهي من بلاد الجبل . وفيها رجع
أبو موسى الأشعري من بلاد أصبهان وقد افتتح بلادها ، وفيها غزا معاوية الصائفة حتى بلغ عمورية .
ثم ذكر وفاة من مات فيها . ففهم قتادة بن النعمان الأنصاري الأوسي الظفري أخو أبي سعيد الخدري
لأمه ، وقتادة أكبر منه ، شهد بدرًا وأصيبت عينه في يوم أحد حتى وقعت على خده فردها رسول الله
ﷺ فصارت أحسن عينيه ، وكان من الرماة المذكورين ، وكان على مقدمة عمر حين قدم إلى الشام
توفي في هذه السنة على المشهور عن خمس وستين سنة ، ونزل عمر في قبره ، وقيل إنه توفي في التي
قبلها . ثم ذكر ترجمة عمر بن الخطاب فأطال فيها وأكثر وأطنب ، وأتى بمقاصد كثيرة مهمة ، وفوائد
جمة ، وأشياء حسنة ، فأنابه الله الجنة . ثم قال : ذكر من توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

﴿ الأقرع بن حابس ﴾

ابن عقاب بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن
تميم التميمي المجاشعي . قال ابن دريد : واسمه فراس بن حابس ولقب بالأقرع لقرع في رأسه ، وكان
أحد الرؤساء ، قدم على رسول الله ﷺ مع وفد بني تميم ، وهو الذي نادى من وراء الحجرات : يا محمد
إن مدحى زين ، وذمى شين ، وهو القائل - وقد رأى رسول الله ﷺ يقبل الحسن - أتقبله ؟ والله
إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم . فقال « من لا يرحم لا يرحم » . وفي رواية « ما أملك
أن نزع الله الرحمة من قلبك » وكان ممن تألفه رسول الله ﷺ فأعطاه يوم حنين مائة من الإبل ،
وكذلك لعبيبة بن حصن الفزاري ، وأعطى عباس بن مرداس خمسين (١) من الإبل فقال :

أجعل نهبي ونهب العبيد * د بين عينه والأقرع
فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

(١) كذا في الحلبية وفي المصرية : خمساً من الإبل .

وما كنت دون امرئ منهما * ومن يخفض اليوم لا يرفع
فقال له رسول الله ﷺ أنت القائل

أجعل نهبي ونهب العبيد * يد بين عيينة والأقرع

رواه البخاري قال السهيلي: إنما قدم رسول الله ﷺ ذكر الأقرع قبل عيينة لأن الأقرع كان خيراً من عيينة [ولهذا لم يرتد بعد النبي ﷺ كما ارتد عيينة] (١) فبايع طليحة وصدقه ثم عاد. والمقصود أن الأقرع كان سيداً مطاعاً، وشهد مع خالد وقائمه بأرض العراق، وكان على مقدمته يوم الأثيرة. ذكره شيخنا فيمن توفي في خلافة عمر بن الخطاب. والذي ذكره ابن الأثير في الغابة أنه استعمله عبد الله بن عامر على جيش وسيره إلى الجوزجان فقتل وقتلوا جميعاً، وذلك في خلافة عثمان كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

﴿ حباب بن المنذر ﴾

ابن الجوح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة أبو عمر ويقال أبو عمرو الأنصاري الخزرجي السلمي، ويقال له ذو الرأي لأنه أشار يوم بدر أن ينزل رسول الله ﷺ على أدنى ماء يكون إلى القوم، وأن يغور ما وراءهم من القلب فأصاب في هذا الرأي، ونزل الملك بتصديقه وأما قوله يوم السقيفة: أنا جدي لها المحكم، ومزيجها المرجب، منا أمير ومنكم أمير. فقد رده عليه الصديق والصحابة.

﴿ ربعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ ﴾

عنته بن مسعود الهذلي، هاجر مع أخيه لأبويه، عبد الله إلى الحبشة شهد أحداً وما بعدها. قال الزهري: ما كان عبد الله بأقرب منه، ولكن مات عنته قبله، وتوفي زمن عمر على الصحيح، ويقال في زمن معاوية سنة أربع وأربعين.

﴿ علقمة بن علاثة ﴾

ابن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي، أسلم عام الفتح وشهد حنيناً وأعطى يومئذ مائة من الإبل تأليفاً لقلبه، وكان يكون بتهامة وكان شريفاً مطاعاً في قومه، وقد ارتد أيام الصديق فبعث إليه سرية فانهزم ثم أسلم وحسن إسلامه، ووفد على عمر في خلافته، ووقدم دمشق في طلب ميراث له ثم، ويقال استعمله عمر على حوران فمات بها، وقد كان الخطيئة قصده ليمتدحه فمات قبل مقدمه بليال فقال:

فما كان بيني ولوقتك سلماً * وبين الغنى إلا ليال قلائل

(١) زيادة في المصرية.

﴿ علقمة بن مجزز ﴾

ابن الأعور بن جمدة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج السكناني المدلجي، أحد أمراء رسول الله ﷺ، على بعض السرايا، وكانت فيه دعاية، فأجج ناراً وأمر أصحابه أن يدخلوا فيها فامتنعوا، فقال النبي ﷺ «لودخلوا فيها ما خرجوا منها» وقال «إنما الطاعة في المعروف» وقد كان علقمة جواداً ممدحاً رثاه جواس العنزي فقال:

إن السلام وحسن كل تحية * تغدو على ابن مجزز وتروح

﴿ عويم بن ساعدة ﴾

ابن عابس أبو عبد الرحمن الأنصاري الأوسى، أحد بني عمرو بن عوف شهد العقبة وبدراً وما بعدها له حديث عند أحمد وابن ماجه في الاستنجاء بالماء. قال ابن عبد البر: توفي في حياة النبي ﷺ وقيل في خلافة عمر، وقال وهو واقف على قبره: لا يستطيع أحد أن يقول أنا خير من صاحب هذا القبر ما نصبت راية للنبي ﷺ إلا وهو واقف تحتها. وقد روى هذا الأثر ابن أبي عاصم كما أورده ابن الأثير من طريقته.

﴿ غيلان بن سلمة الثقفي ﴾

أسلم عام الفتح على عشر نسوة فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أزباً، وقد وفد قبل الإسلام على كسرى فأمره أن يبني له قصرًا بالطائف، وقد سأله كسرى أي ولدك أحب إليك؟ قال الصغير حتى يكبر، والمرضى حتى يبرأ، والغائب حتى يقدم، فقال له كسرى أتى لك هذا؟ هذا كلام الحكماء. قال: فما غداؤك؟ قال: البر. قال نعم هذا من البر لا من التمر واللبن.

﴿ معمر بن الحارث ﴾

ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجحفي أخو حاطب وحطاب، أمهم قبيلة بنت مظهر، أخت عثمان بن مظعون أسلم معمر قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وشهد بدرًا وما بعدها وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين معاذ بن عفراء.

﴿ ميسرة بن مسروق العبسي ﴾

شيخ صالح قيل إنه صحابي شهد اليرموك ودخل الروم أميراً على جيش ستة آلاف وكانت له همة عالية فقتل وسبى وغتم وذلك في سنة عشرين، وروى عن أبي عبيدة وعنه أسلم مولى عمر، لم يذكره ابن الأثير في الغابة.

﴿ واقد بن عبد الله ﴾

ابن عبد مناف بن عرين الحنظلي البربوعي حليف بني عدى بن كعب، أسلم قبل دخول النبي

دار الأرقم وشهد بدرًا وما بعدها وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين بشر بن البراء بن معرور ، وهو أول من قتل في سبيل الله عز وجل ببطان نخلة ، مع عبد الله بن جحش حين قتل عمرو بن الحضرمي ، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه .

﴿ أبو خراش الهذلي الشاعر ﴾

واسمه خويلد بن مرة ، كان يسبق الخليل على قدميه ، وكان فتاكاً في الجاهلية ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وتوفي في زمن عمر ، أنه حجاج فذهب يأتهم بماء فنهشته حية فرجع إليهم بالماء وأعطاهم شاة وقدرًا ، ولم يعلمهم بما جرى له ، فأصبح مات فدفنوه . ذكره ابن عبد البر وابن الأثير في أسماء الصحابة ، والظاهر أنه ليست له وفادة ، وإنما أسلم في حياة النبي ﷺ فهو محضرم والله أعلم .

﴿ أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ﴾

ابن عمرو الأنصاري شهد أحدًا وما بعدها ، إلا تبوك فإنه تخلف لعذر الفقر ، وهو أحد البكائين المذكورين .

﴿ سودة بنت زمعة ﴾

القرشية العامرية أم المؤمنين ، أول من دخل بها رسول الله ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها ، وكانت صوامع قوامه ، ويقال كان في خلقها حدة ، وقد كبرت فأراد رسول الله ﷺ أن يفارقها - ويقال بل فارقها - فقالت : يا رسول الله لا تفارقني وأنا أجعل يومي لعائشة ، فتركها رسول الله ﷺ وصالحها على ذلك . وفي ذلك أنزل الله عز وجل (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا والصلح خير) الآية . قالت عائشة : نزلت في سودة بنت زمعة ، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب .

﴿ هند بنت عتبة ﴾

يقال : ماتت في خلافة عمر وقيل توفيت قبل ذلك كما تقدم فأنه أعلم .

﴿ خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾

﴿ ثم استهلكت سنة أربع وعشرين ﴾

ففي أول يوم منها دفن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك يوم الأحد في قول وبعد ثلاث أيام بويح أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

كان عمر رضي الله عنه قد جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم . وتخرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين ، وقال لا أتحمّل أمرهم حيًا وميتًا ،

وإن يرد الله بكم خيرًا يجمعكم على خير هؤلاء ، كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ ، ومن تمام ورعه لم يندكر في الشورى سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل لأنه ابن عمه خشى أن يراعى فيولي لكونه ابن عمه ، فلذلك تركه . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، بل جاء في رواية المدائني عن شيوخه أنه استثناه من بينهم ، وقال لست مدخله فيهم ، وقال لأهل الشورى يحضركم عبد الله - يعني ابنه - وليس إليه من الأمر شيء - يعني بل يحضر الشورى ويشير بالنصح ولا يولي شيئًا - وأوصى أن يصلى بالناس صهيب بن سنان الرومي ثلاثة أيام حتى تنقضي الشورى ، وأن يجتمع أهل الشورى ويوكل بهم أناس حتى ينبرم الأمر ، ووكل بهم خمسين رجلاً من المسلمين وجعل عليهم مستحشاً أبا طلحة الأنصاري ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وقد قال عمر بن الخطاب : ما أظن الناس يعدلون بعثمان وعلى أحداً ، إنهما كانا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله ﷺ بما ينزل به جبريل عليه . قالوا : فلما مات عمر رضي الله عنه وأحضرت جنازته تبادر إليها علي وعثمان أيهما يصلى عليه ، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف : لستما من هذا في شيء ، إنما هذا إلى صهيب الذي أمره عمر أن يصلى بالناس . فتقدم صهيب وصلى عليه ، ونزل في قبره مع ابنه عبد الله أهل الشورى سوى طلحة فإنه كان غائبًا ، فلما فرغ من شأن عمر جمعهم المقداد بن الأسود في بيت المسور بن مخرمة ، وقيل في حجرة عائشة ، وقيل في بيت المال ، وقيل في بيت فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، والأول أشبه والله أعلم . جلسوا في البيت وقام أبو طلحة يحجبهم ، وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبه جلسا من وراء الباب فحصبهم سعد بن أبي وقاص وطردهما وقال جئنا لتقولنا حضرنا أمر الشورى ؟ رواه المدائني عن مشايخه والله أعلم بصحته .

والمقصود أن القوم خلصوا من الناس في بيت يتشاورون في أمرهم ، فكثير القول ، وعلت الاصوات وقال أبو طلحة : إنني كنت أظن أن تدافعوها ولم أكن أظن أن تنافسوها ، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم ما لهم في ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الامارة إلى علي ، وفوض سعد ماله في ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقه إلى عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلي وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه والله عليه والاسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين فأسكت الشيخان علي وعثمان ، فقال عبد الرحمن : إنني أترك حق من ذلك والله علي والاسلام أن أجهد فأولى أولاً كما بالحق ، فقالا نعم ! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاء ليعدلان ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن ، فقال كل منهما نعم ! ثم تفرقوا ، ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين في أفضلهم ليوليه ، فيذكر أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى وغيرهم فلا

يشير إلا بعثمان بن عفان ، حتى أنه قال لعلي : أ رأيت إن لم أولك بمن تشير به علي ؟ قال : [بعثمان .
وقال لعثمان : أ رأيت إن لم أولك بمن تشير به ؟] (١) قال : بعلي بن أبي طالب . والظاهر أن هذا
كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل والله عليه والاسلام
ليجتمعا في أفضل الرجلين فيوليه . ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما
ويجمع رأي المسلمين برأي رؤس الناس وأقيادهم جميعا وأشتاتا ، مثنى وفرادى ، ومجتمعين ، سرا
وجهرا ، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن ، وحتى سأل الولدان في المكاتب ، وحتى سأل
من يرد من الركبان والاعراب إلى المدينة ، في مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفين في تقدم
عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب ، ثم بايعا مع الناس على
ما سئدا كره ، فسعى في ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاء
واستخارة ، وسؤالا من ذوى الرأي عنهم ، فلم يجد أحدا يعدل بعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فلما
كانت الليلة يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب جاء إلى منزل ابن اخته
المسور بن مخرمة فقال : أ نأتم يامسور ؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادع إلى عليا
وعثمان قال المسور : فقلت بأيهما أبدا ؟ فقال بأيهما شئت ، قال فذهبت إلى علي فقلت أحب خالي ،
فقال أمرك أن تدعو معي أحدا ؟ قلت : نعم ! قال : من ؟ قلت : عثمان بن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟
قلت لم يأمرني بذلك ، بل قال ادعوا لي أيهما شئت أولا ، فحجيت إليك قال فخرج معي فلما مررنا بدار
عثمان بن عفان جلس علي حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر ، فقال لي كما قال لي علي سواء ، ثم
خرج فدخلت بهما على خالي وهو قائم يصلي ، فلما انصرف أقبل على علي وعثمان فقال إني قد سألت
الناس عنكما فلم أجد أحدا يعدل بكما أحدا ، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضا لئن ولاء ليعبدن ،
ولئن ولي عليه ليسمعن وليطيعن ، ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي عممه
رسول الله ﷺ ، وتقلد سيفا ، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونودي في الناس
عامة الصلاة جامعة ، فامتلا المسجد حتى غص بالناس ، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع
يجلس إلا في أخريات الناس . وكان رجلا حيا رضي الله عنه . ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر
رسول الله ﷺ ، فوقف وقوفا طويلا ، ودعا دعاء طويلا ، لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال : أيها
الناس ، إني سألتكم سرا وجهرا بأمانيتكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما على وإما عثمان ،
فقم إلى يا علي ، فقام إليه فوق تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال : هل أنت مبايعي علي كتاب
الله وسنة نبيه ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي ، قال

(١) زيادة من المصرية .

فأرسل يده وقال : قم إلى يا عثمان ، فأخذ بيده فقال : هل أنت مبايعي علي كتاب الله وسنة نبيه
ﷺ وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : اللهم نعم ! قال : فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان فقال
اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إني قد خلعت ماني رقبتي من ذلك في
رقبة عثمان . قال وازدحم الناس يبائعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال فقعد عبد الرحمن مقعد
النبي ﷺ وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبائعونه ، وبايعه علي بن أبي
طالب أولا ، ويقال آخرأ . وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون
أن عليا قال لعبد الرحمن خدعتني ، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه ، وأنه
تلكأ حتى قال له عبد الرحمن (فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله
فسيؤتاه أجرا عظيما) إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائلها
وناقليها والله أعلم .

والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تميز عندهم بين
صحيح الأخبار وضعيفها ، ومستقيمها وسقيمها ، ومبادهها وقومها ، والله الموفق للصواب . وقد اختلف
علماء السير في اليوم الذي بويع فيه لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فروى الواقدي عن شيوخه أنه
بويع يوم الاثنين ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستقبل بخلافته المحرم سنة أربع
وعشرين ، وهذا غريب جدا . وقد روى الواقدي أيضا عن ابن جرير عن ابن أبي مليكة قال :
بويع لعثمان بن عفان لعشر خلون من المحرم بعد مقتل عمر بثلاث ليال ، وهذا أغرب من الذي قبله ،
وكذا روى سيف بن عمر عن عامر الشعبي أنه قال : اجتمع أهل الشورى على عثمان لثلاث خلون
من المحرم سنة أربع وعشرين ، وقد دخل وقت العصر وقد أذن مؤذن صهيب ، واجتمع الناس بين
الأذان والاقامة فخرج فصلى بهم العصر . وقال سيف عن خليفة بن زفر ومجالد قالا : استخلف عثمان
لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وعشرين فخرج فصلى بالناس العصر ، وزاد الناس - يعني في
أعطياتهم - مائة ، ووفد أهل الأمصار ، وهو أول من صنع ذلك . قلت : ظاهر ما ذكرناه من سياق
بيعته يقتضي أن ذلك كان قبل الزوال ، لكنه لما بايعه الناس في المسجد ذهب به إلى دار الشورى
على ما تقدم فيها من الخلاف ، فبايعه بقية الناس ، وكأنه لم يتم البيعة إلا بعد الظهر وصلى صهيب
يومئذ الظهر في المسجد النبوي وكان أول صلاة صلاحها الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالمسلمين
صلاة العصر ، كما ذكره الشعبي وغيره . وأما أول خطبة خطبها بالمسلمين فروى سيف بن عمر عن
بدر بن عثمان عن عمه قال لما بايع أهل الشورى عثمان خرج وهو أشدهم كآبة فأتى منبر النبي ﷺ
فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ، وقال : إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار ،

فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلتقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا . أين أبناء الدنيا وأخوانها الذين أناروها وعمروها وتمتعوا بها طويلاً ؟ ألم تلتظفهم ؟ ارموا بالدنيا حيث رعى الله بها ، واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب لها مثلاً ، بالذي هو خير فقال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرآ ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) قال : وأقبل الناس يبأيعونه .

قلت وهذه الخطبة : إما بعد صلاة العصر يومئذ ، أو قبل الزوال [وعبد الرحمن بن عوف جالس في رأس المنبر] (١) وهو الأشبه والله أعلم . وما يذكره بعض الناس من أن [عثمان لما خطب أول خطبة ارتج عليه فلم يدر ما يقول حتى قال : أيها الناس ، إن] (٢) أول مركب صعب ، وإن أعش فستأتكم الخطبة على وجهها ، فهو شيء يذكره صاحب العقد وغيره ، ممن يذكر طرف الفوائد ، ولكن لم أر هذا بإسناد تسكن النفس إليه والله أعلم .

وأما قول الشعبي إنه زاد الناس مائة مائة - يعني في عطاء كل واحد من جنود المسلمين - زاده على ما فرض له عمر مائة درهم من بيت المال وكان عمر قد جعل لكل نفس من المسلمين في كل ليلة من رمضان درهماً من بيت المال يفطر عليه ، ولأمهات المؤمنين درهمين درهمين ، فلما ولي عثمان أقر ذلك وزاده ، واتخذ سباطاً في المسجد أيضاً للمتعبدين ، والمعتكفين ، وأبناء السبيل ، والقراء ، والمساكين ، رضى الله عنه . وقد كان أبو بكر إذا خطب يقوم على الدرجة التي تحت الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يقف عليها ، فلما ولي عمر نزل درجة أخرى عن درجة أبي بكر رضى الله عنهما ، فلما ولي عثمان قال إن هذا يطول ، فصعد إلى الدرجة التي كان يخطب عليها رسول الله ﷺ وزاد الأذان الأول يوم الجمعة ، قبل الأذان الذي كان يؤذن به بين يدي رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر ، وأما أول حكومة حكم فيها قضية عبید الله بن عمر ، وذلك أنه غدا على ابنة أبي لؤلؤة قاتل عمر فقتلها ، وضرب رجلاً نصرانياً يقال له جفينة بالسيف فقتله ، وضرب الهرمزان الذي كان صاحب تستر فقتله ، وكان قد قيل إنهما مالا أبا لؤلؤة على قتل عمر فله أعلم .

وقد كان عمر قد أمر بسجنه ليحكم فيه الخليفة من بعده ، فلما ولي عثمان وجلس للناس كان أول ما تحوكم إليه في شأن عبید الله ، فقال على : مامن العدل تركه ، وأمر بقتله ، وقال بعض المهاجرين : أقتل أبوه بالأمس ويقتل هو اليوم ؟ فقال عمر وبن العاص : يا أمير المؤمنين قد برك الله من ذلك ، (١) - (٢) زيادة من المصرية .

قضية لم تسكن في أيامك فدعها عنك ، فودى عثمان رضى الله عنه أولئك القتلى من ماله ، لأن أمرهم إليه ، إذ لا وارث لهم إلا بيت المال ، والامام يرى الأصلح في ذلك ، وخلق سبيل عبید الله . قالوا فكان زياد بن لبید البياضى إذا رأى عبید الله بن عمر يقول :

ألا يا عبید الله مالك مهرب * ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دماً والله في غير حله * حراماً وقتل الهرمزان له خطر
على غير شيء غير أن قال قائل * أنتمهمون الهرمزان على عمر
فقال سفیه والحوادث حجة * نعم أنهمم قد أشار وقد أمر
وكان سلاح العبد في جوف بيته * يقلبها والأمر بالأمر يعتبر

قال : فشكا عبید الله بن عمر زياداً إلى عثمان فاستدعى عثمان زياد بن لبید فأنشأ زياد يقول في عثمان :

أبا عمرو عبید الله رهن * فلا تشكك بقتل الهرمزان
[فأنك إن غفرت الجرم عنه * وأسباب الخطأ فرسارهان] (١)
أنعموا إذ عفوت بغير حق * فمالك بالذى يخلى يدان

قال قتيبة عثمان عن ذلك وزبره فسكت زياد بن لبید عما يقول . ثم كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب ، والأئمة على الصلوات ، والأمناء على بيوت المال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله ، ويحرضهم على الاتباع وترك الابتداع ، قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزل عثمان المغيرة بن شعبه عن الكوفة وولى عليها سعد بن أبي وقاص فكان أول عامل ولاء ، لأن عمر قال : فان أصابت الامرة سعداً فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ولى ، فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة . فاستعمل سعداً عليها سنة وبعض أخرى ، ثم رواه ابن جرير من طريق سيف عن مجالد عن الشعبي . وقال الواقدي فيما ذكره عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر أوصى أن تقر عماله سنة ، فلما ولي عثمان أقر المغيرة بن شعبه على الكوفة سنة [ثم عزله ، واستعمل سعداً ثم عزله وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط . قال ابن جرير : فعلى ما ذكره الواقدي تكون ولاية سعد على الكوفة سنة] (٢) خمس وعشرين . قال ابن جرير : وفي هذه السنة - أعنى سنة أربع وعشرين - غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حين منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الاسلام في أيام عمر بن الخطاب ، وهذا في رواية أبي مخنف ، وأما في رواية غيره فان ذلك كان في سنة ست وعشرين ، ثم ذكر ابن جرير : ههنا هذه الوقعة وملخصها أن الوليد بن عقبة سار بجيش

(١) زيادة من الطبري . وقوله : يخلى في المصرية وابن جرير وفي الخلبية يحكى

(٢) زيادة من المصرية .

الكوفة نحو أذربيجان وأرمينية ، حين تقضوا العهد فوطى بلادهم وأغار بأواصي تلك الناحية فغنم وسبى وأخذ أموالاً جزيلة فلما أيقنوا بالهلكة صالحهم أهلها على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة بن اليمان ثمانمائة ألف درهم في كل سنة فقبض منهم جزية سنة ثم رجع سالماً غانماً إلى الكوفة ، فر بالموصل . وجاءه كتاب عثمان وهو يأمره أن يد أهل الشام على حرب أهل الروم . قال ابن جرير : وفي هذه السنة جاشت الروم حتى خاف أهل الشام وبعثوا إلى عثمان رضي الله عنه يستمدونه فكتب إلى الوليد بن عقبة : أن إذا جاءك كتابي هذا فابعث رجلاً أميناً كريماً شجاعاً في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إلى إخوانكم بالشام . فقام الوليد بن عقبة في الناس خطيباً حين وصل إليه كتاب عثمان فأخبرهم بما أمره به أمير المؤمنين وندب الناس وحشهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام ، وأمر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فانتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلم الفهري ، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم فغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة لله الحمد .

وزعم الواقدي أن الذي أمد أهل الشام بسلمان بن ربيعة إنما هو سعيد بن العاص عن كتاب عثمان رضي الله عنه فبعث سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة بستة آلاف فارس حتى انتهى إلى حبيب ابن مسلمة وقد أقبل إليه الموربان الرومي في ثمانين ألفاً من الروم والترك ، وكان حبيب بن مسلمة شجاعاً شهماً فمزم على أن يبني جيش الروم فسمعت امرأته يقول للأمرأ ذلك فقالت له : فأين موعدي معك - تعني أين أجمع بك غداً - فقال لها : موعديك سرادق الموربان أو الجنة ، ثم نهض إليهم في ذلك الليل بمن معه من المسلمين فقتل من أشرف له وسبقته امرأته إلى سرادق الموربان فكانت أول امرأة من العرب ضرب عليها سرادق وقد مات عنها حبيب بن مسلمة بعد ذلك ، تغلف عليها بعده الضحالك بن قيس الفهري ، فهي أم ولده . قال ابن جرير : واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة فقال الواقدي وأبو معشر : حج بهم عبد الرحمن بن عوف بأمر عثمان . وقال آخرون : حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه . والأول هو الأشهر فإن عثمان لم يتمكن من الحج في هذه السنة لأجل رعايف أصابه مع الناس في هذه السنة حتى خشى عليه وكان يقال لهذه السنة سنة الرعايف ، وفيها افتتح أبو موسى الأشعري الري بعد ما تقضوا العهد الذي كان وانقهم عليه حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه ، وفيها توفي سراقه بن مالك بن جشم المدلجي ويكنى بأبي سفيان ، كان ينزل قديداً وهو الذي اتبع رسول الله ﷺ وأبا بكر وعامر بن فهيرة وعبد الله بن أريقط الديلي حين خرجوا من غار ثور قاصدين المدينة فأراد أن يردم على أهل مكة لما جعلوا في كل واحد من النبي ﷺ وأبي بكر مائة من الابل ، فطمع أن يفوز بهذا الجعل فلم يسلمه الله عليهم ، بل

لما اقترب منهم وسمع قراءة رسول الله ﷺ ساخت قوائم فرسه في الأرض حتى ناداهم بالأمان ، فأعطوه الأمان ، وكتب له أبو بكر كتاب أمان عن إذن رسول الله ﷺ ، [ثم قدم به بعد غزوة الطائف فأسلم وأكرمه النبي ﷺ]^(١) وهو القائل : يا رسول الله أمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال له : « بل للأبد الأبد . دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ﴾

وفيها تقض أهل الاسكندرية العهد ، وذلك أن ملك الروم بعث إليهم معويل انلصي في مراكب من البحر فطمعوا في النصره وتقضوا ذمتهم ، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول ، فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحاً . وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه . وفيها في قول سيف عزل عثمان سعداً عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط مكانه ، فكان هذا مما تقم على عثمان . وفيها وجه عمرو بن العاص عبد الله بن سعد بن أبي سرح لغزو بلاد المغرب ، واستأذنه ابن أبي سرح في غزو إفريقية فأذن له ويقال فيها أيضاً عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وقيل بل كان هذا في سنة سبع وعشرين كما سيأتي والله أعلم . وفيها فتح معاوية الحصون ، وفيها ولد ابنه يزيد بن معاوية .

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين ﴾

قال الواقدي : فيها أمر عثمان بتجديد أنصاب الحرم . وفيها وسع المسجد الحرام . وفيها عزل سعداً عن الكوفة وولاها الوليد بن عقبة ، وكان سبب عزل سعداً أنه اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال ، فلما تقاضاه به ابن مسعود ولم يتيسر قضاؤه تقاولا ، وجرت بينهما خصومة شديدة ، فغضب عليهما عثمان فعزل سعداً واستعمل الوليد بن عقبة - وكان عاملاً لعمر على عرب الجزيرة - فلما قدمها أقبل عليه أهلها فأقام بها خمس سنين وليس على داره باب ، وكان فيه رفق برعيته . قال الواقدي : وفيها حج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقال غيره : وفيها افتتح عثمان بن أبي العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف وثلاثمائة ألف .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين ﴾

قال الواقدي وأبو معشر : وفيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وكان أخا عثمان لأمه - وهو الذي شفع له يوم الفتح حين كان أهدر رسول الله ﷺ دمه .

﴿ غزوة إفريقية ﴾

أمر عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يغزو بلاد إفريقية فإذا افتتحها الله عليه فله خمس

(١) سقط من الحلبية .

الخمس من الغنيمة نفلا ، فسار إليها في عشرة آلاف فافتتحها سهلها وجبلها ، وقتل خلقاً كثيراً من أهلها ، ثم اجتمعوا على الطاعة والاسلام ، وحسن إسلامهم ، وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان ، وقسم أربعة أخماس الغنيمة بين الجيش ، فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار . قال الواقدي : وصالحه بطريقها على ألفي ألف دينار وعشرين ألف دينار ، فأطلقها كلها عثمان في يوم واحد لآل الحكم ويقال لآل مروان .

﴿ غزوة الأندلس ﴾

لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فاتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحت الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان والسلام ، قال فساروا إليها فافتتحوها والله الحمد والمنة .

(وقعة جرجير والبربر مع المسلمين)

لما قصد المسلمون وهم عشرون ألفاً إفريقية ، وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وفي جيشه عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، صمد إليهم ملك البربر جرجير في عشرين ومائة ألف ، وقيل في مائتي ألف ، فلما تراءى الجمعان أمر جيشه فأحاطوا بالمسلمين هالة ، فوقف المسلمون في موقف لم ير أشنع منه ولا أخوف عليهم منه ، قال عبد الله بن الزبير : فنظرت إلى الملك جرجير من وراء الصفوف وهو راكب على برذون ، وجاريتان تظلاله بريش الطواويس ، فذهبت إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فسألته أن يبعث معي من يحمي ظهري وأقصد الملك ، فجهز معي جماعة من الشجعان ، قال فأمر بهم فغموا ظهري وذهبت حتى خرقت الصفوف إليه - وهم يظنون أني في رسالة إلى الملك - فلما اقتربت منه أحس مني الشرف ففر على برذونه ، فلحقته فطمته برحى ، وذهفت عليه بسيفي ، وأخذت رأسه فصبته على رأس الرمح وكبرت ، فلما رأى ذلك البربر فرقوا وفروا كفرار القطا ، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فغنموا غنائم حمة وأموالاً كثيرة ، وسبياً عظيماً ، وذلك بيلد يقال له سبيطة - على يمين من القيروان - فكان هذا أول موقف اشتهر فيه أمر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وعن أبيه وأصحابهما أجمعين .

قال الواقدي : وفي هذه السنة افتتحت اصطخر ثانية على يدي عثمان بن أبي العاص ، وفيها غزا معاوية قنسرين ، وفيها حج بالناس عثمان بن عفان . قال ابن جرير قال بعضهم وفي هذه السنة غزا معاوية قبرص ، وقال الواقدي : كان ذلك في سنة ثمان وعشرين . وقال أبو معشر : غزاها معاوية سنة ثلاث وثلاثين فله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ﴾

﴿ فتح قبرص ﴾

ففيها ذكر ابن جرير فتح قبرص تبعاً للواقدي ، وهي جزيرة غربي بلاد الشام في البحر ، مغلصة وحدها ، ولها ذنب مستطيل إلى نحو الساحل مما يلي دمشق ، وغربها أعرضها ، وفيها قواكه كثيرة ، ومعادن ، وهي بلد جيد ، وكان فتحها على يدي معاوية بن أبي سفيان ، ركب إليها في جيش كثيف من المسلمين ومعه عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان التي تقدم حديثها في ذلك حين نام رسول الله ﷺ في بيتها ثم استيقظ يضحك فقالت : ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : « ناس من أمي عرضوا علي يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة » . فقالت : يا رسول ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : « أنت منهم » ثم نام فاستيقظ وهو يضحك فقال مثل ذلك فقالت : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : « أنت من الأولين » فكانت في هذه الغزوة وماتت بها وكانت الثانية عبارة عن غزوة قسطنطينية بعد هذا كما سنذكره . والمقصود أن معاوية ركب البحر في مراكب فقصد الجزيرة المعروفة بقبرص ومعه جيش عظيم من المسلمين ، وذلك بأمر عثمان بن عفان رضي الله عنه له في ذلك بعد سؤاله إياه ، وقد كان سأل في ذلك عمر بن الخطاب فأبى أن يمكنه من حمل المسلمين على هذا الخلق العظيم الذي لو اضطرب لهلكوا عن آخرهم ، فلما كان عثمان لح معاوية عليه في ذلك فأذن له فركب في المراكب فانهى إليها ، ووافاه عبد الله بن سعد بن أبي سرح إليها من الجانب الآخر ، فالتقيا على أهلها فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبباً كثيرة ، وغنموا مالا جزيلاً جيداً ، ولما جرى بالأسارى جعل أبو الدرداء يبكي ، فقال له جبير بن نفير : أتبكي وهذا يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله ؟ فقال : ويحك إن هذه كانت أمة قاهرة لهم ملك ، فلما ضيعوا أمر الله صيرهم إلى ما ترى ، سلط الله عليهم السبي ، وإذا سلط على قوم السبي فليس لله فيهم حاجة ، وقال ما أهون العباد على الله تعالى إذا تركوا أمره ؟ ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار في كل سنة ، وهادنهم ، فلما أرادوا الخروج منها قدمت لأم حرام بغلة لتركبها فسقطت عنها فاندقت عنقها فماتت هناك فقبرها هنالك يعظمونه ويستسقون به ويقولون قبر المرأة الصالحة .

قال الواقدي : وفي هذه السنة غزا حبيب بن مسلمة سورية من أرض الروم . وتزوج عثمان نائلة بنت الفرافصة الكلبية - وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها - وفيها بنى عثمان داره بالمدينة الزوراء . وفيها حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ﴾

ففيها عزل عثمان بن عفان أبا موسى الأشعري عن البصرة ، بعد عمله ست سنين وقيل ثلاث ،

وأمر عليها عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، وجمع له بين جند أبي موسى وجند عثمان بن أبي العاص وله من العمر خمس وعشرون سنة ، فأقام بها ست سنين . وفي هذه السنة افتتح عبد الله بن عامر فارس في قول الواقدي وأبي معشر . وزعم سيف أنه كان قبل هذه السنة فأنه أعلم ،
وفيها وسع عثمان بن عفان مسجد النبي ﷺ ، وبناه بالقصة - وهي الكاس - كان يؤتى به من بطن نخل والحجارة المتوشة ، وجعل عمده حجارة مرصعة ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ستة ، على ما كانت عليه في زمان عمر بن الخطاب ، ابتداء بنائه في ربيع الأول منها .

وفيها حج بالناس عثمان بن عفان ، وضرب له بمنى فسطاطاً فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى ، وأتم الصلاة عامه هذا ، فأنكر ذلك عليه غير واحد من الصحابة ، كعلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، حتى قال ابن مسعود ليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان ، وقد ناظره عبد الرحمن بن عوف فيما فعله ، فروى ابن جرير أنه قال : تأهلت بمكة ، فقال له : ولك أهل بالمدينة وإنك تقوم حيث أهلك بالمدينة . قال : وإن لي مالا بالطائف أريد أن أطلعه بعد الصدر ، قال : إن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ، فقال : وإن طائفة من أهل اليمن قالوا : إن الصلاة بالحضر ركعتان فر بما رأوني أصلي ركعتين فيحتجون بي ، فقال له : قد كان رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذ الاسلام فيهم قليل ، وكان يصلي ههنا ركعتين ، وكان أبو بكر يصلي ههنا ركعتين ، وكذلك عمر بن الخطاب ، وصليت أنت ركعتين صدرأ من إمارتك ، قال فسكت عثمان ثم قال : إنما هو رأي رأيته .

﴿ سنة ثلاثين من الهجرة النبوية ﴾

فيها افتتح سعيد بن العاص طبرستان في قول الواقدي وأبي معشر والمدائني ، وقال : هو أول من غزاها . وزعم سيف أنهم كانوا صالحوا سويد بن مقرن قبل ذلك على أن لا يغزوها ، على مال بذله له أصبحبها فأنه أعلم . فذكر المدائني أن سعيد بن العاص ركب في جيش فيه الحسن والحسين ، والعبادة الأربعة ، وحذيفة بن اليمان ، في خلق من الصحابة فسار بهم فر على بلدان شتى يصلحونه على أموال جزيلة ، حتى انتهى إلى بلد معاملة جرجان ، فقاتلوه حتى احتاجوا إلى صلاة الخوف ، فسأل حذيفة : كيف صلى رسول الله ﷺ ؟ فأخبره فصلى كما أخبره ، ثم سأله أهل ذلك الحصن الأمان ، فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلاً واحداً ، وحوى ما كان في الحصن ، فأصاب رجل من بني نهد سقظاً مقفولاً فاستدعى به سعيد ؟ ففتحوه فإذا

فيه خرقة سوداء مدرجة فنشروها ، فإذا فيها خرقة حمراء فنشروها ، وإذا داخلها خرقة صفراء ، وفيها إبران كحيت وورد . فقال شاعر يهجو بهما بني نهد .

أب الكرام بالسبايا غنيمة * وفاز بنونهد بايرين في سفظ
كحيت وورد وافرين كلاهما * فظنوهما غنا فناهيك من غلط

قالوا : ثم نقض أهل جرجان ما كان صالحهم عليه سعيد بن العاص ، وامتنعوا عن أداء المال الذي ضربه عليهم - وكان مائة ألف دينار وقيل مائتي ألف دينار وقيل ثلثمائة ألف دينار - ثم وجه إليهم يزيد بن المهلب بعد ذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى .
وفي هذه السنة عزل عثمان بن عفان الوليد بن عقبة عن الكوفة ، وولى عليها سعيد بن العاص وكان سبب عزله أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أربعاً ثم التفت فقال أزيدكم ؟ فقال قائل : ما زلنا منك منذ اليوم في زيارة . ثم إنه تصدى له جماعة يقال كان بينهم وبينه شتان ، فشكوه إلى عثمان ، وشهد بعضهم عليه أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقايها ، فأمر عثمان باحضاره وأمر بجلبه ، فيقال إن علياً نزع عنه حلته ، وأن سعيد بن العاص جلد بين يدي عثمان بن عفان ، وعزله وأمر مكانه على الكوفة سعيد بن العاص .

وفي هذه السنة سقط خاتم النبي ﷺ من يد عثمان في بئر أريس ، وهي على ميلين من المدينة ، وهي من أقل الآبار ماء ، فلم يدرك خبره بعد بنيل مال جزيل ، والاجتهاد في طلبه ، حتى الساعة ، فاستخاف عثمان بعده خاتماً من فضة ، ونقش عليه محمد رسول الله ، فلما قتل عثمان ذهب الخاتم فلم يدرك من أخذه . وقد روى ابن جرير هاهنا حديثاً طويلاً في اتخاذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب ، ثم من فضة ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى كسرى ، ثم دحية إلى قيصر ، وأن الخاتم الذي كان في يد النبي ﷺ ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان ست سنين ، ثم إنه وقع في بئر أريس ، وقد تقدم بعض هذا في الصحيح . وفي هذه السنة وقع بين معاوية وأبي ذر بالشام ، وذلك أن أبا ذر أنكر على معاوية بعض الأمور ، وكان ينكر على من يقتني مالا من الأغنياء ويمنع أن يدخر فوق القوت ، ويوجب أن يتصدق بالفضل ، ويتأول قول الله سبحانه وتعالى (والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) فبينها معاوية عن إشاعة ذلك فلا يمتنع ، فبعث يشكوه إلى عثمان ، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يقدم عليه المدينة ، فقدمها فلامه عثمان على بعض ما صدر منه ، واسترجعه فلم يرجع فأمره بالمقام بالبنة - وهي شرقي المدينة - ويقال إنه سأل عثمان أن يقيم بها وقال : إن رسول الله ﷺ قال لي « إذا بلغ البناء سلماً فاخرج منها » وقد بلغ البناء سلماً ، فأذن له عثمان بالمقام بالبنة وأمره أن يتعاهد المدينة في بعض الأحيان ، حتى لا يرتد

أعرايياً بعد هجرته ، ففعل فلم يزل مقيماً بها حتى مات على ما سند كره رضى الله عنه .
وفي هذه السنة زاد عثمان النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء .

فصل

ومن ذكر شيخنا أبو عبد الله الذهبي أنه توفي في هذه السنة - أعني سنة ثلاثين - . أبي بن كعب فيما صححه الواقدي .

﴿ جبار بن صخر ﴾

ابن أمية بن خنساء ، أبو عبد الرحمن الأنصاري ، عقي بدرى ، وقد بعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر خارصاً ، وقد توفي عن ستين سنة .

﴿ حاطب بن أبي بلتعة ﴾

ابن عمرو بن عمير اللخمي حليف بنى أسد بن عبد العزى ، شهد بدرأ وما بعدها ، وهو الذى كان كتب إلى المشركين يعلمهم بعزم رسول الله ﷺ [على فتح مكة ، فعذره رسول الله ﷺ] (١) بما اعتد به ، ثم بعثه بعد ذلك برسالة إلى المقوقس ملك الاسكندرية .

﴿ الطفيل بن الحارث ﴾

ابن المطلب أخو عبيدة ، وحصين ، شهد بدرأ . قال سعيد بن عمير : توفي في هذه السنة .

﴿ عبد الله بن كعب ﴾

ابن عمرو المازنى أبو الحارث ، وقيل أبو يحيى الأنصاري ، شهد بدرأ وكان على الخمس يومئذ .

﴿ عبد الله بن مظعون ﴾

أخو عثمان بن مظعون هاجر إلى الحبشة وشهد بدرأ .

﴿ عياض بن زهير ﴾

ابن أبي شداد بن ربيعة بن هلال أبو سعيد القرشى الفهرى ، شهد بدرأ وما بعدها .

﴿ مسعود بن ربيعة ﴾

وقيل ابن الربيع ، أبو عمرو الفارنى [شهد بدرأ وما بعدها . توفي عن نيف وستين سنة .

﴿ معمر بن أبي سرح ﴾

ابن ربيعة بن هلال القرشى أبو سعد الفهرى (٢) ، وقيل اسمه عمرو ، بدرى قديم الصحبة .

من ١ - ٢ زيادة من المصرية .

﴿ أبو أسيد ﴾

مالك بن ربيعة قال الفلاس : مات في هذه السنة ، والأصح أنه مات سنة أربعين ، وقيل سنة ستين فأنه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ﴾

ففيها كانت غزوة الصواري ، وغزوة الأساودة في البحر فيما ذكره الواقدي وقال أبو معشر : كانت غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين . وملخص ذلك فيما ذكره الواقدي وسيف وغيرهما أن الشام كان قد جمعها معاوية بن أبي سفيان لسنتين مضتا من خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد أحرزه غاية الحفظ وحى حوزته ، ومع هذا له في كل سنة غزوة في بلاد الروم في زمن الصيف ، ولهذا يسمون هذه الغزوة الصائفة - فيقتلون خلقاً ، ويأسرون آخرين ، ويفتحون حصوناً ويعتصمون أموالاً ويرعبون الأعداء ، فلما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح من أصاب من الفرج والبربر ، ببلاد إفريقية والأندلس ، حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل ، وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله منذ كان الاسلام ، خرجوا في خمسمائة مركب ، وقصدوا عبد الله بن أبي سرح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ، فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسسون ويصلبون ، وبات المسلمون يقرؤن ويصلون ، فلما أصبحوا صف عبد الله بن سعد أصحابه صفوفاً في المراكب ، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن ، قال بعض من حضر ذلك : فأقبلوا إلينا في أمر لم ير مثله من كثرة المراكب ، وعقدوا صواربها ، وكانت الريح لهم وعلينا ، فأرسينا ثم سكنت الريح عنا ، فقلنا لهم : إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البرقات الا عجل منا ومنكم ، قال فتخروا نخرة رجل واحد وقالوا : الماء الماء ، قال فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنتهم ، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف ، يثب الرجال على الرجال بالسيوف وانحناجر ، وضربت الأمواج في عيون تلك السفن حتى ألبأتها إلى الساحل وألقت الأمواج جنث الرجال إلى الساحل حتى صارت مثل الجبل العظيم ، وغلب الدم على لون الماء ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يعهد مثله قط ، وقتل منهم بشر كثير ، ومن الروم أضعاف ذلك ، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فهرب قسطنطين وجيشه - وقد قتلوا جماً - وبه جراحات شديدة مكينة مكث حيناً يداوى منها بعد ذلك ، وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ، ثم رجع مؤيداً منصوراً مظفراً . قال الواقدي : فحدثني معمر بن الزهري قال : كان في هذه الغزوة محمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن أبي بكر ، فأظهرا عيب عثمان وما غير وما خالف أبا بكر وعمر ، ويقولان دمه حلال لأنه استعمل عبد الله ابن سعد - وكان قد ارتد وكفر بالقرآن العظيم وأباح رسول الله ﷺ دمه ، وأخرج رسول الله ﷺ أقواماً واستعملهم عثمان ، ونزع أصحاب رسول الله ﷺ واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن

عامر ، فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال : لا تركبا معنا ، فركبا في مركب مافيه أحد من المسلمين ، ولتقوا العدو فكانا أنكل المسلمين قتالا ، فقيل لهما في ذلك فقالا : كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه ؟ فأرسل إليهما عبد الله بن سعد فنهاهما أشد النهي وقال : والله لولا لا أدرى ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكما وحبستكما . قال الواقدي وفي هذه السنة فتحت أرمينية على يد حبيب بن مسلمة . وفي هذه السنة قتل كسرى ملك الفرس .

❖ كيفية قتل كسرى ملك الفرس وهو يزدرج ❖

قال ابن إسحاق : هرب يزدرج من كرمان في جماعة يسيرة إلى مرو ، فسأل من بعض أهلها مالا فنعوه وخافوه على أنفسهم ، فبعثوا إلى الترك يستفزونهم عليه ، فأتوه فقتلوا أصحابه وهرب هو حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحية على شط ، فأوى إليه ليلا ، فلما نام قتله . وقال المدائني : لما هرب بعد قتل أصحابه انطلق ماشياً عليه تاجه ومنطقته وسيفه ، فاتته إلى منزل هذا الرجل الذي ينقر الأرحية فجلس عنده فاستغفله وقتله وأخذ ما كان عليه ، وجاءت الترك في طلبه فوجدوه قد قتله وأخذوا حياضه ، فقتلوا ذلك الرجل وأهل بيته وأخذوا ما كان مع كسرى ، ووضعوا كسرى في تابوت وحملوه إلى اصطخر ، وقد كان يزدرج وطى امرأة من أهل مرو قبل أن يقتل فحملت منه ووضعت بعد قتله غلاماً ذاهب الشق وسمى ذلك الغلام الخدج ، وكان له نسل وعقب في خراسان ، وقد سبى قتيبة بن مسلم في بعض غزواته بتلك البلاد جاريتين من نسله ، فبعث باحدهما إلى الحجاج ، فبعث بها إلى الوليد بن عبد الملك فولدت له ابنة يزيد بن الوليد الملقب بالناقص . وقال المدائني في رواية عن بعض شيوخه : إن يزدرج لما أنهزم عنه أصحابه عقر جواده وذهب ماشياً حتى دخل رحي على شط نهر يقال له المرعاب فشكث فيه ليلتين والعدو في طلبه فلم يدر أين هو ، ثم جاء صاحب الرحي فرأى كسرى وعليه أمته ، فقال له : ما أنت ؟ إنسى أم جنى ؟ قال : إنسى ، فهل عندك طعام ؟ قال : نعم ! فأناه بطعام فقال : إني مزرمم فأتني بما أزمزم به ، قال : فذهب الطحان إلى أسوار من الأساور فطلب منه ما يزمزم به ، قال : وما تصنع به ؟ قال : عندي رجل لم أر مثله قط وقد طلب مني هذا ، فذهب به الأسوار إلى ملك البلد - مرو واسمه ماهويه بن باباه - فأخبره خبره ، فقال هو يزدرج ، اذهبوا فجيئوني برأسه ، فذهبوا مع الطحان [فلما دنوا من دار الرحي هابوا أن يقتلوه وتدابفوا وقالوا للطحان (١) ادخل أنت فاقتله ، فدخل فوجده نائماً فأخذ حجراً فشده به رأسه ثم احتزاه فدفعه إليهم وألقى جسده في النهر ، فخرجت العامة إلى الطحان فقتلوه ، وخرج أسقف فأخذ جسده من النهر وجعله في تابوت وحمله إلى اصطخر فوضعه في ناووس ، وپروى أنه مكث في منزل ذلك الطحان ثلاثة أيام لا يأكل

(١) زيادة من المصرية .

حتى رق له وقال له : ويحك يامسكين ألا تأكل ؟ وأناه بطعام فقال : إني لا أستطيع أن آكل إلا بزرممة ، فقال له : كل وأنا أزمزم لك ، فسأل أن يأتيه بمزرمم ، فلما ذهب يطلب له من بعض الأساور شموا رائحة المسك من ذلك الرجل ، فأنكروا رائحة المسك منه فسألوه فأخبرهم فقال : إن عندي رجلاً من صفته كيت وكيت ، فعرفوه وقصدوه مع الطحان وتقدم الطحان فدخل عليه وهم بالقبض عليه فعرف يزدرج ذلك فقال له : ويحك خذ خاتمي وسواري ومنطقتي ودعني أذهب من ههنا ، فقال لا ، اعطني أربعة دراهم وأنا أطلقك ، فزاده إحدى قرطيه من أذنه فلم يقبل حتى يعطيه أربعة دراهم أخرى ، فهم في ذلك إذ دهمهم الجند فلما أحاطوا به وأرادوا قتله قال : ويحك لا تقتلوني فانا نجد في كتبنا أن من اجترأ على قتل الملوكة عاقبه الله بالحريق في الدنيا مع ما هو قادم عليه ، فلا تقتلوني واذهبوا بي إلى الملك أو إلى العرب ، فاتهم يستحيون من قتل الملوكة ، فأبوا عليه ذلك فسلبوه ما كان عليه من الحلى فجعلوه في جراب وخنقوه بوتر وألقوه في النهر فتعلق بعود فأخذه أسقف - واسمه إيليا - فحن عليه مما كان من أسلافه من الاحسان إلى النصارى الذين كانوا يبلادهم ، فوضعه في تابوت ودفنه في ناووس ، ثم حمل ما كان عليه من الحلى إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ففقد قرط من حليه فبعث إلى دهقان تلك البلاد فأغرمه ذلك . وكان ملك يزدرج عشرين سنة ، منها أربع سنين في دعة ، وبقي ذلك هارباً من بلد إلى بلد ، خوفاً من الاسلام وأهله ، وهو آخر ملوك الفرس في الدنيا على الاطلاق ، تقول رسول الله ﷺ « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » رواه البخاري . وثبت في الحديث الصحيح أنه لما جاء كتاب النبي ﷺ مزقه ، فدعا عليه النبي ﷺ أن يمزق كل ممزق ، فوقع الأمر كذلك ، وفي هذه السنة فتح ابن عامر فتوحات كثيرة كان قد نقض أهلها ما كان لهم من الصلح ، فمن ذلك ما فتح عنوة ، ومن ذلك ما فتح صلحاً ، فكان في جملة ما صالح عليه بعض المدائن وهي مرو على ألفى ألف ومائتى ألف ، وقيل على ستة آلاف ألف ومائتى ألف . وفي هذه السنة حج بالناس عثمان بن عفان رضى الله عنه .

❖ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ❖

وفيها غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق - مضيق القسطنطينية - ومعه زوجته عاتكة ، ويقال فاطمة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . قاله أبو معشر والواقدي : وفيها استعمل سعيد بن العاص سلمان بن ربيعة على جيش وأمره أن يغزو الباب ، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة نائب تلك الناحية بمساعدته ، فسار حتى بلغ بلنجر فحصرها ونصبت عليها المجانيق والعرادات . ثم إن أهل بلنجر خرجوا إليهم وعاونهم الترك فاقتلوا قتلاً شديداً - وكانت الترك تهاب

قتال المسلمين ، و يظنون أنهم لا يموتون - حتى اجترأوا عليهم بعد ذلك ، فلما كان هذا اليوم التقوا معهم فاقتلوا ، فقتل يومئذ عبد الرحمن بن ربيعة - وكان يقال له ذو النون - وانهمزم المسلمون فافترقوا فرقتين ، ففرقة ذهبت إلى بلاد الخزر ، وفرقة سلكوا ناحية جيلان وجرجان ، وفي هؤلاء أبو هريرة وسلمان الفارسي . وأخذت الترك جسد عبد الرحمن بن ربيعة سوكان من سادات المسلمين وشجعائهم - فدفنوه في بلادهم فهم يستسقون عنده إلى اليوم ، ولما قتل عبد الرحمن بن ربيعة استعمل سعيد بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة ، وأمدم عثمان بأهل الشام عليهم حبيب بن مسلمة ، فتنازع حبيب وسلمان في الأمانة حتى اختلفا ، فكان أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة وأهل الشام ، حتى قال في ذلك رجل من أهل الكوفة وهو أوس :

فان تضربوا سلمان لضرب حبيبكم * وإن ترحلوا نحو ابن عفان ترحل
وإن تقسطوا فالنفر ثغر أميرنا * وهذا أمير في الكتائب مقبل
ونحن ولادة الثغر كنا حماه * ليالي نرمى كل ثغر وتسل

وفيها فتح ابن عامر مرو الروذ والطارقان والغارياب والجوزجان وطخارستان ، فأما مرو الروذ فبعث إليهم أبو عامر الأحنف بن قيس فحصرها فخرجوا إليه فقاتلهم حتى كسرهم فاضطروهم إلى حصنهم ، ثم صالحوه على مال جزيل وعلى أن يضرب على أراضي الرعية الخراج ، ويدع الأرض التي كان اقتطعها كسرى لوالد المرزبان ، صاحب مرو ، حين قتل الحية التي كانت تقطع الطريق على الناس وتأكلهم ، فصالحهم الأحنف على ذلك ، وكتب لهم كتاب صلح بذلك ، ثم بعث الأحنف الأقرع بن حابس إلى الجوزجان ففتحها بعد قتال وقع بينهم ، قتل فيه خلق من شجعان المسلمين ، ثم نصرهوا فقال في ذلك أبو كثير النهشلي قصيدة طويلة فيها :

سقى مزنا السحاب إذا استهلكت * مصارع فنية بالجوزجان
إلى التصرين من رستاق حوط * أبادهم هناك الأقرعان

ثم سار الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ فحاصره حتى صالحوه على أربعمائة ألف ، واستناب ابن عمه أسيد بن الشمس على قبض المال ، ثم ارتحل يريد الجهاد ، وداهمه الشتاء فقال لاصحابه : ما تشاءون ؟ فقالوا : قد قال عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

فأمر الأحنف بالرحيل إلى بلخ فأقام بها مدة الشتاء ، ثم عاد إلى عامر فقيل لابن عامر ما فتح على أحد ما فتح عليك ، فارس وكرمان وسجستان و عامر خراسان ، فقال : لا جرم ، لأجمعان شكركم لله على ذلك أن أحرم بعمره من موقفي هذا مشمراً فأحرم بعمره من نيسابور ، فلما قدم على

عثمان لأمه على إحرامه من خراسان . وفيها أقبل قارن في أربعين ألفاً فالتقاه عبد الله بن حازم في أربعة آلاف ، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل ، وأمر كلا منهم أن يحمل على رأس رحله ناراً ، وأقبلوا إليهم في وسط الليل فبيتوهم فثاروا إليهم فناوشتهم المقدمة فاشتغلوا بهم ، وأقبل عبد الله بن حازم بمن معه من المسلمين فاتفقواهم وإياهم ، فولى المشركون مديريين ، واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤوا كيف شاؤوا . وغنموا سبياً كثيراً وأموالاً جزيلة ، ثم بعث عبد الله بن حازم [بالفتح إلى ابن عامر ، فرضى عنه وأقره على خراسان - وكان قد عزله عنها - فاستمر بها عبد الله بن حازم] (١) إلى ما بعد ذلك .

﴿ ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ﴾

﴿ العباس بن عبد المطلب ﴾

ابن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الفضل المكي عم رسول الله ﷺ ، ووالد الخلفاء العباسيين ، وكان أسن من رسول الله ﷺ بسنتين أو ثلاث ، أسر يوم بدر فافتدى نفسه بمال ، وافتدى ابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث . وقد ذكرنا أنه لما أسر وشد في الوثاق وأمسى الناس ، أرق رسول الله ﷺ فقيل يارسول الله مالك ؟ فقال « إني أسمع أنين العباس في وثاقه فلا أنام » فقام رجل من المسلمين فخل من وثاق العباس حتى سكن أنينه فنام رسول الله ﷺ ، ثم أسلم عام الفتح ، وتلقى رسول الله ﷺ إلى الجحفة فرجع معه ، وشهد الفتح ، ويقال إنه أسلم قبل ذلك ولكنه أقام بمكة بأذن النبي ﷺ له في ذلك ، كما ورد به الحديث فأنه أعلم . وقد كان رسول الله ﷺ يحبه ويعظمه وينزله منزلة الوالد من الولد ، ويقول « هذا بقية آبائي » وكان من أوصل الناس لقريش وأشفقهم عليهم ، وكان ذا رأي وعقل تام وواف ، وكان طويلاً جميلاً أبيض بضاً ذا طفرتين وكان له من الولد عشرة ذكور سوى الإناث ، وهم تمام - وكان أصغرهم - والحارث ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعون ، والفضل ، وقثم ، وكثير ، ومعبود . وأعتق سبعين مملوكاً من غلمانته [وقال الامام أحمد : ثنا علي بن عبد الله قال حدثني محمد بن طلحة التيمي من أهل المدينة حدثني أبو سهيل نافع بن مالك عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ للعباس « هذا العباس بن عبد المطلب أجود قریش كفاً وأوصلها » تفرد به (٢)] وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعمر حين بعثه على الصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ « ما ينقم ابن جميل إلا أن كان فقيراً فأغناه (١) سقط من الحلبية (٢) سقط من المصرية . الله وقوله تفرد به كذا في أصل الحلبية ولعله سقط منه لفظ أحمد .

وأما خالد فانكم تظلمون خالداً وقد احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله ، وأما العباس فهي علي ومثلها » ثم قال : « يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » ؟ وثبت في صحيح البخاري عن أنس أن عمر خرج يستسقى وخرج بالعباس معه يستسقى به ، وقال اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقيننا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، قال فيستقون ، ويقال إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا إداراً بالعباس وهما راكبان ترجلا إكراماً له . قال الواقدي وغير واحد : توفي العباس في يوم الجمعة لتنتي عشرة ليلة خلت من رجب ، وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ، عن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان ، ودفن بالبقيع . وقيل توفي سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين ، وفضائله ومناقبه كثيرة جداً .

عبد الله بن مسعود

ابن غافل بن حبيب بن سمح بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر الهذلي ، أبو عبد الرحمن حليف بني زهرة ، أسلم قديماً قبل عمر ، وكان سبب إسلامه حين مر به رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وهو يرعى غنماً فسألاه لبناً فقال : إني مؤمن ، قال فأخذ رسول الله ﷺ عنقه لم يتر عليها الفحل فاعتقلها ثم حلب وشرب وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع « أخلص » فخلص ، فقلت علمني من هذا الدعاء فقال : إنك غلام معلم ، الحديث . وروى عبد بن إسحاق عن يحيى بن عروة عن أبيه أن ابن مسعود كان أول من جهر بالقرآن بحمكة ، بعد النبي ﷺ عند البيت ، وقرئ في أندية قرأ سورة الرحمن علم القرآن ، فقاموا إليه فضربوه ، ولزم رسول الله ﷺ ، وكان يحمل نعليه وسواكه ، وقال له إذ ذاك علي أن تسمع سوادى (١) ولهذا كان يقال له صاحب السواك والوساد ، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد بدرًا ، وهو الذي قتل أبا جهل بعد ما أثبتته ابنا عفراء ، وشهد ببيعة المشاهد ، وقال له رسول الله ﷺ يوماً « اقرأ علي » فقلت اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال « إني أحب أن أسمعه من غيري » فقرأ عليه من أول سورة النساء إلى قوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فبكى رسول الله ﷺ وقال « حسبك » وقال أبو موسى : قدمت أنا وأخي من اليمن وما كنا نظن إلا أن ابن مسعود وأمه من أهل بيت النبي ﷺ ، لكثرة دخولهم بيت النبي ﷺ . وقال حذيفة ما رأيت أحداً أشبه رسول الله ﷺ في هديه ودله وسمته من ابن مسعود ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى ، وفي الحديث « وتمسكوا بهم ابن أم عبد » وفي الحديث الآخر الذي رواه أحمد عن محمد بن فضيل عن مغيرة عن أم حرسى عن علي أن ابن (١) في النهاية اذ ذاك علي أن ترفع الحجاب وتسمع سوادى حتى أمهاتك . السواد بالسكر السرار

مسعود صعد شجرة يجتنى السكبات فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه ، فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده لها في الميزان أثقل من أحد » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وقد نظر إلى قصره وكان يوازي بقامته الجلوس - فجعل يتبعه بصره ثم قال هو كنيف على علماء . وقد شهد ابن مسعود بعد النبي ﷺ مواقف كثيرة ، منها اليرموك وغيرها ، وكان قدم من العراق حاجاً فربا بالبدنة فشهد وفاة أبي ذر ودفنه ، ثم قدم إلى المدينة ففرض بها نجاءه عثمان بن عفان عائداً ، فيروى أنه قال له : ما تشتهي ؟ قال ذنوبي ، قال فما تشتهي ؟ قال رحمة ربي ، قال ألا أمر لك بطيب ؟ فقال : الطيب أمرضى ، قال ألا أمر لك بعتائك ؟ - وكان قد تركه سنتين - فقال : لا حاجة لي فيه . فقال : يكون لبناتك من بعدك ، فقال أتخشى على بناتي الفقير ؟ إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » وأوصى عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام ، فيقال إنه هو الذي صلى عليه ليلاً ، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك ، وقيل بل صلى عليه عثمان ، وقيل عمار ، فالله أعلم . ودفن بالبقيع عن بضع وستين سنة .

عبد الرحمن بن عوف

ابن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو محمد القرشي الزهري ، أسلم قديماً علي يدي أبي بكر ، وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة ، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع ، وشهد بدرًا وما بعدها ، وأمره رسول الله ﷺ حين بعثه إلى بني كلب وأرخص له عذبة بين كتفيه ، لتكون أمانة عليه للامارة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين إلى الاسلام ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، ثم أحد الثلاثة الذين انتهت إليهم منهم ، كما ذكرنا . ثم كان هو الذي اجتهد في تقديم عثمان رضي الله عنه ، وقد تناول هو وخالد بن الوليد في بعض الغزوات فأغلظ له خالد في المقاتل ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وهو في الصحيح . وقال معمر عن الزهري : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد النبي ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعمائة ألفاً ثم تصدق بأربعمائة ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة ، فأما الحديث الذي قال عبد بن حميد في مسنده ثنا يحيى بن إسحق ثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن عبد الرحمن بن عوف لما هاجر آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عثمان بن عفان فقال له إن لي حاططين فاختر أيهما شئت ، فقال : بارك الله لك في حاططيك ، ما لهذا أسلمت ، دلني على السوق ، قال فدلته فكان يشتري السمنة والاقيطة والاهاب ، فجمع فتزوج فأتى النبي ﷺ فقال « بارك الله لك

أو لم ولو بشاة » قال فكثير ماله حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر وتحمل الدقيق والطعام ، قال : فلما دخلت المدينة سمع لأهل المدينة رجلة ، فقالت عائشة : ما هذه الرجلة ؟ فقيل لها غير قدمت لعبد الرحمن بن عوف سبعمائة تحمل البر والدقيق والطعام . فقالت عائشة : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبواً » فلما بلغ عبد الرحمن ذلك قال : أشهدك يا أمه أنها بأحبالها وأحلاسها وأقتابها في سبيل الله . وقال الامام أحمد : ثنا عبد الصمد بن حسان ثنا عمارة - هو ابن زاذان - عن ثابت عن أنس قال : بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة قالت : ما هذا ؟ قالوا غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء - قال وكانت سبعمائة بعير - قال فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قد رأيت عبد الرحمن ابن عوف يدخل الجنة حبواً » فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : لئن استطعت لأدخلها قائماً ، فجعلها بأقتابها وأحبالها في سبيل الله . فقد تفرد به عمارة بن زاذان الصيدلاني وهو ضعيف . وأما قوله في سياق عبد بن حميد : إنه آخى بينه وبين عثمان بن عفان ، فغلط محض مخالف لما في صحيح البخاري من أن الذي آخى بينه وبينه إنما هو سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنهما ، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ صلى وراءه الركعة الثانية من صلاة الفجر في بعض الأسفار ، وهذه منقبة عظيمة لا تبارى . ولما حضرته الوفاة أوصى لكل رجل ممن بقى من أهل بدر بأربعمائة دينار - وكانوا مائة - فأخذوها حتى عثمان وعلي ، وقال علي : اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها ، وسبقت زيفها وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول سقاه الله من السلسيل . وأعتق خلقاً من مماليكه ثم ترك بعد ذلك كله مالا جزيلاً ، من ذلك ذهب قطع بالفؤس حتى مجلت أيدي الرجال ، وترك ألف بعير ومائة فرس ، وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع ، وكان نساؤه أربعاً فصولحت إحداهن من ربيع الثمن بثمانين ألفاً ، ولما مات صلى عليه عثمان بن عفان ، وحمل في جنازته سعد بن أبي وقاص ، ودفن بالبقيع عن خمس وسبعين سنة . وكان أبيض مشرباً حمرة حسن الوجه ، دقيق البشرة ، أعين أهدب الأشفار ، أفتى ، له جمعة ، ضخم الكفين ، غليظ الأصابع ، لا يغير شبيهه رضي الله عنه .

✽ أبو ذر الغفاري ✽

واسمه جندب بن جنادة على المشهور ، أسلم قديماً بمكة فكان رابع أربعة أو خامس خمسة . وقصة إسلامه تقدمت قبل الهجرة ، وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بنحية الاسلام ، ثم رجع إلى بلاده وقومه ، فكان هناك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فهاجر بعد الخندق ثم لزم رسول الله ﷺ حضراً وسفراً ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وجاء في فضله أحاديث كثيرة ، من

أشهرها ما رواه الأعمش عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن أبي حرب بن أبي الأسود عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر » وفيه ضعف . ثم لما مات رسول الله ﷺ ومات أبو بكر خرج إلى الشام فكان فيه حتى وقع بينه وبين معاوية فاستقدمه عثمان إلى المدينة ، ثم نزل الرينة فأقام بها حتى مات في ذى الحجة من هذه السنة ، وليس عنده سوى امرأته وأولاده ، فبينما هم كذلك لا يقدر على دفنه إذ قدم عبد الله بن مسعود من العراق في جماعة من أصحابه ، فحضروا موته ، وأوصاهم كيف يفعلون به ، وقيل قدموا بعد وفاته فولوا غسله ودفنه ، وكان قد أمر أهله أن يطبخوا لهم شاة من غنمه لياكلوه بعد الموت ، وقد أرسل عثمان بن عفان إلى أهله فضمهم مع أهله .

✽ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ✽

فيها كان فتح قبرص في قول أبي معشر ، وخالفه الجمهور قد كروها قبل ذلك كما تقدم ، وفيها غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح إفريقية ثانية ، حين نقض أهلها العهد . وفيها سير أمير المؤمنين جماعة من قراء أهل الكوفة إلى الشام ، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن عامر ، فكتب إلى عثمان في أمرهم ، فكتب إليه عثمان أن يجلبهم عن بلده إلى الشام ، وكتب عثمان إلى معاوية أمير الشام أنه قد أخرج إليك قراء من أهل الكوفة فأنزلهم وأكرمهم وتألفهم . فلما قدموا أنزلهم معاوية وأكرمهم واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد ، فأجابه متكلمهم والمترجم عنهم بكلام فيه بشاعة وشناعة ، فاحتملهم معاوية لحلمه ، وأخذ في مدح قريش - وكانوا قد نالوا منهم - وأخذ في المدح لرسول الله ﷺ ، والثناء عليه ، والصلاة والتسليم . وافتخر معاوية بوالده وشرفه في قومه ، وقال فيما قال : وأظن أبا سفيان لو ولد الناس كلهم يلد إلا حازماً ، فقال له صعصعة بن صوحان : كذبت ، قد ولد الناس كلهم لمن هو خير من أبي سفيان من خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البر والفاجر ، والأحق والكيس . ثم بدل لهم النصح مرة أخرى فإذا هم يتأدون في غيهم ، ويستمرون على جهالتهم وحقاقهم ، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام ، لئلا يشوشوا عقول الطعام ، وذلك أنه كان يشتمل مطاوى كلامهم على التمدح في قريش كونهم فرطوا وضيعوا ما يجب عليهم من القيام فيه ، من نصرة الدين وقمع المفسدين . وإنما يريدون بهذا التنقيص والعيب ورجم الغيب ، وكانوا يشتمون عثمان وسعيد بن العاص ، وكانوا عشرة ، وقيل تسعة وهو الأشبه ، منهم كميل بن زياد ، والأشتر النخعي - واسمه مالك بن يزيد - وعلقمة بن قيس النخعيان ، وثابت بن قيس النخعي ، وجندب بن زهير العامري ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد

وعمر بن الخطاب الخزاعي (١). فلما خرجوا من دمشق أروا إلى الجزيرة فاجتمع بهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - وكان نائباً على الجزيرة - ثم ولي حمص بعد ذلك - فهددهم وتوعدهم ، فاعتذروا إليه وأتابوا إلى الاقلاع عما كانوا عليه ، فدعا لهم وسير مالكا الأشر النخعي إلى عثمان بن عفان ليعتذر إليه عن أصحابه بين يديه ، فقبل ذلك منهم وكف عنهم وخبرهم أن يقيموا حيث أحبوا ، فاختاروا أن يكونوا في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فقدموا عليه حمص ، فأمرهم بالمقام بالساحل ، وأجرى عليهم الرزق . ويقال بل لما مقتهم معاوية كتب فيهم إلى عثمان فجاءه كتاب عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ، فردهم إليه ، فلما رجعوا كانوا أزلق السنة ، وأكثر شراً ، فضج منهم سعيد بن العاص إلى عثمان ، فأمره أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ، وأن يلزموا الدروب . وفي هذه السنة سير عثمان بعض أهل البصرة منها إلى الشام ، وإلى مصر بأسباب مسوغة لما فعله رضي الله عنه ، فكان هؤلاء ممن يؤلب عليه ويمالي الأعداء في الحط والكلام فيه ، وهم الظالمون في ذلك ، وهو البار الراشد رضي الله عنه . وفي هذه السنة حج بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتقبل الله منه .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ﴾

قال أبو معشر : فيها كانت وقعة الصواري ، والصحيح في قول غيره أنها كانت قبل ذلك كما تقدم . وفي هذه السنة تكاتب المنحرفون عن عثمان - وكان جمهورهم من أهل الكوفة - وهم في معاملة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص منفيون عن الكوفة ، وثاروا على سعيد بن العاص أمير الكوفة ، وتآلبوا عليه ، ونالوا منه ومن عثمان ، وبعثوا إلى عثمان من يناظره فيما فعل وفيما اعتمد من عزل كثير من الصحابة وتولية جماعة من بني أمية من أقرائه ، وأغلظوا له في القول ، وطلبوا منه أن

(١) كذا في الحلبية . والذي في المصرية

كئيل بن زياد ، والأشر النخعي ، واسمه مالك بن الحارث - وضعمة بن صوحان وأخوه زيد بن صوحان ، وكعب بن مالك الأوسي ، والأسود بن زيد بن علقمة بن قيس النخعيان ، وثابت بن قيس النخعي ، وجندب بن زهير الغامدي ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد ، وعمر بن ابن الحلق الخزاعي .

والذي في الطبري .

مالك بن الحارث الأشر ، وثابت بن قيس النخعي ، وكئيل بن زياد النخعي ، وزيد بن صوحان العبدي ، وجندب بن زهير الغامدي ، وجندب بن كعب الأزدي ، وعروة بن الجعد ، وعمر بن الحلق الخزاعي .

يعزل عماله ويستبدل أئمة غيرهم ، حتى شق ذلك عليه جداً ، وبعث إلى أمراء الأجناد فأحضرهم عنده ليستشيرهم ، فاجتمع إليه معاوية بن أبي سفيان أمير الشام ، وعمر بن العاص أمير مصر ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أمير المغرب ، وسعيد بن العاص أمير الكوفة ، وعبد الله بن عامر أمير البصرة فاستشارهم فيما حدث من الأمر ، فأشار عبد الله بن عامر أن يشغلهم بالغزو عما هم فيه من الشر ، فلا يكون هم أحدهم إلا نفسه ، وما هو فيه من دبر دابته وحمل فروته ، وأشار سعيد بن العاص بأن يستأصل شأفة المفسدين ويقطع دابرهم ، وأشار معاوية بأن يرد عماله إلى أقاليمهم وأن لا يلتفت إلى هؤلاء وما تألبوا عليه من الشر ، فأنهم أقل وأضعف جنداً . وأشار عبد الله بن سعد بن أبي سرح بأن يتألفهم بلمال فيعطيتهم منه ما يكف به شرهم ، ويأمن غائلتهم ، ويعطف به قلوبهم إليه . وأما عمرو بن العاص فقام فقال : أما بعد يا عثمان فانك قد ركبت الناس ما يكرهون فأما أن تعزل عنهم ما يكرهون ، وإما أن تقدم فتنزل عمالك على ما هم عليه ، وقال له كلاماً فيه غلظة ، ثم اعتذر إليه في السر بأنه إنما قال هذا ليلبغ عنه من كان حاضراً من الناس إليهم ليرضوا من عثمان بهذا ، فعند ذلك قرر عثمان عماله على ما كانوا عليه ، وتآلف قلوب أولئك بالمال ، وأمر بأن يبعثوا إلى الغزو إلى الثغور ، فجمع بين المصالح كلها ، ولما رجعت العمال إلى أقاليمها امتنع أهل الكوفة من أن يدخل عليهم سعيد بن العاص ولبسوا السلاح وحلفوا أن لا يمكنوه من الدخول فيها حتى يعزله عثمان ويولي عليهم أبا موسى الأشعري ، وكان اجتماعهم بمكان يقال له الجرعة (١) - وقد قال يومئذ الأشر النخعي : والله لا يدخلها علينا ما حملنا سيوفنا ، وتوافق الناس بالجرعة (٢) . وأحجم سعيد عن قتالهم وصمموا على منعه ، وقد اجتمع في مسجد الكوفة في هذا اليوم حذيفة وأبو مسعود عقبة بن عمرو ، فجعل أبو مسعود يقول : [والله لا يرجع سعيد بن العاص حتى يكون دماء . فجعل حذيفة يقول :] (٣) والله ليرجعن ولا يكون فيها محجمة من دم ، وما أعلم اليوم شيئاً إلا وقد علمته ومجد ﷺ حتى . والمقصود أن سعيد بن العاص كر راجعاً إلى المدينة وكسر الفتنة ، فأعجب ذلك أهل الكوفة ، وكتبوا إلى عثمان بذلك فأجابهم عثمان إلى ما سألوا إزاحة لعذرهم ، وإزالة لشبههم ، وقطعاً لعلاهم .

وذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الاسلام وصار إلى مصر ، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عنده نفسه ، مضمونه أنه يقول للرجل : أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل : نعم ! فيقول له فرسول الله ﷺ أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا ، وهو أشرف من عيسى ابن مريم عليه السلام ؟ ثم يقول : وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب ، فمحمد خاتم الأنبياء ،

(١) الجرعة مكان مشرف قرب القادسية . (٢) - (٣) سقط من الحلبية .

وعلى خاتم الأوصياء ، ثم يقول : فهو أحق بالأمر من عثمان ، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له . فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فافتتن به بشر كثير من أهل مصر ، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، قبالوا على ذلك ، وتكاتبوا فيه ، وتواعدوا أن يجتمعوا في الأنكار على عثمان ، وأرسلوا إليه من يناظره ويذكر له ما ينقمون عليه من توليته أقرباه وذوي رحمه وعزله كبار الصحابة . فنخل هذا في قلوب كثير من الناس ، فجمع عثمان بن عفان نوابه من الأمصار فاستشارهم فأشاروا عليه بما تقدم ذكرنا له فأنه أعلم .

وقال الواقدي فيما رواه عن عبد الله بن محمد عن أبيه قال : لما كانت سنة أربع وثلاثين كثير الناس على عثمان بن عفان ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد ، فكلم الناس على بن أبي طالب أن يدخل على عثمان ، فدخل عليه فقال له : إن الناس ورائي وقد كلوني فيك ، والله ما أدرى ما أقول لك ، وما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم ما تعلم ، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغك ، وما خصصنا بأمر عنك ، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله ﷺ ونلت صهره ، وما ابن أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك ، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك ، وإنك أقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً ، ولقد نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينال ، ولا سبقناك إلى شيء ، والله الله في نفسك ، فأنك والله ما تبصر من عمي ، ولا تعلم من جهل . وإن الطريق لواضح بيني ، وإن أعلام الدين لقائمة ، تعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل ، هدى وهدى ، فأقام سنة معلومة ، وأمات بدعة معلومة ، فوالله إن كلا ليين ، وإن السنن لقائمة لها أعلام ، وإن البدع لقائمة لها أعلام ، وإن شر الناس عند الله إمام جار ضل وأضل به فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر ، فيلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الزحائم يرتطم في غمرة جهنم ، وإني أحذرك الله وأحذرك سطوته ونقمته ، فإن عذابه أليم شديد ، واحذر أن تكون إمام هذه الأمة المقتول ، فإنه كان يقال يقتل في هذه الأمة إمام فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، وتلبس أمورها عليها ، ويتركون شيعاً لا يبصرون الحق من الباطل ، يموجون فيها موجاً ، ويمرحون فيها مرحاً . فقال عثمان : قد والله علمت لتقولن الذي قلت ، أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك ولا أسلمتلك ، ولا عبت عليك ، ولا جئت منكراً ، إني وصلت رحماً ، وسددت خلة ، وآويت ضائعاً ، ووليت شبيهاً بمن كان عمر بولي ، أنشدك الله يا علي هل تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك ؟ قال : نعم ! قال : فتعلم أن عمر وولاه ؟ قال : نعم ! قال : فلم تلوموني أن وليت ابن عامر في رحمه وقربائه ؟ فقال علي : سأخبرك أن عمر كان كل من ولي فأنما يطاء على صاحبه ، وأنه إن بلغه حرف جاء به ، ثم بلغ

به أقصى الغاية ، وأنت لاتفعل ضعف ورقتك على أقرباك . فقال عثمان : هم أقرباؤك أيضاً ، فقال علي لعمرى إن رحمهم مني لقريبة ، ولكن الفضل في غيرهم . قال عثمان : هل تعلم أن عمر ولي معاوية خلافة كها ، فقد وليته ، فقال علي : أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفاً غلام عمر منه ؟ قال : نعم ! قال علي : فإن معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها ويقول للناس : هذا أمر عثمان ، فيبلغك ولا تغير على معاوية . ثم خرج علي من عنده وخرج عثمان على إثره فصعد المنبر فوعظ وحذر وأذمر ، وتهدد وتوعد ، وأبرق وأرعد ، فكان فيما قال : ألا فقد والله عبيتم علي بما أقررتكم به لابن الخطاب ، ولكنه وطئكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتكم أو كرهتم ، ولنت لكم وأوطأت لكم كتفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم علي ، أما والله لأننا أعز نفرأ وأقرب ناصرأ وأكثر عدداً وأقن ، إن قلت : هلم إلى إلى ، ولقد أعددت لكم أقرانكم ، وأفضلت عليكم فضولاً ، وكشرت لكم عن نابي ، فأخرجتم مني خلقاً لم أكن أحسنه ، ومنطقاً لم أنطق به ، فكفوا ألسنتكم وطعنكم وعيبكم علي ولا تكف فاني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يليكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا ، ألا فما تفقدون من حنكم ؟ فوالله ما قصرتم في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي . ثم اعتذر عما كان يعطى أقرباه بأنه من فضل ماله . فقام مروان بن الحكم فقال : إن شئتم والله حكمتنا بيننا وبينكم السيف ، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر :

فرشنا لكم أراضنا فنبت بكم * مغارسكم تبينون في دمن الثرى

فقال عثمان : اسكت لاسكت ، دعني وأصحابي ، ما منطقتك في هذا ، ألم أتقدم إليك أن لاتنطق . فسكت مروان ونزل عثمان رضى الله عنه .

وذكر سيف بن عمر وغيره أن معاوية لما ودعه عثمان حين عزم على الخروج إلى الشام عرض عليه أن يرحل معه إلى الشام فانهم قوم كثيرة طاعتهم للأمر . فقال : لا أختار بجوار رسول الله ﷺ سواه . فقال : أجهز لك جيشاً من الشام يكونون عندك ينصرونك ؟ فقال : إني أخشى أن أضيق بهم بلد رسول الله ﷺ على أصحابه من المهاجرين والأنصار . قال معاوية : فوالله يا أمير المؤمنين لتغتالن - أو قال : لتغزين - فقال عثمان : حسبي الله ونعم الوكيل . ثم خرج معاوية من عنده وهو متقلد السيف وقوسه في يده ، فر على ملا من المهاجرين والأنصار ، فيهم علي بن أبي طالب ، وطلحة ، والزبير ، فوقف عليهم واتسكأ على قوسه وتكلم بكلام بليغ يشتمل على الوصاة بعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، والتحذير من إسلامه إلى أعدائه ، ثم انصرف ذاهباً . فقال الزبير : ما رأيته أهيب في عيني من يومه هذا . وذكر ابن جرير أن معاوية استشعر الأمر لنفسه من قدمته هذه إلى المدينة ، وذلك أنه سمع حادياً يرتجز في أيام الموسم في هذا العام وهو يقول :

قد علمت ضوامر المولى * وضمرات عوج القسي . أن الأمير بعده على * وفي الزبير خلف رضى
وطلحة الحامى لها ولى .

فلما سمعها معاوية لم يزل ذلك في نفسه حتى كان ما كان على ما سئد كره في موضعه إن شاء الله
وبه الثقة . قال ابن جرير : وفي هذه السنة مات أبو عبس بن جبير بالمدينة وهو بدرى . ومات أيضاً
مسطح بن أثامة . وغافل بن البكير . وحج بالناس في هذه السنة عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .
* ثم دخلت سنة خمس وثلاثين فمقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه *

وكان السبب في ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر ولى عليها عبد الله بن سعد
ابن أبي سرح . وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص ،
فجعلوا يعملون عليه حتى شكوه إلى عثمان ليتزعه عنهم ويولى عليهم من هوأئين منه . فلم يزل ذلك
ذاهبهم حتى عزل عمرًا عن الحرب وتركه على الصلاة ، وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن
أبي سرح . ثم سعوا فيما بينهما بالثيمة فوقع بينهما ، حتى كان بينهما كلام قبيح . فأرسل عثمان فجمع
لابن أبي سرح جميع عمالة مصر ، خراجها [وحرها] وصلاتها ، وبعث إلى عمرو يقول له : لا خير لك
في المقام عند من يكرهك ، فأقدم إلى ، فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر
كبير ، فكلمه فيما كان من أمره بنفس ، وتقولوا في ذلك ، وافتخر عمرو بن العاص بأبيه على عثمان ،
وأنه كان أعز منه . فقال له عثمان : دع هذا فإنه من أمر الجاهلية . وجعل عمرو بن العاص يؤلب
الناس على عثمان . وكان بمصر جماعة يبغضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ما قدمنا ،
وينقمون عليه في عزله جماعة من عليّة الصحابة وتوليته من دونهم ، أو من لا يصلح عندهم للولاية .
وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، بعد عمرو بن العاص ، واشتغل عبد الله بن سعد
عنهم بقتال أهل المغرب ، وفتح بلاد البربر والأندلس وإفريقية . ونشأ بمصر طائفة من أبناء
الصحابة يؤلبون الناس على حربه والانكار عليه ، وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبي بكر ،
ومحمد بن أبي حذيفة ، حتى استنفرا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين
في شهر رجب ، لينكروا على عثمان فساروا إليها تحت أربع رفاق ، وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن
ورقاء الخزاعي ، وعبد الرحمن بن عديس البلوى ، وكنانة بن بشر التجيبي ، وسودان بن حمران
السكوني . وأقبل معهم محمد بن أبي بكر ، وأقام بمصر محمد بن أبي حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن
هؤلاء . وكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقدم هؤلاء القوم إلى المدينة منكبين
عليه في صفة معتمرين . فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان على بن أبي طالب أن يخرج إليهم ليردهم
إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة . ويقال : بل ندب الناس إليهم ، فأتسب على لذلك فبعثه ،

وخرج معه جماعة الاشراف وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر . فقال على لعمار فأبى عمار أن يخرج
معه . فبعث عثمان سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى عمار ليحرضه على الخروج مع على إليهم ، فأبى
عمار كل الابهاء ، وامتنع أشد الامتناع ، وكان متعصباً على عثمان بسبب تأديبه له فيما تقدم على
أمر وضربه إياه في ذلك ، وذلك بسبب شتمه عباس بن عتبة بن أبي لهب ، فأدبهما عثمان ، فتأمر
عمار عليه لذلك ، وجعل يحرض الناس عليه ، فمهاه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ولامه عليه ، فلم
يقنع عنه ولم يرجع ولم يتزع ، فانطلق على بن أبي طالب إليهم وهم بالجحفة ، وكانوا يعظمونه ويبالغون
في أمره ، فردهم وأنهم وشتمهم ، فرجعوا على أنفسهم بالملامة ، وقالوا : هذا الذي تحاربون الأمير بسببه ،
وتحتجون عليه به . ويقال إنه نظرهم في عثمان ، وسألهم ماذا ينقمون عليه ، فذكروا أشياء منها أنه
حى الحى ، وأنه حرق المصاحف ، وأنه أتم الصلاة ، وأنه ولى الاحداث ، وأنه أعطى بنى أمية أكثر
من الناس . فأجاب على عن ذلك : أما الحى فأنما حاه لابل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لابل ولا لغنمه
وقد حماه عمر من قبله . وأما المصاحف فأنما حرق ما وقع فيه اختلاف ، وأبقى لهم المتفق عليه ،
كما ثبت في العرصة الأخيرة ، وأما إتمامه الصلاة بمكة ، فإنه كان قد تأهل بها ونوى الإقامة فأتتها ،
وأما توليته الاحداث فلم يول إلا رجلاً سويًا عدلاً ، وقد ولى رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على
مكة وهو ابن عشرين سنة ، وولى أسامة بن زيد بن حارثة . وطمن الناس في إمارته . وأما إشاره
قومه بنى أمية . فقد كان رسول الله ﷺ يؤثر قريشا على الناس ، ووالله لو أن مفتاح الجنة بيدي
لأدخلت بنى أمية إليها . ويقال : إنهم عتبوا عليه في عمار ومحمد بن أبي بكر ، فذكر عثمان عذره في
ذلك ، وأنه أقام فيهما ما كان يجب عليهما . وعتبوا عليه في إيوائه الحكم بن أبي العاص ، وقد نفاه
رسول الله ﷺ إلى الطائف ، فذكر أن رسول الله ﷺ كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ، ثم نفاه
إليها ، قال فقد نفاه رسول الله ﷺ ثم رده ، وروى أن عثمان خطب الناس بهذا كله بمحضر من
الصحابة ، وجعل يستشهد بهم فيشهدون له فيما فيه شهادة له . ويروى أنهم بعثوا طائفة منهم فشهدوا
خطبة عثمان هذه ، فلما تمهدت الأعذار وانزاحت عنهم ولم يبق لهم شبهة ، أشار جماعة من الصحابة
على عثمان بتأديبهم فصفح عنهم ، رضى الله عنه . وردهم إلى قومهم فرجعوا خائبين من حيث أتوا ،
ولم ينالوا شيئاً مما كانوا أملوا وراموا ، ورجع على إلى عثمان ، فأخبره برجعهم عنه ، وسماهم منه ،
وأشار على عثمان أن يخاطب الناس خطبة يعتذر إليهم فيها مما كان وقع من الأثرة لبعض أقراره ، ويشهدهم
عليه بأنه قد تاب من ذلك ، وأنانب إلى الاستمرار على ما كان عليه من سيرة الشيخين قبله ، وأنه
لا يجيد عنها ، كما كان الأمر أولاً في مدة ست سنين الأولى ، فاستمع عثمان هذه النصيحة ، وقابلها
بالسمع والطاعة ، ولما كان يوم الجمعة وخطب الناس ، رفع يديه في أثناء الخطبة ، وقال اللهم إني أستغفرك

وأتوب إليك ، اللهم إني أول تائب مما كان مني ، وأرسل عينيه بالبكاء فبكى المسلمون أجمعون ، وحصل للناس رقة شديدة على إمامهم ، وأشهد عثمان الناس على نفسه بذلك ، وأنه قد لزم ما كان عليه الشيخان ، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأنه قد سبل بابه لمن أراد الدخول عليه ، لا يمنع أحد من ذلك ، ونزل فصلي بالناس ثم دخل منزله وجعل من أراد الدخول على أمير المؤمنين حاجة أو مسألة أو سؤال ، لا يمنع أحد من ذلك مدة . قال الواقدي : فحدثني علي بن عمر عن أبيه قال : ثم إن علياً جاء عثمان بعد انصراف المصريين فقال له : تكلم كلاماً تسمعه الناس منك ويشهدون عليك ، ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والانابة ، فإن البلاد قد تمخضت عليك ، ولا آمن ركبا آخرين يقدمون من قبل الكوفة ، فتقول يا علي اركب إليهم ، ويقدم آخرون من البصرة فتقول يا علي اركب إليهم ، فإن لم أفعل قطعت رحمتك واستخففت بحمك . قال : فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها ، وأعلم الناس من نفسه التوبة ، فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فوالله ما عاب من عاب شيئاً أجهله ، وما جئت شيئاً إلا وأنا أعرفه ، ولكن ضلّ رشدي ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زل فليتب ، ومن أخطأ فليتب ، ولا يتأدى في الهلكة ، إن من تمادى في الجور كان أبعد عن الطريق » فأنا أول من اتعظ ، أستغفر الله مما فعلت واتوب ، فمثل نزع وتاب ، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم ، فوالله لا تكونن كالمزقوق إن ملك صبر ، وإن عتق شكر ، وما عن الله مذهب إلا إليه . قال : فرق الناس له وبكى من بكى ، وقام إليه سعيد بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ! الله الله في نفسك ! فأتهم علي ما قلت . فلما انصرف عثمان إلى منزله وجد به جماعة من أكابر الناس ، وجاءه مروان بن الحكم فقال : أتكم يا أمير المؤمنين أم أصمت ؟ فقالت امرأة عثمان - نائلة بنت الفرافصة الكلبية - من وراء الحجاب : بل أصمت ، فوالله إنهم لقاتلوه ، ولقد قال مقالة لا ينبغي النزوع عنها . فقال لها : وما أنت وذاك ! فوالله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضأ . فقالت له : دع ذكر الآباء ، ونالت من أبيه الحكم ، فأعرض عنها مروان . وقال لعثمان : يا أمير المؤمنين أتكم أم أصمت ؟ فقال له عثمان : بل تكلم ، فقال مروان : بأبي أنت وأمي ، لو ددت أن مقاتلك هذه كانت وأنت ممنع متبوع ، فكنت أول من رضي بها وأعان عليها ، ولكنك قلت ما قلت حين جاوز الحزام الطبيعي ، وبلغ السيل الزبا ، وحين أعطى الخطة الذليلة الذليل ، والله لا إقامة على خطيئة يستغفر منها ، خير من توبة خوف عليها ، وإنك لو شئت لعزمت التوبة ولم تقرر لنا بالخطيئة ، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس . فقال عثمان : قم فاخرج إليهم فكلمهم ، فإني أستحي أن أكلمهم ، قال : فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً ، فقال : ما شأنكم

كأنكم قد جثتم لهب ، شأهت الوجوه كل إنسان أخذ باذن صاحبه إلا من أريد (١) جثتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا ، أخرجوا عنا ، أما والله لئن رمتونا ليرن عليكم أمر يسؤكم ولا تحمدوا غيبه ، ارجعوا إلى منازلكم ، فوالله ما نحن مغلوبين على ما بأيدينا ، قال فرجع الناس ، وخرج بعضهم حتى أتى علياً فأخبره الخبر ، فجاء على مغضباً حتى دخل على عثمان . فقال : أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحويلك عن دينك وعقلك ؟ وإن مثلك مثل جبل الظعينة سار حيث يسار به ، والله ما مروان بندي رأى في دينه ولا نفسه ، وأيم الله إني لأراه سيوردك ثم لا يصدرك ، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعابنتك ، أذهبت سوقك ، وغلبت على أمرك . فلما خرج على دخلت نائلة على عثمان فقالت : أتكم أم أسكت ؟ فقال : تكلم ، فقالت : سمعت قول علي أنه ليس يعاودك ، وقد أطعت مروان حيث شاء ، قال : فما أصنع ؟ قالت : تتق الله وحده لا شريك له ، وتتبع سنة صاحبك من قبلك ، فانك متى أطعت مروان قتلك ، ومروان ليس له عند الله قدر ولا هيبة ولا محبة ، فأرسل إلى علي فاستصاحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى . قال فأرسل عثمان إلى علي فأبى أن يأتيه ، وقال : لقد أعلمته أني لست بعائد . قال : وبلغ مروان قول نائلة فيه فجاء إلى عثمان فقال : أتكم أم أسكت ؟ فقال : تكلم ، فقال : إن نائلة بنت الفرافصة ، فقال عثمان لا تذكرها بحرف فأسوء إلى وجهك ، فهي والله أنصح لي منك . قال : فكف مروان .

ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان المرة الثانية من مصر وغيرها في شوال من هذه السنة

وذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان ، وغضب على علي عثمان بسببه ، ووجدوا الأمر على ما كان عليه لم يتغير ، تكتأب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة وتراسلوا ، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة ، وعلى لسان علي وطلحة والزبير ، يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين ، وأنه أكبر الجهاد اليوم . وأذكر سيف بن عمر التيمي عن محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، وقاله غيرهم أيضاً ، قالوا : لما كان في شوال سنة خمس وثلاثين ، خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقلل لهم يقول ستائة ، والمكثري يقول : ألف . على الرفاق عبد الرحمن ابن عديس البلوي ، وكنانة بن بشر الليثي ، وسودان بن حمران السكوني ، وقتيرة السكوني وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العمري ، وخرجوا فيما يظهر ون للناس حججاً ، ومعهم ابن السوداء . وكان أصله رومياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قولية وفعلية ، قبحه الله - وخرج أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق أيضاً ، وأمراؤهم : زيد بن صوحان ، والأشتر النخعي ، وزيد بن النضر الحارثي ، وعبد الله بن الأصم ، وعلى الجميع عمرو بن الأهم . وخرج أهل البصرة في عدتهم أيضاً في أربع

(١) كذا بالأصل والطبري وفي عقد الجمان مهمة من التنقيط وصلها ابن الأثير بشأهت الوجوه

رايات مع حكيم بن جبلة العبدى ، و بشر بن شريح بن ضبيعة القيسي ، و ذريح بن عباد العبدى ،
وعليهم كلهم حرقوا بن زهير السعدى ، و أهل مصر مصر و بن علي ولاية علي بن أبي طالب ، و أهل
الكوفة عازمون على تأمير الزبير ، و أهل البصرة مصممون على تولية طلحة ، لا تشك كل فرقة أن
أمرها سقيم ، فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة ، كما تواعدوا في كتبهم ، في شهر شوال
قتل طائفة منهم بنى خشب ، و طائفة بالأعوص ، و الجمهور بنى المروة ، و هم على وجل من أهل
المدينة ، فبعثوا قصاداً و عيوناً بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم إنما جاؤا للحج لا غيره ، و ليستغفوا
هذا الولى من بعض عماله ، ما جئنا إلا لذلك ، و استأذنوا للدخول ، فكل الناس أبى دخولهم و نهى
عنه ، فتجاسروا و اقتربوا من المدينة ، و جاءت طائفة من المصريين إلى علي و هو في عسكر عند
أحجار الزيت ، عليه حلة أفواف ، معتم بشقيقة حمراء ممانية ، متقلداً السيف ، فلم عليه المصريون
فصاح بهم و طردهم ، وقال : لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة و ذى خشب ملعونون على لسان
محمد ﷺ ، فارجعوا لا صبحكم الله ، قالوا : نعم ، و انصرفوا من عنده على ذلك ، و أتى البصريون
طلحة و هو في جماعة أخرى إلى جنب علي - و قد أرسل ابنه إلى عثمان - فسلموا عليه فصاح بهم
و طردهم ، وقال لهم كما قال علي لأهل مصر ، و كذلك كان رد الزبير على أهل الكوفة . فرجع كل
فريق منهم إلى قومهم ، و أظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم ، و ساروا أيما راجعين ، ثم كروا
عائدين إلى المدينة ، فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير ، و إذا القوم قد رجعوا على
المدينة و أحاطوا بها ، و جمهورهم عند دار عثمان بن عفان ، و قالوا للناس : من كف يده فهو آمن ،
فكف الناس و لزمو بيوتهم ، و أقام الناس على ذلك أياماً . هذا كله و لا يدري الناس ما القوم صانعون
ولا على ما هم عازمون ، و في كل ذلك و أمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلى بالناس ،
فيصلى وراء أهل المدينة و أولئك الآخرون ، و ذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم و يعذلونهم على
رجوعهم ، حتى قال علي لأهل مصر : ما ردكم بعد ذهابكم و رجوعكم عن رأيكم ؟ فقالوا : وجدنا مع
بريد كتاباً بقتلنا . و كذلك قال البصريون لطلحة ، و الكوفيون للزبير . وقال أهل كل مصر : إنما
جئنا لننصر أصحابنا . فقال لهم الصحابة : كيف علمت بذلك من أصحابكم ، و قد افترقتم و صار بينكم
مراحل ؟ إنما هذا أمر اتفقتم عليه ، فقالوا : ضوعه على ما أردتم ، لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليعتزلنا
و نحن نعتزله - يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمناً - وكان المصريون فيما ذكر ، لما رجعوا إلى
بلادهم وجدوا في الطريق بريداً يسير ، فأخذوه و ففتشوه ، فإذا معه في إداوة كتاباً على لسان
عثمان فيه الأمر بقتل طائفة منهم ، و بصلب آخرين ، و بقطع أيدي آخرين منهم و أرجلهم ، وكان
على الكتاب طابع بخاتم عثمان ، و البريد أحد غلمان عثمان و على جماله ، فلما رجعوا جاءوا بالكتاب

و داروا به على الناس ، فكلهم الناس أمير المؤمنين في ذلك ، فقال : بينة على بذلك و إلا فوالله
لا كتبت ولا أملت ، و لا دريت بشئ من ذلك ، و الخاتم قد يزور على الخاتم ، فصدقه الصادقون في
ذلك ، و كذبه الكاذبون . و يقال : إن أهل مصر كانوا قد سألوا من عثمان أن يعزل عنهم ابن أبي
سرح ، و يولى محمد بن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما وجدوا ذلك البريد و معه الكتاب بقتل محمد
ابن أبي بكر ، فأجابهم إلى ذلك ، فلما رجعوا ذلك البريد و معه الكتاب بقتل محمد بن أبي بكر
و آخرين معه ، فرجعوا ، و قد حنقوا عليه حقاً شديداً ، و طافوا بالكتاب على الناس ، فدخل ذلك
في أذهان كثير من الناس . و روى ابن جرير من طريق محمد بن إسحاق عن عمه عبد الرحمن بن
يسار ، أن الذى كان معه هذه الرسالة من جهة عثمان إلى مصر أبو الأعور السلمي ، على جمل لعثمان ،
و ذكر ابن جرير من هذه الطريق أن الصحابة كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم
على عثمان ليقاتلوه ، و هذا كذب على الصحابة ، و إنما كتبت كتب مزورة عليهم ، كما كتبوا
من جهة علي و طلحة و الزبير إلى الخوارج كتباً مزورة عليهم أنكروها ، و هكذا زور هذا الكتاب
على عثمان أيضاً ، فإنه لم يأمر به و لم يعلم به أيضاً . و استمر عثمان يصلى بالناس في تلك الأيام كلها ،
و هم أحقر في عينه من التراب ، فلما كان في بعض الجمع و قام على المنبر ، و في يده العصا التى كان
يعتمد عليها رسول الله ﷺ في خطبته ، و كذلك أبو بكر و عمر رضى الله عنهما من بعده ، فقام إليه
رجل من أولئك فسبه و نال منه ، و أنزله عن المنبر ، فطمع الناس فيه من يومئذ ، كما قال الواقدي :
حدثني أسامة بن زيد عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه قال : بينا أنا أنظر إلى عثمان على
عصا النبي ﷺ التى كان يخطب عليها و أبو بكر و عمر ، فقال له جهجاه قم يا نعل فانزل عن هذا المنبر
و أخذ العصا فكسرها على ركبته اليمنى فدخلت شظية منها فيها فبقى الجرح حتى أصابته الأكلة ،
فرايتها تدود ، فنزل عثمان و حملوه و أمر بالعصا فشدوها ، فكانت مضطربة ، فما خرج بعد ذلك اليوم
إلا خرجة أو خرجتين ، حتى حصر فقتل .

قال ابن جرير : و حدثنا أحمد بن إبراهيم ثنا عبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن
نافع أن الجهجاه الغفارى أخذ عصا كانت في يد عثمان فكسرها على ركبته ، فرمى في ذلك المكان
بأكلة . و قال الواقدي : و حدثني ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن ابن أبي حبيبة قال : خطب عثمان
الناس في بعض أيامه فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين : إنك ركبته بهاتين و ركبناها معك ،
فتب نتب معك . فاستقبل عثمان القبلة و شمخ يديه ، قال ابن أبي حبيبة : فلم أرى يوماً أكثر باكياً ولا
ياكية من يومئذ . ثم لما كان بعد ذلك خطب الناس فقام إليه جهجاه الغفارى فصاح إليه : يا عثمان
ألا إن هذه شارف قد جئناها عليها عبادة و جماعة ، فانزل فلندرجك في العبادة و لنطرحك في الجامعة

ولنحملك على الشارف ثم نطرحك في جبل الدخان . فقال عثمان : قبحك الله وقبح ما جئت به ، ثم نزل عثمان . قال ابن أبي حبيبة : وكان آخر يوم رأيته فيه وقال الواقدي : حدثني أبو بكر بن إسماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد . قال : كان أول من اجترأ على عثمان بالنطق السبي جيلة بن عمرو الساعدي مر به عثمان وهو في نادي قومه ، وفي يد جيلة جامعة ، فلما مر عثمان سلم فرد القوم ، فقال جيلة : لم تردون عليه ؟ رجل قال كذا وكذا ، ثم أقبل على عثمان فقال : والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطاقتك هذه ، فقال عثمان : أي بطاقتك ؟ فوالله لأتخير الناس ، فقال مروان تخيرته ، ومعاوية تخيرته ، وعبد الله بن عامر بن كرز تخيرته ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح تخيرته ، منهم من نزل القرآن بنمته ، وأباح رسول الله ﷺ دمه ، قال : فانصرف عثمان فما زال الناس مجترئين عليه إلى هذا اليوم . قال الواقدي : وحدثني محمد بن صالح عن عبيد الله بن رافع بن نقاخة عن عثمان بن الشريد . قال : مر عثمان على جيلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ، ومعه جامعة ، فقال : يا لعقل ! والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوب جرباء ، ولأخرجنك إلى حرة النار . ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه . وذكر سيف بن عمر أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضاً فقال في خطبته : يا هؤلاء الغرباء ! الله الله ، فوالله إن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فاحموا الخطأ بالصواب ، فان الله لا ينجو السوء إلا بالحسن ، فقام محمد بن مسلمة فقال : أنا أشهد بذلك ، فأخذته حكيم بن جيلة فأقعدته ، فقام زيد بن ثابت فقال : إنه في الكتاب . فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي هريرة فأقعدته وقال يانطع ، وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد ، وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشياً عليه ، فاحتمل وأدخل داره ، وكان المصريون لا يطعمون في أحد من الناس أن يساعدهم إلا محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر ، وعمار ابن ياسر . وأقبل على وطلحة والزبير إلى عثمان في أناس يعودونه ويشكون إليه بهم وماحل بالناس ، ثم رجعوا إلى منازلهم ، واستقبل جماعة من الصحابة ، منهم أبو هريرة وابن عمر ، وزيد بن ثابت في المحاربة عن عثمان ، فبعث إليهم يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضى الله ما يشاء .

﴿ ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾

لما وقع ما وقع يوم الجمعة ، وشج أمير المؤمنين عثمان ، وهو في رأس المنبر ، وسقط مغشياً عليه ، واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر ، وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس ، وأجأوه إلى داره وضيقوا عليه ، وأحاطوا بها محاصرين له ، ونزمت كثير من الصحابة بيوتهم ، وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة ، عن أمر آبائهم ، منهم الحسن والحسين ، وعبد الله بن الزبير . وكان أمير الدار . وعبد الله ابن عمر ، وصاروا ، يحاجون عنه ، ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم ، وأسلمه بعض الناس

رجاء أن يجيب أولئك إلى واحدة مما سألوا ، فاتهم كانوا قد طلبوا منه إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، ولم يقع في خلد أحد أن القتل كان في نفس الخارجين . واقطع عثمان عن المسجد فكان لا يخرج إلا قليلاً في أوائل الأمر ، ثم انقطع بالكيفية في آخره ، وكان يصلي بالناس في هذه الأيام الغافقي بن حرب . وقد استمر الحصر أكثر من شهر : وقيل أربعين يوماً ، حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيداً رضي الله عنه ، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى . والذي ذكره ابن جرير أن الذي كان يصلي بالناس في هذه المدة وعثمان محصور ، طلحة بن عبيد الله . وفي صحيح البخاري عن (١) وروى الواقدي أن علياً صلى أيضاً ، وصلى أبو أيوب ، وصلى بهم سهل بن حبيب ، وكان يجمع بهم على ، وهو الذي صلى بهم بعد ، وقد خاطب الناس في غيوب ذلك بأشياء ، وجرت أمور سنورد منها ما تيسر وبالله المستعان .

قال الامام أحمد : حدثنا بهز ثنا أبو عوانة ثنا حصين عن عمرو بن جاوران قال : قال الأحنف انطلقنا حجاً فمرنا بالمدينة ، فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال : الناس في المسجد ، فانطلقت أنا وصاحبي ، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد ، قال : فتخلتهم حتى قمت عليهم ، فإذا على ابن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي ، فقال : ههنا علي ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا الزبير ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا طلحة ؟ قالوا : نعم ! قال : ههنا سعد بن أبي وقاص ؟ قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من يتباع مر به بنى فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إني قد ابتعته ، فقال : « اجعله في مسجدنا وأجره لك » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « من يتباع بئر رومة » فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت إني قد ابتعتها - يعني بئر رومة - قال : « اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها » قالوا : نعم ! قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال : « من يجهز هؤلاء غفر الله له » فجهزتهم حتى ما يفقدون خطماً ولا عقلاً ؟ قالوا : اللهم نعم ! فقال : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثم انصرف . ورواه النسائي من حديث حصين وعنده إذ جاء رجل وعليه ملاء صفراء .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال عبد الله بن أحمد : حدثني عبد الله بن عمر التواريري حدثني القاسم بن الحكم بن أوس (١) بياض بأصل المصرية وفي الرياض النضرة وتاريخ الخميس : وروى عن عبد الله بن سلام أنه قال لما حصر عثمان ولي أبا هريرة على الصلاة .

الأَنْصَارِي حَدَّثَنِي أَبُو عِبَادَةَ الدَّرَقِيُّ الْأَنْصَارِيُّ ، مِنْ أَهْلِ الْخَدِيبِيَّةِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ . قَالَ : شَهِدْتُ عُمَانَ يَوْمَ حَصْرِ فِي مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ ، وَلَوْ أَلْتِي حَجْرًا لَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَيَّ رَأْسَ رَجُلٍ ، فَرَأَيْتُ عُمَانَ أَشْرَفَ مِنَ الْخُوخَةِ الَّتِي تَلَى مَقَامَ جَبْرِيلَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! أَيُّكُمْ طَلْحَةُ ؟ فَسَكَتُوا ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ : أَيُّكُمْ طَلْحَةُ ؟ فَسَكَتُوا ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ طَلْحَةُ ؟ فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَانُ : أَلَا أُرَاكَ هَهُنَا ؟ مَا كُنْتُ أَرَى أَنَّكَ تَسْكُونُ فِي جَمَاعَةٍ قَسُومٌ تَسْمَعُ نِدَائِي إِلَى آخِرِ ثَلَاثِ مَرَاتٍ ، ثُمَّ لَا تَجِيبُنِي ؟ أَلَسْتُ بِاللهِ يَطْلُحُهُ تَذَكَّرُ يَوْمَ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَقَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَطْلُحُهُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا وَمَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ رَفِيقٌ مِنْ أُمَّتِهِ مَعَهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ عُمَانُ بْنُ عَفَانَ هَذَا - يَعْنِي - رَفِيقٌ فِي الْجَنَّةِ » فَقَالَ طَلْحَةُ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ! ثُمَّ انصرفت ، لَمْ يَخْرُجْهُ .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا محمد بن أبي بكر المقدسي ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ثنا هلال بن حق عن الجريري عن تمام بن جزء القشيري . قال : شهدت الدار يوم أصيب عثمان ، فاطلع عليه اطلاعة ، فقال : ادعولي صاحبكم الذين ألبأكم علي ، فدعيا له ، فقال : أنشدك الله تعلمان أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله ، فقال : من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين ، وله خير منها في الجنة ؟ فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين . ثم قال : أنشدكم الله أعلمون أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول الله ﷺ : « من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوها فيها كدلاء المسلمين ، وله خير منها في الجنة ؟ فاشتريتها من خالص مالي ، وأنتم تمنعوني أن أشرب منها . ثم قال : هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة ؟ قالوا : اللهم نعم ! وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، وعباس الدوري وغير واحد ، أخرجه النسائي عن زياد بن أيوب كلهم عن سعيد بن عامر عن يحيى بن أبي الحجاج المنقري عن أبي مسعود الجريري به ، وقال الترمذي : حسن .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا القاسم - يعني ابن المفضل - ثنا عمرو بن مرة عن سالم ابن أبي الجعد . قال : دعا عثمان رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيهم عمار بن ياسر ، فقال : إني سألتكم وإني أحب أن تصدقوني ، نشدتكم الله أعلمون أن رسول الله ﷺ كان يؤثر قرشا على إنسان ، ويؤثر بني هاشم على سائر قریش ؟ فسكت القوم . فقال : لو أن بيدي مفاتيح الجنة لأعطيتها

بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم . فبعث إلى طلحة والزبير فقال عثمان : ألا أحدثكما عنه - يعني عماراً - أقبلت مع رسول الله ﷺ . أخذ بيدي يمشي في البطحاء حتى أتى علي أبيه وأمه وعليه يمدبون » فقال أبو عمار : يا رسول الله ، الدهر هكذا ؟ فقال له النبي ﷺ اصبر ، ثم قال : « اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » تفرد به أحمد ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن سليمان بن مسلم أنا سلمة يذكر عن مطرف عن نافع عن ابن عمر أن عثمان أشرف على أصحابه وهو محصور ، فقال : علي م تقتلونني ؟ فأتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرئ إلا بأحدى ثلاث ، رجل زنى بعد إحصائه فعليه الرجم ، أو قتل عدواً فعليه القود ، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل » ، فوالله ما زنت في جاهلية ولا إسلام ، ولا قتلت أحداً فأقيد نفسي منه ، ولا ارتددت منذ أسلمت ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . ورواه النسائي عن أحمد بن الأزهر عن إسحاق بن سليمان به .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا يحيى بن سعيد عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : كنت مع عثمان في الدار وهو محصور ، قال : وكنا ندخل مدخلا إذا دخلناه سمعنا كلام من على البلاط ، قال : فدخل عثمان يوما لحاجته فخرج إلينا منتقعا لونه ، فقال : إنهم ليتواعدوني بالقتل آتفا . قال : قلنا يكفيناكم الله يا أمير المؤمنين ، قال : ولم يقتلونني ؟ فأتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث ، رجل كفر بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصائه ، أو قتل نفسا بغير نفس » فوالله ما زنت في جاهلية ولا إسلام قط ، ولا تمنيت بدلا بديني منذ هداني الله له ، ولا قتلت نفسا ، فبم يقتلونني ؟ . وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد حدثني أبو أسامة . زاد النسائي وعبد الله بن عامر بن ربيعة قالوا : كنا مع عثمان ، فذكره . وقال الترمذي : حسن . وقد رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد فرفعه .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا قطن ثنا يونس - يعني ابن أبي إسحاق - عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن . قال : أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركاه بقدمه ثم قال : « اسكن حراء ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » وأنا معه ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين إلى أهل مكة فقال : « هذه يدي وهذه يد عثمان » . فبايع لي ، فانتشد له رجال . ثم

قال : أنشد بالله من شهد رسول الله قال : من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد بنيت له بيتا في الجنة » فابتغته من مالي فوسعت به المسجد . فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رسول الله يوم جيش العسرة قال : « من ينفق اليوم نفقة متقبلة » فجهزت نصف الجيش من مالي ، فانتشد له رجال . ثم قال : أنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتغتها من مالي فأبجتها ابن السبيل قال : فانتشد له رجال . ورواه النسائي عن عمران بن بكر عن حطاب بن عثمان عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن جده أبي إسحاق السبيعي به .

وقد ذكر ابن جرير أن عثمان رضي الله عنه لما رأى ما فعل هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار ، من محاصرته في داره ، ومنعه الخروج إلى المسجد ، كتب إلى معاوية بالشام ، وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة ، يستنجدهم في بعث جيش يطردون هؤلاء من المدينة ، فبعث معاوية مسلمة بن ابن حبيب ، وانتدب يزيد بن أسد القشيري في جيش ، وبعث أهل الكوفة جيشا ، وأهل البصرة جيشا ، فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمخوا في الحصار ، فما اقترب الجيوش إلى المدينة حتى جاءهم قتل عثمان رضي الله عنه كما سنذكره . وذكر ابن جرير أن عثمان استدعى الأشر النخعي ووضعت لعثمان وسادة في كوة من داره ، فأشرف على الناس ، فقال له عثمان : يا أشر ماذا يريدون ؟ فقال : إنهم يريدون منك إما أن تعزل نفسك عن الأمة ، وإما أن تغتدي من نفسك من قد ضربته ، أو جلده ، أو حبسته ، وإما أن يقتلوك . وفي رواية أنهم طلبوا منه أن يعزل نوابه عن الأمصار ويولي عليها من يريدونهم ، وإن لم يعزل نفسه أن يسلم لهم مروان بن الحكم فيعاقبوه كما زور على عثمان كتابه إلى مصر ، فغشى عثمان إن سلمه إليهم أن يقتلوه ، فيكون سببا في قتل امرئ مسلم وما فعل من الأمر ما يستحق بسببه القتل ، واعتذر عن الاقتصاص مما قالوا بأنه رجل ضعيف البدن كبير السن . وأما ما سأله من خلع نفسه فانه لا يفعل ولا يتزع قيصا قصه الله إياه ، ويترك أمة محمد يعدو بعضها على بعض ، وقال لهم فيما قال ، وأي شيء إلى من الأمر إن كنت كلما كرهتم أميرا عزلته ، وكلما رضيتم عنه وليته ؟ وقال لهم فيما قال : والله لئن قتلتموني لا تتحابوا بعدي ، ولا تصلوا جميعا أبدا ، ولا تقاتلوا بعدي عدوا جميعا أبدا ، وقد صدق رضي الله عنه فيما قال .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن أبي قيس حدثني النعمان بن بشير قال : كتب معي عثمان إلى عائشة كتابا فدفعت إليها كتابه فحدثتني أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول لعثمان : « إن الله لعله يقمصك قيصا . فان أرداك أحد على خلعته فلا تخلعه ، ثلاث مرات » قال النعمان : فقلت يا أم المؤمنين ! فأين كنت عن هذا الحديث ؟ فقالت : يا بني والله أنسيته . وقد رواه الترمذي من حديث الليث عن معاوية بن صالح

عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان عن عائشة به . ثم قال : هذا حديث حسن غريب . ورواه ابن ماجه من حديث الفرغ بن فضالة عن ربيعة بن يزيد عن النعمان ، فأسقط عبد الله بن عامر .

قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن إسماعيل ثنا قيس عن أبي سهلة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ : « ادعولي بعض أصحابي ، قلت أبو بكر ؟ قال : لا ، قلت عمر ؟ قال : لا ؟ قلت ابن عمك علي ؟ قال : لا ! قالت قلت عثمان ؟ قال : نعم ! فلما جاء قال : تنحى فجعل يسارده ولون عثمان يتغير ، فلما كان يوم الدار وحصر فيها ، قلنا : يا أمير المؤمنين ألا تقاتل ؟ قال : لا ! إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهداً وإني صابر نفسي عليه » تفرد به أحمد . وقال محمد بن عائد الدمشقي : حدثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الله بن طيبة عن يزيد بن عمرو وأنه سمع أبا نور القيسى يقول : قدمت على عثمان فبينما أنا عنده فخرجت فاذا بوفد أهل مصر قد رجعوا فدخلت على عثمان فأعلمته ، قال : فكيف رأيتمهم ؟ فقلت : رأيت في وجوههم الشر ، وعليهم ابن عديس البلوي ، فصعد ابن عديس منبر رسول الله ﷺ فصلى بهم الجمعة ، وتنقص عثمان في خطبته ، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم ، فقال : كذب والله ابن عديس ، ولولا ما ذكر ما ذكرت ، إني رابع أربعة في الاسلام ، ولقد أنكحني رسول الله ﷺ ابنته ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى ، ولا زني ولا سرقت في جاهلية ولا اسلام ، ولا تعنيت ولا تمنيت منذ أسلمت ، ولا مسست فرجى يميني منذ بايعت به رسول الله ﷺ ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولا أتت على جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت ، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية . ورواه يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن أبي بكر عن ابن طيبة ، قال : لقد اختبأت عند ربي عشراً ، فذكرهن .

فصل

كان الحصار مستمرا من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة ، فلما كان قبل ذلك بيوم ، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار - وكانوا قريبا من سبعمائة ، فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين وعمران وأبو هريرة ، وخلق من مواليه ، ولو تركهم لمنعوه فقال لهم : أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله ، وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير ، وقال لرفيقه : من أغمد سيفه فهو حر . فبرد القتال من داخل ، وحمى من خارج ، واشتد الأمر ، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده ، وشوقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليكون خيرا بنى آدم حيث

قال حين أراد أخوه قتله : (إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين) وروى أن آخر من خرج من عند عثمان من الدار ، بعد أن عزم عليهم في الخروج ، الحسن بن علي وقد خرج ، وكان أمير الحرب على أهل الدار عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم . وروى موسى بن عقبة عن سالم أو نافع أن ابن عمر لم يلبس سلاحه بعد رسول الله ﷺ إلا يوم الدار ويوم نجرة الحروري . قال أبو جعفر الداري عن أيوب السخيتاني عن نافع عن ابن عمر : إن عثمان رضي الله عنه أصبح يحدث الناس ، قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقال : يا عثمان افطر عندنا « فأصبح صائماً وقتل من يومه ، وقال سيف بن عمر عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن رجل قال دخل عليه كثير بن الصلت فقال : يا أمير المؤمنين أخرج فاجلس بالفناء فيرى الناس وجهك فأنك إن فعلت ارتدعوا . فضحك وقال : يا كثير رأيت البارحة وكأني دخلت على نبي الله وعند أبي بكر وعمر ، فقال : « ارجع فأنك مفطر عندى غدا » ثم قال عثمان : ولن تعيب الشمس والله غداً أو كذا وكذا إلا وأنا من أهل الآخرة ، قال : فوضع سعد وأبو هريرة السلاح وأقبل حتى دخلا على عثمان . وقال موسى بن عقبة : حدثني أبو علقمة - مولى لعبد الرحمن بن عوف - حدثني ابن الصلت قال : أغنى عثمان بن عفان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال : لولا أن يقول الناس تمنى عثمان أمنية لحدثتكم . قال : قلنا أصلحك الله ، حدثنا فلاننا يقول ما يقول الناس ، فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا ، « فقال : إنك شاهد معنا الجمعة » . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي ، ثنا خلف بن تميم ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر البجلي ، ثنا عبد الملك بن عمير حدثني كثير بن الصلت قال : دخلت على عثمان وهو محصور ، فقال لي : يا كثير ما أراي إلا مقتولاً يومى هذا . قال : قلت ينصرك الله على عدوك يا أمير المؤمنين ، قال : ثم أعاد على قتل وقت لك في هذا اليوم شيء ؟ أو قيل لك شيء ؟ قال : لا ! ولكني سهرت في ليلتي هذه الماضية ، فلما كان وقت السحر أغفيت إغفاءة فرأيت فيما يرى النائم رسول الله ﷺ ، وأبا بكر وعمر ، ورسول الله ﷺ يقول لي : يا عثمان الحقنا لا تحبنا ، فانا نتظرك « قال : فقتل من يومه ذلك . وقال (١) ابن أبي الدنيا حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا يزيد بن هارون ، عن فرج بن فضالة عن مروان بن أبي أمية عن عبد الله بن سلام . قال : أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور ، فدخلت عليه فقال : مرحباً بأخي ، رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة - قال : وخوخة في البيت - فقال : « يا عثمان حصرك ؟ قلت : نعم ! قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ! فأدلى دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إني (١) كذا بأصل المصرية . وفي عقد الجمان للبدر العيني . رواه ابن أبي الدنيا : وعن عبد الله ابن سلام الخ .

لاجسد برده بين ثمديبي وبين كتنى ، وقال لي : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده « فقتل ذلك اليوم . وقال محمد بن سعد : أنا عثمان بن مسلم ثنا وهيب ثنا داود عن زياد بن عبد الله عن أم هلال بنت وكيع عن امرأة عثمان - قال : وأحسبها بنت الفرافصة - قالت : أغنى عثمان فلما استيقظ قال : إن القوم يقتلونني ، قلت : كلا يا أمير المؤمنين . قال : إني رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ، فقالوا : افطر عندنا الليلة ، أو إنك مفطر عندنا الليلة . وقال الهيثم بن كليب : حدثنا عيسى بن أحمد العسقلاني ثنا سبابة ثنا يحيى بن أبي راشد مولى عمر بن حريث عن محمد بن عبد الرحمن الحرشي . وعقبة بن أسد عن النعمان بن بشير عن نائلة بنت الفرافصة الكلبية - امرأة عثمان - قالت : لما حصر عثمان ظل اليوم الذي كان فيه قتله صائماً ، فلما كان عند إفطاره سأهم الماء العذب فأبوا عليه ، وقالوا : دونك ذلك الركي . وركي في الدار الذي يلقي فيه النتن - قالت : فلم يفطر فرأيت جاراً (١) على أحاجير متواصلة - وذلك في السحر - فسألهم الماء العذب ، فأعطوني كوزاً من ماء ، فأتيته فقلت : هذا ماء عذب أتيتك به ، قالت : فنظر فاذا الفجر قد طلع فقال : إني أصبحت صائماً ، قالت : فقلت ومن أين ؟ ولم أر أحداً أنك بطعام ولا شراب ؟ فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ اطلع على من هذا السقف ومعه دلو من ماء فقال : اشرب يا عثمان ، فشربت حتى رويت ، ثم قال : ازددد فشربت حتى نهلت ، ثم قال : أما إن القوم سينكرون عليك ، فان قاتلتهم ظفرت ، وإن تركتهم أفطرت عندنا ، قالت : فدخلوا عليه من يومه فقتلوه .

وقال أبو يعلى الموصلي وعبد الله بن الامام أحمد : حدثني عثمان بن أبي شيبة ثنا يونس بن أبي يعفور العبدى عن أبيه عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ودعا بسر اويل فشدّها ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ، وقال : إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، وأبا بكر وعمر ، وأنهم قالوا لي : اصبر فأنك تفطر عندنا القابلة ، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه . قلت : إنما لبس السراويل رضي الله عنه في هذا اليوم لثلاثاً تبوء عورته إذا قتل فانه كان شديد الحياء ، كانت تستحي منه ملائكة السماء ، كما نطق بذلك النبي ﷺ ، ووضع بين يديه المصحف يتلو فيه ، واستسلم لقضاء الله عز وجل ، وكف يده عن القتال ، وأمر الناس وعزم عليهم أن لا يقاتلوا دونه ، ولولا عزيمته عليهم لنصروه من أعدائه ، ولكن كان أمر الله قادراً مقدوراً . وقال هشام بن عروة عن أبيه : إن عثمان رضي الله عنه أوصى إلى الزبير . وقال الأصمعي عن العلاء بن الفضل عن أبيه . قال : لما قتل عثمان فقتلوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقاً مقللاً ففتحوه (١) بياض بأصل المصرية .

فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها : « هذه وصية عثمان . بسم الله الرحمن الرحيم ، عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ، ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيى وعليها يموت ، وعليها يبعث إن شاء الله تعالى . »

وروى ابن عساکر أن عثمان رضي الله عنه قال يوم دخلوا عليه فقتلوه :

أرى الموت لا يبقى عزيزاً ولم يدع * لعاد ملاذاً في البلاد ومرتما

وقال أيضاً :

يُنبت أهل الحصن والحصن مغلق * ويأتي الجبال الموت في شماريخها العلا

﴿ صفة قتله رضي الله عنه ﴾

وقال خليفة بن خياط : حدثنا ابن علي بن عثمان بن عوف عن الحسن قال أنبأني رباب . قال : بعثني عثمان فدعوت له الأشتر فقال : ما يريد الناس ؟ قال : ثلاث ليس من إحداهن بد ، قال : ما هن ؟ قال : يخبرونك بين أن تخلع لهم أمرهم فقول : هذا أمرهم فاختاروا من شئتم ، وبين أن تقتص من نفسك ، فإن أبييت فإن القوم قاتلوك . فقال : أما أن أخلع لهم أمرهم فما كنت لأخلع سربالا سربليه الله ، وأما أن أقتص لهم من نفسي ، فوالله لئن قتلتموني لا تحبون بعدي ، ولا تصالون بعدي جميعاً ، ولا تقاتلون بعدي جميعاً عدواً أبداً . قال : وجاء رويجلاً كأنه ذئب فاطلع من باب ورجع ، وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلاً ، فأخذ بلحيتته فمال بها حتى سمعت وقع أضراسه ، فقال : ما أغنى عنك معاوية ، وما أغنى عنك ابن عامر ، وما أغنت عنك كتبك ، قال : أرسل لحيتي يا ابن أخي ، قال : فأنا رأيتك استعدي رجلاً من القوم بعينه - يعني أشار إليه - فقام إليه بمشقص فوجى به رأسه . قلت : ثم مه ؟ قال : ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه .

وقال سيف بن عمر التميمي رحمه الله عن العيص بن القاسم عن رجل عن خنساء مولاة أسامة بن زيد - وكانت تكون مع نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان - أنها كانت في الدار ودخل محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيتته وأهوى بمشاقص معه فيجأ بها في حلقة ، فقال مهلاً يا ابن أخي ، فوالله لقد أخذت مأخذاً ما كان أبوك ليأخذ به ، فتركه وانصرف مستحيياً نادماً ، فاستقبله القوم على باب الصفة فردم طويلاً حتى غلبوه ، فدخلوا وخرج محمد راجعاً . فأتاه رجل بيده جريدة يقدمهم حتى قام على عثمان فضرب بها رأسه فشجه ، فقطر دمه على المصحف حتى لطحه ، ثم تعاوروا عليه فأتاه رجل فضربه على الشدى بالسيف ، ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية فصاحت وألقت نفسها عليه ، وقالت :

يا بنت شيبه أيقتل أمير المؤمنين ؟ وأخذت السيف ، فقطع الرجل يدها ، وانتهبوا متاع^(١) [الدار] ومر رجل على عثمان ورأسه مع المصحف فضرب رأسه برجله ونحاه عن المصحف وقال : ما رأيت كالיום وجه كافر أحسن ولا مضجع كافر أكرم . قال : والله ما تركوا في داره شيئاً حتى الأقداح إلا ذهبوا به .

وروى الحافظ ابن عساکر أن عثمان لما عزم على أهل الدار في الانصراف ولم يبق عنده سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه ، وليس فيهم أحد من الصحابة ولا أبناءهم ، إلا محمد بن أبي بكر ، وسبقه بعضهم ، فضربوه حتى غشى عليه وصاح النسوة فأنزعروا وخرجوا ودخل محمد بن أبي بكر وهو يظن أنه قد قتل ، فلما رآه قد أفاق قال : على أي دين أنت يا مثل ؟ قال : على دين الإسلام ، ولست بنعثل ولكني أمير المؤمنين ، فقال : غيرت كتاب الله ، فقال : كتاب الله بيني وبينكم ، فتقدم إليه وأخذ بلحيتته وقال : إنا لا يقبل منا يوم القيامة أن نقول : (ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً) وشططه بيده من البيت إلى باب الدار ، وهو يقول : يا ابن أخي ما كان أبوك ليأخذ بلحيتي . وجاء رجل من كندة من أهل مصر ، يلقب حماراً ، ويكنى بأبي رومان . وقال قتادة : اسمه رومان ، وقال غيره : كان أزرق أشقر ، وقيل كان اسمه سودان بن رومان [المرادي] . وعن ابن عمر قال : كان اسم الذي قتل عثمان أسود بن حمران ضربه بحربة وبهده السيف صلنا قال ثم جاء فضربه به في صدره حتى أقعصه ، ثم وضع ذباب السيف في بطنه واتكى عليه وتحامل حتى قتله ، وقامت نائلة دونه فقطع السيف أصابعها رضي الله عنها ، ويروى أن محمد بن أبي بكر طعنه بمشاقص في أذنه حتى دخلت في حلقة . والصحيح أن الذي فعل ذلك غيره ، وأنه استحي ورجع حين قال له عثمان : لقد أخذت بلحيتي كان أبوك يكرها . فتقدم من ذلك وغطى وجهه ورجع وحاجز دونه فلم يفد وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، وكان ذلك في السكتاب مسطوراً .

وروى ابن عساکر عن ابن عون أن كنانة بن بشر ضرب جبينه ومقدم رأسه بعمود حديد نخر لجنيبه ، وضربه سودان بن حمران المرادي بعد ماخر لجنيبه فقتله ، وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره ، وبه رمق ، فطعنه تسع طعنات ، وقال : أما ثلاث منهن فله ، وست لما كان في صدرى عليه .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي ، وإسحاق بن داود الصواف التستري قالا : ثنا محمد بن خالد بن خدش ثنا مسلم بن قتيبة ثنا مبارك عن الحسن . قال : « حدثني سياف عثمان أن رجلاً من الأنصار دخل على عثمان فقال : ارجع يا ابن أخي فلست بقاتلي ، قال : وكيف (١) بياض بأصل المصرية والتصحيح من عقد الجمان للبدر العيني .

عاهت ذلك ؟ قال : لأنه أتى بك النبي ﷺ يوم سابعك فحنكك ودعا لك بالبركة . ثم دخل عليه رجل آخر من الأنصار فقال له مثل ذلك سواء . ثم دخل محمد بن أبي بكر فقال : أنت قاتلي . قال : وما يدريك يا ناسئيل ؟ قال : لأنه أتى بك رسول الله ﷺ يوم سابعك ليحنكك ويدعوك بالبركة ، فغريت على رسول الله ﷺ ، قال : فوثب على صدره وقبض على لحيته ، ووجهه بمشاقص كانت في يده . هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة . وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى (فسيفكفكم الله وهو السميع العليم) ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضاً حين دخلوا عليه ، وليس ببعيد فانه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن .

وروى ابن عساکر أنه لما طعن قال : بسم الله توكلت على الله ، فلما قطر الدم قال : سبحان الله العظيم . وقد ذكر ابن جرير في تاريخه بأسانيد أن المصريين لما وجدوا ذلك الكتاب مع البريد إلى أمير مصر ، فيه الأمر بقتل بعضهم ، وصلب بعضهم ، وبقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ، وكان قد كتبه مروان بن الحكم على لسان عثمان ، متأولاً قوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وعنده أن هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه من جملة المفسدين في الأرض ، ولا شك أنهم كذلك ، لكن لم يكن له أن يفتن على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ، ويزور على خطه وخاتمه ، ويبعث غلامه على بعيره ، بعد ما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين ، على تأمير محمد بن أبي بكر على مصر ، بخلاف ذلك كله ، ولهذا لما وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه ، وظنوا أنه من عثمان ، أعظموا ذلك ، مع ما هم مشتملون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رؤس الصحابة ، وأعاتهم على ذلك قوم آخرون ، حتى ظن بعض الصحابة أن هذا عن أمر عثمان رضي الله عنه ، فلما قيل لعثمان رضي الله عنه في أمر هذا الكتاب بحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجهور المصريين ، حلف بالله العظيم ، وهو الصادق البار الراشد ، أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أملاه على من كتبه ، ولا علم به ، فقالوا له : فان عليه خاتمك . فقال : إن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا : فانه مع غلامك وعلى جملتك . فقال : والله لم أشعر بشيء من ذلك . فقالوا له - بعد كل مقالة - إن كنت قد كتبتك فقد خنت ، وإن لم تكن قد كتبتك بل كتب على لسانك وأنت لا تعلم فقد عجزت ، ومثلك لا يصلح للخلافة ، إما لخياتك ، وإما لعجزك ، وهذا الذي قالوا باطل على كل تقدير فانه لو فرض أنه كتب الكتاب ، وهو لم يكتبه في نفس الأمر ، لا يضره ذلك لأنه قد يكون رأى ذلك مصلحة للأمة في إزالة شوكة هؤلاء البغاة الخارجين على الامام ، وأما إذا لم يكن قد علم به فأى

عجز ينسب إليه إذا لم يكن قد اطلع عليه وزور على لسانه ؟ وليس هو بمعصوم بل الخطأ والغفلة جارزان عليه رضي الله عنه ، وإنا هؤلاء الجبهة البغاة متعنتون خونة ، ظلمة مفترون ، ولهذا صمموا بعد هذا على حصره والتصديق عليه ، حتى منعه الميرة والماء والخروج إلى المسجد ، وتهددوه بالقتل ، ولهذا خاطبهم بما خاطبهم به من توسعة المسجد وهو أول من منع منه ، ومن وقفه بئر رومة على المسلمين وهو أول من منع ماءها ، ومن أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا باحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وذكر أنه لم يقتل نفساً ، ولا ارتد بعد إيمانه ، ولا زنى في جاهلية ولا إسلام ، بل ولا مس فرجه بيمينه بعد أن بايع بهار رسول الله ﷺ ، وفي رواية بعد أن كتب بها المفضل . ثم ذكر لهم من فضائله ومناقبه ما لعله ينجع فيهم بالكف عنه والرجوع إلى الطاعة لله ورسوله ولأولى الأمر منهم ، فأبوا إلا الاستمرار على ما هم عليه من البغي والعدوان ، ومنعوا الناس من الدخول إليه والخروج من عنده ، حتى اشتد عليه الحال ، وضاق المجال ، ونفذ ما عنده من الماء ، فاستغاث بالمسلمين في ذلك فركب على نفسه وحمل معه قرباً من الماء فبالجهد حتى أوصلها إليه بعد ما ناله من جبهة أولئك كلام غليظ ، وتنفيذ لدابته ، وإخراق عظيم بليغ ، وكان قد زجرهم أتم الزجر ، حتى قال لهم فيما قال : والله إن فارس والروم لا يفعلون كفتلكم هذا بهذا الرجل ، والله إنهم ليأسرون فيطعمون ويسقون ، فأبوا أن يقبلوا منه حتى رمى بعمامة في وسط الدار . وجاءت أم حبيبة راكبة بغلة وحوطها حشمها وخدمها ، فقالوا ، ما جاء بك ؟ فقالت : إن عنده وصايا بني أمية ، لا يتم وأرامل ، فأحببت أن أذكره بها ، فكذبوها في ذلك ونالها منهم شدة عظيمة ، وقطعوا حزام البغلة وندت بها ، وكادت أو سقطت عنها ، وكادت تقتل لولا تلاحق بها الناس فأمسكوا بدابتها ، ووقع أمر كبير جداً ، ولم يبق يحصل لعثمان وأهله من الماء إلا ما يوصله إليهم آل عمرو بن حزم في الخفية ليلاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما وقع هذا أعظمه الناس جداً ، ولزم أكثر الناس بيوتهم ، وجاء وقت الحج فخرجت أم المؤمنين عائشة في هذه السنة إلى الحج ، فقيل لها : إنك لو أقيمت كان أصلح ، لعل هؤلاء القوم يهابونك ، فقالت : إنى أخشى أن أشير عليهم برأى فينالني منهم من الأذى ما نال أم حبيبة ، فعزمت على الخروج . واستخلف عثمان رضي الله عنه في هذه السنة على الحج عبد الله بن عباس ، فقال له عبد الله ابن عباس : إن مقامى على بابك أحاجف عنك أفضل من الحج . فعزم عليه ، فخرج بالناس إلى الحج واستمر الحصار بالدار حتى مضت أيام التشريق ورجع اليسير من الحج ، فأخبر بسلامة الناس ، وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع إلى المدينة ليكفوكم عن أمير المؤمنين . وبلغهم

أيضا أن معاوية قد بعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة ، وأن عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد نفذ آخر مع معاوية بن خديج ، وأن أهل الكوفة قد بعثوا القعقاع بن عمرو ، وأن أهل البصرة بعثوا مجاشعا ، فعند ذلك صمموا على أمرهم وبالغوا فيه ، وانتهزوا الفرصة بقتل الناس وغيبتهم في الحج ، وأحاطوا بالدار ، وجدوا في الحصار ، وأحرقوا الباب ، وتسوروا من الدار المتاخمة للدار ، كدار عمرو بن حزم وغيرها ، وحاجف الناس عن عثمان أشد المحاجة ، واقتتلوا على الباب قتالا شديداً ، وتبارزوا وتراجزوا بالشعر في مبارزتهم ، وجعل أبو هريرة يقول : هذا يوم طاب أم ضرب . وقتل طائفة من أهل الدار وآخرون من أولئك الفجار ، وجرح عبد الله بن الزبير جراحات كثيرة ، وكذلك جرح الحسن بن علي ومروان ابن الحكم فقطع إحدى علباويه فعاش أوقص حتى مات . ومن أعيان من قتل من أصحاب عثمان ، زياد بن نعيم الفهري ، والمغيرة بن الأحنس بن شريق ، ونيار بن عبد الله الأسلمي ، في أناس وقت المعركة ، ويقال إنه انهزم أصحاب عثمان ثم رجعوا . ولما رأى عثمان ذلك عزم على الناس لينصرفوا إلى بيوتهم ، فانصرفوا كما تقدم ، فلم يبق عنده أحد سوى أهله ، فدخلوا عليه من الباب ، ومن الجدران وفرغ عثمان إلى الصلاة وافتتح سورة طه ، وكان سريع القراءة - فقرأها والناس في غلبة عظيمة ، قد احترق الباب والسقيفة التي عنده ، وخافوا أن يصل الحريق إلى بيت المال ، ثم فرغ عثمان من صلاته وجلس وبين يديه المصحف ، وجعل يتلو هذه الآية (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان أول من دخل عليه رجل يقال له الموت الأسود فخنقه خنقاً شديداً حتى غشى عليه ، وجعلت نفسه تتردد في حلقة ، فتركه وهو يظن أنه قد قتله ، ودخل ابن أبي بكر فسك بلحيته ثم ند وخرج ، ثم دخل عليه آخر ومعه سيف فضربه به فاتقاه بيده فقطعها ، فقيل : إنه أبانها : وقيل : بل قطعها ولم يبنها ، إلا أن عثمان قال : والله إنها أول يد كتبت المفصل ، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية (فسيفكفكم الله وهو السميع العليم) ثم جاء آخر شاهراً سيفه فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمعه منه ، وأخذت السيف فانتزعه منها فقطع أصابعها . ثم إنه تقدم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه ، رضى الله عن عثمان . وفي رواية أن العافقي بن حرب تقدم إليه بعد محمد بن أبي بكر فضربه بجديدة في فيه ، ورفض المصحف الذي بين يديه برجله فاستدار المصحف ثم استقر بين يدي عثمان رضى الله عنه . وسالت عليه الدماء ، ثم تقدم سودان بن حمران بالسيف فما نعمته نائلة فقطع أصابعها فولت فضرب عجزتها بيده وقال : إنها لكبيرة العجيزة . وضرب عثمان فقتله ، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله ، فضرب الغلام رجل يقال له قتره فقتله .

وذكر ابن جرير أنهم أرادوا حزر رأسه بعد قتله ، فصاح النساء وضربن وجوههن ، فبهن أمراته

نائلة وأم البنين ، ^(١) وبناته ، فقال ابن عديس : أتركوه ، فتركوه . ثم مال هؤلاء الفجرة على مافي البيت فتهبوه ، وذلك أنه نادى مناد منهم : أيجل لنادمه ولايجل لنا ماله ، فانهبوه ثم خرجوا فأغلقوا الباب على عثمان وقتيلين معه ، فلما خرجوا إلى صحن الدار وثب غلام لعثمان على قتره فقتله ، وجعلوا لايمرون على شيء إلا أخذوه حتى استلب رجل يقال له كلثوم التجيبى ، ملاءة نائلة ، فضربه غلام لعثمان فقتله ، وقتل الغلام أيضاً ، ثم تنادى القوم : أن أدركوا بيت المال لاستبقوا إليه ، فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا : يا قوم النجا النجا ، فان القوم إنما يحاولون الدنيا ، فانهزموا وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً .

فصل

ولما وقع هذا الأمر العظيم ، الفظيع الشنيع ، أسقط في أيدي الناس ، فأعظموه جداً ، وندم أكثر هؤلاء الجهلة الخوارج بما صنعوا ، وأشبهوا من تقدمهم ممن قص الله علينا خبرهم في كتابه العزيز ، من الذين عبدوا العجل . في قوله تعالى (ولما سقط في أيديهم وراوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)

ولما بلغ الزبير مقتل عثمان - وكان قد خرج من المدينة - قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم ترحم على عثمان ، وبلغه أن الذين قتلوه ندموا فقال : تبا لهم ، ثم تلا قوله تعالى (ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) وبلغ علياً قتله فترحم عليه . وسمع بندم الذين قتلوه فتلا قوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) ولما بلغ سعد بن أبي وقاص قتل عثمان استغفر له وترحم عليه ، وتلا في حق الذين قتلوه (قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) ثم قال سعد : اللهم اندمهم ثم خذهم . وقد أقسم بعض السلف بالله إنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولا . رواه ابن جرير .

وهكذا ينبغي أن يكون لوجوه (منها) دعوة سعد المستجابة كما ثبت في الحديث الصحيح . وقال بعضهم : ما مات أحد منهم حتى جن . وقال الواقدي : حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال : الذي قتل عثمان كنانة بن بشر بن عتاب التجيبى . وكانت امرأة منظور بن سيار الفزاري تقول : خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل ، حتى إذا كنا بالمرج سمعنا رجلاً يغنى تحت الليل :

(١) في أصل المصرية : امراته نائلة وأم اليبين . والتصحيح من عقد الجمان للعيني .

﴿ ذكر صفته رضى الله عنه ﴾

كان رضى الله عنه حسن الوجه دقيق البشرة ، كبير اللحية ، معتدل القامة ، عظيم الكراديس ، بعيد ما بين المنكبين ، كثير شعر الرأس ، حسن الثغر ، فيه سمرة ، وقيل كان في وجهه شيء من آثار الجدرى ، رضى الله عنه . وعن الزهرى : كان حسن الوجه والثغر ، مر بوعاً ، أصلع ، أرواح الرجلين . وقال الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة عن سعيد بن أبي يزيد عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة . قال : كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ، ثلاثون ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، ومائة ألف دينار ، فأنهبت وذهبت ، وترك ألف بعير بالبنوة ، وترك صدقات كان تصدق بها ، بئر أريس ، وخيبر ، ووادي القرى ، فيه مائتا ألف دينار . [وبئر رومة كان اشتراها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسبيلها] (١)

فصل

قال الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة أنه قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن الدجال . وروى الحافظ بن عساكر من طريق سياه عن حفص بن مروق الباهلي ، عن حجاج بن أبي عمار الصواف عن زيد بن وهب عن حذيفة . قال : أول الفتن قتل عثمان ، وآخر الفتن خروج الدجال ، والذي نفسى بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه ، آمن به في قبره . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا وغيره : أنا محمد بن سعد أنا عمرو بن عاصم الكلابي ثنا أبو الأشهب حدثني عوف عن محمد بن سيرين أن حذيفة بن اليمان قال : اللهم إن كان قتل عثمان بن عفان خيراً . فليس لي فيه نصيب ، وإن كان قتله شراً فأنا منه بريء ، والله لئن كان قتله خيراً ليجلبنه لبنا ، وإن كان قتله شراً ليمتص به دعماً . وقد ذكره البخاري في صحيحه .

﴿ طريق أخرى عنه ﴾

قال محمد بن عائد : ذكر محمد بن حمزة حدثني أبو عبد الله البحراني أن حذيفة بن اليمان في مرضه الذي هلك فيه كان عنده رجل من إخوانه وهو يناجي امرأته ففتح عينيه فسألها فقالت خيراً ، فقال : إن شيئاً تسرانه دوني ماهو بخير ، قال : قتل الرجل - يعني عثمان - قال : فرجع ثم قال : اللهم إني كنت من هذا الأمر بمعزل ، فإن كان خيراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء ، وإن كان شراً فهو لمن حضره وأنا منه بريء ، اليوم تغيرت القلوب يا عثمان ، الحمد لله الذي سبق بي الفتن ، فادبها وعلوجها الخلق ، من بروى بغيره يشبع شحماً وقد عمله . وقال الحسن بن عرفة : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن

(١) زيادة من عقد الجمان منسوبة لابن كثير .

عليه عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي موسى الأشعري . قال لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكنه كان ضلالاً فاحتلبت به الأمة دماً ، وهذا منقطع . وقال محمد بن سعد : أنا حازم بن الفضل أنا الصمق بن حزن ثنا قتادة عن زهدم الجرمي . قال : خطب ابن عباس فقال : لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء . وقد روى من غير هذا الوجه عنه . وقال الأعمش وغيره عن ثابت بن عبيد عن أبي جعفر الأنصاري . قال : لما قتل عثمان جئت علياً وهو جالس في المسجد وعليه عمامة سوداء فقلت له : قتل عثمان ، فقال : تباً لهم آخر الدهر . وفي رواية : خيبة لهم . وقال أبو القاسم البغوي : أنبأنا علي بن الجعد أنا شريك عن عبد الله بن عيسى عن ابن أبي ليلى . قال : سمعت علياً وهو بيباب المسجد أو عند أحجار الزيت رافعاً صوته يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . وقال أبو هلال عن قتادة عن الحسن . قال : قتل عثمان وعلى غائب في أرض له ، فلما بلغه قال : اللهم إني لم أرض ولم أملأ . وروى الربيع بن بدر عن سيار بن سلامة عن أبي العالية : أن علياً دخل على عثمان فوقع عليه وجعل يبكي حتى ظنوا أنه سيلحق به . وقال الثوري وغيره عن طلحوس عن ابن عباس . قال : قال علي يوم قتل عثمان : والله ما قتلت ولا أمرت ولكني غلبت . ورواه غير ليث عن طلحوس عن ابن عباس عن علي نحوه . وقال حبيب بن أبي العالية عن مجاهد عن ابن عباس . قال : قال علي إن شاء الناس حلفت لهم عند مقام إبراهيم بالله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله ، ولقد نهيتهم فعصوني ، وقد روى من غير وجه عن علي بنحوه . وقال محمد بن يونس الكندي : ثنا هارون بن إسماعيل ثنا قرّة بن خالد عن الحسن عن قيس بن عباد . قال : سمعت علياً يوم الجمل يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان ، وأنكرت نفسى ، وجاءني للبيعة فقلت : والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله ﷺ : « إني لأستحي ممن تستحي منه الملائكة » وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل في الأرض لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما دفن رجوع الناس يسألوني البيعة فقلت : اللهم إني أشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة فبايعت . فلما قالوا : أمير المؤمنين كان صدع قلبي واسكت . وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر بجميع الطرق الواردة عن علي أنه تبرأ من دم عثمان ، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا ماله ولا أرضي به ، ولقد نهى عنه فلم يسمعوا منه . ثبت ذلك عنه من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث والله الحمد والمنة . وثبت عنه أيضاً من غير وجه أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله تعالى فيهم (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين) وثبت عنه أيضاً من غير وجه أنه قال : (كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) وفي رواية

أنه قال : كان عثمان رضي الله عنه خيرنا وأوصلنا للرحم ، وأشدنا حياء ، وأحسننا طهوراً ، وأتقانا للرب عز وجل . وروى يعقوب بن سفيان عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مجالد عن عمير ابن رودي (كذا) أبي كثير . قال : خطب على قفط الخوارج عليه خطبته فقول فقال : إن مثلي ومثل عثمان كمثل أنوار ثلاثة ، أحمر وأبيض وأسود ، ومعهم في أجمة أسد ، فكان كلما أراد قتل أحدهم منعه الآخران ، فقال للأسود والأحمر : إن هذا الأبيض قد فضحنا في هذه الأجمة نغلياً عنه حتى آكله ، نغلياً عنه فأكله ، ثم كان كلما أراد أحدهما منعه الآخر فقال للأحمر : إن هذا الأسود قد فضحنا في هذه الأجمة ، وإن لوني على لونك فلو خليت عنه أكلته نغلياً عنه الأحمر فأكله ، ثم قال للأحمر : إني آكلك ، فقال : دعني حتى أصبح ثلاث صيحات ، فقال دونك ، فقال : ألا إني إنما أكلت يوم أكل الأبيض ثلاثاً . ثم قال على : وإنما أنا وهنت يوم قتل عثمان ، قالها ثلاثاً . وروى ابن عساکر من طريق محمد بن هارون الحضرمي عن سويد بن عبد الله القشيري القاضي عن ابن مهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب . قال : كانت المرأة تجيء في زمان عثمان إلى بيت المال فتحمل وقرها وتقول : اللهم بدل ، اللهم غير . فقال حسان بن ثابت حين قتل عثمان رضي الله عنه

قلتم بدل فقد بدلکم * سنة حری وحر با کالهب

ما تقمتم من ثياب خلفه * وعبيد وإماء وذهب

قال : وقال أبو حميد أخو بني ساعدة - وكان ممن شهد بدرًا ، وكان ممن جانب عثمان - فلما قتل قال : والله ما أردنا قتله ، ولا كنا نرى أن يبلغ منه القتل ، اللهم إن لك على أن لا أفعل كذا وكذا ولا أضحك حتى ألقاك ، وقال محمد بن سعد أنا عبد الله بن إدريس أنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . قال : لقد رأيتني وأن عمر موثق وأخته على الإسلام ، ولو ارفض أحد فيما صنعتم بآب عفاً لكان حقيقاً . وهكذا رواه البخاري في صحيحه . وروى محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عباس عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير . قال : سمع عبد الله بن سلام رجلاً يقول لآخر : قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيه عنزان . فقال ابن سلام أجل ! إن البقر والمعز لا تنتطح في قتل الخليفة ، ولكن ينتطح فيه الرجال بالسلاح ، والله لتقتلن به أقوام إنهم لفي أصلاب آبائهم ما ولدوا بعد . وقال ليث عن طاووس . قال : قال ابن سلام : يحكم عثمان يوم القيامة في القاتل والخاذل . وقال أبو عبد الله المحاملي : ثنا أبو الأشعث ثنا حزم بن أبي حزم سمعت أبا الأسود يقول سمعت أبا بكر يقول : لأن آخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أشرك في قتل عثمان . وقال أبو يعلى : ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة ثنا محمد بن عباد الهنائي ثنا البراء

ابن أبي فضال ثنا الحضرمي عن أبي مريم رضيع الجارود . قال : كنت بالكوفة فقام الحسن بن علي خطيباً فقال : أيها الناس ! رأيت البارحة في منامي عجباً ، رأيت الرب تبارك وتعالى فوق عرشه نجاء رسول الله ﷺ حتى قام عند قائمة من قوائم العرش ، فجاء أبو بكر فوضع يده على منكب النبي ﷺ ثم جاء عمر فوضع يده على منكب أبي بكر ، ثم جاء عثمان فكان بيده - يعني رأسه - فقال : رب سل عبادك فيم قتلوني ؟ فانبعث من السماء ميزابان من دم في الأرض ، قال فقيل لعلي ألا ترى ما يحدث به الحسن ؟ فقال : حدث بما رأى . ورواه أبو يعلى أيضاً عن سفيان بن وكيع عن جميع بن عمير عن عبد الرحمن بن مجالد عن حرب العجلي : سمعت الحسن بن علي يقول : ما كنت لأماثل بعد رؤيا رأيتها ، رأيت العرش ورأيت رسول الله ﷺ متعلقاً بالعرش ، ورأيت أبا بكر واضعاً يده على منكب رسول الله ، وكان عمر واضعاً يده على منكب أبي بكر ، ورأيت عثمان واضعاً يده على منكب عمر ، ورأيت دماً دونهم ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : دم عثمان يطلب الله به . وقال مسلم بن إبراهيم : ثنا سلام بن مسكين عن وهب بن شبيب عن زيد بن صوحان أنه قال : يوم قتل عثمان نفرت القلوب منافرها ، والذي نفسي بيده لا تتألف إلى يوم القيامة ، وقال محمد بن سيرين : قالت عائشة : مصصتموه مص الاناء ثم قتلتموه ؟ وقال خليفة بن خياط ثنا أبو قتيبة ثنا يونس بن أبي إسحاق عن عون بن عبد الله ابن عتبة . قال : قالت عائشة : غضبت لكم من السوط ولا أغضب لعثمان من السيف ، استعبتتموه حتى إذا تركتموه كالقلب المصفي قتلتموه . وقال أبو معاوية عن الأعمش عن خيشمة عن مسروق . قال : قالت عائشة حين قتل عثمان : تركتموه كالثوب النقي من الدنس ثم قتلتموه . وفي رواية : ثم قربتموه ثم ذبحتموه كما يذبح الكبش ؟ فقال لها مسروق : هذا عملك ، أنت كتبت إلى الناس تأمرهم أن يخرجوا إليه ، فقالت : لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا . قال الأعمش : فكانوا يرون أنه كتب على لسانها . وهذا إسناد صحيح إليها . وفي هذا وأمثاله دلالة ظاهرة على أن هؤلاء الخوارج قبحهم الله ، زوروا كتباً على لسان الصحابة إلى الآفاق يحرضونهم على قتال عثمان ، كما قدمنا بيانه والله الحمد والمنة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا حزم القطعي ثنا أبو الأسود بن سودة أخبرني طلق بن حسان قال : قال قتل عثمان ففرقتنا في أصحاب محمد ﷺ نسألهم عن قتله فسمعت عائشة تقول : قتل مظلوماً لعن الله قتلته . وروى محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة عن أنس . قال : قالت أم سليم لما سمعت بقتل عثمان : رحمه الله ، أما إنه لم يجلبوا بعده إلا دماً .

وأما كلام أئمة التابعين في هذا الفصل فكثير جداً يطول ذكرنا له ، فمن ذلك قول أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قبله : أما مررتم ببلاد حمود ؟ قالوا : نعم ! قال : فأشهد

أنكم مثلهم ، تخليفة الله أكرم عليه من ناقته . وقال ابن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن . قال : لو كان قتل عثمان هدى لاحتلبت به الأمة لبنا ، ولكن كان ضلالا فاحتلبت به الأمة دماً . وقال أبو جعفر الباقر : كان قتل عثمان على غير وجه الحق .

﴿ وهذا ذكر بعض ما رثي به رضى الله عنه ﴾

قال مجاهد عن الشعبي : ما سمعت من مرثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك :

فكف يديه ثم أغلق بابه * وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوه * عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم * العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعمده * عن الناس إدبار النعام الجوافل

وقد نسب هذه الأبيات سيف بن عمر إلى أبي المغيرة الأحنس بن شريق . وقال سيف بن عمر : وقال حسان بن ثابت :

ماذا أردتم من أخي الدين باركت * يد الله في ذلك الأديم المقدد
قتلتم ولي الله في جوف داره * وجتم بأمر جائر غير مهتد
فهلارعتيم ذمة الله بينكم * وأوفيتم بالعهد عهد محمد
ألم يك فيكم ذا بلاء ومصداق * وأوفاكم عهداً لدى كل مشهد
فلا ظفرت أيمان قوم تبايعوا * على قتل عثمان الرشيد المسدد

وقال ابن جرير : وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

من سره الموت صرفاً لا مزاج له * فليأت مأسدة في دار عثمانا
مستحقى حلق الماذى قد سفت * فوق الخاطم بيض زان أبدانا
ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا
صبراً فدى لكم أمى وما ولدت * قد ينفع الصبر في المكروه أحياناً
قد رضينا بأرض الشام نافرة * وبالأسير وبالاخوان إخواناً
إني لمنهم وإن غابوا وإن شهدوا * مادمت حيا وما سميت حساناً
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر ياتارات عثماناً
ياليت شعري وليت الطير تخبرني * ما كان شأن على وابن عفاناً

[وهو القائل أيضاً]

إن تمس دار ابن أروى منه خاوية * باب صريع وباب محرق خرب
فقد يصادف باغى العرف حاجته * فيها ويأوى إليها الجند والحسب
يامعشر الناس ابدوا ذات أنفسكم * لا يستوى الصدق عند الله والكذب
وقال الفرزدق

إن الخلافة لما أظننت ظننت * عن أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا
صارت إلى أهلها منهم ووارثها * لما رأى الله في عثمان ما انتهكوا
السافكي دمه ظلماً ومعصية * أى دم لا هدوا من غيرهم سفكوا^(١)
وقال راعي الأبل الغميري في ذلك :

عشية يدخلون بغير إذن * على متوكل أوفى وطابا
خليل محمد ووزير صدق * ورابع خير من وطى الترابا

فصل

إن قال قائل كيف وقع قتل عثمان رضى الله عنه بالمدينة وفيها جماعة من كبار الصحابة رضى الله عنهم ؟ فجوابه من وجوه (أحدها) أن كثيراً منهم بل أكثرهم أو كلهم لم يكن يظن أنه يبلغ الأمر إلى قتله ، فان أولئك الأحزاب لم يكونوا يحاولون قتله عينا ، بل طلبوا منه أحد أمور ثلاثة إما أن يعزل نفسه ، أو يسلم إليهم مروان بن الحكم ، أو يقتلوه ، فكانوا يرجون أن يسلم إلى الناس مروان ، أو أن يعزل نفسه ويستريح من هذه الضائقة الشديدة . وأما القتل فما كان يظن أحد أنه يقع ، ولا أن هؤلاء يجترؤون عليه إلى ما هذا حده ، حتى وقع ما وقع والله أعلم . - الثاني - أن الصحابة مانعوا دونه أشد المانعة ، ولكن لما وقع التضيق الشديد ، عزم عثمان على الناس أن يكفوا أيديهم ويفسدوا أسلحتهم ففعلوا ، فتمكن أولئك مما أرادوا ، ومع هذا ماظن أحد من الناس أنه يقتل بالكلية - الثالث - أن هؤلاء الخوارج لما اغتصموا غيبة كثير من أهل المدينة في أيام الحج ، ولم تقدم الجيوش من الآفاق للنصرة ، بل لما اقترب مجيئهم ، انهزوا فرصتهم ، قبحهم الله ، وصنعوا ما صنعوا من الأمر العظيم - الرابع - أن هؤلاء الخوارج كانوا قريباً من ألفي مقاتل من الأبطال ، وربما لم يكن في أهل المدينة هذه العدة من المقاتلة ، لأن الناس كانوا في الثغور وفي الأقاليم في كل جهة ، ومع هذا كان كثير من الصحابة اعتزل هذه الفتنة ولزموا بيوتهم ، ومن كان يحضر منهم المسجد لا يجي إلا ومعه السيف ، يضعه على جبوته إذا احتج ، والخوارج محذقون بدار عثمان رضى الله عنه ، وربما

(١) زيادة من تاريخ البدر العيني نقلها في سياق عبارة ابن كثير .

لو أرادوا صرفهم عن الدار لما أمكنهم ذلك ، ولكن كبار الصحابة قد بعثوا أولادهم إلى الدار يحاجفون عن عثمان رضي الله عنه ، لكي تقدم الجيوش من الأمصار لنصرته ، فما فجئ الناس إلا وقد ظفر أولئك بالدار من خارجها ، وأحرقوا بابها ، وتسوروا عليه حتى قتلوه ، وأما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضى بقتله ، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة أنه رضي بقتل عثمان رضي الله عنه ، بل كلهم كرهه ، ومقتنه ، وسب من فعله ، ولكن بعضهم كان يود لو خلع نفسه من الأمر ، كعمار بن ياسر ، ومحمد بن أبي بكر ، وعمر بن الخطاب وغيرهم .

قال أبو عمر بن عبد البر : دفنوا عثمان رضي الله عنه بحش كوكب - وكان قد اشتراه وزاده في البقيع - ولقد أحسن بعض السلف إذ يقول وقد سئل عن عثمان : هو أمير البررة ، وقتيل الفجرة ، مخذول من خذله ، منصور من نصره .

وقال شيخنا أبو عبد الله الذهبي في آخر ترجمة عثمان وفضائله - بعد حكايته هذا الكلام : الذين قتلوه أو ألبوا عليه قتلوا إلى عفو الله ورحمته ، والذين خذلوه خذلوا وتنغص عيشهم ، وكان الملك بعده في نائبه معاوية وبنيه ، ثم في وزيره مروان وثمانية من ذريته ، استطالوا حياته وملوه مع فضله وسوابقه ، فتملك عليهم من هو من بني عمه بضعا وثمانين سنة ، فالحكم لله العلي الكبير . وهذا لفظه بجر وفه ﴿ فصل في الإشارة إلى شيء من الأحاديث الواردة في فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴾

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . أبو عمرو وأبو عبد الله ، القرشي ، الأموي ، أمير المؤمنين ، ذو النورين ، وصاحب الهجرة ، وزوج الابنتين . وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة بن عبد شمس . وأما أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وأحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة من الستة ، ثم تعينت فيه بإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ، فكان ثالث الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، المأمور باتباعهم والافتداء بهم .

أسلم عثمان رضي الله عنه قديما على يدي أبي بكر الصديق ، وكان سبب إسلامه عجيبا فيما ذكره الحافظ ابن عساكر ، وملخص ذلك أنه لما بلغه أن رسول الله ﷺ زوج ابنته رقية - وكانت ذات جمال - من ابن عمها عتبة بن أبي لهب ، تأسف إذ لم يكن هو تزوجها ، فدخل على أهله مهموما فوجد عندهم خالته سعدى بنت كرز - وكانت كاهنة - فقالت له : أشروحييت ثلاثا تبرا ، ثم ثلاثا

وثلاثا أخرى ، ثم بأخرى كي تم عشرا ، أتاك خير ووقيت شرأ ، أنكحت والله حصانا زهرا ، وأنت بكر ولقيت بكرا ، وافيتها بذت عظيم قدرا ، بنيت أمرا قد أشاد ذكرا * قال عثمان : فعجبت من أمرها حيث تبشرني بالمرأة قد تزوجت بغيري ، فقلت : يا خالة ! ما تقولين ؟ فقالت : عثمان لك الجمال ، ولك اللسان ، هذا النبي معه البرهان . أرسله بحقه الديان . وجاءه التنزيل والفرقان ، فاتبعه لا تغتالك الأوثان . قال : فقلت إنك لتندكرين أمرا ما وقع ببلدنا . فقالت : محمد بن عبد الله ، رسول من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو به إلى الله ، ثم قالت : مصباحه مصباح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ، ما ينفع الصياح ، أو وقع الذباح ، وسلت الصفاح ، ومدت الرماح . قال عثمان : فانطلقت مفكرا فلقيني أبو بكر فأخبرته ، فقال : ويحك يا عثمان إنك لرجل حازم ، ما يخفى عليك الحق من الباطل ، ما هذه الأصنام التي يعبدونها قومنا ؟ أليست من حجارة صم لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ قال : قلت بلى ! والله إنها لك كذلك ، فقال : والله لقد صدقتك خالتك ، هذا رسول الله محمد بن عبد الله ، قد بعثه الله إلى خلقه برسالته ، هل لك أن تأتيه ؟ فاجتمعنا برسول الله فقال : يا عثمان أجب الله إلى حقه ، فاني رسول الله إليك وإلى خلقه قال : فوالله ما تمالك نفسي منذ سمعت رسول الله ﷺ أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية بنت رسول الله ﷺ فكان يقال :

أحسن زوج رآه إنسان * رقية وزوجها عثمان

فقالت في ذلك سعدى بنت كرز :

هدى الله عثمانا بقولي إلى الهدى * وأرشده والله يهدي إلى الحق
فتابع بالرأى السديد محمدا * وكان برأى لا يصد عن الصدق
وأنكحه المبعوث بالحق بنته * فكانا كبدرا مزج الشمس في الأفق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتي * وأنت أمين الله أرسلت للخلق

قال : ثم جاء أبو بكر من الغد بعثمان بن مظعون ، وبأبي عبيدة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي سلمة بن عبد الأسد ، والأرقم بن أبي الأرقم ، فأسلموا وكانوا مع من اجتمع مع رسول الله ﷺ ثمانمائة وثلاثون رجلا . وهاجر إلى الحبشة أول الناس ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة ، فلما كانت وقعة بدر اشتغل بتمريض ابنة رسول الله ﷺ ، وأقام بسببها في المدينة ، وضرب له رسول الله ﷺ بسهمه منها وأجره فيها ، فهو معدود فيمن شهد بها . فلما توفيت زوجته رسول الله ﷺ بأختها أم كلثوم فتوفيت أيضا في صحبتها ، وقال رسول الله ﷺ : « لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان » وشهد أحدا وفر يومئذ فيمن تولى ، وقد نص الله على العفو عنهم ، وشهد

الخندي والحديبية ، وبايع عنه رسول الله ﷺ يومئذ باحدى يديه ، وشهد خيبر وعمره القضاء ، وحضر الفتح وهوازن والطائف وغزوة تبوك ، وجهز جيش العسرة . وتقدم عن عبدالرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها ، وعن عبد الرحمن بن سمرة أنه جاء يومئذ بألف دينار فصبها في حجر رسول الله ﷺ فقال ﷺ : ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم مرتين . وحج مع رسول الله ﷺ حجة الوداع ، وتوفي وهو عنه راض ، وصحب أبا بكر فأحسن صحبته ، وتوفي وهو عنه راض ، وصحب عمر فأحسن صحبته وتوفي وهو عنه راض . ونص عليه في أهل الشورى الستة ، فكان خيرهم كما سيأتي .

فولى الخلافة بعده ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار ، وتوسعت المملكة الاسلامية ، وامتدت الدولة المحمدية ، وبلغت الرسالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها ، وظهر للناس مصداق قوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولينصن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبيد عنهم من بعد خوفهم أمناً) وقوله تعالى : (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وقوله ﷺ : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتنتقم كنوزها في سبيل الله » وهذا كله تحقق وقوعه وتأكد وتوطد في زمان عثمان رضي الله عنه .

وقد كان رضي الله عنه حسن الشكل ، مليح الوجه ، كريم الأخلاق ، ذا حياة كثير ، وكرم عزيز ، يؤثر أهله وأقاربه في الله ، تأليفاً لقلوبهم من متاع الحياة الدنيا الفاني ، لعله يرغبهم في إيثار ما يبقى على ما يفتي ، كما كان النبي ﷺ يعطى أقواماً ويدع آخرين ، يعطى أقواماً خشية أن يكبهم الله على وجوههم في النار ، ويكل آخرين إلى ما جعل الله في قلوبهم من الهدى والايمان ، وقد تعنت عليه بسبب هذه الخصلة أقوام ، كما تعنت بعض الخوارج على رسول الله ﷺ في الايثار . وقد قدمنا ذلك في غزوة حنين حيث قسم غنائمها * وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان رضي الله عنه نذكر ما تيسر منها إن شاء الله وبه الثقة ، وهي قسمان - الأول - فيما ورد في فضائله مع غيره .

فمن ذلك الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه : حدثنا مسدد ثنا يحيى بن سعيد عن سعيد عن قتادة أن أنساً حدثهم قال : « صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجع فقال : اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان » تفرد به دون مسلم . وقال الترمذي : ثنا قتيبة ثنا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ « كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة والزبير ،

فتحركت الصخرة ، فقال النبي ﷺ : اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » . ثم قال في الباب : عن عثمان بن سعيد بن زيد وابن عباس ، وسهيل بن سعد ، وأنس بن مالك ، وبريدة الأسلمي ، وهذا حديث صحيح . قلت : ورواه أبو الدرداء ، ورواه الترمذي عن عثمان في خطبته يوم الدار ، وقال : على تبير .

﴿ حديث آخر ﴾

وهو عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنت مع رسول الله ﷺ في حائط ، فأمرني بحفظ الباب ، فجاء رجل يستأذن فقلت : من هذا ؟ قال : أبو بكر ، فقال رسول الله ﷺ : ائذن له وبشره بالجنة . ثم جاء عمر فقال ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فقال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فدخل وهو يقول : اللهم صبراً وفي رواية - الله المستعان » رواه عنه قتادة وأيوب السختياني . وقال البخاري : وقال حماد بن زيد : حدثنا عاصم الأحول وعلي بن الحكم سمعا أبا عثمان يحدث عن أبي موسى الأشعري بنحوه ، وزاد عاصم أن رسول الله ﷺ كان قاعداً في مكان قد انكشف عن ركبتيه ، أو ركبته ، فلما دخل عثمان غطاها . وهو في الصحيحين أيضاً من حديث سعيد بن المسيب عن أبي موسى ، وفيه « أن أبا بكر وعمر دليا أرجلهما مع رسول الله ﷺ في باب القف وهو في البئر ، وجاء عثمان فلم يجده له موضعاً » قال سعيد : فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن مروان ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة . قال : قال نافع بن الحارث : « خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً فقال : امسك على الباب ، فجاء حتى جلس على القف ودلى رجله ، فضرب الباب فقلت : من هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر ، قال : ائذن له وبشره بالجنة ، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ على القف ودلى رجله في البئر ، ثم ضرب الباب : فقلت : من هذا ؟ قال : عمر ، قلت : يا رسول الله هذا عمر ، قال : ائذن له وبشره بالجنة ، ففعلت ، فجاء فجلس مع رسول الله ﷺ على القف ودلى رجله في البئر ، ثم ضرب الباب فقلت : من هذا ؟ قال : عثمان ، قلت : يا رسول الله هذا عثمان ، قال : ائذن له وبشره بالجنة معها بلاء ، فأذنت له وبشرته بالجنة ، فجلس مع رسول الله ﷺ على القف ودلى رجله في البئر » هكذا وقع في هذه الرواية ، وقد أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي سلمة ، فيحتمل أن أبا موسى ونافع بن عبد الحارث كانا موكلين بالباب ، أو أنها قصة أخرى .

وقد رواه الامام أحمد عن عفان عن وهيب عن موسى بن عقبة سمعت أبا سلمة ولا أعلمه إلا عن نافع بن عبد الحارث « أن رسول الله ﷺ دخل حائطاً فجلس على قف البئر ، فجاء أبو بكر

فاستأذن فقال لأبي موسى : ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء
عثمان فقال : ائذن له وبشره بالجنة وسيلقى بلاء « وهذا السياق أشبه من الأول ، على أنه قد رواه
النسائي من حديث صالح بن كيسان عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن عبد الرحمن بن نافع بن
عبد الحارث عن أبي موسى الأشعري قاله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا يزيد أنا همام عن قتادة عن ابن سيرين ومحمد بن عبيد عن عبد الله
ابن عمر وقال : « كنت مع رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر فاستأذن فقال : ائذن له وبشره بالجنة ،
ثم جاء عمر فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، ثم جاء عثمان فاستأذن فقال : ائذن له وبشره بالجنة . قال :
قلت فأين أنا ؟ قال : أنت مع أبيك » تفرد به أحمد . وقد رواه البزار وأبو يعلى من حديث أنس بن
مالك بنحو ما تقدم .

﴿ حديث آخر ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا ليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن يحيى بن سعيد بن
العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على
النبي ﷺ وهو مضطجع على فراشه لا بس مرط عائشة ، فأذن لأبي بكر وهو كذلك ففضى إليه
حاجته ثم انصرف ، فاستأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة ففضى إليه حاجته ثم انصرف ، قال
عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس وقال : اجمعي عليك ثيابك ففضيت إليه حاجتي ثم انصرفت ،
فقال عائشة : يا رسول الله ! مالي لا أراك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان ؟ فقال رسول الله
ﷺ : إن عثمان رجل حيي ، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحالة لا يبلغ إلى حاجته « قال
الليث : وقال جماعة الناس : إن رسول الله ﷺ قال لعائشة : « ألا أستحي ممن تستحي منه
الملائكة ؟ »^(١) ورواه مسلم من حديث محمد بن أبي حرملة عن عطاء وسليمان بن يسار عن أبي سلمة
عن عائشة . ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث سهيل عن أبيه عن عائشة . ورواه جبير بن نفير
وعائشة بنت طلحة عنها .

وقال الامام أحمد : حدثنا مروان ثنا عبد الله بن يسار سمعت عائشة بنت طلحة تذكر عن
عائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ « كان جالساً كاشفاً عن فخذه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو
على حاله ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخى عليه ثيابه ، فلما قاموا
قلت : يا رسول الله استأذن عليك أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان
أرخيت عليك ثيابك : فقال : يا عائشة ألا تستحي من رجل والله إن الملائكة لتستحي منه ؟ » .
تفرد به أحمد من هذا الوجه .

(١) كذا في المصرية . وفي الخلبية : ملائكة الرحمن .

﴿ طريق أخرى عن حفصة ﴾

رواه الحسن بن عرفة وأحمد بن حنبل عن روح بن عبادة عن ابن جريج ، أخبرني أبو خالد
عثمان بن خالد عن عبد الله بن أبي سعيد المدني حدثني حفصة ، فذكر مثل حديث عائشة ، وفيه :
فقال « ألا نستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ » .

﴿ طريق أخرى عن ابن عباس ﴾

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أبو كريب ثنا يونس بن بكير ثنا النضر - هو ابن عبد الرحمن
أبو عمر الخزاز الكوفي - عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله ﷺ « ألا نستحي ممن
تستحي منه الملائكة عثمان بن عفان ؟ » ثم قال البزار : لا نعلمه يروي عن ابن عباس إلا بهند
الاسناد على شرط الترمذي ولم يخرجوه .

﴿ طريق أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما ﴾

قال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا أبو معشر
حدثني إبراهيم بن عمر بن أبان حدثني أبي عمر بن أبان عن أبيه . قال سمعت عبد الله بن عمر يقول :
« بينما رسول الله ﷺ جالس وعائشة وراءه إذ استأذن أبو بكر فدخل ، ثم استأذن عمر فدخل ، ثم
استأذن سعد بن مالك فدخل ، ثم استأذن عثمان بن عفان فدخل ورسول الله ﷺ يتحدث كاشفاً
عن ركبته ، فرد ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان ، وقال لامرأته : استأخري ، فتحدثوا ساعة ثم
خرجوا ، فقالت عائشة : يا نبي الله ! دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتيك ولم تؤخرني عنك ،
فقال النبي ﷺ : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟ والذي نفسي بيده إن الملائكة
لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله ، ولو دخل وأنت قريب مني لم يتحدث ولم يرفع رأسه
حتى يخرج » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه زيادة على ما قبله ، وفي سنده ضعف . قلت :
وفي الباب عن علي وعبد الله بن أبي أوفى ، وزيد بن ثابت : وروى أبو مروان القرشي عن أبيه
عن مالك ، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « عثمان حي
تستحي منه الملائكة » .

﴿ حديث آخر ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن خالد الخذاء عن أبي قلابة عن أنس . قال قال
رسول الله ﷺ : « أرحم أمي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأشدها حياء عثمان ، وأعلمها
بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأقرؤها لكتاب الله أبي . وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت ، ولكل
أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » [وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من

حديث خالد الخذاء ، وقال الترمذى : حسن صحيح . وفي صحيح البخارى ومسلم آخره «ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح» [١] وقد روى هشيم عن كرز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر مثل حديث أبي قلابة عن أنس أو نحوه .

﴿ حديث آخر ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا يزيد بن عبد ربه ثنا محمد بن حرب حدثني الزبيدي عن ابن شهاب عن عمرو بن أبان بن عثمان عن جابر بن عبد الله . أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : «أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ، ونيط عمر بأبي بكر ، ونيط عثمان بعمر ، فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا : أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ، وأما ما ذكره رسول الله ﷺ من نوط بعضهم ببعض ، فهو لاء ولاية هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه ﷺ » ورواه أبو داود عن عمرو بن عثمان عن محمد بن حرب ، ثم قال : ورواه يونس وشعيب عن الزهري فلم يذكره عمر .

﴿ حديث آخر ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا أبو داود - عمر بن سعد - ثنا بدر بن عثمان عن عبيد الله بن مروان عن أبي عائشة عن ابن عمر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال : « رأيت قبل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين ، فأما المقاليد فهذه المفاتيح ، وأما الموازين فهي التي يوزن بها ، فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فوزنت بهم فرجحت ، ثم جئى بأبي بكر فوزن فوزن بهم ، ثم جئى بعمر فوزن فوزن بهم ، ثم جئى بعثمان فوزن فوزن بهم ، ثم رفعت » تفرد به أحمد * وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا هشام بن عمار ثنا عمرو بن واقد ثنا يونس بن ميسرة عن أبي إدريس عن معاذ بن جبل . قال قال رسول الله ﷺ : « إني رأيت أمتي وضعت في كفة وأمتي في كفة فعدلتها ، ثم وضع أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلتها ، ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلتها » .

﴿ حديث آخر ﴾

قال أبو يعلى : حدثنا عبد الله بن مطيع ثنا هشيم عن العوام ، عن حدثه عن عائشة . قالت : لما أسس رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فمثل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : « هم أمراء الخلافة من بعدى » . وقد تقدم هذا الحديث في بناء مسجده أول مقدمه المدينة عليه الصلاة والسلام ، وكذلك تقدم في دلائل النبوة من حديث الزهري عن رجل عن أبي ذر في تسبيح الحصا في يده

(١) سقط من الحلبية

عليه السلام ثم في كف أبي بكر ، ثم في كف عمر ، ثم في كف عثمان ، رضى الله عنهم ، وفي بعض الروايات : فقال رسول الله ﷺ : « هذه خلافة النبوة » وسيأتى حديث سفينة أن رسول الله ﷺ قال : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » فكانت ولاية عثمان ومدتها ثلثي عشرة سنة ، من جملة هذه الثلاثين بلا خلاف بين العلماء العاملين ، كما أخبر به سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿ حديث آخر ﴾

وهو ما روى من طرق متعددة عن رسول الله ﷺ أنه شهد للعشرة بالجنة ، وهو أحدهم بنص النبي ﷺ ﴿ حديث آخر ﴾

قال البخارى : حدثنا محمد بن حازم بن زريع ثنا شاذان ثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر . قال : « كنا في زمن النبي ﷺ [لانعدل بأبي بكر أحداً ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نذر أصحاب النبي ﷺ] لانفاضل بينهم » تابعه عبد الله بن صالح بن عبد العزيز ، تفرد به البخارى ، ورواه إسماعيل بن عياش ، والفرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد الأنصارى ، عن نافع عن ابن عمر . ورواه أبو يعلى عن أبي معشر عن يزيد بن هارون عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عمر به .

﴿ طريق أخرى عن ابن عمر ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن ابن عمر . قال : « كنا نعد رسول الله ﷺ وأصحابه متوافرون أبو بكر وعمر وعثمان ثم نسكت » .

﴿ طريق أخرى عن ابن عمر بلفظ آخر ﴾

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عمرو بن علي وعقبة بن مكرم قالا : ثنا أبو عاصم عن عمر بن محمد عن سالم عن أبيه . قال : كنا نقول في عهد النبي ﷺ : أبو بكر وعمر وعثمان - يعني في الخلافة - وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجه ، لكن قال البزار : وهذا الحديث قد روى عن ابن عمر من وجوه « كنا نقول أبو بكر وعمر وعثمان ، ثم لانفاضل بعد » وعمر بن محمد لم يكن بالحافظ ، وذلك : يتبين في حديثه إذا روى عن غير سالم فلم يقل شيئا . وقد رواه غير واحد من الضعفاء عن الزهري عن سالم عن أبيه به . وقد اعتنى الحافظ بن عساكر بجمع طرقه عن ابن عمر فأفاد وأجاد . فأما الحديث الذى قال الطبرانى : حدثنا سعيد بن عبد ربه الصنفار البغدادي حدثنا علي بن حنبل الرقى أنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس . قال قال رسول الله ﷺ : « في الجنة شجرة - أو مافى الجنة شجرة - شك على بن حنبل ، ما عليها ورقة إلا مكتوب عليها لا إله

(١) سقط من المصرية

إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين » فانه حديث ضعيف في إسناده من تكلم فيه ولا يخلو من نكارة ، والله أعلم .

﴿ القسم الثاني فيما ورد في فضائله وحده ﴾

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة ثنا عثمان بن موهب . قال : « جاء رجل من أهل مصر حج البيت ، فرأى قوماً جلوساً فقال : من هؤلاء القوم ؟ قالوا : قریش ، قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يا ابن عمر ! إني سألتك عن شيء فحدثني ، هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب يوم بدر ولم يشهدا ؟ قال : نعم ! قال : تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان ولم يشهدا ؟ قال : نعم ! قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعال أبين لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، وأما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت رسول الله وكانت مريضة ، فقال له رسول الله : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي ﷺ : بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال له ابن عمر : اذهب بها الآن معك » تفرد به دون مسلم .

﴿ طريق أخرى ﴾

وقال الامام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو وثنا زائدة عن عاصم عن شقيق . قال : لقي عبد الرحمن ابن عوف الوليد بن عقبة ، فقال له الوليد : مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان ؟ فقال له عبد الرحمن : أبلغه أني لم أفر يوم حنين ، قال عاصم : يقول يوم أحد - ولم تخلف عن يوم بدر ، ولم أترك سنة عمر ، قال : فانطلق فخبّر بذلك عثمان فقال : أما قوله : إني لم أفر يوم حنين ، فكيف يعبرني بذلك وقد عفا الله عني فقال : (إن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إنما استندم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) وأما قوله : إني تخلفت يوم بدر ، فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله ﷺ وقد ضرب لي رسول الله ﷺ ، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم فقد شهد ، وأما قوله : ولم أترك سنة عمر ، فإني لا أطيقها ولا هو ، فانه يحدثه بذلك .

﴿ حديث آخر ﴾

قال البخاري : حدثنا أحمد بن شبيب بن سعد ثنا أبي عن يونس قال ابن شهاب : أخبرني عروة أن عبيد الله بن عدي بن الحبار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا : ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد فقد أكثر الناس فيه ؟ فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة . فقلت : إن لي إليك حاجة ، وهي نصيحة لك ، فقال : يا أيها المرء منك قال

أبو عبد الله قال معمر : أعوذ بالله منك - فانصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ، وهاجرت الهجرة ، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه ، وقد أكثر الناس في شأن الوليد . فقال : أدركت رسول الله ﷺ ؟ فقلت : لا ! ولكن خلص إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها ، قال : أما بعد ! فان الله بعث محمداً بالحق وكنت ممن استجاب لله ولرسوله فأمنت بما بعث به ، وهاجرت الهجرة كما قالت ، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل ، ثم أبو بكر مثله ، ثم عمر مثله ، ثم استخلفت ، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم ؟ قلت : بلى ! قال : فما هذه الأحاديث التي تبغني عنكم ؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فساخذ فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلبه فجلده ثمانين .

﴿ حديث آخر ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الوليد بن مسلم حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت : « أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ ، فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه وقال : يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فان أردك المناقون على خلمه فلا تخلعه حتى تلتقاني ثلاثاً . فقلت لها يا أم المؤمنين ؟ فأين كان هذا عنك ؟ قالت : نسيت والله ما ذكرته ، قال : فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين : أن اكتبني إلى به ، فكتبت إليه به كتاباً » وقد رواه أبو عبد الله الحرثي عن عائشة وحفصة بنحو ما تقدم . ورواه قيس بن أبي حازم وأبو سهيلة عنها . ورواه أبو سهيلة عن عثمان : « إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهداً فأنا صابر نفسي عليه » ورواه فرج بن فضالة عن محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره ، قال الدارقطني : تفرد به الفرغ بن فضالة ورواه أبو مروان محمد بن عثمان بن خالد العماني عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه [عن هشام بن عروة عن أبيه]^(١) عن عائشة . ورواه ابن عساكر من طريق المنهال بن عمر عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عنها . ورواه ابن أسامة عن الجريري : حدثني أبو بكر العدوي . قال : سألت عائشة ، وذكر عنها نحو ما تقدم [تفرد به الفرغ بن فضالة]^(٢) ورواه حصين عن مجاهد عن عائشة بنحوه .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن كنانة الأسدي أبو يحيى ثنا إسحاق بن سعيد عن أبيه . قال :

(١) و (٢) زيادة من الحلبية . وفيها : ورواه خصيف .

بلغني أن عائشة قالت : « ما استمعت رسول الله ﷺ إلا مرة ، فان عثمان جاءه في بحر الظهيره فظننت أنه جاءه في أمر النساء ، فحملتني الغيرة على أن أصغيت إليه فسمعتة يقول : إن الله ملبسك قميصاً يريدك أمتي على خلعته فلا تخلعه . فلما رأيت عثمان يبذل لهم ما سألوه إلا خلعته علمت أنه عهد من رسول الله ﷺ الذي عهد إليه .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الطبراني : حدثنا مطالب بن شعيب الأزدي ثنا عبد الله بن صالح ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف ، قال : كنا عند شفي الأصبجي فقال : حدثنا عبد الله بن عمر قال : « التفت رسول الله ﷺ فقال : يا عثمان إن الله كسك قميصاً فأرادك الناس على خلعته فلا تخلعه ، فوالله لئن خلعتة لا ترى الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » وقد رواه أبو يعلى من طريق عبد الله بن عمر عن أخته حفصة أم المؤمنين . وفي سياق منته غرابة والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثني فاطمة بنت عبد الرحمن قالت : حدثتني أمي أنها سألت عائشة وأرسلها معها فقال : إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان فان الناس قد شتموه ، فقالت : « لعن الله من لعنه ، فوالله لقد كان قاعداً عند رسول الله ﷺ ، وإن رسول الله ﷺ لمسند ظهره إلى ، وإن جبريل ليوحى إليه القرآن ، وإنه ليقول له : اكتب يا عثيم ، قالت عائشة : فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كما على الله ورسوله » ثم رواه الامام أحمد عن يونس عن عمر بن إبراهيم الشكري عن أمه عن أمها أنها سألت عائشة عند الكعبة عن عثمان فذكرت مثله .

﴿ حديث آخر ﴾

قال البزار : حدثنا عمر بن الخطاب قال : ذكر أبو المغيرة عن صفوان بن عمرو عن ماعز التميمي عن جابر « أن رسول الله ﷺ ذكر فتنة فقال أبو بكر : أنا أدركها ؟ فقال : لا ! فقال عمر أنا يارسلو الله أدركها ؟ قال : لا ! فقال عثمان : يارسلو الله فأنا أدركها ؟ قال : بك يبتلون » قال البزار : وهذا لانعله يروى إلا من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عمر ثنا سنان بن هارون ثنا كليب بن واصل عن ابن عمر . قال : « ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً ، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان » . ورواه الترمذي عن إبراهيم بن سعيد عن شاذان به وقال : حسن غريب .

﴿ حديث آخر ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا موسى بن عقبة حدثني أبو أمي^(١) حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها ، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافاً - أو قال : اختلافاً وفتنة - فقال له قائل من الناس : فن لنا يارسلو الله ؟ قال : عليكم بالأمن وأصحابه وهو يشير إلى عثمان بذلك » تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أسامة ثنا حماد بن سلمة ثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن شقيق حدثني هرم بن الحارث وأسامة بن خزيم - وكانا يغازيان - فحدثنا حديثاً ولم يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حدثني عن مرة البهزي قال « بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال : كيف تصنعون في فتنة تشور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر ؟ قالوا : نصنع ماذا يارسلو الله ؟ قال : عليكم هذا وأصحابه - أو اتبعوا هذا وأصحابه - قال : فأسرعت حتى عييت فأدرت الرجل فقلت : هذا يارسلو الله ؟ قال : هذا ، فإذا هو عثمان بن عفان » فقال : هذا وأصحابه فذكره .

﴿ طريق أخرى ﴾

وقال الترمذي في جامعهم : حدثنا محمد بن يسار ثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني أن خطبنا قامت بالشام وفيهم رجال من أصحاب النبي ﷺ رجل يقال له مرة بن كعب ، فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت ، وذكر القتن فقر بها فر رجل متقنع في ثوب ، فقال : هذا يومئذ على الهدى فقامت إليه . فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجه فقلت : هذا ؟ قال نعم ! ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة . قلت : وقد رواه أسد بن موسى عن معاوية بن صالح حدثني سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن مرة بن كعب البهزي فذكر نحوه ، [وقد رواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية عن صالح عن سليم بن عامر عن جبير بن نفير عن كعب بن مرة البهزي]^(٢) والصحيح مرة بن كعب كما تقدم ، وأما حديث ابن حوالة ، فقال حماد بن سلمة عن سعيد الجريري عن عبد الله بن سفيان^(٣) عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول الله ﷺ : « كيف أنت وفتنة تكون في أقطار الأرض ؟ قلت : ما خار الله لي ورسوله ، قال اتبع هذا الرجل ، فانه يومئذ ومن اتبعه على الحق قال : فاتبعته فأخذت بمنكبه فقتلته فقلت : هذا (١) كذا في الاصلين . ولعل في السند سقط (٢) زيادة من الحلبي . (٣) كذا في المصرية بزيادة عبد الله بن سفيان .

يارسول الله؟ فقال: نعم! فاذا هو عثمان بن عفان» وقال حرملة عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن ابن حوالة. قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من نجا منهن فقد نجا، موتى، وخر وج الدجال وقتل خليفة مصطبر قوام بالحق يعطيه.

وأما حديث كعب بن عجرة. فقال الامام أحمد: حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي أخبرني مغيرة بن مسلم عن مطر الوراق عن ابن سيرين عن كعب بن عجرة قال: «ذكر رسول الله ﷺ فتنة ففر بها وعظمها قال ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: هذا يومئذ على الحق قال فانطلقت مسرعا أو محضرا وأخذت بضبعيه فقلت: هذا يارسول الله؟ قال: هذا فاذا هو عثمان بن عفان» ثم رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة فذكر مثله. ورواه أبو يعلى عن هدية عن همام عن قتادة عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة. وكذا رواه أبو عون عن ابن سيرين عن كعب. وقد تقدم حديث أبي ثور التيمي عنه في قوله في الخطبة التي خاطب بها الناس من داره: والله ما تعبت ولا نيت ولا زنت في جاهلية ولا إسلام ولا مسست فرجى بيمينى منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، وأنه كان يعتق كل يوم جمعة عتيقا فان تعذر عليه أعتق في الجمعة الأخرى عتيقين. وقال مولاة حمران: كان عثمان يغتسل كل يوم منذ أسلم. رضى الله عنه.

﴿ حديث آخر ﴾

قال الامام أحمد: حدثنا علي بن عباس ثنا الوليد بن مسلم أنبأنا الأوزاعي عن محمد بن عبد الملك ابن مروان أنه حدثه عن المغيرة بن شعبه أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال: «إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى وإني أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر إحداهن، إما أن تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تحرق بابا سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق مكة، فانهم لن يستحلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية. فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فانهم لن يستحلوني بها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم، ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ». وقال الامام أحمد: ثنا أبو المغيرة ثنا أرطاة - يعني ابن المنذر - حدثني أبو عون الأنصاري أن عثمان قال لابن مسعود: «هل أنت منته عما بلغني عنك؟ فاعتذر بعض العذر، فقال عثمان: ويحك! إني قد سمعت وحفظت - وليس كما سمعت -، أن رسول الله ﷺ قال سيقتل أمير، ويتبرى متبرئ، وإني أنا المقتول، وليس عمر، إنما قتل عمر واحد، وأنه يجتمع على «وهذا الذي قاله لابن مسعود قبل مقتله بنحو من أربع سنين فإنه مات قبله بنحو ذلك.

﴿ حديث آخر ﴾

[قال عبد الله بن أحمد: ثنا عبيد الله بن عمر القبري: ثنا القاسم بن الحكم بن أوس الأنصاري حدثني أبو عبادة الزرقى الأنصاري - من أهل المدينة - عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز ولو ألقى حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلى باب مقام جبريل، فقال: أيها الناس! أفياكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس! أفياكم طلحة بن عبيد الله؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس! أفياكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس! أفياكم طلحة بن عبيد الله فقال له عثمان: ألا أراك ههنا؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع نداي آخر ثلاث مرات، ثم لا تجيئني؟ أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك؟ فقال: نعم! قال: فقال لك رسول الله ﷺ إنه ما من نبي إلا ومعه من أصحابه رفيق في الجنة، وإن عثمان بن عفان هذا - يعني نفسه - رفيق في الجنة؟ فقال طلحة: اللهم نعم! » تفرد به أحمد (١)

﴿ حديث آخر عن طلحة ﴾

قال الترمذي: حدثنا أبو هشام الزفاعي ثنا يحيى بن اليمان عن شرح بن زهرة عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبي وثاب عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي رفيق ورفيق في الجنة عثمان» ثم قال: هذا حديث غريب وليس إسناداه بالقوى، وإسناده منقطع. ورواه أبو مروان محمد بن عثمان عن أبيه عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة، وقال الترمذي: حدثنا الفضل بن أبي طالب البغدادي وغير واحد قالوا: حدثنا عثمان بن زفر حدثنا محمد بن زياد عن محمد بن مجلان عن أبي الزبير عن جابر قال: «أتى النبي ﷺ بجنازة رجل ليصلى عليه فلم يصل عليه، فقيل يارسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا؟ فقال: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عز وجل» ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب، ومحمد بن زياد هذا صاحب ميمون ابن مهران ضعيف الحديث جدا، ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة بصري ثقة، يكنى أبا الحارث، ومحمد بن زياد الألهاني صاحب أبي أمامة ثقة شامي يكنى أباسفيان.

﴿ حديث آخر ﴾

روى الحافظ بن عساكر من حديث أبي مروان العثماني ثنا أبي عثمان بن خالد عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ لقي عثمان بن عفان على (١) هذا الحديث أعيد هنا ثانيا في النسخة الحلبية. وقد تقدم ذكره قبل هذا الموضع كما في المصرية.

باب المسجد فقال : يا عثمان ! هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صدق رقية ، على مثل مصاحبتهما « وقد روى ابن عساكر أيضاً من حديث ابن عباس وعائشة وعمارة بن روية وعصمة بن مالك الخطمي وأنس بن مالك وابن عمر وغيرهم ، وهو غريب ومنكر من جميع طرقه ، وروى بإسناد ضعيف عن علي أن رسول الله ﷺ قال « لو كان لي أربعون ابنة لزوجتهن بعتان واحدة بعد واحدة ، حتى لا يبقى منهن واحدة » وقال محمد بن سعيد الأموي عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن المهلب بن أبي صفرة قال : « سألت أصحاب رسول الله ﷺ لم قلت في عثمان : أعلانا فوقاً ؟ قالوا : لأنه لم يتزوج رجل من الأولين والآخرين ابنتي غيره رواه ابن عساكر .

وقال إسماعيل بن عبد الملك عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه حتى يبدو ضبعيه إلا لعثمان بن عفان ، إذا دعا له . وقال مسعر عن عطية عن أبي سعيد قال : رأيت رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول : « اللهم عثمان رضيت عنه فأرض عنه » وفي رواية يقول لعثمان : « غفر الله لك ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كأنك إلى يوم القيامة » ورواه الحسن بن عرفة عن محمد بن القاسم الأسدي عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن النبي ﷺ مرسلًا . وقال ابن عدى عن أبي يعلى عن عمار بن ياسر المستملي عن إسحاق بن إبراهيم المستملي عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة : أن رسول الله ﷺ بعث إلى عثمان يستعينه في غزاة غزاهما ، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار ، فوضعها بين يديه ، فجعل يقلبها بين يديه ويدعو له : « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كأنك إلى يوم القيامة ، ما يبالي عثمان ما فعل بعدها » .

﴿ حديث آخر ﴾

وقال ليث بن أبي سليم : أول من خبص الخبيص عثمان خلط بين العسل والنتق ثم بعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أم سلمة ، فلم يصادفه ، فلما جاء وضعوه بين يديه ، فقال : من بعث هذا ؟ قالوا : عثمان : قالت : فرفع يديه إلى السماء فقال : « اللهم إن عثمان يترضاك فأرض عنه » .

﴿ حديث آخر ﴾

روى أبو يعلى عن سنان بن فروخ عن طلحة بن يزيد عن عبدة بن حسان عن عطاء الكيخاراني عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنق عثمان وقال : « أنت ولي في الدنيا وولي في الآخرة » .

﴿ حديث آخر ﴾

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة وحماد بن زيد عن الجريري عن عبد الله بن

شقيق عن عبد الله بن حوالة . قال قال رسول الله ﷺ : « تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة ، يبائع الناس » قال فهجمنا على عثمان بن عفان معتجراً ببائع الناس .

﴿ فصل في ذكر شيء من سيرته وهي دالة على فضيلته ﴾

قال ابن مسعود : لما توفي عمر بايعنا خبيرنا ولم نأل ، وفي رواية بايعوا خبيرهم ولم يألوا ، وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن أبيه عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : كان نقش خاتم عثمان آمنت بالذي خلق فسوى . وقال محمد بن المبارك بلغني أنه كان نقش خاتم عثمان آمن بالله العظيم . وقال البخاري في التاريخ : ثنا موسى بن إسماعيل ثنا مبارك بن فضالة قال سمعت الحسن يقول : أدركت عثمان على ما تقموا عليه ، قل ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً ، يقال لهم : يا معشر المسلمين اغدوا على أعطيائكم ، فيأخذونها وافرقة ، ثم يقال لهم : اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرقة ، ثم يقال لهم اغدوا على السمن والعسل ، الأ عطيات جارية ، والأرزاق دارة ، والعدو متقى ، وذات البين حسن ، والخير كثير ، وما من مؤمن يخاف مؤمناً ، ومن لقيه فهو أخوه ، قد كان من إلفته ونصيحته ومودته قد عهد إليهم أنها ستكون أثرة ، فإذا كانت فاصبروا « قال الحسن : فلو أنهم صبروا حين رأوها لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير ، قالوا : لا والله ما نصبرها ، فوالله ما وردوا وما سلموا ، والأخرى كان السيف مغمداً عن أهل الإسلام فسلوه على أنفسهم ، فوالله ما زال مسلولاً إلى يوم الناس ، وهذا وأيم الله إنني لأراه سيفاً مسلولاً إلى يوم القيامة » وقال غير واحد عن الحسن البصري قال : سمعت عثمان يأمر في خطبته بدمج الحمام وقتل الكلاب . وروى سيف ابن عمر أن أهل المدينة أخذ بعضهم الحمام ورمى بعضهم بالجلاهقات [فوكل عثمان رجلاً من بني ليث يتبع ذلك ، فيقص الحمام ويكسر الجلاهقات] ^(١) وهي قسي البندق - وقال محمد بن سعد : « أنبأنا القعني وخالد بن مخلد ثنا محمد بن هلال عن جدته - وكانت تدخل على عثمان وهو محصور - فولدت هلالاً ، فقدها يوماً فقيل له : إنها قد ولدت هذه الليلة غلاماً ، قالت : فأرسل إلى بخمسين درهماً وشقيقة سنبلانية ، وقال : هذا عطاء ابنك وكسوته ، فإذا مرت به سنة رفعناه إلى مائة » وروى الزبير ابن أبي بكر عن محمد بن سلام عن ابن بردآب ^(٢) قال : قال ابن سعيد بن يربوع بن عنكثة الخزومي : انطلقت وأنا غلام في الظهيرة ومعى طير أرسله في المسجد ، والمسجد بيننا ، فإذا شيخ جميل حسن الوجه نائم ، تحت رأسه لبنة أو بعض لبنة ، فقامت أنظر إليه أتعجب من جماله ، ففتح عينيه فقال : من أنت يا غلام ؟ فأخبرته ، فإذا غلام نائم قريباً منه فدعاه فلم يجبه ، فقال لي : ادعه ! فدعوته فأمره بشيء وقال لي : أقعد ! فذهب الغلام فجاء بحلة وجاء بألف درهم ، ونزع ثوبي وألبسني الحلة ؟ وجعل الألف

(١) سقط من الحلبية . (٢) كذا بالأصلين ولم تقف عليه .

درهم فيها ، فرجعت إلى أبي فأخبرته ؟ فقال : يا بني من فعل هذا بك ؟ قلت : لا أدري إلا أنه رجل في المسجد نائم لم أر قط أحسن منه ، قال : ذلك أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وقال عبد الرزاق عن ابن جريج : أخبرني يزيد بن خصيفة عن أبي السائب بن يزيد « أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التميمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله عن صلاة عثمان قال : نعم ! قال : قلت لأغلبن الليلة التفرد على الحجر - يعني المقام - فلما قمت فإذا رجل يرجني مقنعاً قال فالتفت فإذا بعثمان ، فأخرت عنه فصلي فإذا هو يسجد بسجود القرآن ، حتى إذا قلت هذا هو أذان الفجر أوتر بركة لم يصل غيرها ثم انطلق » . وقد روى هذا من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه . ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قال : هو عثمان بن عفان . وقال ابن عباس في قوله تعالى (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) قال : هو عثمان . وقال حسان :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

وقال سفيان بن عيينة : ثنا إسرائيل بن موسى سمعت الحسن يقول قال عثمان : لو أن قلوبنا طهرت ماشبعنا من كلام ربنا ، وإني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في المصحف ، وما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه . وقال أنس ومحمد بن سيرين : قالت امرأة عثمان يوم الدار : اقلوه أو دعوه ، فوالله لقد كان يحيى الليل بالقرآن في ركعة . وقال غير واحد : إنه رضي الله عنه كان لا يوقظ أحداً من أهله إذا قام من الليل ليعينه على وضوئه ، إلا أن يجده يقظاناً ، وكان يصوم الدهر ، وكان يعاتب فيقال : لو أيقظت بعض الخدم ؟ فيقول : لا ! الليل لهم يستريحون فيه . وكان إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه ، وهو في بيت مغلق عليه ، ولا يرفع صلبه جيداً من شدة حياته رضي الله عنه .

(فصل في ذكر شيء من خطبه)

قال الواقدي : حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي عن أبيه أن عثمان لما بويع خرج إلى الناس فخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس أول كل مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش تأتكم الخطب على وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله . وقال الحسن : خطب عثمان فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ! اتقوا الله فإن تقوى الله غنم ، وإن أكيس الناس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر ، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى ، وقد كان بصيراً ، وقد يلقى الحكيم جوامع الكلام ، والأصم ينادي من مكان بعيد ، واعلموا أن من كان الله له لم يخف شيئاً ، ومن كان الله

عليه فمن يرجو بعده . وقال مجاهد : خطب عثمان فقال : ابن آدم ! اعلم أن ملك الموت الذي وكل بك لم يزل يخلفك و يتخطى إلى غيرك منذ أنت في الدنيا ، وكأنه قد تخطى غيرك إليك ، وقصدك ، فخذ حذرَكَ ، واستعدله ، ولا تفعل فانه لا يفعل عنك ، واعلم ابن آدم إن غفلت عن نفسك ولم تستعد لها لم يستعد لها غيرك ، ولا بد من لقاء الله ، فخذ لنفسك ولا تكلفها إلى غيرك والسلام . وقال سيف بن عمر عن بدر بن عثمان عن عمه . قال : آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة « إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ، إن الدنيا تفتني وإن الآخرة تبقى ، لا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، وآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فان الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله فان تقواه الجنة من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) إلى آخر الآيتين *

فصل

قال الامام أحمد : حدثنا هشيم ، ثنا محمد بن قيس الأسدي عن موسى بن طلحة . قال : سمعت عثمان بن عفان وهو على المنبر والمؤذن يقيم الصلاة وهو يستخير الناس يسألهم عن أخبارهم ، وأسفارهم . وقال أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ثنا يونس - يعني ابن عبيد - حدثني عطاء بن فروخ مولى القرشيين أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطلها عليه فلقيه فقال : ما منعك من قبض مالك ؟ قال : إنك غبتني ، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني ، قال : أذلك يمنعك ؟ قال : نعم ! قال : فاختر بين أرضك ومالك ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ : « أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً وقاضياً ومقتضياً » . وروى ابن جرير أن طلحة لقي عثمان وهو خارج إلى المسجد فقال له طلحة : إن الخمسين ألفاً التي لك عندي قد حصلت فأرسل من يقبضها ، فقال له عثمان : إنا قد وهبنا كما لمروءتك . وقال الأصمعي : استعمل ابن عامر قطن بن عوف الهلالي على كرمان ، فأقبل جيش من المسلمين - أربعة آلاف - وجرى الوادي فقطعهم عن طريقهم ، وخشى قطن الفوت فقال : من جاز الوادي فله ألف درهم ، فحملوا أنفسهم على العظم ، فكان إذا جاز الرجل منهم قال قطن : اعطوه جائزته ، حتى جازوا جميعاً وأعطاهم أربعة آلاف ألف درهم ، فأبى ابن عامر أن يحسبها له ، فكتب بذلك إلى عثمان بن عفان ، فكتب عثمان : أن احسبها له ، فانه إنما أعان المسلمين في سبيل الله فمن ذلك اليوم سميت الجواز لاجازة الوادي ، فقال الكناني في ذلك :

فدى للأكرمين بني هلال * على علانهم أهلي ومالي

هموا سنوا الجوائز في معدن * فعادت سنة أخرى الليالي
رماهم تزييد على ثمان * وعشر قبل تركيب النصال

فصل

ومن مناقبه الكبار وحسناته العظيمة أنه جمع الناس على قراءة واحدة ، وكتب المصحف على
العرضة الأخيرة ، التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ في آخر سني حياته ، وكان سبب ذلك أن
حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات ، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ، ممن يقرأ على قراءة
المتداد بن الأسود ، وأبي الدرداء ، وجماعة من أهل العراق ، ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود ،
وأبي موسى ، وجعل من لا يعلم بسوغان القراءة على سبعة أحرف ، يفضل قراءته على قراءة غيره ، وربما
خطأ الآخر أو كفره ، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد ، وانتشار في الكلام السني بين الناس ، فركب
حذيفة إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود
والنصارى في كتبهم . وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة ، فعند ذلك جمع عثمان الصحابة
وشاورهم في ذلك ، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد ، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على
القراءة به ، دون ما سواه ، لما رأى في ذلك من مصلحة كف المنازعة ، ودفع الاختلاف ، فاستدعى
بالمصحف التي كان الصديق أمر زيد بن ثابت بجمعها ، فكانت عند الصديق أيام حياته ، ثم كانت
عند عمر ، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين ، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت
الأَنْصَارِيَّ أن يكتب وأن يعلى عليه سعيد بن العاص الأموي ، بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي
وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام الحزومي ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه ببلغة قريش ،
فكتب لأهل الشام مصحفاً ، ولأهل مصر آخر ، وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر ،
وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله ، وأقر بالمدينة مصحفاً . ويقال لهذه المصاحف الأئمة ،
وليس كلها بخط عثمان ، بل ولا واحد منها ، وإنما هي بخط زيد بن ثابت ، وإنما يقال لها المصاحف
العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه ، وإمارته ، كما يقال دينار هرقل ، أي ضرب في زمانه ودولته . قال
الواقدي : حدثنا ابن أبي سبرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة . ورواه غيره من
وجه آخر عن أبي هريرة قال : « لما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال : أصبت ووقفت ،
أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أشد أمتي حياءً لي قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم
يروني ، يعملون بما في الورق المعلق » فقلت : أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ، قال : فأعجب
ذلك عثمان وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف ، وقال : والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبينا

ﷺ ، ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فخرقه ، لئلا يقع بسببه
اختلاف ، فقال أبو بكر بن أبي داود - في كتاب المصاحف - حدثنا محمد بن يسار ثنا محمد بن جعفر
وعبد الرحمن قالا : ثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال : قال لي علي
حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعتة « وهكذا رواه أبو داود الطيالسي وعمر بن
مرزوق عن شعبة مثله ، وقد رواه البيهقي وغيره من حديث محمد بن أبان - زوج أخت حسين -
عن علقمة بن مرثد قال : سمعت العيزار بن جرول سمعت سويد بن غفلة قال : « قال علي : أيها
الناس ! إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف ، والله ما حرقها إلا عن ملامن أصحاب محمد
ﷺ ، ولو وليت مثل ما ولي لفعلت مثل الذي فعل » وقد روى عن ابن مسعود أنه تعجب لما
أخذ منه مصحفه فخرق ، وتكلم في تقدم إسلامه على زيد بن ثابت الذي كتب المصاحف ، وأمر
أصحابه أن يفلوا مصاحفهم ، وتلا قوله تعالى (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة) فكتب إليه عثمان
رضي الله عنه يدعو إلى اتباع الصحابة فيما أجمعوا عليه من المصلحة في ذلك ، وجمع الكلمة ، وعدم
الاختلاف ، فأجاب وأجاب إلى المتابعة وترك المخالفة رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله بن مسعود دخل مسجد منى فقال :
كم صلى أمير المؤمنين الظهر ؟ قالوا : أربعاً ، فصلى ابن مسعود أربعاً فقالوا : ألم تحدثنا أن رسول الله
ﷺ وأبا بكر وعمر صلوا ركعتين ؟ فقال : نعم ! وأنا أحدثكموه الآن ، ولكني أكره الاختلاف . وفي
الصحيح أن ابن مسعود قال : لبت حظي من أربع ركعات ركعتين متقبلتين . وقال الأعمش : حدثني
معاوية بن قرة - بواسط - عن أشياخه قالوا : صلى عثمان الظهر بمضى أربعاً فبلغ ذلك ابن مسعود فغاب
عليه ، ثم صلى بأصحابه العصر في رحله أربعاً ، فقيل له : عتبت على عثمان وصليت أربعاً ؟ فقال : إني
أكره الخلاف . وفي رواية الخلاف شر فإذا كان هذا متابعاً من ابن مسعود إلى عثمان في هذا الفرع
فكيف يتابعه إياه في أصل القرآن ؟ والافتداء به في التلاوة التي عزم على الناس أن يقرأوا بها
لا بغيرها ؟ وقد حكى الزهري وغيره أن عثمان إنما أتم خشية على الأعراب أن يعتقدوا أن فرض
الصلاة ركعتان ، وقيل بل قد تأهل بمكة ، فروى يعلى وغيره من حديث عكرمة بن إبراهيم حدثني
عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ذباب عن أبيه أن عثمان صلى بهم بمضى أربع ركعات ،
ثم أقبل عليهم فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا تزوج الرجل ببلد فهو من أهله »
وإني أتيت لأني تزوجت بها منذ قدمتها . وهذا الحديث لا يصح ، وقد تزوج رسول الله ﷺ في
عمرة القضاء بميمونة بنت الحارث ولم يتم الصلاة ، وقد قيل إن عثمان تأول أنه أمير المؤمنين حيث
كان [وهكذا تأولت عائشة فأتمت ، وفي هذا التأويل نظر ، فإن رسول الله ﷺ هو رسول الله

حيث كان ، ومع هذا ما أتم الصلاة في الأُسفار . ومما كان يعتمد عليه عثمان بن عفان أنه كان ^(١) يلزم عماله بحضور الموسم كل عام ، ويكتب إلى الرعايا : من كانت له عند أحد منهم مظالم فليواف إلى الموسم فاني آخذ له حقه من عامه ، وكان عثمان قد سمح لكثير من كبار الصحابة في المسير حيث شاءوا من البلاد ، وكان عمر يحجر عليهم في ذلك ، حتى ولا في الغزو ، ويقول : إني أخاف أن تروا الدنيا وأن يراكم أبناؤها ، فلما خرجوا في زمان عثمان اجتمع عليهم الناس ، وصار لكل واحد أصحاب ، وطعم كل قوم في تولية صاحبهم الامارة العامة بعد عثمان ، فاستعجلوا موته ، واستطالوا حياته ، حتى وقع ما وقع من بهض أهل الأمصار ، كما تقدم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ، العلي العظيم .

﴿ ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم ﴾

تزوج برقية بنت رسول الله ﷺ فولد له منها عبد الله ، وبه كان يكنى ، بعد ما كان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو ، ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم ، ثم توفيت فتزوج وفاخته بنت غزوان بن جابر ، فولد له منها عبيد الله الأصغر ، وتزوج بأم عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدي ، فولدت له عمراً ، وخالداً ، وأباناً ، وعمر . ومريم ، وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية ، فولدت له الوليد وسعيداً . وتزوج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفرزانية ، فولدت له عبد الملك ، ويقال وعتبة ، وتزوج رملة بنت شيبه بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو ، بنات عثمان . وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن ابن ضمضم بن عدى بن خباب بن كليب ، فولدت له مریم ، ويقال وعنبسة . وقتل رضي الله عنه وعنده أربع نائلة ، ورملة ، وأم البنين ، وفاخته . ويقال إنه طلق أم البنين وهو محصور .

فصل

تقدم في دلائل النبوة الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث سفيان الثوري عن منصور عن ربي عن البراء بن ناجية الكاهلي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال قال رسول الله ﷺ : « إن رحا الاسلام ستدور لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ، فان تهلك فسبيل ما هلك وإن يتم لهم دينهم يتم لهم سبعين عاماً قال : فقال عمر يا رسول الله أبا ماضي أم بما بقي ؟ قال : بل بما بقي » وفي لفظ له ولأبي داود « تدور رحا الاسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين » الحديث . وكان هذا الشك من الراوي ، والمحفوظ في نفس الأمر خمس وثلاثين ، فان فيها قتل أمير المؤمنين

(١) سقط من المصرية .

عثمان على الصحيح ، وقيل ست وثلاثين ، والصحيح الأول وكانت أمور شنيعة ولكن الله سلم ووفى بحوله وقوته فلم يكن بأسرع من أن بايع الناس على بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانتظم الأمر ، واجتمع الشمل ، ولكن جرت بعد ذلك أمور في يوم الجمل وأيام صفين على ما سنبينه إن شاء الله تعالى .

فصل

(في ذكر من توفي في زمان دولة عثمان ممن لا يعرف وقت وفاته على التعيين على ما ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي وغيره)

أنس بن معاذ بن أنس بن قيس الأنصاري النجاري ، ويقال له أنيس أيضاً ، شهد المشاهد كلها رضي الله عنه .

أوس بن الصامت ، أخو عبادة بن الصامت الأنصاريان ، شهد بدرآ ، وأوس هو زوج المجادلة المذكور في قوله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) وامرأته خولة بنت ثعلبة .

أوس بن خولى الأنصاري من بني الحلبى ، شهد بدرآ ، وهو المنفرد من بين الأنصار بحضور غسل النبي ﷺ ، والنزول مع أهله في قبره ، عليه الصلاة والسلام .

الحر بن قيس ، كان سيداً في الأنصار ، ولكن كان بخيلاً ومتهماً بالنفاق ، يقال إنه شهد بيعة الرضوان فلم يبايع ، واستتر ببعير له ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى (ومنهم من يقول ائذنى لى ولا تفتنى ألا في الفتنة سقطوا) الآية . وقد قيل إنه تاب وأقلم فأنه أعلم .

الخطيئة الشاعر المشهور . قيل اسمه جرول ويكنى بأبي مليكة ، من بني عبيس ، أدرك أيام الجاهلية ، وأدرك صدرآ من الاسلام ، وكان يطوف في الآفاق يمدح الرؤساء من الناس ، ويستجديهم ويقال كان بخيلاً مع ذلك ، سافر مرة فودع امرأته فقال لها :

عدى السنين إذا خرجت لغيبة * ودعى الشهور فانهم قصار

[وكان مداحاً هجاء ، وله شعر جيد ، ومن شعره ما قاله بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاد منه قوله :

من يفعل الخير لم يعدم جوائز * لا يذهب العرف بين الله والناس] ^(١)

خبيب بن يساف بن عتبة الأنصاري أحد من شهد بدرآ * سامان بن ربيعة الباهلي ، يقال له صحبة ، كان من الشجعان الأبطال المذكورين ، والفرسان المشهورين ، ولاء عمر قضاء الكوفة ، ثم

(١) سقط من الحلبية .

ولى في زمن عثمان إمرة على قتال الترك ، فقتل بعلمنجر ، فقبيره هناك في تابوت يستسقى به الترك إذا قحطوا * عبد الله بن حذافة بن قيس القرشي السهمي ، هاجر هو وأخوه قيس إلى الحبشة ، وكان من سادات الصحابة ، وهو القائل : يا رسول الله من أبي ؟ - وكان إذا لاحى الرجال دعى لغير أبيه - فقال : أبوك حذافة ، وكان رسول الله ﷺ [أرسله إلى كسرى فدفن كتابه إلى عظيم بصرى فبعث معه من يوصله] (١) إلى هرقل كما تقدم ، وقد أسرته الروم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في جملة ثمانين من المسلمين ، فأرادوه على الكفر فأبى عليهم ، فقال له الملك : قبل رأسي وأنا أطلقك ومن معك من المسلمين ، فقبل رأسه [فأطلقهم ، فلما قدم على عمر قال له : حق على كل مسلم أن يقبل رأسك ، ثم قام عمر فقبل رأسه] (٢) قبل الناس رضي الله عنه * عبد الله بن سراقبة بن المعتز ، العدوي صحابي أحدي ، وزعم الزهري أنه شهد بدرًا فأنه أعلم * [عبد الله بن قيس بن خالد الأنصاري ، شهد بدرًا *] (٣) عبد الرحمن بن سهل بن زيد الأنصاري الحارثي ، شهد أحدًا وما بعدها ، وقال ابن عبد البر شهد بدرًا ، استعمله عمر على البصرة بعد موت عتبة بن غزوان ، وقد نهشته حية فرماه عمارة بن حزم ، وهو القائل لأبي بكر - وقد جاءت جندتان فأعطى السدس أم الأم وترك الأخرى وهي أم الأب - فقال له : أعطيت التي لومات لم يرهنها ، وتركت التي لومات لوزنها ، فترك بينهما * عمرو بن سراقبة بن المعتز العدوي أخو عبد الله بن سراقبة ، وهو بدرى كبير ، روى أنه جاع مرة فربط حجرًا على بطنه من شدة الجوع ، ومشى يومه ذلك إلى الليل ، فأضافه قوم من العرب ومن معه ، فلما شبع قال لأصحابه : كنت أحسب الرجلين يحملان البطن ، فإذا البطن يحمل الرجلين .

عمير (٤) بن سعد الأنصاري الأوسي ، صحابي جليل القدر ، كبير المحل كان يقال له نسيج وحده ، لكثرة زهادته وعبادته ، شهد فتح الشام مع أبي عبيدة ، وناب بجمص وبدمشق أيضًا في زمان عمر ، فلما كانت خلافة عثمان عزله وولى معاوية الشام بكاله ، وله أخبار يطول ذكرها * عروة بن حزام أبو سعيد العدوي ، كان شاعرًا مفرمًا في ابنة عم له ، وهي عفراء بنت مهاجر ، يقول فيها الشعر واشتهر بحبها ، فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام ، فتيبهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره ، وزوجها بابن عمها الآخر ، فهلك عروة هذا في محبتها ، وهو المذكور في كتاب مصارع العشاق ، ومن شعره فيها قوله :

وما هي إلا أن أراها فجاءة * فأبتهت حتى ما أكاد أجي

وأصرف عن رأبي الذي كنت أرتأى * وأنسى الذي أعددت حين تغي

قطبة بن عامر أبو زيد الأنصاري عقي بدرى * قيس بن مهدي بن قيس بن ثعلبة الأنصاري

(١) - (٣) سقط من الحلبية . (٤) كذا في الحلبية والاصابة وفي المصرية : عمرو بن سعد .

النجاري ، له حديث في الركعتين قبل الفجر ، وزعم ابن مالك أنه شهد بدرًا ، قال مصعب الزبيري : هو جد يحيى بن سعيد الأنصاري ، وقال الأكترون : بل هو جد أبي مرير عبد الغفار ابن القاسم الكوفي فأنه أعلم * لبديد بن ربيعة أبو عقيل العامري الشاعر المشهور . صح أن رسول الله ﷺ قال : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبديد . »

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وتعام البيت : وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان بن مظعون : إلا نعيم الجنة ، وقد قيل إنه توفي سنة إحدى وأربعين فأنه أعلم * المسيب بن حزن بن أبي وهب الخزومي ، شهد بيعة الرضوان وهو والد سعيد بن المسيب سيد التابعين * معاذ بن عمرو بن الجوح الأنصاري شهد بدرًا ، وضرب يومئذ أبا جهل بسيفه فقطع رجله ، وحمل عكرمة بن أبي جهل على معاذ هذا فضربه بالسيف فحل يده من كتفه ، فقاتل بقية يومه وهي معلقة يسحبها خلفه ، قال معاذ : فلما انتهيت وضعت قدمي عليها ثم تخطأت عليها حتى طرحتها * محمد بن جعفر بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي ، ولد لأبيه وهو بالحبشة ، فلما هاجر إلى المدينة سنة خيبر ، وتوفي يوم مؤتة شهيدًا ، جاء رسول الله ﷺ إلى منزله فقال لأهم أسماء بنت عميس : « يا ليتني بيني وأخي ، فبني بهم كأنهم أفرخ فجعل يقبلهم ويشمهم ويبكي ، فبكت أمهم فقال أتخافين عليهم العيلة وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ ثم أمر الخلاق فخلق رؤسهم » وقد مات محمد وهو شاب في أيام عثمان كما ذكرنا ، وزعم ابن عبد البر أنه توفي في تستر فأنه أعلم * معبد بن العباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله ﷺ ، قتل شابًا بأفريقية من بلاد المغرب * معيقب بن أبي فاطمة الدوسي ، صاحب خاتم النبي ﷺ ، قيل توفي في أيام عثمان ، وقيل قبل ذلك ، وقيل سنة أربعين والله أعلم * منقذ بن عمرو الأنصاري ، أحد بني مازن بن النجار . كان قد أصابته آفة في رأسه فكسرت لسانه ، وضعف عقله ، وكان يكثر من البيع والشراء ، فقال له النبي ﷺ : « من بايعت فقل لا خلافة ، ثم أنت بالخيار في كل ما تشتره ثلاثة أيام » قال الشافعي : كان مخصصًا بأثبات الخيار ثلاثة في كل بيع ، سواء اشترط الخيار أم لا * نعيم بن مسعود ، أبو سلمة الغطفاني ، وهو الذي خذل بين الأحزاب وبين بني قريظة كما قدمناه ، فله بذلك اليد البيضاء ، والراية العليا * أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي ، الشاعر ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد موت النبي ﷺ ، وشهد يوم السقيفة وصلى على النبي ﷺ ، وكان أشعر هذيل ، وهذيل أشعر العرب وهو القائل :

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفت كل تميم لا تنفع

وتجلى للشامتين أريهم * أني لرب الدهر لا أنضع

توفي غازيا بأفريقية في خلافة عثمان * أبو رهم سيرة بن أبي بن عبد العزى القرشي الشاعر ذكره

في هذا الفصل محمد بن سعد وحده * أبو زبيد الطائي ، الشاعر ، اسمه حرمة بن المنذر وكان يجالس الوليد بن عقبة فأدخله على عثمان فاستنشدته شيئاً من شعره فأثنى عليه قصيدة له في الأسد بديعة ، فقال له عثمان : تفنأ تذكر الأسد ما حيتت ؟ إني لأحسبك جباناً نصرانياً * أبو سبرة بن أبي رهم العامري ، أخو أبي سلمة بن عبد الأسد ، أمهما برة بنت عبد المطلب ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا وما بعدها ، قال الزبير : لا نعلم بدرياً سكن مكة بعد النبي ﷺ سواه ، قال : وأهله يدر في ذلك * أبو لبابة بن عبد المنذر أحد نقباء ليلة العقبة ، وقيل إنه توفي في خلافة علي والله أعلم * أبو هاشم بن عتبة تقدم وفاته في سنة إحدى وعشرين ، وقيل في خلافة عثمان والله أعلم .

✽ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ✽

✽ ولذكراً شيئاً من ترجمته على سبيل الاختصار قبل ذلك ✽

هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبه بن هاشم واسمه عمرو ابن عبد مناف ، واسمه المغيرة ، بن قصي ، واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو الحسن والحسين ، ويكنى بأبي تراب ، وأبي القاسم الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وختنه علي ابنته فاطمة الزهراء . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، ويقال إنها أول هاشمية ولدت هاشمياً . وكان له من الأخوة طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وكانوا أكبر منه ، وبين كل واحد منهم وبين الآخر عشر سنين ، وله أختان ، أم هانئ وجمانة ، وكلهم من فاطمة بنت أسد ، وقد أسلمت وهاجرت * كان علي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، وكان ممن توفي ورسول الله ﷺ راض عنهم وكان رابع الخلفاء الراشدين وكان رجلاً آدم شديد الأدمة أشكل العينين عظيمهما ، ذو بطن ، أصلع ، وهو إلى القصر أقرب وكان عظيم اللحية ، قد ملأت صدره ومنكبيه ، أبيضها ، وكان كثير شعر الصدر والكتفين ، حسن الوجه ، ضحوك السن ، خفيف المشي على الأرض * أسلم علي قديماً ، وهو ابن سبع وقيل ابن ثمان ، وقيل تسع ، وقيل عشر ، وقيل أحد عشر ، وقيل إثني عشر ، وقيل ثلاثة عشر ، وقيل أربع عشرة ، وقيل ابن خمس عشرة ، أو ست عشرة سنة قاله عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن ، ويقال إنه أول من أسلم [والصحيح أنه أول من أسلم] (١) من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلمت من النساء ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وكان سبب إسلام علي صغيراً أنه كان في كفالة رسول الله ﷺ ، لأنه كان قد أصابتهم سنة مجاعة ، فأخذته من أبيه ، فكان عنده ، فلما

(١) زيادة من المصرية .

بعثه الله بالحق آمنت خديجة وأهل البيت ومن جملتهم علي ، وكان الإيمان النافع المتعدي نفعه إلى الناس إيمان الصديق رضي الله عنه . وقد ورد عن علي أنه قال أنا أول من أسلم ولا يصح إسناده إليه . وقد روى في هذا المعنى أحاديث أوردها ابن عساكر كثيرة منكورة لا يصح شيء منها والله أعلم . وقد روى الامام أحمد من حديث شعبة عن عمرو بن مرة سمعت أبا حمزة - رجلاً من موالى الأنصار - قال سمعت زيد بن أرقم يقول : أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي * وفي رواية أول من صلى . قال عمرو : فذكرت ذلك للنخعي فأنكره ، وقال أبو بكر : أول من أسلم * وقال محمد بن كعب القرظي : أول من آمن من النساء خديجة وأول رجلين آمننا أبو بكر وعلي ولكن كان أبو بكر يظهر إيمانه وعلي يكتُم إيمانه ، قلت : يعني خوفاً من أبيه ، ثم أمره أبوه بمتابعة ابن عمه ونصرته ، وهاجر علي بعد خروج رسول الله ﷺ من مكة وكان قد أمره بقضاء ديونه ورد ودائعه ، ثم يلحق به ، فامتل ما أمره به ، ثم هاجر ، وأخى النبي ﷺ بينه وبين سهل بن حنيف ، وذكر ابن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازي أن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين نفسه ، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها ، وركعة بعض متونها ، فإن في بعضها « أنت أخي ووارثي وخليفتي وخير من أمر بعدي » وهذا الحديث موضوع مخالف لما ثبت في الصحيحين وغيرهما والله أعلم * وقد شهد علي بدرًا وكانت له اليد البيضاء فيها ، بارز يومئذ فغلب وظهر وفيه وفي عمه حمزة وابن عمه عبيدة ابن الحارث وخصومهم الثلاثة - عتبة وشيبة والوليد بن عتبة - نزل قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) الآية . وقال الحكم وغيره عن مقسم عن ابن عباس قال : « دفع النبي ﷺ الراية يوم بدر إلى علي وهو ابن عشرين سنة » وقال الحسن بن عرفة : حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال : نادى مناد في السماء يوم بدر يقال له رضوان لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . قال ابن عساكر وهذا مرسل وإنما تنقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه من علي بعد ذلك وقال يونس بن بكير عن مسعر عن أبي عوف عن أبي صالح عن علي قال : قيل لي يوم بدر ولأبي بكر قيل لأحدنا معك جبريل ومع الآخر ميكائيل قال وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ولا يقاتل ويكون في الصف . وشهد علي أحداً وكان على الميمنة ومعه الراية بعد مصعب ابن عمير ، وعلي الميسرة المنذر بن عمرو الأنصاري ، وحمزة بن عبد المطلب ، علي القلب وعلي الرجلان الزبير بن العوام ، وقيل المقداد بن الأسود ، وقد قاتل علي يوم أحد قتالاً شديداً ، وقتل خلقاً كثيراً من المشركين ، وغسل عن وجه النبي ﷺ الدم الذي كان أصابه من الجراح حين شج في وجهه وكسرت رباغيته وشهد يوم الخندق فقتل يومئذ فارس العرب ، وأحد شجعانهم المشاهير ، عمرو ابن عبدود العامري ، كما قدمنا ذلك في غزوة الخندق ، وشهد الحديدية وبيعة الرضوان ، وشهد خيبر

وكانت له بها مواقف هائلة ، ومشاهد طائلة ، منها أن رسول الله ﷺ قال : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » فبات الناس يذكرون أيهم يعطاها ، فدعا علياً - وكان أرمداً - فدعا له ، وبصق في عينه فلم يرمد بعدها ، فبرأ وأعطاه الراية ، ففتح الله على يديه ، وقتل مرجبا اليهودي

وذكر محمد بن إسحاق عن عبد الله بن حسن عن بعض أهله عن أبي رافع أن يهودياً ضرب علياً فطرح ترسه ، فتناول بابا عند الحصن فتترس به ، فلم يزل في يده حتى فتح الله على يديه ثم ألقاه من يده ، قال أبو رافع : فلقد رأيتني أنا وسبعة معي نجتهد أن نقلب ذلك الباب على ظهره يوم خيبر فلم نستطع . وقال ليث عن أبي جعفر عن جابر أن علياً حمل الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعده المسلمون عليه ففتحوها ، فلم يحموه إلا أربعون رجلاً * ومنها أنه قتل مرجبا فارس يهود وشجعانهم * وشهد على عمرة القضاء وفيها قال له النبي ﷺ : « أنت مني ، وأنا منك » وما يذكره كثير من القصاص في مقاتلته الجن في بئر ذات العلم - وهو بئر قريب من الجحفة - فلا أصل له ، وهو من وضع الجهلة من الأخباريين فلا يفتخر به . وشهد الفتح وحنينا والطائف ، وقاتل في هذه المشاهد قتلاً كثيراً ، واعتمر من الجعرانة مع رسول الله ﷺ [ولما خرج رسول الله ﷺ] (١) إلى تبوك واستخلفه على المدينة ، قال له : يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال : « ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » ويعتد رسول الله ﷺ أميراً وحاكماً على اليمن ، ومعه خالد ابن الوليد ، ثم وافى رسول الله ﷺ عام حجة الوداع ، إلى مكة ، وساق معه هدياً ، وأهل كاهلال النبي ﷺ ، فأشركه في هديه ، واستمر على إحرامه ، [ونحراً هديهما بعد فراغ نسكهما كما تقدم] (٢) ولما مرض رسول الله ﷺ قال له العباس : سل رسول الله ﷺ فيمن الأمر بعده ؟ فقال : والله لا أسأله فإنه إن منعها لا يعطيناها الناس بعده أبداً ، والأحاديث الصحيحة الصريحة دالة على أن رسول الله ﷺ لم يوص إليه ولا إلى غيره بالخلافة ، بل لوح بذكر الصديق ، وأشار إشارة مفهومة ظاهرة جداً إليه ، كما قدمنا ذلك والله الحمد .

وأما ما يفتخر به كثير من جهلة الشيعة والقصاص الاغبياء ، من أنه أوصى إلى علي بالخلافة ، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير ، من تخوين الصحابة وممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصى إليه ، وصرهفهم إياها إلى غيره ، لا لعني ولا لسبب ، وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الاسلام هو الحق ، يعلم بطلان هذا الافتراء ، لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء ، وهم خير قرون هذه الأمة ، التي هي أشرف الأمم بنص القرآن ، وإجماع

(١) و (٢) سقط من الحلبية .

السلف والخلف ، في الدنيا والآخرة ، والله الحمد . وما قد يقصه بعض القصاص من العوام وغيرهم في الأسواق وغيرها من الوصية لعلي في الآداب والأخلاق في المأكل والمشرب والملبس ، مثل ما يقولون : يا علي لا تغم وأنت قاعد ، يا علي لا تلبس سراويلك وأنت قائم ، يا علي لا تمسك عضادتي الباب ، ولا تجلس على أسكفة الباب ، ولا تخط ثوبك وهو عليك ، ونحو ذلك ، كل ذلك من الهذيان فلا أصل لشيء منه ، بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة ، ولا يعمل على ذلك ويفتخر به إلا غبي عبي . ثم لما مات رسول الله ﷺ كان على من جملة من غسله وكفنه وولى دفنه كما تقدم ذلك مفصلاً والله الحمد والمنة ، وسيأتي في باب فضائله ذكر تزويج رسول الله ﷺ له من فاطمة بعد وقعة بدر فولد له منها حسن وحسين ومحسن كما قدمنا . وقد وردت أحاديث في ذلك لا يخرج شيء منها بل أكثرها من وضع الروافض والقصاص . ولما بويج الصديق يوم السقيفة كان على من جملة من بايع بالمسجد كما قدمنا . وكان بين يدي الصديق كغيره من أمراء الصحابة يرى طاعته فرضاً عليه ، وأحب الأشياء إليه ، ولما توفيت فاطمة بعد ستة أشهر - وكانت قد تعضبت بعض الشيء على أبي بكر بسبب الميراث الذي فاتها من أبيها عليه السلام ، ولم تكن اطلعت على النص المختص بالأنبياء وأنهم لا يورثون ، فلما بلغها سألت أبا بكر أن يكون زوجها ناظراً على هذه الصدقة ، فأبى ذلك عليها ، فبقى في نفسها شيء كما قدمنا ، واحتاج على أن يداريها بعض المداراة - فلما توفيت جدد البيعة مع الصديق رضي الله عنهما ، فلما توفي أبو بكر وقام عمر في الخلافة بوصية أبي بكر إليه بذلك ، كان على من جملة من بايعه ، وكان معه يشاوره في الأمور ، ويقال إنه استقضاه في أيام خلافته ، وقدم معه من جملة سادات أمراء الصحابة إلى الشام ، وشهد خطبته بالجابية ، فلما طعن عمر وجعل الأمر شورى في ستة أدهم على ، ثم خلص منهم بعثمان وعلي كما قدمنا ، فقدم عثمان على علي ، فسمع وأطاع ، فلما قتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمسة وثلاثين على المشهور .

عدل الناس إلى علي فبايعوه ، قبل أن يدفن عثمان ، وقيل بعد دفنه كما تقدم ، وقد امتنع على من إجابتهم إلى قبول الامارة حتى تكرر قولهم له وفرز منهم إلى حائط بني عمرو بن مبدول ، وأغلق بابهم فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجاءوا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاءه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب .

﴿ ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة ﴾

يقال إن أول من بايعه طلحة بيسه اليمنى وكانت شلاء من يوم أحد - لما وقى بها رسول الله ﷺ - فقال بعض التوم : والله إن هذا الأمر لا يتم ، وخرج على المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وعمامة خز ونعلاه في يده ، يتوكأ على قوسه ، فبايعه عامة الناس ، وذلك يوم السبت التاسع عشر

من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، ويقال إن طلحة والزبير إنما بايعاه بعد أن طلبهما وسألاه أن يؤمرهما على البصرة والكوفة ، فقال لهما : بل تكونا عندي أستأنس بكما ، ومن الناس من يزعم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار ، منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ومسلمة بن مخلد ، وأبو سعيد ، ومحمد بن مسلمة ، والنعمان بن بشير ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن خديج ، وفضالة بن عبيد ، وكعب بن عجرة . ذكره ابن جرير من طريق المدائني عن شيخ من بني هاشم عن عبد الله بن الحسن قال المدائني : حدثني من سمع الزهري يقول : هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا علياً ، ولم يبايعه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن سلام ، والمغيرة بن شعبة ، وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام . وقال الواقدي : بايع الناس علياً بالمدينة ، وتربص سبعة نفر لم يبايعوا ، منهم ابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، وصهيب ، وزيد بن ثابت ، ومحمد بن أبي مسلمة ، ومسلمة بن سلامة بن رقش ، وأسامة بن زيد ، ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم . وذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب ، يلتبسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم لا تولى أحداً من هؤلاء الثلاثة ، ففضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا : إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم ، ثم راحوا إلى ابن عمر فأبى عليهم ، فخاروا في أمرهم ، ثم قالوا : إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا إلى علي فألحوا عليه ، وأخذ الأشر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وأهل الكوفة يقولون : أول من بايعه الاشتهر النخعي وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذى الحجة ، وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك ، وكلهم يقول : لا يصلح لها إلا علي ، فلما كان يوم الجمعة وصعد على المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمر ، وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء ، فقال قائل : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم الزبير ، ثم قال الزبير : إنما بايعت علياً والليح على عنق والسلام ، ثم راح إلى مكة فأقام أربعة أشهر ، وكانت هذه البيعة يوم الجمعة خمسة بقين من ذى الحجة ، وكان أول خطبة خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله تعالى أنزل كتاباً هادياً بين فيه الخير والشر ، تغذوا بالخير وودعوا الشر ، إن الله حرم حراماً مجمولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق ، لا يحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب ، بادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فإن الناس أمامكم ، وإنما خلفكم الساعة تحذو بكم فتخففوا تلحقوا ، فانما ينتظر بالناس أخراهم ، اتقوا الله عباده في عباده وبلادهم ، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ، ثم أطيعوا الله ولا تعصوه ،

وإذا رأيتم الخير تغذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) الآية ، فلما فرغ من خطبته قال المصريون :

خذها إليك واحذرن أبا الحسن * إنا نأمر الأمر إمرار الرسن
صولة آساد كآساد السفن * بمشرفيات كغدران اللبن
ونظمن الملك بدين كالشطن * حتى يمرن على غير عنن

فقال على مجيباً لهم !

إني عجزت عجرة لا أعتذر * سوف أكيس بعدها وأستمر
أرفع من ذيلي ما كنت أجز * وأجمع الأمر الشيت المنتشر
إن لم يشاغبني العجول المنتصر * أو يتركوني والسلاح يتندر

وكان على الكوفة أبو موسى الأشعري على الصلاة وعلى الحرب القعقاع بن عمرو وعلى الخراج جابر بن فلان المزني ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وقد تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة ، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان ، ونوابه على حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنسرين حبيب بن سلمة ، وعلى الأردن أبو الأعمور ، وعلى فلسطين حكيم بن علقمة ، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس ، وعلى قرقيسيا جبر بن عبد الله البجلي ، وعلى حلوان عتيبة بن النحاس ، وعلى قيسارية مالك بن حبيب ، وعلى همدان حبيش . هذا ما ذكره ابن جرير من نواب عثمان الذين توفى وهم نواب الأمصار ، وكان على بيت المال عقبة بن عمرو ، وعلى قضاء المدينة زيد بن ثابت ، ولما قتل عثمان بن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قبيص عثمان مضمخ بدمه ، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين حاجفت عنه بيدها ، فقطعت مع بعض الكف فورد به على معاوية بالشام ، فوضه معاوية على المنبر ليراه الناس ، وعلق الأصابع في كم القميص ، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه ، فتباكى الناس حول المنبر ، وجعل القميص يرفع تارة ويضع تارة ، والناس يتباكون حوله سنة ، ويحث بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره ، واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام ، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان ، ممن قتله من أولئك الخوارج : منهم عبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبو أمامة ، وعمرو بن عتبسة وغيرهم من الصحابة ، ومن التابعين : شريك بن حباشة ، وأبو مسلم الخولاني ، وعبد الرحمن بن غنم ، وغيرهم من التابعين . ولما استقر أمر البيعة على دخل عليه طلحة والزبير ورؤس الصحابة رضوا الله عنهم ، وطلبوا منه إقامة الحدود ، والأخذ بدم عثمان . فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا ، فطلب منه الزبير أن يوليه

إمرة الكوفة ليأتيه بالجنود ، وطلب منه طلحة أن يوليه إمرة البصرة ، ليأتيه منها بالجنود ليقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج ، وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان رضي الله عنه ، فقال لها : مهلاً علي ، حتى أنظر في هذا الأمر . ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له : إني أرى أن تقر عمالك على البلاد ، فإذا أتت طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت ، ثم جاءه من الغد فقال له : إني أرى أن تعزلهم لتعلم من يطيعك ممن يعصيك ، فعرض ذلك على علي بن عباس فقال : لقد نصحتك بالأمس وغشك اليوم ، فبلغ ذلك المغيرة فقال : نعم نصحتك فلما لم يقبل غشسته ثم خرج المغيرة فلحق بمكة ، ولحقه جماعة منهم طلحة والزبير : وكانوا قد استأذنوا علياً في الاعتراف فأذن لهم ، ثم إن ابن عباس أشار على علي باستمرار نوابه في البلاد ، إلى أن يتمكن الأمر ، وأن يقر معاوية خصوصاً على الشام وقال له : إني أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك بدم عثمان ولا آمن طلحة والزبير أن يتكأما عليك بسبب ذلك ، فقال علي : إني لا أرى هذا ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتكم ، فقال ابن عباس لعلي : إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يجلسني لقرابتي منك ولكن اكتب معي إلى معاوية فنهه وعده ، فقال علي : والله إن هذا مالا يكون أبداً ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين الحرب خدعة كما قال رسول الله ﷺ ، فوالله لئن أطعني لأوردتهم بعد صدرهم ونهى ابن عباس علياً فيما أشار عليه أن يقبل من هؤلاء الذين يحسنون إليه الرحيل إلى العراق ، ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطواع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قصد قسطنطين بن هرقل بلاد المسلمين في ألف مركب ، فأرسل الله عليه قاصفاً من الرياح فغرقه الله بحوله وقوته ، ومن معه ، ولم ينج منهم أحد إلا الملك في شردمة قليلة من قومه ، فلما دخل صقلية عملوا له حماماً فدخله فقتلوه فيه ، وقالوا : أنت قتلت رجالنا .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين من الهجرة ﴾

استهلقت هذه السنة وقد تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة ، وولى علي الأمصار نواباً ، فولى عبد الله بن عباس على اليمن ، وولى سمرة بن جندب^(١) على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة ، وقيس بن سعد بن عبادة على مصر ، وعلى الشام سهل بن حنيف بدل معاوية ، فسار حتى بلغ تبوك فتلقتة خيل معاوية ، فقالوا : من أنت ؟ فقال : أمير ، قالوا : على أي شيء ؟ قال : على الشام ، فقالوا : إن كان عثمان بعثك في هلاكك ، وإن كان غيره فارجع . فقال : أو ما سمعتم الذي

(١) ذكر ابن جرير الطبري أن علياً ولي عثمان بن حنيف على البصرة وسيأتي أنه عثمان

ابن حنيف .

كان ؟ قالوا : بلى ، فرجع إلى علي . وأما قيس بن سعد فاختلف عليه أهل مصر فبايع له الجمهور ، وقالت طائفة : لا نبايع حتى نقتل قتلة عثمان ، وكذلك أهل البصرة ، وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميراً على الكوفة فصدده عنها طلحة بن خويلد غضباً لعثمان ، فرجع إلى علي فأخبره ، وانتشرت الفتنة وتفاقم الأمر ، واختلفت الكلمة ، وكتب أبو موسى إلى علي بطاعة أهل الكوفة ومبايعتهم إلا القليل منهم ، وبعث علي إلى معاوية كتباً كثيرة فلم يرد عليه جواباً ، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، ثم بعث معاوية طوماراً مع رجل فدخل به علي فقال : ما وراءك ؟ قال جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود كلهم موتور ، تركت ستين ألف شيخ سيكون تحت قيص عثمان ، وهو علي منبر دمشق ، فقال علي : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي فهم به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله ، فما أفلت إلا بعد جهد . وعزم علي رضي الله عنه على قتال أهل الشام ، وكتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم ، وإلى أبي موسى بالكوفة : وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك ، وخطب الناس فغضبهم علي ذلك . وعزم على التجهز ، وخرج من المدينة ، واستخلف عليها قثم بن العباس ، وهو عازم أن يقاتل بين أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس ، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال : يا أباي دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم ، فلم يقبل منه ذلك ، بل صمم على القتال ، ورتب الجيش ، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية ، وجعل ابن العباس على الميمنة ، وعمرو بن أبي سلمة على الميسرة ، وقيل جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمرو بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً إلى الشام ، حتى جاءه ما شغله عن ذلك كله وهو ما سنورده .

﴿ ابتداء وقعة الجمل ﴾

لما وقع قتل عثمان بعد أيام التشريق ، كان أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين قد خرجن إلى الحج في هذا العام فرارا من الفتنة ، فلما بلغ الناس أن عثمان قد قتل ، أقمن بمكة بعد ما خرجوا منها ، ورجعوا إليها وأقاموا بها وجماعوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتجسسون الأخبار فلما بويع لعلي وصار حظ الناس عنده بحكم الحال وغلبة الرأي ، لاعن اختيار منه لذلك رؤس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان ، مع أن علياً في نفس الأمر يكرههم ، ولكنه تربص بهم الدوائر ، ويود لو تمكن منهم ليأخذ حق الله منهم ، ولكن لما وقع الأمر هكذا واستحوذوا عليه ، وحجبتوا عنه عليه الصحابة فر جماعة من بني أمية وغيرهم إلى مكة ، واستأذنه طلحة والزبير في الاعتراف ، فأذن لها فخرجا إلى

مكة وتبعهم خلق كثير ، وجم غفير ، وكان على لما عزم على قتال أهل الشام قد ندب أهل المدينة إلى الخروج معه فأبوا عليه ، فطلب عبد الله بن عمر بن الخطاب وحرضه على الخروج معه ، فقال : إنما أنا رجل من أهل المدينة ، إن خرجوا خرجت على السمع والطاعة ، ولكن لا أخرج للقتال في هذا العام ، ثم تجهز ابن عمر وخرج إلى مكة ، وقدم إلى مكة أيضا في هذا العام يعلمى بن أمية من اليمن ، وكان عاملا عليها لعثمان ، ومعه ستمائة بعير وستمائة ألف درهم ، وقدم لها عبد الله بن عامر من البصرة ، وكان نائبها لعثمان ، فاجتمع فيها خلق من سادات الصحابة ، وأمهاة المؤمنين ، فقامت عائشة رضی الله عنها في الناس تحطيمهم وتحتمهم على القيام بطلب دم عثمان ، وذكرت ما افتتت به أولئك من قتله في بلد حرام وشهر حرام ، ولم يراقبوا جوار رسول الله ﷺ وقد سفكوا الدماء ، وأخذوا الأموال . فاستجاب الناس لها ، وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة ، وقالوا لها : حينما ماسرتنا سرنا معك ، فقال قائل نذهب إلى الشام ، فقال بعضهم : إن معاوية قد كفاكم أمرها ، [ولو قدموها لغلبوا ، واجتمع الأمر كله لهم ، لأن أكبر الصحابة معهم] ^(١) وقال آخرون : نذهب إلى المدينة فنطلب من على أن يسلم إلينا قتلة عثمان فيقتلوا ، وقال آخرون : بل نذهب إلى البصرة فنقتوى من هنالك بالتحليل والرجال ، ونبدأ بمن هنالك من قتلة عثمان . فانفق الرأي على ذلك وكان بقية أمهات المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى المدينة ، فلما اتفق الناس على المسير إلى البصرة رجعت عن ذلك وقلن : لا نسير إلى غير المدينة ، ووجهت الناس يعلمى بن أمية فأنفق فيهم ستمائة بعير وستمائة ألف درهم ووجههم ابن عامر أيضا بمال كثير ، وكانت حفصة بنت عمر أم المؤمنين قد وافقت عائشة على المسير إلى البصرة ، فمنعها أخوها عبد الله من ذلك ، وأبى هو أن يسير معهم إلى غير المدينة ، وسار الناس صحبة عائشة في ألف فارس ، وقيل تسعمائة فارس من أهل المدينة ومكة ، وتلاحق بهم آخرون ، فصاروا في ثلاثة آلاف ، وأم المؤمنين عائشة تحمل في هودج على جمل اسمه عسكري ، اشتراه يعلمى بن أمية من رجل من عرينة بمائتي دينار ، وقيل ثمانين ديناراً ، وقيل غير ذلك ، وسار معها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق ففارقنها هنالك وبكين للوداع ، وتباكى الناس ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم النحيب ، وسار الناس قاصدين البصرة ، وكان الذي يصلى بالناس عن أمر عائشة ابن أختها عبد الله ابن الزبير ، ومر وان بن الحكم يؤذن للناس في أوقات الصلوات ، وقد مروا في مسيرهم ليلاً بماء يقال له الحوآب ، فنبحتهم كلاب عنده ، فلما سمعت ذلك عائشة قالت : ما اسم هذا المكان ؟ قالوا الحوآب ، فضربت باحدى يديها على الأخرى وقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما أظنني إلا راجعة ، قالوا : ولم ؟ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول لسائئ : « ليت شعري أيتكن التي تنبجها كلاب

الحوآب » ، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته ، وقالت : ردوني ردوني ، أنا والله صاحبة ماء الحوآب ، وقد أوردنا هذا الحديث بطرقه وألفاظه في دلائل النبوة كما سبق ، فأناخ الناس حولها يوماً وليلة ، وقال لها عبد الله بن الزبير : إن الذي أخبرك أن هذا ماء الحوآب قد كذب ، ثم قال الناس : النجاة النجاة ، هذا جيش على بن أبي طالب قد أقبل ، فارتحلوا نحو البصرة ، فلما اقتربت من البصرة كتبت إلى الأحنف بن قيس وغيره من رؤوس الناس ، أنها قد قدمت ، فبعث عثمان بن حنيف عمران بن حصين وأبا الأسود الدؤلي إليها ليعالما ماجأت له ، فلما قدما عليها سلما عليها واستعلمها منها ما جاءت له ، فذكرت لهما ما الذي جاءت له من القيام بطلب دم عثمان ، لأنه قتل مظلوماً في شهر حرام وبلد حرام . وتلت قوله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) فخرجوا من عندها فجاءوا إلى طلحة فقالوا له : ما أقدمك ؟ فقال : اطلب بدم عثمان ، فقالوا : ما بايعت علياً ؟ قال : بلى والسيف على عنقي ، ولا أستقبله إن هو لم يُخل بيننا وبين قتلة عثمان . فذهبوا إلى الزبير فقال مثل ذلك ، قال : فرجع عمران وأبو الأسود إلى عثمان بن حنيف ، فقال أبو الأسود :

يا ابن الأحنف قد أتيت فانفر * وطاعن القوم وجالد واصبر

* واخرج لهم مستلماً وشمر *

فقال عثمان بن حنيف : إنا لله وإنا إليه راجعون ، دارت رحا الاسلام ورب الكعبة ، فانظروا بأى زيفان تزيف ، فقال عمران إى والله لتعركنكم عركا طويلاً ، يشير عثمان بن حنيف إلى حديث ابن مسعود مرفوعاً « تدور رحا الاسلام خمس وثلاثين » الحديث كما تقدم ، ثم قال عثمان بن حنيف لعمران بن حصين : أشرك على ، فقال اعتزل فاني قاعد في منزلي ، أو قال قاعد على بعيري ، فذهب فقال عثمان : بل أمنعهم حتى يأتي أمير المؤمنين ، فنادى في الناس يأمرهم بلبس السلاح والاجتماع في المسجد ، فاجتمعوا فأمرهم بالتجهز ، فقام رجل وعثمان على المنبر فقال : أيها الناس إن كان هؤلاء القوم جاؤا خائفين فقد جاؤا من بلد يأمن فيه الطير ، وإن كانوا جاؤا يطلبون بدم عثمان فما نحن بقتلته ، فأطيعوني ورددوهم من حيث جاؤا ، فقام الأسود بن سريع السعدي فقال : إنما جاؤا يستعينون بنا على قتلة عثمان منا ومن غيرنا ، فخصبه الناس ، فعلم عثمان بن حنيف أن لقتلة عثمان بالبصرة أنصاراً ، فكره ذلك ، وقدمت أم المؤمنين بمن معها من الناس ، ففتزلوا المر بد من أعلاه قريبا من البصرة ، وخرج إليهم من أهل البصرة من أراد أن يكون معها ، وخرج عثمان بن حنيف بالجيش فاجتمعوا بالمر بد ، فتكلم طلحة - وكان على اليمين - فتدب إلى الأحنف بن عثمان ، والطلب بدمه ، وتابعه الزبير فتكلم بمثل مقالته فرد عليها ناس من جيش عثمان بن حنيف ، وتكلمت أم المؤمنين فحرضت وحثت على

القتال ، فتناور طوائف من أطراف الجيش فتراموا بالحجارة ، ثم تحاجز الناس ورجع كل فريق إلى حوزته ، وقد صارت طائفة من جيش عثمان بن حنيف إلى جيش عائشة ، فكثروا ، وجاء حارثة ابن قدامة السعدي فقال : يا أم المؤمنين ! والله لقتل عثمان أهون من خروجك من بيديك على هذا الجمل عرضة للسلاح ، إن كنت أتيتنا طائفة فارجعي من حيث جئت إلى منزلك ، وإن كنت أتيتنا مكرهة فاستعيني بالناس في الرجوع وأقبل حكيم بن جبلة - وكان على خيل عثمان بن حنيف - فأثب القتال وجعل أصحاب أم المؤمنين يكفون أيديهم ويمتنعون من القتال ، وجعل حكيم يقتحم عليهم فاقتتلوا على قم السكة ، وأمرت عائشة أصحابها فتيامنوا حتى انتهوا إلى مقبرة بني مازن ، وحجز الليل بينهم ، فلما كان اليوم الثاني قصدوا للقتال ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، إلى أن زال النهار ، وقتل خلق كثير من أصحاب ابن حنيف ، وكثرت الجراح في الفريقين ، فلما عضتهم الحرب تداعوا إلى الصلح على أن يكتبوا بينهم كتابا ويبعثوا رسولا إلى أهل المدينة يسأل أهلها ، إن كان طلحة والزبير أكرها على البيعة ، خرج عثمان بن حنيف عن البصرة وأخلاها ، وإن لم يكونا أكرها على البيعة خرج طلحة والزبير عنها وأخوها لهم ، وبعثوا بذلك كعب بن سور القاضي ، فقدم المدينة يوم الجمعة ، فقام في الناس ، فسألهم : هل بايع طلحة والزبير طائعين أو مكرهين ؟ فسكت الناس فلم يتكلم إلا أسامة بن زيد ، فقال : بل كانا مكرهين ، فثار إليه بعض الناس فأرادوا ضربه ، فخاجف دونه صهيب ، وأبو أيوب ، وجماعة حتى خلصوه ، وقالوا له : ما وسعك ما وسعنا من السكوت ؟ فقال : لا والله ما كنت أرى أن الأمر ينتهي إلى هذا ، وكتب على إلى عثمان بن حنيف يقول له : إنهما لم يكرها على فرقة ، ولقد أكرها على جماعة وفضل فإن كانا يريدان الخلع فلا عذر لها ، وإن كانا يريدان غير ذلك نظرا ونظرا ، وقدم كعب بن سور على عثمان بكتاب على ، فقال عثمان : هذا أمر آخر غير ما كنا فيه ، وبعث طلحة والزبير إلى عثمان بن حنيف أن يخرج إليهما فأبى ، فجمع الرجال في ليلة مظلمة وشهدا بهم صلاة العشاء في المسجد الجامع ، ولم يخرج عثمان بن حنيف تلك الليلة ، فصلى بالناس عبد الرحمن بن عثاب بن أسيد ، ووقع من رعا الناس من أهل البصرة كلام وضرب ، فقتل منهم نحواً أربعين رجلا ، ودخل الناس على عثمان بن حنيف قصره فأخرجوه إلى طلحة والزبير ، ولم يبق في وجهه شعرة إلا تنفوها ، فاستعظما ذلك وبعثا إلى عائشة فأعلمها الخبر ، فأمرت أن تخلى سبيله ، فأطلقوه وولوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقسم طلحة والزبير أموال بيت المال في الناس وفضلوا أهل الطاعة ، وأكب عليهم الناس يأخذون أرزاقهم ، وأخذوا الحرس ، واستبدوا في الأمر بالبصرة ، فحجى لذلك جماعة من قوم قتلة عثمان وأنصارهم ، فركبوا في جيش قريب من ثلثمائة ، ومقدمهم حكيم بن جبلة ، وهو أحد من باشر قتل عثمان ، فبارزوا وقتلوا ،

فضرب رجل رجل حكيم بن جبلة فقطعها ، فزحف حتى أخذها وضرب بها ضارب به فقتله ثم اتسكا عليه وجعل يقول :

يا ساق لن تراعى * إن لك ذراعى * أحى بها كراعى
وقال أيضاً :

ليس على أن أموت عار * والعار في الناس هو الفرار * والمجد لا يفضحه الدمار
فمر عليه رجل وهو متكئ برأسه على ذلك الرجل ، فقال له : من قتلك ؟ فقال له وسادتي . ثم مات حكيم قتيلا هو ونحو من سبعين من قتلة عثمان وأنصارهم أهل المدينة ، فضعف جاش من خالف طلحة والزبير من أهل البصرة ، ويقال : إن أهل البصرة بايعوا طلحة والزبير ، وندب الزبير ألف فارس بأخذها معه ويلتقي بها عليا قبل أن يجي . فلم يجبه أحد ، وكتبوا بذلك إلى أهل الشام يبشرونهم بذلك ، وقد كانت هذه الواقعة لخمس ليال بقين من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وقد كتبت عائشة إلى زيد بن صوحان تدعوه إلى نصرتها والقيام معها فإن لم يجي فليكنف يده وإيلزم منزله ، أي لا يكون عليها ولا لها ، فقال : أنا في نصرتك ما دمت في منزلك ، وأبى أن يطيعها في ذلك ، وقال : رحم الله أم المؤمنين أمرها الله أن تلزم بيتها وأمرنا أن نقاتل ، فخرجت من منزلها وأمرتنا بلزوم بيوتنا التي كانت هي أحق بذلك منا ، وكتبت عائشة إلى أهل اليمامة والكوفة بمثل ذلك .

ذكر مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة إلى البصرة بدلا من مسيره إلى الشام *
بعد أن كان قد تجهز قاصداً الشام كما ذكرنا ، فلما بلغه قصد طلحة والزبير البصرة ، خطب الناس وحثهم على المسير إلى البصرة لئلا يمنع أولئك من دخولها ، إن أمكن ، أو يطردم عنها إن كانوا قد دخلوها ، فثناقل عنه أكثر أهل المدينة ، واستجاب له بعضهم ، قال الشعبي : ما نهض معه في هذا الأمر غير ستة نفر من البدرين ، ليس لهم سابع . وقال غيره أربعة . وذكر ابن جرير وغيره قال كان ممن استجاب له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان ، وأبو قتادة الأنصاري ، وزيد بن حنظلة ، وخزيمة بن ثابت . قالوا : وليس بندي الشهادتين ، ذلك مات في زمن عثمان رضي الله عنه . وسار على من المدينة نحو البصرة على تعبته المتقدم ذكرها ، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ، وخرج على من المدينة في نحو من تسعمائة مقاتل ، وقد لقي عبد الله بن سلام رضي الله عنه عليا وهو بالبنة ، فأخذ بعنان فرسه وقال : يا أمير المؤمنين ! لا تخرج منها ، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً ، فسببه بعض الناس ، فقال على : دعوه فنعلم الرجل من أصحاب النبي ﷺ ، وجاء الحسن بن علي إلى أبيه في الطريق فقال : لقد نهيتك فعصيتني تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك . فقال له على : إنك لا تزال

تحن على حنين الجارية ، وما الذي نهيتني عنه فعصيتك ؟ فقال : ألم أمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لثلاث يقتل وأنت بها ، فيقول قائل أو يتحدث متحدث ؟ ألم أمرك أن لا تباع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم ؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتني في ذلك كله ؟ فقال له علي : أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به ، وأما مبايعتي قبل مجيء بيعة الامصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر ، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه . فتريد مني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ، ويقال ليست هاهنا ، حتى يشق عرقوبها فتخرج ، فإذا لم أنظر فيما يلزمي في هذا الأمر ويعينني ، فمن ينظر فيه ؟ فكف عني يا بني ، ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذي قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبي بكر ، ومحمد بن جعفر ، إني قد اخترتكم على أهل الامصار ، فرغبت إليكم وفرغت لما حدث ، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً ، وانهمضوا إلينا فالاصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخواناً ، فضيا ، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب ، وقام في الناس خطيباً فقال : إن الله أعزنا بالاسلام ورفعنا به ، وجعلنا به إخواناً ، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد ، فخرى الناس على ذلك ماشاء الله ، الاسلام دينهم ، والحق قائم بينهم ، والكتاب إمامهم ، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزعهم الشيطان لينزع بين هذه الامة ، ألا وإن هذه الامة لا بد مفترقة كما افترقت الامة قبلها ، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن . ثم عاد ثانية فقال : إنه لا بد مما هو كائن أن يكون ، ألا وإن هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تحبني ولا تعمل بعمل ، وقد أدركتم ورأيتم ، فالزموا دينكم ، واهتدوا بهدي فانه هدى نبيكم ، واتبعوا سنته ، وأعرضوا عما أشكل عليكم ، حتى تعرضوه على الكتاب ، فما عرفه القرآن فالزموه ، وما أنكره فردوه ، وارضوا بالله ربا ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن حكماً وإماماً . قال فلما عزم على المسير من الربرة قام إليه ابن أبي رفاع بن رافع ، فقال : يا أمير المؤمنين أي شيء تريد ؟ وأين تذهب بنا ؟ فقال : أما الذي نريد ونسوى فالاصلاح ، إن قبلوا منا وأجابوا إليه ، قال : فان لم يجيبوا إليه ؟ قال : ندعهم بنعدهم ونعطيهم الحق ونصبر . قال : فان لم يرضوا ؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فان لم يتركونا ؟ قال : امتنعنا منهم ، قال : فنعنم إذا . فقام إليه الحجاج بن غزيرة الأنصاري فقال : لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول ، والله لينصرنى الله كما سمانا أنصاراً . قال : وأنت جماعة من طيء وعلى بالربرة ، فقيل له : هؤلاء جماعة جاؤا من طيء منهم من يريد الخروج معك ومنهم من يريد السلام عليك ، فقال : جزى الله كلا خيراً (وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) قالوا : فسار على من الربرة على تعبته وهو راكب ناقه حمراء يقود فرسا كيتا فلما كان بغيره جماعة من أسد

وطيء ، فعرضوا أنفسهم عليه فقال : فيمن معي كفاية ، وجاء رجل من أهل الكوفة يقال له عامر بن مطر الشيباني ، فقال له علي : ما وراءك ؟ فأخبره الخبر ، فسأله عن أبي موسى فقال : إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبه ، وإن أردت القتال فليس بصاحبه ، فقال علي : والله ما أريد إلا الصلح ممن تورد علينا . وسار ، فلما اقترب من الكوفة وجاءه الخبر بما وقع من الأمر على جليته ، من قتل ومن إخراج عثمان بن حنيف من البصرة ، وأخذهم أموال بيت المال ، جعل يقول : اللهم عافني مما ابتليت به طلحة والزبير ، فلما انتهى إلى ذي قار أتاه عثمان بن حنيف مهشماً ، وليس في وجهه شعرة فقال : يا أمير المؤمنين بعثتني إلى البصرة وأنا ذو لحية ، وقد جئتك أمراً ، فقال : أصبت خيراً وأجراً . وقال عن طلحة والزبير : اللهم احلل ما عقدا ، ولا تيرم ما أحكما في أنفسهما ، وأرهما المساءة فيما قد عملا . يعني في هذا الأمر . وأقام على بندي قار ينتظر جواب ما كتب به مع محمد بن أبي بكر وصاحبه محمد بن جعفر . وكانا قد قدما بكتابه على أبي موسى وقاما في الناس بأمره . فلم يجابا في شيء ، فلما أمسوا دخل أناس من ذوى الحجى على أبي موسى يعرضون عليه الطاعة لعلي ، فقال : كان هذا بالأمس فغضب محمد ومحمد فقالا له قولاً غليظاً : فقال لهما : والله إن بيعة عثمان لفي عنق وعنق صاحبكما ، فان لم يكن بدمن قتال فلا تقاتل أحداً حتى نفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا ومن كانوا ، فانطلقا إلى علي فأخبراه الخبر ، وهو بندي قار ، فقال للأشتر : أنت صاحب أبي موسى والمعرض في كل شيء فاذهب أنت وابن عباس فأصلح ما أفسدت ، فخرجا فقديما الكوفة وكما أبا موسى واستعانا عليه بنفر من الكوفة فقام في الناس فقال : أيها الناس ، إن أصحاب محمد ﷺ الذين صحبوه أعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقاً وأنا مؤد إليكم نصيحة ، كان الرأي أن لا تستخفوا بسلطان الله وأن لا تجترأوا على أمره ، وهذه فتنة النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من الساعي فانعدوا السيوف وانصلوا الأسننة ، واقطعوا الأوتار ، وأووا المضطهد والمظلوم حتى يلتئم هذا الأمر ، وتنجلي هذه الفتنة ، فرجع ابن عباس والأشتر إلى علي فأخبراه الخبر ، فأرسل الحسن وعمر بن ياسر ، وقال لعمار : انطلق فأصلح ما أفسدت ، فانطلقا حتى دخلا المسجد فكان أول من سلم عليهما مسروق بن الأجدع ، فقال لعمار : علام قتلتم عثمان ؟ فقال : على شتم أعراضنا وضرب أبقارنا ، فقال : والله ما عاقبتكم بمثل ما عوقبتكم به ، ولو صبرتم لكان خيراً للصابرين . قال : وخرج أبو موسى فلقى الحسن بن علي فضمه إليه ، وقال لعمار : يا أبا اليقظان أعدوت على أمير المؤمنين عثمان قتلته ؟ فقال : لم أفعل ، ولم يسؤني ذلك ، فقطع عليهما الحسن بن علي فقال لأبي موسى : لم تثبط الناس عنا ؟ فوالله ما أردنا إلا الاصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، فقال : صدقت

بأبي وأمي ، ولكن المستشار مؤتمن ، سمعت من النبي ﷺ يقول « إنما ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب » وقد جعلنا الله إخوانا وحرم علينا دماءنا وأموالنا ، فغضب عمار وسبه ، وقال : يا أيها الناس ، إنما قال له رسول الله ﷺ وحده أنت فيها قاعداً خيراً منك قائماً ، فغضب رجل من بني تميم لأبي موسى ونال من عمار ، ونار آخرون ، وجعل أبو موسى يكفكف الناس ، وكثر اللفظ ، وارتفعت الأصوات ، وقال أبو موسى أيها الناس ، أطيعوني وكونوا خير قوم من خير أمم العرب ، يأوى إليهم المظلوم ، ويأمن فيهم الخائف ، وإن الفتنة إذا أقبلت شبهت ، وإذا أدبرت تبينت ثم أمر الناس بكف أيديهم ولزوم بيوتهم ، فقام زيد بن صوحان فقال : أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، سيروا إليه أجمعون ، فقام القعقاع بن عمرو فقال : إن الحق ما قاله الأمير ، ولكن لابد للناس من أمير يردع الظالم ويعدي المظلوم ، وينتظم به شمل الناس ، وأمير المؤمنين على ما ولي ، وقد أنصف بالدعاء ، وإنما يريد الإصلاح ، فانفروا إليه ، وقام عبد خير فقال : الناس أربع فرق ، على بن معية في ظاهر الكوفة ، وطلحة والزبير بالبصرة ، ومعاوية بالشام ، وفرقة بالحجاز لا تقاوم ولا تغنا بها ، فقال أبو موسى : أولئك خير الفرق ، وهذه فتنة . ثم ترأس الناس في الكلام ثم قام عمار والحسن بن علي في الناس على المنبر يدعوان الناس إلى التغير إلى أمير المؤمنين ، فانه إنما يريد الإصلاح بين الناس ، وسمع عمار رجلاً يسب عائشة فقال : اسكت مقبوحاً منبوحاً ، والله إنها لزوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أطيئوه أو إياها ، رواه البخاري وقام حجر بن عدى فقال : أيها الناس ، سيروا إلى أمير المؤمنين ، (انفروا خفاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) وجعل الناس كلما قام رجل فخرض الناس على التغير يثبطهم أبو موسى من فوق المنبر ، وعمار والحسن معه على المنبر حتى قال له الحسن بن علي : ويحك ! اغتزلنا لا أم لك ، ودع منبرنا ، ويقال إن علياً بعث الأشتر فعزل أبا موسى عن الكوفة وأخرجه من قصر الامارة من تلك الليلة ، واستجاب الناس للتغير فخرج مع الحسن تسعة آلاف في البر وفي دجلة ، ويقال سار معه اثني عشر ألف رجل ورجل واحد ، وقدموا على أمير المؤمنين فتلقاهم بنى قار إلى أثناء الطريق في جماعة ، منهم ابن عباس فرحب بهم وقال : يا أهل الكوفة ! أنتم لقيتم ملوك العجم ففضضتم جموعهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فان رجعوا فذاك الذي نريده ، وإن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدؤنا بالظلم ، ولم ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله تعالى . فاجتمعوا عنده بنى قار ، وكان من المشهورين من رؤساء من انضاف إلى علي ، القعقاع بن عمرو ، وسعد بن مالك ، وهند بن عمرو ، والهيثم بن شهاب ، وزيد بن صوحان ،

والأشتر ، وعدى بن حاتم ، والمسيب بن نجبة ، ويزيد بن قيس ، وحجر بن عدى وأمثالهم ، وكانت عبد القيس بكاملها بين علي وبين البصرة ينتظر ونه وهم ألوف ، فبعث على القعقاع رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة ، ويمظم عليهما الفرقة والاختلاف ، فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين ، فقال : أي أماء ! ما أقدمك هذا البلد ؟ فقالت : أي بني ! الإصلاح بين الناس ، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها ، فحضرا فقال القعقاع : إني سألت أم المؤمنين ما أقدمها ؟ فقالت إنما جئت للإصلاح بين الناس ، فقالوا : ونحن كذلك قال : فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ وعلى أي شيء يكون ؟ فوالله لئن عرفناه لنصطلحن ، ولئن أنكزناه لا نصطلحن ، قالوا : قتلة عثمان ، فان هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، فقال : قتلنا قتلته من أهل البصرة ، وإنما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة رجل ، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم ، وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم حرقوص بن زهير فمعه ستة آلاف ، فان تركتموهم وقعتم فيما تقولون ، وإن قاتلتموهم فأديلوا عليكم كان الذي حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعني أن الذي تريدونه من قتل قتلة عثمان مصلحة ، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها - وكما أنكم محجزتم عن الأخذ بشار عثمان من حرقوص بن زهير ، لقيام ستة آلاف في منعه ممن يريد قتله ، فعلى أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان ، وإنما أخرج قتل عثمان إلى أن يتمكن منهم ، فان الكلمة في جميع الأمصار مختلفة ، ثم أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر الذي وقع . فقالت له عائشة أم المؤمنين : فماذا تقول أنت ؟ قال : أقول إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين ، فاذا سكن اختلجوا ، فان أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ، وإدراك الثأر ، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واقتنافه كانت علامة شر وذهاب هذا الملك ، فانفروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا ، ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا له ، فيصرعنا الله وإياكم ، وإيم الله إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فان هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم ، وليس كقتل الرجل الرجل ، ولا نفر الرجل ، ولا القبيلة القبيلة . فقالوا : قد أصبت وأحسنت فارجع ، فان قدم على وهو على مثل رأيك صلح الأمر ، قال : فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك ، وأشرف القوم على الصلح ، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه ، وأرسلت عائشة إلى علي تعلمه أنها إنما جاءت للصلح ، ففرح هؤلاء وهؤلاء ، وقام على في الناس خطيباً فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها ، وذكر الاسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة ، وأن الله جمعهم بعد نبيه ﷺ على الخليفة أبي بكر الصديق ، ثم بعده على عمر بن الخطاب ، ثم على عثمان ثم حدث هذا

الحدث الذي جرى على الأمة ، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله عليه بها ، وعلى الفضيلة التي من الله بها ، وأرادوا رد الاسلام والأشياء على أديبارها ، والله بالغ أمره . ثم قال : ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا ، ولا يرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس . فلما قال هذا اجتمع من رؤسهم جماعة كالأشتر النخعي ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وسالم بن ثعلبة ، وغلاب بن الهيثم ، وغيرهم في ألفين وخمسمائة ، وليس فيهم صحابي والله الحمد ، فقالوا : ما هذا ، الرأي وعلى والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقرب إلى العمل بذلك ، وقد قال ما سمعتم ، غدا يجمع عليكم الناس ، وإنما يريد القوم كلهم أنتم ، فكيف بكم وعددكم قليل في كثيرتهم ؟ فقال الأشتر : قد عرفنا رأي طلحة والزبير فينا ، وأما رأي علي فلم نعرفه إلى اليوم ، فان كان قد اصطلح معهم فإنا اصطلمحوا على دماغنا ، فان كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان ، فرضى القوم منا بالسكوت ، فقال ابن السوداء : بئس ما رأيت ، لو قتلناه قتلنا ، فإنا يامعشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف ، لاطاقة لكم بهم ، وهم إنما يريدونكم ، فقال غلاب بن الهيثم دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها ، فقال ابن السوداء : بئس ما قلت ، إذآ والله كان يتخطفكم الناس ، ثم قال ابن السوداء قبحة الله : يا قوم إن غيركم في خلطة لناس فاذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجيد بدآ من أن يمتنع ، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون ، ويأتيتهم مايكرهون ، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه ، وأصبح علي مرتحلا ومر بعبد القيس فسارو من معه حتى نزلوا بالزاوية ، وسار منها يريد البصرة ، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقائه ، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد ، ونزل الناس كل في ناحية . وقد سبق على جيشه وهم يتلاحقون به ، فكشوا ثلاثة أيام والرسل بينهم ، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، فأشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة ، من قتلة عثمان ، فقالا : إن عليا أشار بتسكين هذا الأمر ، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك ، وقام علي في الناس خطيباً ، فقام إليه الأعور بن نيار المنقري ، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة ، فقال : الإصلاح وإطفاء النائرة ليجتمع الناس على الخير ، ويلتئم شمل هذه الأمة ، قال : فان لم يجيبونا ؟ قال : تركناهم ماتركونا ، قال فان لم يتركونا ؟ قال : دفعناهم عن أنفسنا ، قال فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا ، قال : نعم ! وقام إليه أبو سلام الدالاني فقال هل هؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله في ذلك ؟ قال : نعم ! قال : فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك ؟ قال : نعم ! قال فما حالنا وحالم إن ابتلينا غداً ؟ قال : إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه الله إلا أدخله الله الجنة ، وقال في خطبته : أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم

وألسنتكم ، وإياكم أن يسبقونا غداً ، فان الخصوم غداً مخصوم اليوم وجاء في غبون ذلك الأحنف بن قيس في جماعة فانضاف إلى علي - وكان قد منع حرقوص بن زهير من طلحة والزبير وكان قد بايع عليا بالمدينة وذلك أنه قدم المدينة وعثمان محصور فسأل عائشة وطلحة والزبير : إن قتل عثمان من أبيابيع ؟ فقالوا بأبيابيع عليا فلما قتل عثمان بايع عليا قال : ثم رجعت إلى قومي فجاءني بعد ذلك ما هو أفضح ، حتى قال الناس هذه عائشة جاءت لتأخذ بدم عثمان ، فخرت في أمرى لمن أتبع ، فنعني الله بحديث سمعته من أبي بكر قال : قال رسول الله ﷺ وقد بلغه أن الفرس قد ملكوا عليهم ابنة كسرى فقال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وأصل هذا الحديث في صحيح البخارى ، والمقصود أن الأحنف لما انحاز إلى علي ومعه ستة آلاف قوس ، فقال لعلي : إن شئت قاتلت معك ، وإن شئت كففت عنك عشرة آلاف سيف ، فقال : اكفف عنا عشرة آلاف سيف ، ثم بعث علي إلى طلحة والزبير يقول : إن كنتم على ما فارقتم عليه القمقاع بن عمرو فكفوا حتى تنزل فننظر في هذا الأمر ، فأرسلا إليه في جواب رسالته : إنا على ما فارقنا القمقاع بن عمرو من الصلح بين الناس ، فاطمأنت النفوس وسكنت ، واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيشين ، فلما أمسوا بعث علي عبد الله بن عباس إليهم ، وبعثوا إليه محمد بن طليحة السجاد وبات الناس بخير ليلة ، وبات قتلة عثمان بشر ليلة ، وباتوا يتشاورون وأجمعوا على أن يثيروا الحرب من الغلس ، فتهضوا من قبل طلوع الفجر وهم قريب من ألقى رجل فانصرف كل فريق إلى قراياتهم فجمعوا عليهم بالسيوف ، فنارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوهم ، وقام الناس من منامهم إلى السلاح ، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلا ، وبيتونا وغدروا بنا ، وظنوا أن هذا عن ملاء من أصحاب علي فبلغ الأمر عليا فقال : ماللناس ؟ فقالوا : بيتنا أهل البصرة ، فنارت كل فريق إلى سلاحه ولبسوا اللامة وركبوا الخيول ، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر ، وكان أمر الله قدرا مقدورا وقامت الحرب على ساق وقدم ، وتبارز الفرسان ، وجالت الشجعان ، فنشبت الحرب ، وتوافق الفريقان وقد اجتمع مع علي عشرون ألفاً ، والنف على عائشة ومن معها نحواً من ثلاثين ألفاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والسابئة أصحاب ابن السوداء قبحة الله لا يقترون عن القتل ، ومنادى علي ينادى : ألا كفوا ألا كفوا ، فلا يسمع أحد ، وجاء كعب بن سوار قاضي البصرة فقال : يا أم المؤمنين أدركي الناس لعل الله أن يصلح بك بين الناس ، فجلست في هودجها فوق بعيرها وستروا اليهودج بالدروع ، وجاءت فوقت بحيث تنظر إلى الناس عند حركاتهم ، فتصاولوا وتجاولوا ، وكان في جملة من تبارز الزبير وعمار ، فجعل عمار ينخره بالرمح والزبير كاف عنه ، ويقول له ، أتقتلني يا أبا اليقظان ؟ فيقول : لا يا أبا عبد الله ، وإنما تركه الزبير لقول رسول الله ﷺ : « تقتلك الفئة الباغية » وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه ، فلهذا كف عنه ، وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يذف عن علي

جريح ، ولا يتبع مدير ، وقد قتل مع هذا خلق كثير جدا ، حتى جعل على يقول لابنه الحسن : يا بني ليت أبك مات قبل هذا اليوم يعشرين عاما فقال له : يا أبت قد كنت أنهلك عن هذا . قال سعيد بن أبي عجرة عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد قال : قال علي يوم الجمل : يا حسن ليت أبك مات منذ عشرين سنة ، فقال له : يا أبة قد كنت أنهلك عن هذا ، قال : يا بني إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا ، وقال مبارك بن فضالة عن الحسن بن أبي بكر : لما اشتد القتال يوم الجمل ، ورأى علي الرأس تنذر أخذ علي ابته الحسن فضمه إلى صدره ثم قال : إنا لله يا حسن ! أي خير يرجى بعد هذا ؟ فلما ركب الجيشان وترآى الجمعان وطلب علي طلحة والزبير ليكلمهما ، فاجتمعوا حتى التفت أعناق خيولهم ، فيقال إنه قال لها : إني أرا كما قد جمعتا خيلا ورجالا وعددا ، فهل أعددتما عندي يوم القيامة ؟ فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقصت غزوها من بعد قوة أنسكنا ، ألم أكن حاكما في دمكما نجرمان دمي وأحرم دمكما ، فهل من حديث أحل لكما دمي ؟ فقال طلحة : آلبت علي عثمان . فقال علي (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) ، ثم قال : لعن الله قتلة عثمان ، ثم قال : يا طلحة ! أجتت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها ، وخبأت عرسك في البيت ؟ أما بايعتني ؟ قال : بايعتك والسيوف على عنقي . وقال للزبير : ما أخرجك ؟ قال : أنت ، ولا أراك بهذا الأمر أولى به مني . فقال له علي : أما تذكر يوم مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم فنظر إلى وضحك وضحكت إليه ، فقلت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال لك رسول الله ﷺ : « إنه ليس بمتبرد لتقاتلته وأنت ظالم له » ؟ فقال الزبير : اللهم نعم ! ولو ذكرت ما سرت مسيرى هذا ، ووالله لا أقاتلك . وفي هذا السياق كله نظر ، والمحفوظ منه الحديث ، فقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي فقال : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدورى حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشى عن جده عبد الملك عن أبي حزم المازنى . قال : شهدت عليا والزبير حين تواقفا ، فقال له علي : يا زبير ! أنشدك الله أسمعك رسول الله ﷺ يقول : « إنك تقاتلتني وأنت ظالم » ؟ قال : نعم ! لم أذكره إلا في موقفي هذا ، ثم انصرف . وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن أبي الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان عن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشى عن جده عن أبي حزم المازنى عن علي والزبير به * وقال عبد الرزاق : أنا معمر بن قتادة قال : لما ولي الزبير يوم الجمل بلغ عليا فقال : لو كان ابن صفية يعلم أنه علي حق ما ولي ، وذلك أن رسول الله ﷺ لقيهما في سقيفة بني ساعدة فقال : « أتجبه يا زبير ؟ فقال : وما ينعني ؟ قال : فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له ؟ » قال : فيرون أنه إنما ولي لذلك . قال البيهقي : وهذا مرسل وقدرى موصولا من وجه آخر أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن القاضي أنا أبو عاصم بن مطر أنا أبو العباس عبد الله بن

محمد بن سوار الهاشمى الكوفى أنا منجاب بن الحارث ثنا عبد الله بن الأجلح ثنا أبي عن مرثد الفقيه عن أبيه . قال : وسمعت فضل بن فضالة يحدث عن حرب بن أبي الأسود الدؤلى - دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه - قال : لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير ، ووذت الصفوف بعضها من بعض ، خرج علي وهو على بغلة رسول الله ﷺ فنادى : ادعوا لي الزبير بن العوام فإني علي ، فدعى له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما ، فقال علي : يا زبير ! نشدتك الله ، أتذكر يوم مررت بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا ، فقال : « يا زبير ألا تحب عليا ؟ فقلت : ألا أحب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني ؟ فقال يا زبير أما والله لتقاتلته وأنت ظالم له ؟ » فقال الزبير : بلى ! والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ ، ثم ذكرته الآن ، والله لا أقاتلك . فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف ، فعرض له ابنه عبد الله بن الزبير ، فقال : مالك ؟ فقال : ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : « لتقاتلته وأنت ظالم له » فقال : أولقتال جئت ؟ إنما جئت لتصلح بين الناس ويصلح الله بك هذا الأمر ، قال : قد حلفت أن لا أقاتله ، قال : اعتق غلامك سرجس وقف حتى تصلح بين الناس . فأعتق غلامه ووقف ، فلما اختلف أمر الناس ذهب علي فرسه ، قالوا : فرجع الزبير إلى عائشة فذكر أنه قد آلى أن لا يقاتل عليا ، فقال له ابنه عبد الله : إنك جمعت الناس ، فلما ترآى بعضهم لبعض خرجت من بينهم ، كفر عن يمينك واحضر . فأعتق غلاما ، وقيل غلامه سرجس . وقد قيل إنه إنما رجع عن القتال لما رأى عمارا مع علي وقد سمع رسول الله ﷺ يقول لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فخشى أن يقتل عمار في هذا اليوم .

وعندى أن الحديث الذى أوردناه إن كان صحيحا عنه فما رجعه سواء ، ويبعد أن يكفر عن يمينه ثم يحضر بعد ذلك لقتال علي والله أعلم .

والمقصود أن الزبير لما رجع يوم الجمل سار فنزل واديا يقال له وادى السباع ، فاتبعه رجل يقال له عمرو بن جرموز ، فجاءه وهو نائم فقتله غيلة كما سئذ كر تفصيله . وأما طلحة فجاءه في المعركة سهم غرب يقال رماه به مروان بن الحكم فأنه أعلم ، فانتظم رجله مع فرسه فجمحت به الفرس فجعل يقول : إلى عباد الله ، إلى عباد الله ، فاتبعه مولى له فأمسكها ، فقال له : ويحك ! اعدل بي إلى البيوت ، وامتلأ خفة دما فقال لغلامه : اردفني ، وذلك أنه نزفه الدم وضعف ، فركب وراءه وجاء به إلى بيت في البصرة فمات فيه ، رضى الله عنه .

وتقدمت عائشة رضى الله عنها في هودجها ، وناولت كعب بن سوار قاضى البصرة مصحفا وقالت : ادعهم إليه - وذلك أنه حين اشتد الحرب وحى القتال ، ورجع الزبير ، وقتل طلحة رضى الله عنهم -

فلما تقدم كعب بن سوار بالمصحف يدعو إليه استقبله مقدمة جيش الكوفيين ، وكان عبد الله بن سبأ - وهو ابن السوداء - وأتباعه بين يدي الجيش ، يقتلون من قدروا عليه من أهل البصرة ، لا يتوقفون في أحد ، فلما رأوا كعب بن سوار رافعاً المصحف رشقوه بنبلهم رشقة رجل واحد فقتلوه ، ووصلت النبالة إلى هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، فجعلت تنادي : الله الله يا بني اذكروا يوم الحساب ورفعت يديها تدعو على أولئك نفر من قتل عثمان ، فضج الناس معها بالدعاء حتى بلغت الضجة إلى علي فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أم المؤمنين تدعو على قتل عثمان وأشياءهم . فقال : اللهم العن قتل عثمان ، وجعل أولئك نفر لا يقتلهم عن رشق هودجها بالنبال حتى يبق مثل القنفذ ، وجعلت تحرض الناس على منعهم وكفهم ، فحملت معه الخفيظة فطردوهم حتى وصلت الحملة إلى الموضع الذي فيه علي بن أبي طالب ، فقال لابنه محمد بن الحنفية : ويحك ! تقدم بالراية ، فلم يستطع ، فأخذها علي من يده فتقدم بها ، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي ، فتارة لأهل البصرة ، وتارة لأهل الكوفة ، وقتل خلق كثير ، وجسم غفير ، ولم تُرِ وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة ، وجعلت عائشة تحرض الناس على أولئك نفر من قتل عثمان ، ونظرت عن يمينها فقالت : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : نحن بكر بن وائل ، فقالت : لكم يقول القائل :

وجاؤا إلينا بالحديد كأنهم * من الغرة القعاء بكر بن وائل

ثم لجأ إليها بنو ناجية ثم بنو ضبة فقتل عنده منهم خلق كثير ، ويقال إنه قطعت يد سبعين رجلاً وهي آخذة بخطام الجمل فلما اتخنوا تقدم بنو عدي بن عبد مناف فقاتلوا قتالاً شديداً ، ورفعوا رأس الجمل ، وجعل أولئك يقصدون الجمل وقالوا : لا يزال الحرب قائماً مادام هذا الجمل واقفاً ، ورأس الجمل في يد عمرة بن يثرب ، وقيل أخوه عمرو بن يثرب ثم صمد عليه علباء بن الهيثم وكان من الشجيمان المذكورين ، فتقدم إليه عمرو الجمل فقتله ابن يثرب وقتل زيد بن صوحان ، وأرثت صعصعة ابن صوحان فدعا عمار إلى البراز فبرز له ، فتجاولا بين الصنمين - وعمار ابن تميم سنة عليه فروة قد ربط وسطه بجبل ليف - فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون الآن يلحق عماراً بأصحابه ، فضربه ابن يثرب بالسيف فاتماه عمار بدرقته فقص فيها السيف ونشب ، وضر به عمار فقطع رجله وأخذ أسيراً إلى بين يدي علي فقال : استبقني يا أمير المؤمنين ، فقال : أبعد ثلاثة تقتلهم ؟ ثم أمر به فقتل واستمر زمام الجمل بعده بيد رجل كان قد استنابه فيه من بني عدي فبرز إليه ربيعة العقيلي فتجاولا حتى قتل كل واحد صاحبه وأخذ الزمام الحارث الضبي فما رأى أشد منه وجعل يقول :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل * نبارز القرن إذا القرن نزل

نعمي ابن عفان بأطراف الأسل * الموت أحلى عندنا من العسل

* ردوا علينا شيخنا ثم يجمل *

وقيل إن هذه الآيات لوسيم بن عمرو الضبي . فكلما قتل واحد من يمسك الجمل يقوم غيره حتى قتل منهم أربعون رجلاً قالت عائشة : ما زال جملي معتدلاً حتى فقدت أصوات بني ضبة ثم أخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش وكل واحد يقتل بعد صاحبه ، فكان منهم محمد بن طلحة المعروف بالسجاد فقال لعائشة مريني بأمرك يا أمه . فقالت : أمرك أن تكون كخير بني آدم فامتنع أن ينصرف وثبت في مكانه وجعل يقول حم لا ينصرون ، فتقدم إليه نفر فحملوا عليه فقتلوه وصار لكل واحد منهم بعد ذلك يدعى ، قتله وقد طمنه بعضهم بحربة فأفنده وقال :

وأشعث قوام آيات ربه * قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

هتكت له بالرمح جيب قميصه * نغر صريعاً للدين وللغم

يناشدني حم والرمح شاجر * فهلا تلا حم قبل التقدم

على غير شيء غير أن ليس تابعاً * عليا ومن لا يتبع الحق يندم

وأخذ الخطام عمرو بن الأشرف فجعل لا يدنو منه أحد إلا حطه بالسيف فأقبل إليه الحارث بن زهير الأزدى وهو يقول :

يا أمنا يا خير أم نعلم * أما ترين كم شجاع يكلم * وتجتلي هامته والمعصم

واختلفا ضربتين فقتل كل واحد صاحبه ، وأحرق أهل النجدات والشجاعة بعائشة ، فكان

لا يأخذ الراية ولا بخطام الجمل إلا شجاع معروف ، فيقتل من قصده ثم يقتل بعد ذلك ، وقد قتل بعضهم عين عدي بن حاتم ذلك اليوم ، ثم تقدم عبد الله بن الزبير فأخذ بخطام الجمل وهو لا يتكلم فقيل لعائشة إنه ابنك ابن أختك فقالت : وائسكل أساء ! وجاء مالك بن الحارث الأشتر النخعي فاقتتلا فضر به الأشتر على رأسه فجرحه جرحاً شديداً وضر به عبد الله ضربة خفيفة ثم اعتنقا وسقطا إلى الأرض يمتركان فجعل عبد الله بن الزبير يقول :

أقتلوني ومالك * واقتلوا مالك معي

فجعل الناس لا يعرفون مالكاً من هو وإنما هو معروف بالأشتر فجعل أصحاب علي وعائشة نخلصوهما

وقد جرح عبد الله بن الزبير يوم الجمل بهذه الجراحة سبعاً وثلاثين جراحة ، وجرح مروان بن الحكم أيضاً ، ثم جاء رجل فضرب الجمل على قوائمه فمقره وسقط إلى الأرض ، فسمع له عجيب ما سمع أشد ولا أفند منه ، وآخر من كان الزمام بيده زفر بن الحارث فمقر الجمل وهو في يده ، ويقال إنه اتفق هو وبجير بن دبلجة على عقره ، ويقال إن الذي أشار بمقر الجمل على ، وقيل القعقاع بن عمرو لثلاث تصاب أم المؤمنين ، فانها بقيت غرضاً للرماة ، ومن يمسك بالزمام برجاساً للرماح ، ولينفصل هذا الموقف الذي

قد تفانى فيه الناس ولما سقط البعير إلى الأرض انهزم من حوله من الناس ، وحمل هودج عائشة وانه
لكالتفند من السهام ، ونادى منادى على في الناس : إنه لا يتبع مدبر ولا يذنب على جريح ، ولا
يدخلوا الدور ، وأمر على نقرأ أن يحملوا الهودج من بين القتلى ، وأمر محمد بن أبي بكر وعماراً أن
يضربا عليها قبة ، وجاء إليها أخوها محمد فسألها هل وصل إليك شيء من الجراح ؟ فقالت : لا وما
أنت ذلك يا ابن الخثعمية . وسلم عليها عمار فقال : كيف أنت يا أم ؟ فقالت : لست لك بأم . قال :
بلى ! وإن كرهت ، وجاء إليها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين مسلماً فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت :
بخير فقال : يغفر الله لك . وجاء وجوه الناس من الأمراء والأعيان يسلمون على أم المؤمنين رضي الله
عنها ، ويقال إن أعين بن ضبيعة المجاشعي اطلع في الهودج فقالت : إليك لعنك الله ، فقال : والله
ما أرى إلا حميراً ، فقالت : هتك الله سترك وقطع يدك وأبدي عورتك . فقتل بالبصرة وسلب
وقطعت يده ورمى عرياناً في خربة من خرابات الأزدي . فلما كان الليل دخلت أم المؤمنين البصرة -
ومعها أخوها محمد بن أبي بكر - فنزلت في دار عبد الله بن خلف الخزاعي - وهي أعظم دار بالبصرة -
على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وهي أم طلحة
الطلحات عبد الله بن خلف ، وتسلسل الجرحى من بين القتلى فدخلوا البصرة ، وقد طاف على بين
القتلى فجعل كلما مر برجل يعرفه ترحم عليه ويقول : يعز علي أن أرى قريشاً صرعى . وقد مر على
ما ذكر على طلحة بن عبيد الله وهو مقتول فقال : لطف عليك يا أبا محمد ، إنا لله وإنا إليه راجعون
والله لقد كنت كما قال الشاعر :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه * إذا ما هو استغنى ويبيعه الفقر

وأقام على بظاهر البصرة ثلاثاً ثم صلى على القتلى من الفريقين ، وخص قريشاً بصلاة من بينهم ،
ثم جمع ما وجد لأصحاب عائشة في المعسكر وأمر به أن يحمل إلى مسجد البصرة ، فمن عرف شيئاً هو
لأهلهم فليأخذه ، إلا سلاحاً كان في الخزان عليه سمة السلطان . وكان مجموع من قتل يوم الجمل من
الفريقين عشرة آلاف ، خمسة من هؤلاء وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله ورضى عن الصحابة منهم .
وقد سأل بعض أصحاب علي علياً أن يقسم فيهم أموال أصحاب طلحة والزبير ، فأبى عليهم فظعن فيه
السبائية وقالوا : كيف يحل لنا دماؤهم ولا يحل لنا أموالهم ؟ فبلغ ذلك علياً فقال : أيكم يجب أن
تصير أم المؤمنين في سهمه ؟ فسكت القوم ، ولهذا لما دخل البصرة فض في أصحابه أموال بيت
المال ، فقتل كل رجل منهم خمسمائة ، وقال : لكم مثلها من الشام ، فنكلم فيه السبائية أيضاً وقالوا
منه من وراء وراء .

فصل

ولما فرغ علي من أمر الجمل أتاه وجوه الناس يسلمون عليه ، فكان ممن جاءه الأحنف بن قيس
في بني سعد - وكانوا قد اعتزلوا القتال - فقال له علي : تربعت - يعني بنا - فقال : ما كنت أراى
إلا قد أحسنت ، وبأمرك كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فارتفق فان طريقتك الذي سلكت بعيد ، وأنت
إلى غداً أحوج منك أمس ، فأعرف إحسانى ، واستبق مودتى لغد ، ولا تقل مثل هذا فاني لم أزل
لك ناصحاً . قالوا : ثم دخل على البصرة يوم الاثنين فبايعه أهلها على راياتهم ، حتى الجرحى والمستأمنة .
وجاءه عبد الرحمن بن أبي بكر التقي فبايعه فقال له علي : أين المريض ؟ - يعني أباه - فقال : إنه
والله مريض يا أمير المؤمنين ، وإنه على مسرتك لخريص . فقال : امش أمامي ، فمضى إليه فعاده ،
واعتذر إليه أبو بكر فغذره ، وعرض عليه البصرة فامتنع وقال : رجل من أهلك يسكن إليه الناس ،
وأشار عليه ببن عباس فولاه على البصرة ، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن
عباس أن يسمع من زياد - وكان زياد معتزلاً - ثم جاء على إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة ، فاستأذن
ودخل فسلم عليها ورحبت به ، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قتل ، منهم عبد الله
وعثمان ابنا خلف ، فعبد الله قتل مع عائشة ، وعثمان قتل مع علي ، فلما دخل على قالت له صفية امرأة
عبد الله ، أم طلحة الطلحات : أيم الله منك أولادك كما أيشمت أولادى ، فلم يرد عليها على شيئاً ،
فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة
وهي تقول ما تسمع ؟ فقال : ويحك ! إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات ، أفلا نكف
عنهن وهن مسلمات ؟ فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن على الباب رجلين بنلان من عائشة ،
فأمر على القمقام بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة وأن يخرجهما من ثيابهما ، وقد سألت عائشة
عن قتل معها من المسلمين ومن قتل من عسكر علي ، فجعلت كلما ذكر لها واحد منهم ترحمت عليه
ودعت له ، ولما أرادت أم المؤمنين عائشة الخروج من البصرة بعث إليها على رضي الله عنه بكل
ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك ، وأذن لمن نجا من جاء في الجيش معها أن يرجع إلا أن
يجب المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ، وسير معها أخاها محمد بن أبي
بكر ، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء على فوقف على الباب وحضر الناس وخرجت من الدار في
الهودج فودعت الناس ودعت لهم ، وقالت : يا بني لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه والله ما كان بيني
وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه على معتبتي لمن الأخيار . فقال علي :
صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنها لزوجتي نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة . وسار على معها

مودعاً ومشيعاً أميالا ، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم - وكان يوم السبت مستهل رجب سنة ست وثلاثين - وقصدت في سيرها ذلك إلى مكة فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذلك ثم رجعت إلى المدينة رضى الله عنها .

وأما مروان بن الحكم فإنه لما فر استجار بمالك بن مسمع فأجاره ووفى له ، ولهذا كان بنو مروان يكرمون مالكا ويشرفونه ، ويقال إنه نزل دار بني خلف فلما خرجت عائشة خرج معها ، فلما سارت هي إلى مكة سار إلى المدينة قالوا : وقد علم من بين مكة والمدينة والبصرة بالوقعة يوم الوقعة ، وذلك مما كانت النسور تحطفه من الأيدي والأقدام فيسقط منها هنالك ، حتى أن أهل المدينة علموا بذلك يوم الجمل قبل أن تغرب الشمس ، وذلك أن نسرأ مر بهم ومعه شيء فسقط فاذا هو كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب .

هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله عن أئمة هذا الشأن ، وليس فيما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلفة على الصحابة والأخبار الموضوعة التي ينقلونها بما فيها ، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه وقالوا : لنا أخبارنا ولكم أخباركم ، فنحن حينئذ نقول لهم : سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين .

فصل

في ذكر أعيان من قتل يوم الجمل من السادة النجباء من الصحابة وغيرهم من الفريقين رضى الله عنهم أجمعين ، وقد قدمنا أن عدة القتلى نحو من عشرة آلاف ، وأما الجرحى فلا يحصون كثرة فمن قتل يوم الجمل في المعركة

طلحة بن عبيد الله

ابن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو محمد القرشي التيمي ، ويعرف بطلحة الخير ، وطلحة الفياض لكرمه ولكثرة جوده أسلم قديماً على يدى أبي بكر الصديق ، فكان نوفل بن خويلد بن العدوية يشدهما في جبل واحد ، ولا يستطيع بنو تميم أن تمنعهما منه ، فلذلك كان يقال لطلحة وأبي بكر القرينان ، وقد هاجر وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب الأنصاري ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرأ - فإنه كان بالشام لتجارة - وقيل في رسالة ، ولهذا ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره من بدر ، وكانت له يوم أحد اليد البيضاء وشلت يده يوم أحد ، ووفى بها رسول الله ﷺ واستمرت كذلك إلى أن مات ، وكان الصديق إذا حدث عن يده أحد يقول : ذلك يوم كان كله لطلحة ، وقد

قال له رسول الله ﷺ يومئذ : « أوجب طلحة » وذلك أنه كان على رسول الله ﷺ درعان فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فما استطاع ، فطأ له طلحة فصعد على ظهره حتى استوى عليها ، وقال : « أوجب طلحة » وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، وقد صحب رسول الله ﷺ فأحسن صحبته حتى توفي وهو عنه راض ، وكذلك أبو بكر وعمر ، فلما كان قضية عثمان اعتزل عنه فنسبه بعض الناس إلى تحامل فيه ، فلهدا لما حضر يوم الجمل واجتمع به على فوعظه تأخر فوقف في بعض الصفوف ، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته وقيل في رقبته ، والأول أشهر ، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمح به حتى كاد يلقيه ، وجعل يقول : إلى عباد الله ، فأدرکه مولى له فركب وراءه وأدخله البصرة فمات بدار فيها ، ويقال إنه مات بالمعركة ، وإن علياً لما دار بين القتلى رآه فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال : رحمة الله عليك أبا محمد ، يعز علي أن أراك مجدولاً تحت نجوم السماء ، ثم قال : إلى الله أشكو مجرى وبجري ، والله لوددت أنى كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة . ويقال إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم ، وقال لأبان بن عثمان : قد كفيبتك رجلاً من قتلة عثمان ، وقد قيل إن الذي رماه غيره ، وهذا عندى أقرب ، وإن كان الأول مشهوراً والله أعلم

وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، ودفن طلحة إلى جانب الكلا وكان عمره ستين سنة ، وقيل بضعاً وستين سنة ، وكان آدم ، وقيل أبيض ، حسن الوجه كثير الشعر إلى القصر أقرب وكانت غلته في كل يوم ألف درهم .

وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أبيه أن رجلاً رأى طلحة في منامه وهو يقول : حولوني عن قبري فقد أذاني الماء ، ثلاث ليال ، فأنى ابن عباس فأخبره - وكان نائباً على البصرة - فاشترى له داراً بالبصرة بعشرة آلاف درهم فخلوه من قبره إليها ، فاذا قد أخضر من جسده مايلي الماء ، وإذا هو كهيئة يوم أصيب ، وقد وردت له فضائل كثيرة . فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن أبي عاصم : حدثنا الحسن بن علي بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثني أبي عن جده عن موسى بن طلحة عن أبيه قال : سماني رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير ، ويوم العسرة طلحة الفياض . ويوم حنين طلحة الجود ، وقال أبو يعلى الموصلي ثنا أبو كريب ثنا يونس عن ابن بكر عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن أبيهما أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاء يسأل عن قضى نجبه فقالوا : سل رسول الله ﷺ فسأله في المسجد فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم اطلمت من باب المسجد وعلى ثياب خضر فقال رسول الله : « أين السائل ؟ » قال ها أنا ذا فقال : « هذا ممن قضى نجبه » وقال أبو القاسم البغوي : ثنا داود بن رشيد ثنا مكي ثنا علي

ابن إبراهيم ثنا الصلت بن دينار عن أبي نصر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى شهيد يمسي على رجله فليتنظر إلى طلحة بن عبيد الله » وقال الترمذي : حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو عبد الرحمن بن منصور العنزي - اسمه النضر - ثنا عقبه بن علقمة اليشكري سمعت علي بن أبي طالب يقول : سمعت أذناي رسول الله ﷺ يقول : « طلحة والزبير جاراي في الجنة » وقد روى من غير وجه عن علي أنه قال : إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان ممن قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رجلا كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم فجعل سعد ينهيه ويقول : لا تقع في إخواني فأبى فقام فصلى ركعتين ثم قال : اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول ، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة . فخرج الرجل فاذا يبختي يشق الناس فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركوته والبلاط فسحقه حتى قتله . قال سعيد بن المسيب : فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون : هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك .

✽ والزبير بن العوام بن خويلد ✽

ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن اوى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة أبو عبد الله القرشي الأسدي ، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ . أسلم قديماً وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل أقل وقيل أكثرها . جري إلى الحبشة ثم إلى المدينة فأخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش ، وقد شهد المشاهد كلها وقد قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب « من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال : أنا ، ثم ندب الناس فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال رسول الله ﷺ : إن لكل نبي حوارياً وحوارياً الزبير » ثبت ذلك من رواية زر عن علي ، وثبت عن الزبير أنه قال : « جمع لي رسول الله ﷺ أبو به يوم بني قريظة » وروى أنه أول من سل سيفاً في سبيل الله ، وذلك بمكة حين بلغ الصحابة أن رسول الله ﷺ قد قتل فجاء شاهراً سيفه حتى رأى رسول الله ﷺ فشام سيفه ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، وصحب الصديق فأحس صحبته ، وكان ختنه علي ابنته أسماء بنت الصديق ، وابنه عبد الله منها أول مولود ولد للمسلمين بعد الهجرة ، وخرج مع الناس إلى الشام مجاهداً فشهد اليرموك فتشرفوا بحضوره ، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العليا ، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين من أولهم إلى آخرهم ، وكان من جملة من دافع عن عثمان وحاجف عنه ، فلما كان يوم الجمل ذكره علي بما ذكره به فرجع عن القتال وكر راجعاً إلى المدينة ، فمروا بقوم الأحنف بن قيس - وكانوا قد انزلوا عن الفريقين - فقال قائل يقال له الأحنف : ما بال هذا جمع بين الناس

حتى إذا التقوا كراجعاً إلى بيته ؟ من رجل يكشف لنا خبره ؟ فاتبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيح في طائفة من غواة بني تميم فيقال إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ويقال بل أدركه عمرو بن جرموز فقال له عمرو : إن لي إليك حاجة فقال : ادن ! فقال مولى الزبير ، واسمه عطية - إن معه سلاحاً فقال : وإن ، فتقدم إليه فجعل يحدته وكان وقت الصلاة فقال له الزبير : الصلاة فقال : الصلاة فتقدم الزبير ليصلي بهما فطعنهما عمرو بن جرموز فقتله ويقال بل أدركه عمرو بواد يقال له وادي السباع وهو نائم في القائلة فهجم عليه فقتله وهذا القول هو الأشهر ، ويشهد له شعر امرأته عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت آخر من تزوجها وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب فقتل عنها وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة * يوم اللقاء وكان غر معرد
يا عمرو لو نهته لوجدته * لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد
تكتلك أمك أن ظفرت بمنه * ممن بقى ممن يروح ويعتدى
كم غمرة قد خاضها لم يقنه * عنها طرادك يا ابن ققع العررد
والله ربي إن قتلت مسلماً * حلت عليك عقوبة المتعمد

ولما قتله عمرو بن جرموز فاحتر رأسه وذهب به إلى علي ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده فاستأذن فقال علي : لا تأذنوا له وبشروه بالنار ، وفي رواية أن علياً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بشر قاتل ابن صفية بالنار » ودخل ابن جرموز ومعه سيف الزبير فقال علي : إن هذا السيف طال ما فرج الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ، فيقال إن عمرو بن جرموز لما سمع ذلك قتل نفسه ، وقيل بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير ، على العراق فاختفى منه ، فقتل لمصعب : إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو مخنف ، فهل لك فيه ؟ فقال : مروه فليظهر فهو آمن ، والله ما كنت لأقيد للزبير منه فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير ، وقد كان الزبير ذا مال جزيل وصدقات كثيرة جداً ، لما كان يوم الجمل أوصى إلى ابنه عبد الله فلما قتل وجدوا عليه من الدين ألفي ألف ومائتا ألف فوفوها عنه ، وأخرجوا بعد ذلك ثلث ماله الذي أوصى به ثم قسمت التركة بعد ذلك فأصاب كل واحدة من الزوجات الأربع من ربع الثمن ألف ألف ومائتا ألف درهم ، فعلى هذا يكون مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف والثلث الموصى به تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف فذلك الجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمائة ألف والدين المخرج قبل ذلك ألفا ألف ومائتا ألف فعلى هذا يكون جميع ما تركه من الدين والوصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف ومائتا ألف

ألف ، وإنما نهينا على هذا لأنه وقع في صحيح البخارى ما فيه نظر ينبغي أن ينبه له والله أعلم .
وقد جمع ماله هذا بعد الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة مما أفاء الله عليه من الجهاد ومن خمس
الخمس ما يخص أمه منه ، ومن التجارة المبرورة من الخلال المشكورة ، وقد قيل إنه كان له ألف
مملوك يؤدون إليه الخراج ، فربما تصدق في بعض الأيام بخراجهم كلهم رضى الله عنه وأرضاه ، وكان
قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وقد نيف على الستين بست أو
سبع وكان أعمار أربعة من الرجال معتدل اللحم خفيف اللحية رضى الله عنه .

❦ وفي هذه السنة أعنى سنة ست وثلاثين ❦

ولى على بن أبى طالب نيابة الديار المصرية لقيس بن سعد بن عبادة ، وكان على نيابتها في أيام
عثمان عبد الله بن سعد بن أبى سرح فلما توجه أولئك الأحزاب من خوارج المصريين إلى عثمان
وكان الذى جهزهم إليه مع عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء محمد بن أبى حذيفة بن عتبة ، وكان لما
قتل أبوه باليمامة أوصى به إلى عثمان ، فكفله ورباه في حجره ومنزله وأحسن إليه إحساناً كثيراً ونشأ في
عبادة وزهادة ، وسأل من عثمان أن يوليه عملاً فقال له : متى ماصرت أهلاً لذلك وليتك ، فتعتب في
نفسه على عثمان فسأل من عثمان أن يخرج إلى الغزو فأذن له ، فقصد الديار المصرية وحضر مع أميرها
عبد الله بن سعد بن أبى سرح غزوة الصواري كما قدمنا ، وجعل ينتقص عثمان رضى الله عنه وساعده
على ذلك محمد بن أبى بكر ، فكاتب بذلك ابن أبى سرح إلى عثمان يشكوهما إليه فلم يعبا بهما عثمان
ولم يزل ذلك دأب محمد بن أبى حذيفة حتى استغفر أولئك إلى عثمان فلما بلغه أنهم قد حصروا عثمان
تغلب على الديار المصرية وأخرج منها عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وصلى بالناس فيها ، فلما كان ابن
أبى سرح ببعض الطريق جاءه الخبير بقتل أمير المؤمنين عثمان فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وبلغه
أن علياً قد بعث على إمرة مصر قيس بن سعد بن عبادة ، فشمت بمحمد بن أبى حذيفة ، إذ لم يتمتع
بملك الديار المصرية سنة ، وسار عبد الله بن سعد إلى الشام إلى معاوية فأخبره بما كان من أمره بديار
مصر ، وأن محمد بن أبى حذيفة قد استحوذ عليها ، فسار معاوية وعمرو بن العاص ليخرجه منها لأنه من
أكبر الأعوان على قتل عثمان ، مع أنه كان قد رباه وكفله وأحسن إليه ، فعاجلوا دخول مصر فلم يقدر
فلم يزالوا يخذلونه حتى خرج إلى العريش في ألف رجل فتحصن بها ، وجاء عمرو بن العاص فنصب
عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا ، ذكره محمد بن جرير . ثم سار إلى مصر قيس
ابن سعد بن عبادة بولاية من على ، فدخل مصر في سبعة نفر ، فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير
المؤمنين على بن أبى طالب .

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين

والمسلمين ، سلام عليكم فاني أحمد الله كثيراً الذى لا إله إلا هو ، أما بعد فإن الله بحسن صنيعه
وتقديره وتدييره اختار الاسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله ، وبعث به الرسل إلى عباده وخص به
من انتخب من خلقه ، فكان مما أكرم الله به هذه الأمة ، وخصهم به من الفضيلة أن بعث محمداً
ﷺ يعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة ، لكيما يهتدوا ، وجمعهم لكيما يتفرقوا ، وزكاهم
لكي يتطهروا ، ووقفهم لكيلا يجوروا . فلما قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه ، صوات الله
وسلامه عليه وبركاته ورحمته ، ثم إن المسلمين استخلفوا بعده أميرين صالحين ، عملاً بالكتاب ،
وأحسن السيرة ولم يعدوا السنة ثم توفاهما الله فرحمهما الله ، ثم ولى بعدهما وال أحدث أحداثاً ، فوجدت
الأمة عليه مقالاً فقالوا ، ثم تقموا عليه فغيروا ، ثم جاءونى فبايعونى فأستهدى الله بهداه وأستعينه على
التقوى ، ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله ، والقيام عليكم بحقه والنصح لكم
بالغيب والله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وقد بعثت إليكم قيس بن سعد بن عبادة فوازره
وكافوه وأعينوه على الحق ، وقد أمرته بالاحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بعوامكم
وخواصكم ، وهو ممن أرضى هديه وأرجو صلاحه ونصيحته أسأل الله لنا ولكم عملاً زاكياً وثواباً جزيلاً
ورحمة واسعة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب عبد الله بن أبى رافع في صفر سنة ست وثلاثين قال : ثم قام قيس بن سعد فخطب الناس
ودعاهم إلى البيعة لعلى ، فقام الناس فبايعوه ، واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها
خربتا ، فيها ناس قد أعظموا قتل عثمان - وكانوا سادة الناس ووجوههم وكانوا في نحو من عشرة
آلاف وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحارث المدبجى - وبعثوا إلى قيس بن سعد فوادعهم ،
وكذلك مسلمة بن مدج الأنصارى تأخر عن البيعة فتركه قيس بن سعد ووادعه ، ثم كتب معاوية
ابن أبى سفيان - وقد استوثق له أمر الشام بخدافيره - إلى أقصى بلاد الروم والسواحل وجزيرة
قبرص أيضاً تحت حكمه وبعض بلاد الجزيرة كالرها وحران وقرقيسيا وغيرها ، وقد ضوى إليها الذين
هربوا يوم الجمل من العمانية ، وقد أراد الأشتر انتزاع هذه البلاد من يد نواب معاوية ، فبعث إليه
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ففر منه الأشتر ، واستقر أمر معاوية على تلك البلاد فكتب إلى
قيس بن سعد يدعوه إلى القيام بطلب دم عثمان وأن يكون مؤزرراً له على ما هو بصدد من القيام
في ذلك ، ووعده أن يكون نائبه على العراقين إذا تم له الأمر ما دام سلطاناً فلما بلغه الكتاب -
وكان قيس رجلاً حازماً - لم يخالفه ولم يوافقته بل بعث يلاطف معه الأمر وذلك لبعده عن على وقربه
من بلاد الشام ومما دعا معاوية من الجنود ، فسأله قيس وتاركة ولم يوافقته على ما دعاه إليه ولا وافقه عليه :
فكتب إليه معاوية : إنه لا يسعك معي تسويقك بي وخذيعتك لى ولا بد أن أعلم أنك سلم أو

عدو - وكان معاوية حازماً أيضاً - فكتب إليه بما صمم عليه : إني مع علي إذ هو أحق بالأمر منك فلما بلغ ذلك معاوية بن أبي سفيان يئس منه ورجع ثم أشاع بعض أهل الشام أن قيس بن سعد يكاتبهم في الباطن ويمالهم على أهل العراق ، وروى ابن جرير أنه جاء من جهة كتاب مزور بمبايعته معاوية والله أعلم بصحته . ولما بلغ ذلك علياً فأنهه وكتب له أن يغزو أهل خربنا الذين تخلفوا عن البيعة ، فبعث إليه يعتمر إليه بانهم عدد كثير ، وهم وجوه الناس . وكتب إليه : إن كنت إنما أمرتني بهذا لتختبرني لأتلك أتهمتي ، فابعث علي عمالك بمصر غيري ، فبعث علي على إمرة مصر الأشتر النخعي ، فسار إليها الأشتر النخعي فلما بلغ القازم شرب شربة من عسل فكان فيها حفته فبلغ ذلك أهل الشام فقالوا : إن الله جنسنا من عسل ، فلما بلغ علياً مهلك الأشتر بعث محمد بن أبي بكر على إمرة مصر ، وقد قيل وهو الأصح إن علياً ولي محمد بن أبي بكر بعد قيس بن سعد ، فارتحل قيس إلى المدينة ، ثم ركب هو وسهل بن حنيف إلى علي فاعتذر إليه قيس بن سعد فعند ذلك علي ، وشهدا معه صفين كما سندهما ، فلم يزل محمد بن أبي بكر بمصر قائم الأمر مهيباً بالديار المصرية ، حتى كانت وقعة صفين ، وبلغ أهل مصر خبر معاوية ومن معه من أهل الشام على قتال أهل العراق ، وصاروا إلى التحكيم فطمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترأوا عليه وبارزوه بالمدواة فكان من أمره ما سندهما وكان عمرو بن العاص قد بايع معاوية على القيام بطلب دم عثمان ، وكان قد خرج من المدينة حين أرادوا حصره لثلاثين شهيداً مهلكاً ، مع أنه كان متعصباً عليه بسبب عزله له عن ديار مصر وتوليته بدله عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فتمسرح عن المدينة على غضب فنزل قريباً من الأردن ، فلما قتل عثمان صار إلى معاوية فبايعه على ما ذكرنا .

فصل

﴿ في وقعة صفين ﴾

﴿ بين أهل العراق من أصحاب علي ، وبين أهل الشام من أصحاب معاوية ﴾
 قد تقدم ما رواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين . أنه قال : « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف فلم يحضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين » وقال الامام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال لشعبة إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبيد الرحمن بن أبي ليلى قال : « شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً ، فقال : كتب أبو شيبة ، والله لقد ذكركم بالحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت ؟ وقد قيل إنه شهدها من أهل بدر سهل بن حنيف ، وكذا أبو أيوب الأنصاري . قاله شيخنا العلامة ابن تيمية في

كتاب الرد على الرافضة - وروى ابن بطة بإسناده عن بكير بن الأشج أنه قال : أما إن رجلاً من من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم [(١)]
 وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه لما فرغ من وقعة الجمل ودخل البصرة وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة ، سار من البصرة إلى الكوفة قال أبو السكون عبد الرحمن بن عبيد فدخلها على يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين فقيل له : انزل بالناصر الأبيض ، فقال : لا ! إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك ، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين ، ثم خطب الناس فحثهم على الخير ونهاهم عن الشر ، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه ، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله - وكان على همدان من زمان عثمان - وإلى الأشعث بن قيس - وهو على نيابة أذربيجان من زمان عثمان - أن يأخذ البيعة علي من هنالك من الرعايا ثم يقبلوا إليه ، ففعلوا ذلك . فلما أراد علي رضي الله عنه أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه إلى بيعته قال جرير بن عبد الله : أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين فان بيني وبينه ودا ، فأخذ لك منه البيعة ، فقال الأشتر : لا تبعه يا أمير المؤمنين فإني أخشى أن يكون هواه معه . فقال علي : دعه ، وبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأَنْصار على بيعته ، ويخبره بما كان في وقعة الجمل ، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس . فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله أعطاه الكتاب فطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان ، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتل قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه . فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا ، فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ألم أتهك أن تبعث جريراً ؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته . فقال له جرير : لو كنت ثم لقتلوك بدم عثمان . فقال الأشتر : والله لو بعثتني لم يعنى جواب معاوية ولا يحلنني عن الفكرة ، ولو أطاعني قبل حبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة ، فقام جرير مضطرباً وأقام بقرقيسيا ، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وما قيل له ، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه . وخرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الكوفة عازماً على الدخول إلى الشام فمسك بالخنزيرة واستخلف على الكوفة أبا مسعود عقبة ابن عامر البدرى الأنصاري وكان قد أشار عليه جماعة بأن يقيم بالكوفة ويبعث الجنود وأشار آخرون أن يخرج فيهم بنفسه ، وبلغ معاوية أن علياً قد خرج بنفسه فاستشار عمرو بن العاص فقال له : اخرج أنت أيضاً بنفسك ، وقام عمرو بن العاص في الناس فقال : إن صناديد أهل الكوفة والبصرة قد تقانوا يوم الجمل ، ولم يبق مع علي إلا شردمة قليلة من الناس ، ممن قتل ، وقد قتل

(١) زيادة من نسخة طوب قيو بالأستانة .

الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأنه الله في حركم أن تضعوه ، وفي دمكم أن تطوه ، وكتب إلى أجناد الشام فحضروا ، وعقدت الألوية والرايات للأمرء ، وتبها أهل الشام وتأهبوا ، وخرجوا أيضاً إلى نحو الفرات من ناحية صفين - حيث يكون مقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه - وسار على رضي الله عنه بمن معه من الجنود من النخيلة قاصداً أرض الشام . قال أبو إسرائيل عن الحكم ابن عيينة : وكان في جيشه ثمانون بدرياً ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة . رواه ابن ديزيل . وقد اجتاز في طريقه راهب فكان من أمره ما ذكره الحسين بن ديزيل في كتابه فيما رواه عن يحيى ابن عبد الله الكرابيسي عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد حدثني مسلم الأعور عن حبة العرنى قال : لما أتى علي الرقة نزل بمكان يقال له البلبخ على جانب الفرات فقتل إليه راهب من صومعته فقال لعلي : إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم عليهما السلام ، عرضة عليك ؟ فقال علي : نعم ! فقرأ الراهب الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر ، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدبهم على سبيل الله ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف ، وفي كل صعود وهبوط ، تدل ألسنتهم بالتهليل والتكبير ، وينصره الله على كل من ناوأه فاذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضى بالحق ولا ينكس الحكم ، الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب - في يوم عصفت فيه الريح - والموت أهون عليه من شرب الماء ، يخاف الله في السر ، وينصح في العلانية ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فأمن به كان ثوابه رضوان الجنة ، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فان القتل معه شهادة » ثم قال لعلي : فأنا أصحابك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك . فبكي على ثم قال : الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسياً منسياً ، والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار . فضى الراهب معه وأسلم فكان مع علي حتى أصيب يوم صفين ، فلما خرج الناس يطلبون قتلاهم قال علي : اطلبوا الراهب ، فوجدوه قتيلاً ، فلما وجدوه صلى عليه ودفنه واستغفر له . وقد بعث علي بين يديه زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف ، ومعه شريح بن هانئ ، في أربعة آلاف ، فساروا في طريق بين يديه غير طريقه ، وجاء علي فقطع دجلة من جسر منبج وسارت المقدمتان ، فبلغهم أن معاوية قد ركب في أهل الشام ليلتقي أمير المؤمنين علياً فهموا بالقيام فخافوا من قلة عددهم بالنسبة إليه ، فعدلوا عن طريقهم وجاؤا ليعبروا من عاتات فنعهم أهل عاتات فساروا

فعبروا من هيت ثم لحقوا علياً - وقد سبقهم - فقال علي : مقدمتي تأتي من ورأى ؟ فاعتذروا إليه بما جرى لهم ، فعذرهم ثم قدمهم أمامه إلى معاوية بعد أن عبر الفرات فتلقاهم أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في مقدمة أهل الشام فتواقفوا ، ودعاهم زياد بن النضر أمير مقدمة أهل العراق ، إلى البيعة فلم يجيبوه بشيء فكتب إلى علي بذلك فبعث إليهم علي الأشتر النخعي أميراً ، وعلى ميمنته زياد ، وعلى ميسرته شريح ، وأمره أن لا يتقدم إليهم بقتال حتى يبدءوه بالقتال ، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرة بعد مرة ، فان امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوه ولا يقرب منهم قرب من يريد الحرب ، ولا يبتعد منهم ابتعاد من يهاب الرجال ، ولكن صابروهم حتى آتيتك فأنا حثيث السير وراءك إن شاء الله ، فتحاجزوا يومهم ذلك ، فلما كان آخر النهار حمل عليهم أبو الأعور السلمي وبعث معه بكتاب الامارة على المقدمة مع الحارث بن جهمان الجعفي ، فلما قدم الأشتر على المقدمة امتثل ما أمره به علي ، فتواقف هو ومقدمة معاوية وعليها أبو الأعور السلمي فثبتوا له واصطبروا لهم ساعة ثم انصرف أهل الشام عند المساء ، فلما كان الغد تواقفوا أيضاً وتصابروا فحمل الأشتر فقتل عبد الله بن المنذر التنوخي - وكان من فرسان أهل الشام - قتله رجل من أهل العراق يقال له ظبيان بن عمارة التيمي ، فعند ذلك حمل عليهم أبو الأعور بن معاوية ، فتقدموا إليهم وطلب الأشتر من أبي الأعور أن يبارزه فلم يجبه أبو الأعور إلى ذلك ، وكأنه رآه غير كف له في ذلك والله أعلم . وتحاجز القوم عن القتال عند إقبال الليل من اليوم الثاني ، فلما كان صباح اليوم الثالث أقبل على رضي الله عنه في جيوشه ، وجاء معاوية رضي الله عنه في جنوده ، فتواجه الفريقان وتقابل الطائفتان فبالله المستعان ، فتواقفوا طويلاً . وذلك بمكان يقال له : صفين وذلك في أوائل ذي الحجة ، ثم عدل على رضي الله عنه فارتاد لجيشه منزلاً ، وقد كان معاوية سبق بجيشه فقتلوا على مشرعة الماء في أسهل موضع وأفسحه ، فلما نزل على نزل بعيداً من الماء ، وجاء سرعان أهل العراق ليردوا من الماء فنعهم أهل الشام ، فوقع بينهم مقاتلة بسبب ذلك ، وقد كان معاوية وكل على الشريعة أبا لأعور السلمي ، وليس هناك مشرعة سواها ، فعطش أصحاب علي عطشاً شديداً فبعث على الأشعث بن قيس الكندي في جماعة ليصلوا إلى الماء فنعهم أولئك وقال : موتوا عطشاً كما منعتم عثمان الماء ، فتراموا بالنبل ساعة ، ثم تطاعنوا بالرمح أخرى ، ثم تقاتلوا بالسيوف بعد ذلك كله ، وأمد كل طائفة أهلها ، حتى جاء الأشتر النخعي من ناحية العراقيين وعمرو بن العاص من ناحية الشاميين ، واشتدت الحرب بينهم أكثر مما كانت ، وقد قال رجل من أهل العراق - وهو عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي - وهو يقاتل .

خلوا لنا ماء الفرات الجاري * أو اتبتوا بجحفل جرار

لكل قرم مشرب تيار * مطاعن برمح ككرار

* ضراب هامات العدي مغوار *

ثم مازال أهل العراق يكشفون الشاميين عن الماء حتى أراحوهم عنه وخلصوا بينهم وبينه ، ثم اصطلمحوا على الورد حتى صاروا يزدحمون في تلك الشريعة لا يكلم أحد أحداً ، ولا يؤذى إنسان إنساناً . وفي رواية أن معاوية لما أمر أبا لأعور بحفظ الشريعة وقف دونها برماح مشرعة ، وسيوف مسللة ، وسهام مفوقة ، وقسي موترة ، فجاء أصحاب علي علياً فشكوا إليه ذلك فبعث صعصعة بن صوحان إلى معاوية يقول له : إنا جئنا كافين عن قتالكم حتى تقيم عليكم الحجة ، فبعثت إلينا مقدمتكم فقاتلتنا قبل أن نبدأكم ، ثم هذه أخرى قد منعونا الماء ، فلما بلغه ذلك قال معاوية للقوم : ماذا يريدون ؟ فقال عمر و خنل بينهم وبينه ، فليس من النصف أن نكون ريانين وهم عطاش ، وقال الوليد : دعهم يدوقوا من العطش ما أذاقوا أمير المؤمنين عثمان حين حصروه في داره ، ومنعوه طيب الماء والطعام أربعين صباحاً ، وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرج : امنعهم الماء إلى الليل فلعلهم يرجعون إلى بلادهم . فسكت معاوية فقال له صعصعة بن صوحان : ماذا جوابك ؟ فقال : سيأتيكم رأيي بعد هذا ، فلما رجع صعصعة فأخبر الخبر ركب الخيل والرجال ، فما زالوا حتى أراحوهم عن الماء ووردوه قهراً ، ثم اصطلمحوا فيما بينهم على ورود الماء ، ولا يمنع أحد أحداً منه . وأقام على يومين لا يكتب معاوية ولا يكتب معاوية ، ثم دعا على بشير بن عمرو والأنصاري وسعيد بن قيس الهمداني وشيبث بن ربيعي السهمي فقال : إيتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واسمعوا ما يقول لكم ، فلما دخلوا على معاوية قال له بشير بن عمرو : يا معاوية ! إن الدنيا عنك زائلة ، وإنك راجع إلى الآخرة ، والله محاسبك بعملك ، ومجازيك بما قدمت يداك ، وإني أنشدك الله أن تفرق جماعة هذه الأمة ، وأن تسفك دماءها بينها . فقال له معاوية هلا أوصيت بذلك صاحبكم ؟ فقال له : إن صاحبي أحق هذه البرية بالأمر في فضله ودينه وسابقته وقرابته ، وإنه يدعوك إلى مبايعته فانه أسلم لك في دنياك ، وخير لك في آخرتك . فقال معاوية : ويظل دم عثمان ؟ لا والله لا أفعل ذلك أبداً ، ثم أراد سعيد بن قيس الهمداني أن يتكلم فبدره شيبث بن ربيعي فتكلم قبله بكلام فيه غلظة وجفاء في حق معاوية ، فزجره معاوية وزبره في افتياته على من هو أشرف منه ، وكلامه بما لا علم له به ، ثم أمر بهم فأخرجوا من بين يديه ، وصمم على القيام بطلب دم عثمان الذي قتل مظلوماً ، فعند ذلك نشبت الحرب بينهم ، وأمر على بالطلاع والأمر أن تتقدم للحرب ، وجعل على يؤمر على كل قوم من الحرب أميراً ، فمن أمرائه على الحرب الأشتر النخعي - وهو أكبر من كان يخرج للحرب - وحجر ابن عدي ، وشيبث بن ربيعي ، وخالد بن المعتمر وزياد بن النضر ، وزياد بن حفصة ، وسعيد بن قيس ، ومعل بن قيس ، وقيس بن سعد ، وكذلك كان معاوية يبعث على الحرب كل يوم أميراً ،

فمن أمرائه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وأبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلم ، وذو الكلاع الحميري ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وشرحبيل بن السمط ، وحمزة بن مالك الهمداني ، وربما اقتتل الناس في اليوم مرتين ، وذلك في شهر ذي الحجة بكاله ، وحج بالناس في هذه السنة عبد الله ابن عباس عن أمر علي له بذلك ، فلما انسلخ ذو الحجة ودخل الحرم تداعى الناس للعتاركة ، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دماهم ، فكان ما سندرته

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ﴾

استهلت هذه السنة وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضی الله عنه متواقف هو ومعاوية بن أبي سفيان رضی الله عنه ، كل منهما في جنوده بمكان يقال له صفين بالقرب من الفرات شرقي بلاد الشام ، وقد اقتتلوا في مدة شهر ذي الحجة كل يوم ، وفي بعض الأيام ربما اقتتلوا مرتين ، وجرت بينهم حروب يطول ذكرها ، والمقصود أنه لما دخل شهر المحرم تحاجز القوم رجاء أن يقع بينهم مهادنة وموادعة يؤول أمرها إلى الصلح بين الناس وحقن دماهم ، فذكر ابن جرير من طريق هشام عن أبي مخنف مالك حدثني سعيد بن المجاهد الطائي عن محل بن خليفة أن علياً بعث عدى بن حاتم ويزيد ابن قيس الأرحبي ، وشيبث بن ربيعي وزياد بن حفصة إلى معاوية ، فلما دخلوا عليه - وعمر و بن العاص إلى جانبه - قال عدى بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد يا معاوية فانا جئناك ندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمرنا ، وتحقق به الدماء ، ويأمن به السبل ، ويصلح ذات البين ، إن ابن عمك سيد المسامين أفضلها سابقة ، وأحسنها في الإسلام أمراً وقد استجمع له الناس وقد أرشدكم الله بالذي رأوا فلم يبق أحد غيرك وغير من معك من شيعتك ، فانت يا معاوية لا يصيبك الله وأصحابك مثل يوم الجمل ، فقال له معاوية : كأنك إنما جئت مهدداً ولم تأت مصلحاً ، هيأت والله يا عدى ، كلا والله إني لأبني حرب ، لا يقع لي بالثنان ، أما والله إنك لمن الجلبين علي ابن عفان ، وإنك لمن قتلته ، وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله به ، وتكلم شيبث بن ربيعي وزياد بن حفصة فدكرا من فضل علي وقالوا : اتق الله يا معاوية ولا تخالفه فإنا والله مارأينا رجلاً قط أعمل بالتقوى ، ولا أزهدي في الدنيا ، ولا أجمع نخصال الخير كلها منه . فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فانكم دعوتوني إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فعناهي ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلاً أعان على قتل عثمان وهو يزعم أنه لم يقتله ؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتممه به ، ولكنه أوى قتلته ، فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة . فقال له شيبث بن ربيعي : أنشدك الله يا معاوية ، لو تمكنت من عمار أ كنت قاتله بعثمان ؟ قال معاوية : لو تمكنت من ابن سمية ماقتلته بعثمان ، ولكني كنت قتلته بغلام عثمان . فقال له شيبث بن ربيعي : وإله الأرض والسماء لا تل إلى قتل عمار حتى تندر الرؤوس

عن كواهلها ، ويضيق فضاء الأرض ورحبها عليك . فقال معاوية : لو قد كان ذلك كانت عليك أضيقت . وخرج القوم من بين يديه فذهبوا إلى علي فأخبروه بما قال . وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الهفري ، وشرحبيل بن السمط ، ومعين بن يزيد بن الاخنس إلى علي ، فدخلوا عليه فبدأ حبيب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهيأ عمل بكتاب الله وثبت لأمر الله ، فاستنقلم حياته ، واستبطأتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلته إن زعمت أنك لم تقتله ، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شوري بينهم ، فيولى الناس أمرهم من جمع عليه رأيهم . فقال له علي : وما أنت لا أم لك ، وهذا الأمر وهذا العزل ، فاسكت فانك لست هناك ولا بأهل لذلك . فقال له حبيب : أما والله لتريني حيث تكره ، فقال له علي : وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت ، اذهب فصعد وصوب ما بدالك . ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي ، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر فان في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتص فيه معاوية وأباه ، وإنيهم إنما دخلوا في الاسلام ولم يزالوا في تردد فيه وغير ذلك وإنه قال في غيبون ذلك : لا أقول إن عثمان قتل مظلوماً ولا ظالماً . فقالوا : نحن نبرأ ممن لم يقل إن عثمان قتل مظلوماً ، وخرجوا من عنده ، فقال علي : (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) ثم قال لأصحابه : لا يكن هؤلاء أولى بالجسد في ضلالتهم منكم بالجسد في حقكم وطاعة نبيكم ، وهذا عندي لا يصح عن علي رضي الله عنه .

وروى ابن ديزيل من طريق عمرو بن سعد بأسناده أن قراء أهل العراق وقراء أهل الشام عسكروا ناحية وكانوا قريباً من ثلاثين ألفاً ، وأن جماعة من قراء العراق منهم عبيدة السلماني ، وعلقمة بن قيس ، وعامر بن عبيد قيس ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم جاؤا معاوية فقالوا له : ما تطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان قالوا : فمن تطالب به ؟ قال : علياً ، قالوا : أهو قتله ؟ قال : نعم ! وأوى قتلته . فانصرفوا إلى علي فذكروا له ما قال فقال : كذب ! لم أقتله وأنتم تعلمون أني لم أقتله . فرجعوا إلى معاوية فقال : إن لم يكن قتله بيده فقد أمر رجلاً . فرجعوا إلى علي فقال : والله لا قتلت ولا أمرت ولا ماليت . فرجعوا فقال معاوية . فان كان صادقاً فليقدنا من قتلة عثمان ، فانهم في عسكره وجنده فرجعوا فقال علي : تأول القوم عليه القرآن في فتنة ووقعت الفرقة لأجلها وقتلوه في سلطانه وليس لي عليهم وسبيل . فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إن كان الأمر على ما يقول فإله أنفذ الأمر دوننا من غير مشورة منا ولا ممن ها هنا ؟ فرجعوا إلى علي فقال علي : إنما الناس مع المهاجرين والأنصار ، فهم شهود الناس على ولايتهم وأمر دينهم ، ورضوا وبأهوني ، ولست أستحل

أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمة ويشق عصاها ، فرجعوا إلى معاوية فقال : ما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ؟ فرجعوا فقال علي : إنما هذا للبدرين دون غيرهم ، وليس على وجه الأرض بدري إلا وهو معي ، وقد بايعني وقد رضى ، فلا يفرنكم من دينكم وأنفسكم ، قال : فأقاموا يتراسلون في ذلك شهر ربيع الآخر وجماديين ويقرعون في غيبون ذلك القرعة بعد القرعة ويرحف بعضهم على بعض ، ويحجز بينهم القراء ، فلا يكون قتال قال : ففرعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين قرعة . قال : وخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فدخلوا على معاوية فقالا له : يا معاوية على م تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلاماً ، وأقرب منك إلى رسول الله ﷺ وأحق بهذا الأمر منك . فقال : أقاتله على دم عثمان وإنه آوى قتلته ، فاذهباً إليه فقولاً له فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من يبايعه من أهل الشام ، فاذهباً إلى علي فقال له ذلك فقال : هؤلاء الذين تريان تخرج خلقك كثير فقالوا : كلنا قتلة عثمان فمن شاء فليمرنا . قال : فرجع أبو الدرداء وأبو أمامة فلم يشهدا لهم حرباً . قال عمرو بن سعد بأسناده حتى إذا كان رجب وخشى معاوية أن تبائع القراء كلهم علياً كتب في سهم من عبد الله الناصح : يا معشر أهل العراق ! إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليغرقكم فخذوا حذركم ، ورمى به في جيش أهل العراق . فأخذته الناس فقرؤه وتحذوا به ، وذكره لعلي فقال : إن هذا مالا يكون ولا يقع . وشاع ذلك ، وبعث معاوية مائتي فاعل يحفرون في جنب الفرات وبلغ الناس ذلك فتشوش أهل العراق من ذلك وفرعوا إلى علي فقال : ويحكم ! إنه يريد خديعتكم ليزيلكم عن مكانكم هذا وينزل فيه لأنه خير من مكانه . فقالوا : لا بد من أن نخلى عن هذا الموضع فارتحلوا منه ، وجاء معاوية فنزل بجيشه . وكان على آخر من ارتحل - فنزل بهم وهو يقول :

فلو أني أطعت عصمت قومي * إلى ركن الجملة أو شام

ولكني إذا أبرمت أمراً * يخالفه الطعام بنو الطعام

قال : فأقاموا إلى شهر ذي الحجة ثم شرعوا في المقاتلة فجعل على يؤمر على الحرب كل يوم رجلاً وأكثر من كان يؤمر الأشتر . وكذلك معاوية يؤمر كل يوم أميراً فاقتتلوا شهر ذي الحجة بكاله ، وربما اقتتلوا في بعض الأيام مرتين قال ابن جرير رحمه الله : ثم لم تزل الرسل تتردد بين علي ومعاوية والناس كآقون عن القتال حتى انسلخ المحرم من هذه السنة ولم يقع بينهم صلح ، فأمر علي ابن أبي طالب يزيد بن الحارث الجشمي فنأدى أهل الشام عند غروب الشمس ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد استأنتيكم لتراجعوا الحق ، وأقت عليكم الحجة فلم تجيبوا ، وإني قد نبئت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . ففرع أهل الشام إلى أمرهم فأعلموهم بما سمعوا المنادى

ينادى فنهض عند ذلك معاوية وعمرو فعبيا الجيش ميمنة وميسرة ، وبات على يعبي جيشه من ليلته ، فجعل على خيل أهل الكوفة الأشتر النخعي ، وعلى رجالهم عمار بن ياسر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجالهم قيس بن سعد وهاشم بن عتبة ، وعلى إقراهم سعد بن فديكي التميمي ، وتقدم على إلى الناس أن لا يبدأوا واحداً بالقتال حتى يبدأ أهل الشام ، وأنه لا يذف على جريح ولا يتبع مدبر ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان ، وإن شتمت أمراء الناس وصلحاءهم وبرز معاوية صباح تلك الليلة وقد جعل على الميمنة ابن ذى الكلاع الحميري ، وعلى الميسرة حبيب بن مسلمة الفهري ، وعلى المقدمة أبا الأعرور السلمي ، وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص ، وعلى رجالهم الضحك بن قيس . ذكره ابن جرير

وروى ابن ديزيل من طريق جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر ويزيد بن الحسن بن علي وغيرهما قالوا : لما بلغ معاوية سير على سار معاوية نحو على واستعمل على مقدمته سفيان بن عمرو بالأعور السلمي وعلى الساقية بسر بن أبي أرطاة حتى توافوا جميعاً سائرين إلى جانب صفين . وزاد ابن السكبي قتال : جعل على المقدمة أبا الأعرور السلمي ، وعلى الساقية بسر ، وعلى الخيل عبيد الله بن عمر ودفع اللواء إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وجعل على الميمنة حبيب بن مسلمة ، وعلى رجالها يزيد بن زحر العنسي ، وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى رجالها حابس بن سعد الطائي ، وعلى خيل دمشق الضحك بن قيس وعلى رجالهم يزيد بن لبيد بن كرز البجلي ، وجعل على أهل حمص ذا الكلاع وعلى أهل فلسطين مسلمة بن مخلد وقام معاوية في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! والله ما أصبت الشام إلا بالطاعة ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف ، وقد تهيأتم وسترتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق ، وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام ولعمري ما للشام رجال العراق ولا أموالها ، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصارتها ، مع أن القوم وبعدهم أعدادهم ، وليس بكم غيركم فان غلبتموهم لم تغلبوا إلا من أناتكم وإن غلبوكم غلبوا من بكم والقوم لا قومكم بكيد أهل العراق ، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز ، وقسوة أهل مصر ، وإتما ينصر غداً من ينصر اليوم (واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين) وقد بلغ علياً خطبة معاوية قدام في أصحابه فحرضهم على الجهاد ومدحهم بالصبر وشجعهم بكثرتهم بالنسبة إلى أهل الشام ، قال جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر ويزيد بن أنس وغيرهما قالوا : سار على في مائة وخمسين ألفاً من أهل العراق وأقبل معاوية في نحو منهم من أهل الشام . وقال غيرهم : أقبل على في مائة ألف أو يزيدون ، وأقبل معاوية في مائة ألف وثلاثين ألفاً . رواها ابن ديزيل في كتابه . وقد تعاقد جماعة من أهل الشام على أن لا يفروا فمقلوا أنفسهم بالعلم ، وكان هؤلاء خمسة

صفوف ومعهم ستة صفوف آخرين وكذلك أهل العراق كانوا أحد عشر صفواً أيضاً فتواقفوا على هذه الصفة أول يوم من صفر وكان ذلك يوم الأربعاء ، وكان أمير الحرب يومئذ للعراقيين الأشتر النخعي ، وأمير الحرب يومئذ للشاميين حبيب بن مسلمة ، فاقتلوا ذلك اليوم قتالاً شديداً ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد انتصف بعضهم من بعض وتكافؤوا في القتال ثم أصبحوا من الغد يوم الخميس وأمير حرب أهل العراق هاشم بن عتبة ، وأمير الشاميين يومئذ أبا الأعرور السلمي فاقتلوا قتالاً شديداً تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم تراجعوا من آخر يومهم وقد صبر كل من الفريقين للآخر وتكافؤوا ثم خرج في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - عمار بن ياسر من ناحية أهل العراق وخرج إليه عمرو بن العاص في الشاميين فاقتل الناس قتالاً شديداً وحمل عمار على عمرو بن العاص فأزاله عن موقفه وبارز زياد بن النضر الحارثي وكان على الخيالة رجلاً فلما تواقفا تمارفا فاذا هما أخوان من أم ، فانصرف كل واحد منهما إلى قومه وترك صاحبه ، وتراجع الناس من العشي وقد صبر كل فريق لصاحبه ، وخرج في اليوم الرابع - وهو يوم السبت - محمد بن علي - وهو ابن الحنفية - ومعه جمع عظيم فخرج إليه في كثير من جهة الشاميين عبيد الله بن عمر ، فاقتل الناس قتالاً شديداً ، وبرز عبيد الله بن عمر فطلب من ابن الحنفية أن يبرز إليه فبرز إليه ؟ فلما كادا أن يقتربا قال علي : من المبارز ؟ قالوا محمد ابنك وعبيد الله ، فيقال إن علياً حرك دابته وأمر ابنه أن يتوقف وتقدم إلى عبيد الله قتال له : تقدم إلى قال له : لا حاجة لي في مبارزتك ، فقال : بلى ، فقال : لا ! فرجع عنه علي وتحاجز الناس يومهم ذلك ثم خرج في اليوم الخامس - وهو يوم الأحد - في العراقيين عبيد الله بن عباس وفي الشاميين الوليد بن عقبة ، واقتل الناس قتالاً شديداً ، وجعل الوليد ينال من ابن عباس ، فيأذكره أبو مخنف ويقول : قتلتم خليفتم ولم تنالوا ما طلبتم ، والله إن الله ناصرنا عليكم . قتال له ابن عباس : فبرز إلى فأبى عليه ويقال إن ابن عباس قاتل يومئذ قتالاً شديداً بنفسه رضي الله عنه ، ثم خرج في اليوم السادس - وهو يوم الاثنين - وعلى الناس من جهة العراقيين قيس بن سعد ، ومن جهة أهل الشام بن ذى الكلاع فاقتلوا قتالاً شديداً أيضاً وتصابروا ثم تراجعوا ، ثم خرج الأشتر النخعي في اليوم السابع - وهو يوم الثلاثاء وخرج إليه قرنه حبيب بن مسلمة فاقتلوا قتالاً شديداً أيضاً ولم يغلب أحد أحداً في هذه الأيام كلها . قال أبو مخنف : حدثني مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب أن علياً قال : حتى متى لا تناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ؟ ثم قام في الناس عشية الأربعاء بعد العصر فقال : الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض وما أبرم لم ينقضه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله ، وقد ساقنا هؤلاء القوم الأقدار وألقت بيننا في هذا المكان ، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع

فلو شاء لعجل النعمة وكان منه التمسير حتى يكذب الله الظالم ، ويعلم الحق أين مصيره ، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار (ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) ألا وأنكم لا قوا القوم غداً فاطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، وأسألوا الله النصر والصبر والقوة بالجد والحزم وكونوا صادقين . قال : فوثب الناس إلى سيوفهم ورمحهم ونبأهم يصلحونها قال : ومرو بالناس وهم كذلك كعب بن جعل التعلبي فرأى ما يصفون فجعل يقول :

أصبحت الأمة في أمر عجب * والمملك مجموع غداً لمن غلب

فقلت قولاً صادقاً غير كذب * إن غداً تهلك أعلام العرب

قال : ثم أصبح علي في جنوده قد عبأهم كما أراد ، وركب معاوية في جيشه قد عبأهم كما أراد ، وقد أمر علي كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام فتقاتل الناس قتالاً عظيماً لا يفر أحد من أحد ولا يفلب أحد أحداً ، ثم تحاجزوا عند العشي ، وأصبح علي فصلى الفجر بغلس وباكر القتال ، ثم استقبل أهل الشام فاستقبلوه بوجوههم ، فقال علي فيما رواه ابن عزة عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب : اللهم رب السقف المحفوظ المكفوف الذي جعلته سقفاً لليل والنهار ، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت فيه سبطاً من الملائكة لا يسأمون العبادة ، ورب الأرض التي جعلتها قراراً للأنام والهوام والأنعام ، ومالا يحصى مما ترى ومالا ترى من خلقك العظيم ، ورب الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس ، ورب السحاب المسخر بين السماء والأرض ، ورب البحر المسجور المحيط بالعالم ، ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً وللخلق متاعاً ، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي والفساد وسددنا للحق ، وإن أظهرتهم علينا فارزقني الشهادة وجنب بقية أصحابي من الفتنة . ثم تقدم علي وهو في القلب في أهل المدينة وعلى ميمنته يومئذ عبد الله بن بديل ، وعلى الميسرة عبد الله بن عباس ، وعلى القراء عمار بن ياسر وقيس بن سعد ، والناس على راياتهم فزحف بهم إلى القوم ، وأقبل معاوية - وقد بايعه أهل الشام على الموت - فتواقف الناس في موطن مهول وأمر عظيم ، وحمل عبد الله بن بديل أمير ميمنة على علي ميسرة أهل الشام وعليها حبيب ابن مسلمة ، فاضطره حتى أجه إلى القلب ، وفيه معاوية ، وقام عبد الله بن بديل خطيباً في الناس يحرضهم على القتال ويحثهم على الصبر والجهاد ، وحرص أمير المؤمنين على الناس على الصبر والثبات والجهاد ، وحثهم على قتال أهل الشام ، وقام كل أمير في أصحابه يحرضهم ، وتلا عليهم آيات القتال من أما كن متفرقة من القرآن ، فمن ذلك قوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) ثم قال : قدموا المدارع وأخروا الحاسر وعضوا على الأضراس ، فانه أنكى للسيوف

عن الهام ، وألبوا إلى أطراف الرماح فانه أفوق للأسنة ، وغضوا الأبصار فانه أربط للجأش وأسكن للقلب ، وأميتوا الأصوات فانه أطرده للفشل وأولى بالوقار ، رايانكم لا تملوها ولا تزيلوه ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم . وقد ذكر علماء التاريخ وغيرهم أن علياً رضي الله عنه بارز في أيام صفين وقاتل وقتل خلقاً حتى ذكر بعضهم أنه قتل خمسمائة ، فمن ذلك أن كريب بن الصباح قتل أربعة من أهل العراق ثم وضعهم تحت قدميه ثم نادى : هل من مبارز ؟ فبرز إليه علي فتجاولا ساعة ثم ضرب به علي فقتله ثم قال علي : هل من مبارز ؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله ، ثم برز إليه رواد ابن الحارث الكلاعي فقتله ، ثم برز إليه المطاع بن المطلب القيسى فقتله . فتسلا على قوله تعالى (والحرمات قصاص) ثم نادى ويحك يا معاوية ! ابرز إلى ولا تغني العرب بيني وبينك ، فقال له عمرو بن العاص : اغتتمه فانه قد أئخن بقتل هؤلاء الأربعة ، فقال له معاوية : والله لقد علمت أن علياً لم يقهر قط ، وإنما أردت قتلى لتصيب الخلافة من بعدى ، اذهب إليك ! فليس مثلي يخدع وذكروا أن علياً حمل على عمرو بن العاص يوماً فضر به بالرمح فألقاه إلى الأرض فبست سوءته فرجع عنه ، فقال له أصحابه : مالك يا أمير المؤمنين رجعت عنه ؟ فقال : أتدرون ما هو ؟ قالوا : لا ! قال : هذا عمرو بن العاص تلقاني بسوءته فذكرني بالرحم فرجعت عنه ، فلما رجع عمرو إلى معاوية قال له : احمد الله واحمد إبتك . وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى ثنا نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن نير الأ نصاري قال : والله لكأني أسمع علياً وهو يقول لأصحابه يوم صفين أما تخافون مقت الله حتى متى ، ثم انفتل إلى القبلة يدعو ثم قال : والله ما سمعنا برئيس أصاب يده ما أصاب علي يومئذ إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة رجل ، يخرج فيضرب بالسيف حتى ينحني ثم يجي فيقول معذرة إلى الله وإيكم والله لقد هممت أن أقلمه ولكن يحجزني عنه أتى سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » قال : فيأخذه فيصلحه ثم يرجع به . وهذا إسناد ضعيف وحديث منكر وحدثنا يحيى ثنا ابن وهب أخبرني الليث عن يزيد بن حبيب أنه أخبره من حضر صفين مع علي ومعاوية قال ابن وهب : وأخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط قال : شهدنا صفين مع علي ومعاوية قال فطرت السماء علينا دماً عبيطاً قال الليث في حديثه حتى أن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية قال ابن لهيعة : فتملى ونهر يقها وقد ذكرنا أن عبد الله بن بديل كسر الميسرة التي فيها حبيب بن مسلمة حتى أضافها إلى القلب فأمر معاوية الشجعان أن يعاونوا حبيباً على الكرة وبث إليه معاوية يأمره بالحملة والكرة على ابن بديل ، فعمل حبيب بمن معه من الشجعان على ميمنة أهل العراق فأزالوهم عن أما كنهم وانكشفوا عن أميرهم حتى لم يبق معه إلا زهاء ثلثمائة وانجفل بقية أهل العراق ، ولم يبق مع علي من تلك القبائل إلا أهل

مكة وعليهم سهل بن حنيف ، وثبت ربيعة مع علي رضي الله عنه واقترب أهل الشام منه حتى جعلت
 نبالم تصل إليه ، وتقدم إليه مولى لبني أمية فاعترضه مولى لعلى فقتله الأُموي وأقبل يريد علياً وحوله
 بنوه الحسن والحسين ومحمد بن حنفية ، فلما وصل إلى علي أخذته على يده فرفعه ثم ألقاه على الأرض
 فكسر عضده ومنكبته وابتدره الحسين ومحمد بأسياهما فقتلاه فقال علي للحسن ابنه وهو واقف
 معه : ما منعك أن تصنع كما صنعنا فقال : كفيان أمره يا أمير المؤمنين وأسرع إلى علي أهل الشام
 فجعل علي لا يزيد قريتهم منه سرعة في مشيته ، بل هو سائر على هيئته ، فقال له ابنه الحسن : يا أبا
 لوسميت أكثر من مشيتك هذه فقال : يا بني إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي ولا
 يعجل به إليه المشي إن أبك والله ما يبالي وقع على الموت أو وقع عليه ثم إن علياً أمر الأشتر النخعي
 أن يلحق المنهزمين فيردم فسار فأسرع حتى استقبل المنهزمين من العراق فجعل يؤنبهم ويوبخهم
 ويحرض القبائل والشجعان منهم على السكرة فجعل طائفة تتابعه وآخرون يستمرون في هزيمتهم فلم يزل
 ذلك دأبه حتى اجتمع عليه خاق عظيم من الناس فجعل لا يلتقي قبيلة إلا كشفها ولا طائفة إلا ردها
 حتى انتهى إلى أمير الميمنة وهو عبد الله بن بديل ومعه نحو في ثلثمائة قد ثبتوا في مكانهم فسألوا عن
 أمير المؤمنين فقالوا حتى صالح فالتفتوا إليه ، فتقدم بهم حتى تراجع كثير من الناس وذلك ما بين صلاة
 العصر إلى الغروب ، وأراد ابن بديل أن يتقدم إلى أهل الشام فأمره الأشتر أن يثبت مكانه فإنه
 خير له فأبى عليه ابن بديل ، وحمل نحو معاوية ، فلما انتهى إليه وجده واقفاً أمام أصحابه وفي يده
 سيفان وحوله كتائب أمثال الجبال ، فلما اقترب ابن بديل تقدم إليه جماعة منهم فقتلوه وألقوه إلى
 الأرض قتيلاً ، وفر أصحابه منهزمين وأكثرهم مجروح فلما انهزم أصحابه قال معاوية لأصحابه
 انظروا إلى أميرهم ، فجاءوا إليه فلم يعرفوه فتقدم معاوية إليه فاذا هو عبد الله بن بديل ، فقال معاوية :
 هذا والله كما قال الشاعر ، وهو حاتم الطائي :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها * وإف شمرت يوماً به الحرب شمرا
 ويحسى إذا ما الموت كان لقاءه * كذلك ذو الأشبال يحسى إذا ما تأمرا
 كليث هزبر كان يحسى ذماره * رمته المنايا سهمها فتقطرا
 ثم حمل الأشتر النخعي من رجع معه من المنهزمين فصدق الحملة حتى خالط الصفوف الخمسة
 الذين تعاقبوا أن لا يفرروا وهم حول معاوية ، فخرق منهم أربعة وبقى بينه وبين معاوية صف ، قال
 الأشتر فرأيت هولاً عظيماً ، وكنت أن أفر فما ثبتني إلا قول ابن الاطنابة وهي أمه من بلقين وكان
 هو من الأنصار وهو جاهلي :

أبت لي عفتي وأبى بلائي * وإقدامي على البطل المشيح

وإعطائي على المكروه مالي * وضربني هامة الرجل السبيح
 وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تسريحي

قال : فهذا الذي ثبتني في ذلك الموقف . والعجب أن ابن ديزيل روى في كتابه أن أهل العراق
 حملوا حملة واحدة ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه حتى أفضوا إلى معاوية فدعا بفرسه لينجو
 عليه ، قال معاوية : فلما وضعت رجلي في الركاب تمثلت بأبيات عمرو بن الاطنابة :

أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذني الحمل بالثمن الربيع
 وإعطائي على المكروه مالي * وضربني هامة البطل المشيح
 وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تسريحي

قال : فثبت ونظر معاوية إلى عمرو بن العاص فقال : اليوم صبر وغدا نغر ، فقال له عمرو : صدقت
 قال معاوية فأصبت خير الدنيا وأنا أرجو أن أصيب خير الآخرة . ورواه محمد بن إسحاق عن
 عبيد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن بن حاطب عن معاوية ، وبعث معاوية إلى خالد بن المعتمر
 وهو أمير الخيالة لعلى فقال له : اتبعني على ما أنت عليه ولك إمرة العراق ، فطعم فيه ، فلما ولي
 معاوية ولاة العراق فلم يصل إليها خالد رحمه الله ، ثم إن علياً لما رأى الميمنة قد اجتمعت رجع إلى
 الناس فأنب بعضهم وعذر بعضهم وحرص الناس وثبتهم ثم تراجع أهل العراق فاجتمع شملهم ودارت
 رحى الحرب بينهم وجالوا في الشاميين وصلوا ، وتبارز الشجعان فقتل خلق كثير من الأعيان من
 الفريقين فانا لله وإنا إليه راجعون . وقيل ممن قتل في هذا اليوم عبيد الله بن عمر بن الخطاب من
 الشاميين ، واختلفوا فيمن قتله من العراقيين ، وقد ذكر إبراهيم بن الحسين بن ديزيل أن عبيد الله
 لما خرج يومئذ أميراً على الحرب أحضر امرأته أسماء بنت عطار بن حاجب التميمي وبحرية
 بنت هاني بن قبيصة الشيباني - فوقفتا وراءه في راحلتين لينظرا إلى قتاله وشجاعته وقوته ،
 فواجهته من جيش العراقيين ربيعة الكوفة وعليهم زياد بن حفصة التميمي ، فشدوا عليه شدة رجل
 واحد فقتلوه بعد ما انهزم عنه أصحابه ، ونزلت ربيعة فضر بها لا ميرهم خيمة فبقى طنب منها لم يجدوا
 له وتداً فشدوه برجل عبيد الله ، وجاءت امرأته بولولان حتى وقفنا عليه وبكتا عنده ، وشفعت
 امرأته بحرية إلى الأمير فأطلقه لها فاحتملتاه معهما في هودجهما وقتل معه أيضاً ذو الكلاع ، قال
 الشعبي : ففي مقتل عبيد الله بن عمر يقول كعب بن جمل التغلبي

ألا إنما تبكي العيون لفارس * بصفين ولت خيله وهو واقف
 تبدل من أسماء أسياف وائل * وكان قتي لو أخطأته المتالف
 تركن عبيد الله بالقاع ناويا * تسيل دماه والعروق نوازف

ينوء ويفشاه شأيب من دم * كالأح من جيب التميمص الكفائف
وقد صبرت حول ابن عم محمد * لدى الموت أرباب المناقب شارف
فما برحوا حتى رأى الله صبرهم * وحتى رقت فوق الأكف المصاحف

وزاد غيره فيها

معاوى لا تنهض بغير وثيقة * فانك بعد اليوم بالذل عارف

وقد أجابه أبو جهم الأسدي بقصيدة فيها أنواع من الهجاء تركناها قصداً .

﴿ وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قتله أهل الشام ﴾
[وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية وبان بذلك أن علياً
محق وأن معاوية باغ ، ومافى ذلك من دلائل النبوة] (١) ، ذكر ابن جرير من طريق أبي مخنف حدثني
مالك بن أعين الجهني عن زيد بن وهب الجهني أن عمارة قال يومئذ : من يتغنى رضوان ربه ولا يلوى
إلى مال ولا ولد ، قال : فأتته عصابة من الناس فقال : أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين
يتغنون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً والله ما قصدتم الأخذ بدمه ولا الأخذ بشأره ، ولكن القوم
ذاقوا الدنيا واستحلوها واستمروا الآخرة فقلوها ، وعلموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم وبين
ما يتمرغون فيه من دنياهم وشهواتهم ، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها [طاعة الناس لهم
ولا الولاية عليهم ولا تمكنت من قلوبهم خشية الله التي تمنع من تمكنت من قلبه عن نيل الشهوات ،
وتعقله عن إرادة الدنيا وطلب العلو فيها ، وتحمله على اتباع الحق والميل إلى أهله] (٢) فغدعوا أتباعهم
بقولهم إمامنا قتل مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا ، وتلك مكيدة بلغوا بهاماترون ، ولولا ذلك
ماتبعهم من الناس رجلا نولكانوا أذل وأخس وأقل ، ولكن قول الباطل له حلاوة في أسمع
الغافلين ، فسيروا إلى الله سيرا جميلا ، واذكروا ذكراً كثيراً ثم تقدم فلقه عمرو بن العاص
وعبيد الله بن عمر فلامهما وأنهبهما ووعظهما ، وذكره من كلامه لها مافيه غلظة فالله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عبد الله بن سلمة يقول :
رأيت عمارة يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالاً أخذ الحربه بيده ويده ترعد ، فقال : والذي نفسى
بيده لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة ، والذي نفسى بيده
لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق ، وأنهم على الضلالة . وقال
الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة سمعت قتادة يحدث عن أبي نصر
قال حجاج سمعت أبا نصر عن قيس بن عباد قال : قلت لعمار بن ياسر رأيت قتالكم مع علي رأيا

(١ - ٢) سقط من النسخة المصرية .

رأيتموه ، فان رأى يخطئ ويصيب ، أو عهد عهده إليكم رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما عهد إلينا
رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهد إلى الناس كافة . وقد رواه مسلم من حديث شعبة وله تمام عن عمار
عن حذيفة [في المناقب] .

وهذا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين ، منهم الحارث بن سويد ، وقيس
ابن عباد ، وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي ، ويزيد بن شريك ، وأبو حسان الأجرد وغيرهم
أن كلا منهم قال : قلت لعلي : هل عندكم شيء عهد إليكم رسول الله ﷺ لم يعهد إلى الناس ؟ فقال :
لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهماً يؤتاه الله عبداً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت :
وما في هذه الصحيفة ؟ فإذا فيها العقل وفكك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرم
ما بين ثبير إلى ثور .

وثبت في الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن أبي وائل عن سفیان بن مسلم عن سهل بن
حنيف أنه قال يوم صفين : يا أيها الناس ! اتهموا الرأي على الدين ، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو
أقدر لرددت على رسول الله ﷺ أمره ، والله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر
يقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه ، غير أمرنا هذا ، فانا لا نسد منه خصماً إلا انفتح لنا غيره
لا ندرى كيف نبالي له [(١)]

وقال أحمد : حدثنا وكيع ثنا سفیان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري . قال قام عمار
يوم صفين فقال : إيتوني بشربة لبن ، فان رسول الله ﷺ قال « آخر شربة تشربها من الدنيا
تشربها يوم تقتل » وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن سفیان عن حبيب عن أبي البختري
أن عمارة أتى بشربة لبن فضحك وقال : إن رسول الله قال لي : « آخر شراب أشربه لبن حين
أموت » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل : ثنا يحيى بن نصر ثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي قال :
سمعت الشعبي عن الأحنف بن قيس : قال ثم حمل عمار بن ياسر عليهم فحمل عليه ابن جوى
السكسكي وأبو الغادية الفزاري ، فأما أبو الغادية فطعنه ، وأما ابن جوى فاختز رأسه . وقد كان
ذو الكلاع سمع قول عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية ،
وأخر شربة تشربها صاع لبن » فكان ذو الكلاع يقول لعمرو : ويحك ! ما هذا يا عمرو ؟ فيقول
له عمرو : إنه سيرجع إلينا . قال : فلما أصيب عمار بعد ذو الكلاع قال عمرو لمعاوية : ما أدرى
بقتل أيهما أنا أشد فرحاً ، بقتل عمار أو ذى الكلاع والله لو بقى ذو الكلاع بعد قتل عمار لمال بعامة
أهل الشام ولأفسد علينا جنودنا . قال : وكان لا يزال يحيى رجل فيقول لمعاوية وعمرو : أنا قتلت

(١) سقط من المصرية .

عماراً فيقول له عمرو فما سمعته يقول فيخلطون حتى جاء جوى فقال أنا سمعته يقول :

اليوم ألقى الأحبه * محمداً وحزبه

فقال له عمرو : صدقت أنت إنك لصاحبه ، ثم قال له : رو يدناً ، أما والله ما ظفرت يدك ولقد أسخطت ربك [وقد روى ابن ديزيل من طريق أبي يوسف عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمن الكندي عن أبيه عن عمرو بن العاص . أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » ورواه أيضاً من حديث جماعة من التابعين أرسلوه منهم عبد الله بن أبي الهذيل ومجاهد وجيب بن أبي ثابت وحببة العرنى ، وسأفه من طريق إبان عن أنس مرفوعاً ، ومن حديث عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي الزبير عن حذيفة مرفوعاً : « ما خير عمار بين شيئين إلا اختار أرشدهما » [(١)] وبه عن عمرو بن شمر عن السري عن يعقوب بن راقط قال : اختصم رجلان في سلب عمار وفي قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص ليتحاكما إليه ، فقال لهما : وبجكم ! أخرجاعني ، فإن رسول الله ﷺ قال - ولعبت قريش بعمار - : « ما لهم ولعمار ؟ عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، قاتله وسأله في النار » قال : فبلغني أن معاوية قال إنما قتله من أخرجه يندع بذلك أهل الشام . وقال إبراهيم بن الحسين : حدثنا يحيى ثنا عدي بن عمر ثنا هشيم ثنا العوام بن حوشب بن الأسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد - وكان ناس عند علي ومعاوية - قال : بينا هو عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في قتل عمار ، فقال لهما عبد الله بن عمرو : ليطب كل واحد منكما نفساً لصاحبه بقتل عمار ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تقتله الفئة الباغية » فقال معاوية لعمرو : « ألا تنهى عنا مجنونك هذا ؟ ! ثم أقبل معاوية على عبد الله فقال له : فلم تقتل معنا ؟ فقال له إن رسول الله ﷺ أمرني بطاعة والدي ما كان حياً وأنا معكم ولست أقاتل . وحدثنا يحيى بن نصر ثنا حفص بن عمران البرجمي حدثني نافع بن عمر الجمحي عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن عمرو قال لأبيه : لولا أن رسول الله ﷺ أمرني بطاعتك ما سرت معك هذا المسير ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار بن ياسر « تقتلك الفئة الباغية » وحدثنا يحيى ثنا عبد الرحمن بن زياد ؟ ثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي قال : جاء قاتل عمار يستأذن على معاوية وعنده عمرو فقال : أئذن له وبشره بالنار . فقال الرجل : أو ما تسمع ما يقول عمرو . قال : صدق ؟ إنما قتله الذين جاؤا به ! وهذا كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من التابعين منهم الحارث بن سويد وقيس بن عباد وأبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي ويزيد بن شريك وأبو حسان الأجرد وغيرهم أن كلا منهم قال : قلت لعلي هل عندكم شيء عهده إليكم رسول الله ﷺ لم يعهد به إلى الناس ، فقال : لا ! والذي فلق

(١) مقطاً من النسخة المصرية .

الحبة وبرأ النسمة إلا فهمما يؤتية الله عبداً في القرآن وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ فإذا فيها العقل وفكك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وأن المدينة حرام ما بين ثبير إلى نور ، وثبت في الصحيحين أيضاً من حديث الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين : أيها الناس اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أقدر أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددته ، والله ما حملنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يقطعنا إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه غير أمرنا هذا . وقال ابن جرير : وحدثنا أحمد بن محمد ثنا الوليد بن صالح ثنا عطاء بن مسلم عن الأعمش قال قال أبو عبد الرحمن السلمي : قال كنا مع علي بصفين وكنا قد وكلنا بفرسه نفسين يحفظانه يمنعانه أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما غفلة حمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه ، فألقاه إليهم وقال : لولا أنه انثنى ما رجعت ، قال : ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفين إلا اتبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ ، ورأيت به جاء إلى هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علي فقال : يا هاشم تقدم ! الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأُسنة ، وقد فتحت أبواب الجنة وتزينت الحور العين

اليوم ألقى الأحبه * محمداً وحزبه

ثم حمله هو وهاشم فقتلا رحهما الله تعالى ، قال : وحمل حينئذ علي وأصحابه على أهل الشام حملة رجل واحد كأنهما : كان - يعني عماراً وهاشماً - علما لهم قال : فلما كان الليل قلت لأدخلن الليلة إلى العسكر الشاميين حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا ؟ - وكنا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم - فركبت فرسي وقد هدأت الرجل ، ثم دخلت عسكرهم فإذا أنا بأربعة يتسامرون ، معاوية ، وأبو الأعمش السلمي ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو وهو خير الأربعة . قال : فدخلت فرسي بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول بعضهم لبعض ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبة قتلتم هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال فيه رسول الله ما قال ، قال : وما قال ؟ قال : ألم يكن معنا ونحن نبني المسجد والناس ينقلون حجراً حجراً ، ولبنة لبنة ، وعمار ينقل حجراً حجراً ولبنتين لبنتين ؟ فأتاه رسول الله ﷺ فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك يا ابن صمية الناس ينقلون حجراً حجراً ولبنة لبنة وأنت تنقل حجراً حجراً ولبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر وكنت مع ذلك ويحك تقتلك الفئة الباغية » قال فرجع عمرو وصدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال : يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول وأخبره الخبر فقال معاوية إنك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت تدحض في بولك ، أو نحن قتلنا عماراً ؟ إنما قتل عماراً من جاء به ؟ قال : نخرج الناس من عند فساطيطهم وأخبيتهم وهم يقولون : إنما قتل عماراً من جاء

به ، فلا أدري من كان أعجب هو أو هم . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عبد الرحمن بن أبي زياد قال : إني لأسير مع معاوية منصوره من صفين بينه وبين عمرو بن العاص فقال عبد الله بن عمرو : يا أبا أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار : « ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية قال فقال عمرو لمعاوية : ألا تسمع ما يقول عبد الله هذا فقال معاوية لا يزال يأتينا بهنة بعد هنة ، ونحن قتلناه ؟ إنما قتله الذين جاءوا به . ثم رواه أحمد عن أبي نعيم عن سفیان الثوري عن الأعمش به نحوه ، تفرد به أحمد بهذا السياق من هذا الوجه ، وهذا التأويل الذي سلكه معاوية رضي الله عنه بعيد ، ثم لم يفرد عبد الله بن عمرو بهذا الحديث بل قد روى من وجوه أخر ، قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن خالد عن عكرمة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » . وقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد العزيز بن المختار وعبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء عن عكرمة عن أبي سعيد في قصة بناء المسجد أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « يا ويح عمار يدعوكم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » قال يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن وفي بعض نسخ البخاري يويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوكم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، وقال أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا شعبة ثنا عمرو بن دينار عن أبي هشام عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » وروى مسلم من حديث شعبة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » وروى مسلم أيضاً من حديث شعبة عن خالد الحذاء عن الحسن وسعيد ابني أبي الحسن عن أمهما حرة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن ابن علية عن ابن عون عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة به وفي رواية وقته في النار . وروى البيهقي عن الحاكم وغيره عن الأصم عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصنعاني عن أبي الجواب عن عمار بن زريق عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل - في سيرة علي - ثنا يحيى بن عبيد الله السكران يسي ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن عمار بن زريق عن عمار الذهبي عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال : إن الله قد أمنا أن يظلمنا ولم يؤمننا أن يقتلنا ، رأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله ، قلت : رأيت إن جاء قوم كلهم يدعون إلى كتاب الله ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » . وروى ابن ديزيل عن عمرو بن العاص نفسه حديثاً في ذكر عمار وأنه مع فرقة الحق ، وإسناده غريب ، وقال البيهقي : أنا علي بن

أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الله الصفار ثنا الأسقاطي ثنا أبو مصعب ثنا يوسف بن الماجشون عن أبيه عن أبي عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر عن مولاة لعمار قالت : « اشتكى عمار شكوى أرق منها فغشي عليه ، فأفاق ونحن نبكي حوله ، فقال : مات يكون ؟ أنخسون أن أموت على فراشي ؟ أخبرني حبيبي ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية ، وأن آخر زادي من الدنيا مذقة من لبن » وقال أحمد : ثنا ابن أبي عدي عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : « أمرنا رسول الله ﷺ ببناء المسجد فجعلنا نتقل لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين ، فتعرب رأسه قال : فحدثني أصحابي ولم أسمع من رسول الله ﷺ أنه جعل ينفذ رأسه ويقول : ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ، تفرد به أحمد وما زاده الروافض في هذا الحديث بعد قوله الباغية « لا أنالها والله شفاعتي يوم القيامة فهو كذب وبهت على رسول الله ﷺ ، فانه قد ثبتت الأحاديث عنه صلوات الله عليه وسلامه بتسمية الفريقين مسلمين ، كما سنورده قريباً إن شاء الله . قال ابن جرير وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال على لبيعة وهمدان : أنتم درعي ورحمي ، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً ، وتقدمهم على بيغلمته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض وقتلوا كل من اتهموا إليه حتى بلغوا معاوية وعلى يقاتل ويقول :

أضربهم ولا أرى معاوية * الجاحظ العين عظيم الحاوية

قال : ثم دعى على معاوية إلى أن يبارزه فأشار عليه بالخروج إليه عمرو بن العاص فقال له معاوية : إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله ، ولكنك طمعت فيها بعدى ، ثم قدم على ابنه محمد في عصابة كثيرة من الناس ، فقاتلوه قتالاً شديداً ثم تبعه على في عصابة أخرى ، فحمل بهم قتل في هذا الموطن خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله وقتل من العراقيين خلق كثير أيضاً ، وطارت أكف ومعاصم ورؤس عن كواهلها ، رحمهم الله . ثم حانت صلاة المغرب فما صلى بالناس إلا إيماء صلاتي العشاء واستمر القتال في هذه الليلة كلها وهي من أعظم الليالي شراً بين المسلمين ، وتسمى هذه الليلة ليلة الهريز ، وكانت ليلة الجمعة تقصفت الرماح ونفذت السبل ، وصار الناس إلى السيف ، وعلى رضي الله عنه يحرض القبائل ، ويتقدم إليهم يأمر بالصبر والثبات وهو أمام الناس في قلب الجيش ، وعلى الميمنة الأشر ، تولاها بعد قتل عبد الله بن بديل عشية الخميس ليلة الجمعة - وعلى الميسرة ابن عباس ، والناس يقتتلون من كل جانب فذكر غير واحد من علمائنا علماء السير - أنهم اقتتلوا بالرماح حتى تقصفت ، وبالنبال حتى فنيت ، وبالسيوف حتى تحطمت ثم صاروا إلى أن تقاتلوا بالأيدي والرماح بالحجارة والتراب في الوجوه ، وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يشخنا ثم يجلسان يستريحان ، وكل واحد منهما يهمر على الآخر ويهمر عليه ثم يقومان فيقتلان كما كانا ، فانا لله

وإنما إليه راجعون . ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك وصلى الناس الصبح إجماعاً وهم في القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام ، وذلك أن الأشتر النخعي صارت إليه إمرة الميمنة ، فحمل بمن فيها على أهل الشام وتبعه على فتنقتضت غالب صفوفهم وكادوا ينهزمون ، فعند ذلك رفع أهل الشام المصاحف فوق الرماح : وقالوا ، هذا بيننا وبينكم قد فنى الناس فمن للشعور ؟ ومن لجهاد المشركين والكفار .

وذكر ابن جرير وغيره من أهل التاريخ أن الذي أشار بهذا هو عمرو بن العاص ، وذلك لما رأى ، أن أهل العراق قد استظفروا في ذلك الموقف ، أحب أن ينفصل الحال وأن يتأخر الأمر فإن كلا من الفريقين صابر للآخر ، والناس يتفانون . فقال إلى معاوية : إني قد رأيت أمراً لا يزيدنا هذه الساعة إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة ، أرى أن نرفع المصاحف وندعوهم إليها ، فإن أجابوا كلهم إلى ذلك برد القتال ، وإن اختلفوا فيما بينهم فمن قاتل نجيبهم ، وقاتل لانيجيبهم ، فسلوا وذهب ريجهم ، وقال الامام أحمد ، حدثنا يعلى بن عبيد عن عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت . قال أتيت أبا وائل في مسجد أهله أسأله عن هؤلاء القوم الذين قتلهم على بالنهر وإن فيما استجابوا له وفيما فارقوه ، وفيما استحل قتالهم فقال : كنا بصفين فلما استحر القتال بأهل الشام اعتصموا بتل فقال عمرو بن العاص لمعاوية : أرسل إلى علي بمصحف فأدعه إلى كتاب الله فإنه لن يأتي عليك نجاء به رجل فقال : بيننا وبينكم كتاب الله (ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم بعد ذلك وهم معرضون) فقال علي : نعم ! أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله قال فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ما ينتظر هؤلاء القوم الذين على التل ألا نمشي إليهم سيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال : يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعني الصلح الذي كان بين رسول الله وبين المشركين - ولو نرى قتالا لقاتلنا نجاء عمر إلى رسول الله فقال : يا رسول الله أسنا على حق وهم على باطل ؟ وذكر تمام الحديث كما تقدم في موضعه .

رفع أهل الشام المصاحف

فلما رفعت المصاحف قال أهل العراق : نجيب إلى كتاب الله ونذيب إليه . قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً قال : عباد الله أمضوا إلى حاكمكم وصدقكم وقاتل عدوكم ، فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن مسلمة وابن أبي سرح والضحاك ابن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، صحبتهم أطفالاً ، وصحبتهم رجلاً ، فكأنوا شر أطفال وشر رجال ، ويحكم والله إنهم ما رفعوها إنهم يقرأونها ولا يعملون بما فيها وما

رفعوها إلا خديعة ودهاء ومكيدة . فقالوا له : ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله . فقال لهم : إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم الكتاب فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم به ، وتركوا عهده ، ونبدوا كتابه . فقال له مسعر بن فديك التميمي وزيد بن حصين الطائي ثم السبائي في عصابة معهما من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج : يا علي أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عثمان ، إنه غلبنا أن يعمل بكتاب الله فقتلناه ، والله لتفعلننا أو لنفعلننا بك . قال : فاحفظوا عني إياكم واحفظوا مقالتيكم لي ، أما أنا فإن تطيعوني فقاتلوا ، وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم ، قالوا : فابعث إلى الأشتر فليأتك ويكف عن القتال ، فبعث إليه على ليكف عن القتال ، وقد ذكر الهيثم بن عسدي في كتابه الذي صنعه في الخوارج فقال : قال ابن عباس : حدثني محمد بن المنتشر الهمداني عن من شهد صفين وعن ناس من رؤس الخوارج ممن لايتهم على كذب أن عمار بن ياسر كره ذلك وأبى وقال في علي بعض ما أكره ذكره ، ثم قال : من رآني إلى الله قبل أن يبتغي غير الله حكماً ؟ فحمل فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه . وكان ممن دعا إلى ذلك سادات الشاميين عبد الله بن عمرو بن العاص قام في أهل العراق فدعاهم إلى المودعة والكف وترك القتال والالتزام بما في القرآن ، وذلك عن امر معاوية له بذلك رضي الله عنهما ، وكان ممن أشار على علي بالقبول والدخول في ذلك الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه ، فروى أبو مخنف من وجه آخر أن علياً لما بعث إلى الأشتر قال : قل له إنه ليس هذه ساعة ينبغي أن لاتزيلني عن موقفي فيها ، إني قد رجوت أن يفتح الله علي ، فلا تعجلني ، فرجع الرسول - وهو يزيد بن هاني - إلى علي فأخبره عن الأشتر بما قال ، وصمم الأشتر على القتال لينتهز الفرصة ، فارتفع الهرج وعلت الأصوات فقال أولئك القوم لعلي : والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل ، فقال : أرايتموني ساررته ؟ ألم أبعث إليه جهرة وأنتم تسمعون ؟ فقالوا : فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك ، فقال علي لزيد بن هاني : ويحك ! قل له أقبل إلى فان الفتنة قد وقعت ، فلما رجع إليه يزيد بن هاني فأبلغه عن أمير المؤمنين أنه ينصرف عن القتال ويقبل إليه ، جعل يتململ ويقول : ويحك ألا ترى إلى ما نحن فيه من النصر ولم يبق إلا القليل ؟ فقلت : أيهما أحب إليك أن تقبل أو يقتل أمير المؤمنين كما قتل عثمان ؟ ثم ماذا يعني عنك نصرتك هاهنا ؟ قال : فأقبل الأشتر إلى علي وترك القتال فقال : يا أهل العراق ! يا أهل النذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزلت عليه ، فلا تجيبوهم ، أمهلوني فإني قد أحسست بالفتح ، قالوا : لا ! قال : أمهلوني عدو الفرس فإني قد طمعت في النصر ، قالوا إذا ندخل معك في خطيئتك ، ثم أخذ الأشتر يناظر أولئك القراء الداعين إلى إجابة أهل الشام

بما حاصله : إن كان أول قتالكم هؤلاء حقاً فاستمروا عليه ، وإن كان باطلا فاشهدوا لقتلناكم بالنار ، فقالوا : دعنا منك فإنا لا نطيعك ولا صاحبك أبداً ، ونحن قاتلنا هؤلاء في الله ، وتركنا قتالهم لله ، فقال لهم الأشتر : خذتم والله فأنخذتم ، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم ، يا أصحاب السوء كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ، يا أشباه النبيب الجلالة ما أنتم بريانيين بعدها . فابعثوا كما بعد القوم الظالمون . فسبوه وسبهم فضربوا وجهه دابته بسياطهم ، وجرت بينهم أمور طويلة ، ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكلمهم إلى المصالحة والمسألة مدة لعله يتفق أمر يكون فيه حقن لدماء المسلمين ، فان الناس تفانوا في هذه المدة ، ولا سيما في هذه الثلاثة الأيام المتأخرة التي آخر أمرها ليلة الجمعة وهي ليلة الحرير . كل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس يوجد في الدنيا مثله ، ولهذا لم يفر أحد عن أحد ، بل صبروا حتى قتل من الفريقين فيما ذكره غير واحد سبعون ألفاً . خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام ، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق . قاله غير واحد منهم ابن سيرين وسيف وغيره . وزاد أبو الحسن ابن البراء - وكان في أهل العراق - خمسة وعشرون بدرية ، قال : وكان بينهم في هذه المدة تسعون زحفاً واختلافاً في مدة المقام بصفين فقال سيف : سبعة أشهر أو تسعة أشهر . وقال أبو الحسن بن البراء مائة وعشرة أيام . قلت : ومقتضى كلام أبي مخنف أنه كان من مستهل ذي الحجة في يوم الجمعة ثلاث عشرة خلت من صفر وذلك سبعة وسبعون يوماً فله أعلم ، وقال الزهري : بلغني أنه كان يدفن في القبر الواحد خمسون نفساً . هذا كله ملخص من كلام ابن جرير وابن الجوزي في المنتظم

وقد روى البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان عن أبي اليان عن صفوان بن عمرو وكان أهل الشام ستين ألفاً قتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً قتل منهم أربعون ألفاً . وحمل البيهقي هذه الواقعة على الحديث الذي أخرجه في الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه عن أبي هريرة ورواه البخاري من حديث شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، ومن حديث شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ودعواهما واحدة » . ورواه مجالد عن أبي الحواري عن أبي سعيد مرفوعاً مثله ورواه الثوري عن ابن جعدان عن أبي نضرة عن أبي سعيد . قال قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان دعوتهما واحدة فبينما هم كذلك مرق منهما مارقة تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد تقدم ما رواه الامام أحمد عن مهدي وإسحاق عن سفيان عن منصور عن ربي بن خراش عن البراء بن ناجية الكاهلي عن ابن مسعود . قال قال رسول الله ﷺ : « إن رحى الاسلام ستزول خمس وثلاثين أو ست

وثلاثين ، فان هلكوا فسبيل من هلك ، وإن يتم لهم دينهم يتم لهم سبعين عاماً ، فقال عمر : يا رسول الله أمما مضى أم مما بقي ؟ قال : بل مما بقي . وقد رواه إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتاب جمعه في سيرة علي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن شريك عن منصور به مثله . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا شريك بن عبد الله النخعي عن مجالد عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله . قال قال لنا رسول الله ﷺ « إن رحى الاسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة فان يصطلحوا فيما بينهم يأكلوا الدنيا سبعين عاماً رغداً ، وإن يقتتلوا يركبوا سنين من كان قبلهم » وقال ابن ديزيل : حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن خراش الشيباني عن العوام بن حوشب عن إبراهيم النخعي . قال قال رسول الله ﷺ : « تدور رحى الاسلام عند قتل رجل من بني أمية » - يعني عثمان رضي الله عنه - وقال أيضاً : حدثنا الحكم عن نافع عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ أن رسول الله ﷺ دعى إلى جنازة رجل من الأنصار فقال - وهو قاعد ينتظرها - « كيف أنتم إذا راعيتم حليل [كذا] في الاسلام ؟ قال أبو بكر : أو يكون ذلك في أمة إلهها واحد ونبيها واحد ؟ قال : نعم ! قال : فأدرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : لا ! قال عمر : فأدرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : لا ! قال عثمان : فأدرك ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم ! بك يفنون » وقال أيضاً عمر لابن عباس : كيف يختلفون وإلههم واحد وكتابهم واحد وملتهم واحدة ؟ فقال : إنه سيحج قوم لا يفهمون القرآن كما نفهمه ، فيختلفون فيه فاذا اختلفوا فيه اقتتلوا . فأقر عمر بن الخطاب بذلك . وقال أيضاً : حدثنا أبو نعيم ثنا سعيد بن عبد الرحمن - أخو أبي حمزة - ثنا محمد بن سيرين قال : لما قتل عثمان قال عدى بن حاتم : لا ينتطح في قتله عنزان . فلما كان يوم صفين فقتت عينه فقيل : لا ينتطح في قتله عنزان ، فقال : بلى وتفقأ عيون كثيرة . وروى عن كعب الأحبار أنه مر بصفين فرأى حجارتهما فقال : لقد اقتتل في هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات ، وإن العرب ستقتل فيها العاشرة ، حتى يتقاذفوا بالحجارة التي تقاذف فيها بنو إسرائيل ويتفاتوا كما تفاتوا . وقد ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من سواهم فيستبيح بيضتهم فأعطانها ، وسألته أن لا يسلط بعضهم على بعض فمنعنيها » ذكرنا ذلك عند تفسير قوله تعالى (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض) قال رسول الله : هذا أهون .

﴿ قصة التحكيم ﴾

ثم تراوض الفريقان بعد مكاتبات ومراجعات يطول ذكرها على التحكيم ، وهو أن يحكم كل واحد من الأميرين - علي ومعاوية - رجلاً من جهته . ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة للمسلمين . فوكل معاوية عمرو بن العاص ، وأراد علي أن يوكل عبد الله بن عباس - وليته فعل -

ولكنه منعه القراء من ذكرنا وقالوا : لا ترضى إلا بأبي موسى الأشعري . وذكر الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج له أن أول من أشار بأبي موسى الأشعري الأشعث بن قيس ، وتابعه أهل اليمن ، ووصفوه أنه كان ينهى الناس عن الفتنة والقتال ، وكان أبو موسى قد اعتزل في بعض أرض الحجاز . قال علي : فاني أجعل الأشعث حكماً ، فقالوا : وهل سعر الحرب وشعر الأرض إلا الأشعث ؟ قال : فاصنعوا ما شئتم ، فقال الأحنف لعلي : والله لقد رميت بحجر إنه لا يصلح هؤلاء القوم إلا رجل منهم ، يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ، ويبتعد حتى يصير بمنزلة النجم ، فان أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً وثالثاً ، فانه إن يعقد عقدة إلا أحلها ، ولا يحل عقدة عقدها إلا عقدت لك أخرى مثلها أو أحكم منها . قال : فأبوا إلا بأبي موسى الأشعري فذهبت الرسل إلى أبي موسى الأشعري - وكان قد اعتزل - فلما قيل له إن الناس قد اصطلحوا قال : الحمد لله ، قيل له : وقد جعلت حكماً ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أخذوه حتى أحضروه إلى علي رضي الله عنه وكتبوا بينهم كتاباً هذه صورته .

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فقال عمرو بن العاص : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميركم وليس بأمرنا ، فقال الأحنف : لا تكتب إلا أمير المؤمنين ، فقال علي : امح أمير المؤمنين واكتب هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ثم استشهد علي بقصة الحديبية حين امتنع أهل مكة هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فامتنع المشركون من ذلك وقالوا : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فكتب الكاتب : هذا ما قاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين ، وقاضى معاوية علي أهل الشام ومن كان معه من المؤمنين والمسلمين إنا نزل عند حكم الله وكتابه ونحى ما أحى الله ، وتميت ما أمات الله فما وجد الحكمان في كتاب الله - وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص - ، عملا به وما لم يجدا في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المنفرقة

ثم أخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين اليهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهلها ، والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه أنهما على ما في هذه الصحيفة ، وأجلا القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يوخرا ذلك على تراض منهما ، وكتب في يوم الأربعاء ثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين ، على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحككين بدومة الجندل في رمضان ، ومع كل واحد من الحككين أربعائة من أصحابه ، فان لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح ، وقد ذكر الهيثم في كتابه في الخوارج أن الأشعث بن قيس لما ذهب إلى معاوية بالكتاب وفيه : « هذا ما قاضى عبد الله علي

أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان » قال معاوية : لو كان أمير المؤمنين لم أقاتله ، ولكن ليكتب اسمه وليبدأ به قبل اسمي لفضله وسابقته ، فرجع إلى علي فكتب كما قال معاوية . وذكر الهيثم أن أهل الشام أبوا أن يبدأ باسم علي قبل معاوية ، وباسم أهل العراق قبلهم ، حتى كتب كتابان كتاب هؤلاء فيه تقديم معاوية على علي وكتاب آخر لأهل العراق بتقديم اسم علي وأهل العراق على معاوية وأهل الشام وهذه تسمية من شهد على هذا التحكيم من جيش علي : عبد الله بن عباس ، والأشعث ابن قيس الكندي ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وعبد الله بن الطليل المعافري ، وحجر بن يزيد الكندي ، وورقاء بن سمى العجلي ، وعبد الله بن بلال العجلي ، وعقبة بن زياد الأنصاري ، ويزيد ابن جحفة التميمي ، ومالك بن كعب الهمداني . فهؤلاء عشرة . وأما من الشاميين ف عشرة آخرون ، وهم أبو الأعور السلمي ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ومخارق بن الحارث الزبيدي ، ووائل بن علقمة العدوي ، وعلقمة بن يزيد الحضرمي ، وحزمة بن مالك الهمداني ، وسبيع بن يزيد الحضرمي ، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية ، ويزيد بن الحر العبسي . وخرج الأشعث بن قيس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه على الطائفتين . ثم شرع الناس في دفن قتلاهم قال الزهري : بلغني أنه دفن في كل قبر خمسون نفساً ، وكان علي قد أسر جماعة من أهل الشام ، فلما أراد الانصراف أطلقهم ، وكان مثلهم أو قريب منهم في يد معاوية وكان قد عزم على قتلهم لظنه أنه قد قتل أسراهم ، فلما جاء أولئك الذين أطلقهم أطلق معاوية الذين في يده ، ويقال إن رجلاً يقال له عمرو بن أوس - من الأزد - كان من الأسارى فأراد معاوية قتله فقال : امنن علي فانك خالي ، فقال : ويحك ! من أين أنا خالك ؟ فقال : إن أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ وهي أم المؤمنين وأنا ابنها وأنت أخوها وأنت خالي ، فأعجب ذلك معاوية وأطلقه . وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - وذكر أهل صفين - فقال : كانوا عرباً يعرف بعضهم بعضاً في الجاهلية فالتقوا في الإسلام معهم على الحمية وسنة الإسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تحاجزوا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، وهؤلاء في عسكر هؤلاء ، فيستخرجون قتلاهم فيسدفونهم . قال الشعبي : هم أهل الجنة ، لقي بعضهم بعضاً فلم يفر أحد من أحد .

✽ خروج الخوارج ✽

وذلك أن الأشعث بن قيس مر على ملأ من بني تميم فقرأ عليهم الكتاب فقام إليه عروة بن أذينة وهي أمه وهو عروة بن جرير من بني ربيعة بن حنظلة وهو أخو أبي بلال بن مرداس بن جرير فقال : أتحكون في دين الله الرجال ؟ ثم ضرب بسيفه عجز دابة الأشعث بن قيس ، فغضب الأشعث وقومه ، وجاء الأحنف بن قيس وجماعة من رؤسائهم يعتدرون إلى الأشعث بن قيس من ذلك ،

قال الهيثم بن عدى : والخوارج يزعمون أن أول من حكم عبد الله بن وهب الراسبي . قلت : والصحيح الأول وقد أخذ هذه الكلمة من هذا الرجل طوائف من أصحاب علي من القراء وقالوا : لا حكم إلا لله ، فسموا المحكية . وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين ، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ، ورجع على إلى الكوفة على طريق هيت فلما دخل الكوفة سمع رجلا يقول : ذهب علي ورجع في غير شيء . فقال علي : للذين فارقتهم خير من هؤلاء وأنشأ يقول :

أخوك الذي إن أحرجتك ملة * من الدهر لم يبرح لبثك راحما

وليس أخوك بالذي إن تشعبت * عليك أمور ظل يلحاك لأئما

ثم مضى فجعل يذكر الله حتى دخل قصر الامارة من الكوفة ، ولما كان قد قارب دخول الكوفة اعتزل من جيشه قريب من - اثني عشر ألفا - وهم الخوارج ، وأبو أن يساكنوه في بلده ، ونزلوا بمكان يقال له حروراء وأنكروا عليه أشياء فيما يزعمون أنه ارتكبها ، فبعث إليهم على رضي الله عنه عبد الله بن عباس فناظرهم فرجع أكثرهم وبقى بقيتهم ، فقاتلهم على بن أبي طالب وأصحابه كما سيأتي بيانه وتفصيله قريبا إن شاء الله تعالى . والمقصود أن هؤلاء الخوارج هم المشار إليهم في الحديث المتفق على صحته أن رسول الله ﷺ : « قال تمرق مارقة على حين فرقة من الناس - وفي رواية من المسلمين ، وفي رواية من أمي - فيقتلها أولى الطائفتين » . وهذا الحديث له طرق متعددة وألفاظ كثيرة قال الامام أحمد : حدثنا وكيع وعفان بن القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن القاسم بن محمد به . وقال أحمد : حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ : « تكون أمي فرقتين تخرج بينهما مارقة تلي قتلها أولاهما » ورواه مسلم من حديث قتادة وداود بن أبي هند عن أبي نضرة به . وقال أحمد : حدثنا ابن أبي عدى عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ : « ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس ، سيأهم التحليل هم شر الخلق - أو من شر الخلق - يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق » قال أبو سعيد : فأنتم قتلتموهم يا أهل العراق . وقال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري . قال قال رسول الله ﷺ : « تفرق أمي فرقتين فتمرق بينهما مارقة فيقتلها أولى الطائفتين بالحق » ورواه عن يحيى القطان عن عوف وهو الأعرابي به مثله فهذه طرق متعددة عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العبدي ، وهو أحد الثقات الرفعاء ورواه مسلم أيضا من حديث سفیان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاک المشرقى عن أبي سعيد بنحوه .

فهذا الحديث من دلائل النبوة إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام ، من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً ، وهو مأجور إن شاء الله ، ولكن علي هو الأمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخارى من حديث عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » وسيأتي بيان كيفية قتال علي رضي الله عنه للخوارج ، وصفة المخرج الذي أخبر عنه عليه السلام فوجد كما أخبر ففرح بذلك على رضي الله عنه وسجد للشكر .

فصل

قد تقدم أن علياً رضي الله عنه لما رجع من الشام بعد وقعة صفين ، ذهب إلى الكوفة ، فلما دخلها اعتزل عنه طائفة من جيشه ، قيل ستة عشر ألفاً وقيل اثني عشر ألفاً ، وقيل أقل من ذلك ، فباينوه وخرجوا عليه وأنكروا أشياء ، فبعث إليهم عبد الله بن عباس فناظرهم فيها ورد عليهم ما توهموه شبهة ، ولم يكن له حقيقة في نفس الأمر ، فرجع بعضهم واستمر بعضهم على ضلالهم حتى كان منهم ما سنورده قريبا ، ويقال إن علياً رضي الله عنه ذهب إليهم فناظرهم فيما نعموا عليه حتى استرجعهم عما كانوا عليه ، ودخلوا معه الكوفة ، ثم إنهم عاهدوا فأنكثوا ما عاهدوا عليه وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام على الناس في ذلك ثم تجوزوا إلى موضع يقال له النهروان ، وهناك قاتلهم على كما سيأتي . قال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع حدثني يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن عبد الله بن عياض بن عمرو القاري قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة ونحن عندها مرجعه من العراق ليالى قبل علي ، فقالت له : يا عبد الله بن شداد هل أنت صادق عما أسألك عنه ؟ فحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي ، فقال : ومالي لا أصدقك ؟ قالت : فحدثني عن قصتهم ، قال : فان علياً لما كاتب معاوية وحكم الحكيم خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فقتلوا بأرض يقال لها حروراء من جانب الكوفة ، وأنهم عتبوا عليه فقالوا : انسلخت من قميص ألبسكه الله ، واسم سماك به الله ثم انطلقت فحكمت في دين الله ولا حكم إلا لله ، فلما أن بلغ علياً ما عتبوا عليه وفارقوه عليه ، أمر فأذن مؤذن أن لا يدخل على أمير المؤمنين رجل إلا رجلاً قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه فجعل يصكه بيده ويقول : أيها المصحف ! حدث الناس فناداه الناس فقالوا :

يا أمير المؤمنين ما تسأل عنه إنما هو مداد في ورق ، ونحن نتكلم بما روينا منه ، فإذا تريد ؟ قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل : (وإن ختم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما) فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ، وتقموا على أن كاتب معاوية كتبت على بن أبي طالب ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحدبية حين صالح قومه قريشا فكتب رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كيف تكتب ؟ قال أكتب باسمك اللهم ! فقال رسول الله ﷺ اكتب فكتب ، فقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشا ، يقول الله تعالى في كتابه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) فبعث إليهم عبد الله بن عباس فخرجت معه حتى إذا توسطت عسكرهم قدام ابن الكوا فخطب الناس فقال يا حملة القرآن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه ، هذا ممن نزل فيه وفي قومه (بل هم قوم خصمون) فردوه إلى صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله ، فقال بعضهم : والله لتواضعنه فإن جاء بحق نعرفه لتبعنه وإن جاء بباطل لنكبتنه بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب ، فيهم ابن الكوا ، حتى أدخلهم على علي الكوفة ، فبعث علي إلى بقيتهم فقال : قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم ، فقفوا حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً أو تقطعوا سبيلاً أو تظلموا ذمة فأنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء (إن الله لا يحب الخائنين) فقالت له عائشة : يا ابن شداد قتلهم فقالوا والله ما بعثت إليهم حتى قطعوا السبيل وسفكوا الدماء واستحلوا أهل الذمة ، فقالت الله ، قال : الله لا إله إلا هو قد كان ذلك ! قالت : فما شئ بلغني عن أهل العراق يقولون ذو الندى وذو الندية ؟ قال : قد رأيته وكنت مع علي في القتلى فدعا الناس فقال : أتعرفون هذا ؟ فما أكثر من جاء يقول : قد رأيته في مسجد بني فلان ، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك . قالت : فما قول علي حيث قام عليه كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول صدق الله ورسوله قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال : اللهم لا ! قالت أجل ! صدق الله ورسوله ، برحم الله علياً إنه كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال صدق الله ورسوله ، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون عليه في الحديث تفرد به أحمد وإسناده صحيح واختاره الضياء في هذا السياق ما يقتضي أن عدتهم كانوا ثمانية آلاف ، لكن من القراء ، وقد يكون واطأهم على منذهبهم آخرون من غيرهم حتى بلغوا

اثني عشر ألفاً ، أو ستة عشر ألفاً . ولما ناظرهم ابن عباس رجع منهم أربعة آلاف وبقي بقيتهم على ما هم عليه ، وقد رواه يعقوب بن سفيان عن موسى بن مسعود عن عكرمة بن عمار عن سماك أبي زميل عن ابن عباس فذكر القصة وأنهم عتبوا عليه في كونه حكم الرجال ، وأنه حذى اسمه من الأمرة ، وأنه غزا يوم الجمل فقتل الأفس الحرام ولم يقسم الأموال والسبي ، فأجاب عن الأولين بما تقدم ، وعن الثالث بما قال : قد كان في السبي أم المؤمنين فان قلمت ليست لكم بأمة فقد كفرتم ، وإن استحلتم سبي أمهاتكم فقد كفرتم . قال : فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا . وذكر غيره أن ابن عباس لبس حلة لما دخل عليهم ، فناظره في لبسه إياها ، فاحتج بقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الآية . وذكر ابن جرير أن علياً خرج بنفسه إلى بقيتهم فلم يزل يناظرهم حتى رجعوا معه إلى الكوفة وذلك يوم عيد الفطر أو الأضحى شك الراوى في ذلك ، ثم جعلوا يعرضون له في الكلام ويسمعونه شتماً ويتأولون بتأويل في قوله . قال الشافعي رحمه الله : قال رجل من الخوارج لعلي وهو في الصلاة (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فقرأ على (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون) .

وقد ذكر ابن جرير أن هذا كان وعلى في الخطبة . وذكر ابن جرير أيضاً أن علياً بينما هو يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال : يا علي أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلا لله ، فتنادوا من كل جانب لاحكم إلا لله ، لاحكم إلا لله ، فجعل علي يقول : هذه كلمة حق يراد بها باطل ، ثم قال : إن لكم علينا أن لا تمنعكم فينا ما دامت أيديكم معنا ، وأن لا تمنعكم مساجد الله ، وأن لا نبداكم بالقتال حتى تبدؤنا . ثم إنهم خرجوا بالكلية عن الكوفة وتجهزوا إلى النهر وان علي ماسنذ كره بعد حكم الحكيم .

﴿ صفة اجتماع الحكيمين أبي موسى وعمر بن العاص ﴾

﴿ رضى الله عنهما بدومة الجندل ﴾

وذلك في شهر رمضان كما تشارطوا عليه وقت التحكيم بصقين ، وقال الواقدي اجتمعوا في شعبان . وذلك أن علياً رضى الله عنه لما كان بجي رمضان بعث أربعمائة فارس مع شريح بن هاني ، ومعهم أبو موسى ، وعبد الله بن عباس ، وإليه الصلاة وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة فارس من أهل الشام ومنهم عبد الله بن عمر ، فتوافوا بدومة الجندل بأذرح - وهي نصف [المسافة] بين الكوفة والشام ، بينهما وبين كل من البلدين تسع مراحل - وشهد معهم جماعة من رؤس الناس ، كعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي .

وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهري وأبي جهم بن حذيفة . وزعم بعض الناس أن سعد بن أبي وقاص شهدهم أيضاً ، وأنكر حضوره آخرون . وقد ذكر ابن جرير أن عمر بن سعد خرج إلى أبيه وهو على ماء لبني سليم بالبادية معتزل : فقال يا أبة : قد بلغك ما كان من الناس بصفتين ، وقد حكم الناس أبا موسى الأشعري وعمر بن العاص ، وقد شهدهم نفر من قریش ، فاشهدهم فانك صاحب رسول الله ﷺ وأحد أصحاب الشورى ولم تدخل في شيء كرهته هذه الأمة فاحضر إنك أحق الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه ستكون فتنة خير الناس فيها الخلفي البقي » والله لا أشهد شيئاً من هذا الأمر أبداً . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أبو بكر الخفي عبد الكبير بن عبد المجيد ثنا بكر بن سيار عن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما أتاه قال : يا أبة أريدت أن تكون أعز ابناً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة ؟ فضرب سعد صدر عمر وقال : اسكت فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي » وهكذا رواه مسلم في صحيحه . وقال أحمد أيضاً : حدثنا عبد الملك بن عمرو ثنا كثير بن زيد الأسلمي عن المطلب عن عمر بن سعد عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال : يا أبة : الناس يقاتلون على الدنيا وأنت ههنا ؟ فقال : يا بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأساً ؟ لا والله حتى أعطى سيفاً إن ضربت به مؤمناً نبا عنه وإن ضربت به كافراً قتلته ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يحب الغني الخفي التقي » وهذا السياق كان عكس الأول ، والظاهر أن عمر بن سعد استعان بأخيه عامر على أبيه ليشير عليه أن يحضر أمر التحكيم لعلهم يعدلون عن معاوية وعلى ويولونه فامتنع سعد من ذلك وأباه أشد الأباء وقع بما هو فيه من الكفاية والخفاء كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : قد « أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه » وكان عمر بن سعد هذا يحب الامارة ، فلم يزل ذلك دأبه حتى كان هو أمير السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنه كما سيأتي بيانه في موضعه ، ولو وقع بما كان أبوه عليه لم يكن شيء من ذلك . وللقصود أن سعداً لم يحضر أمر التحكيم ولا أراد ذلك ولا هم به ، وإنما حضره من ذكرنا . فلما اجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين ، ونظرا في تقدير أمورهم اتفقا على أن يعزلا علياً ومعاوية ثم يجعلوا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما ، وقد أشار أبو موسى بتولية عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال له عمرو : فول ابني عبد الله فإنه يقاربه في العلم والعمل والزهد . فقال له أبو موسى : إنك قد غمست ابنك في الفتن معك ، وهو مع ذلك رجل صدق .

قال أبو مخنف : فحدثني محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال قال عمرو بن العاص : إن هذا

الأمر لا يصلحه إلا رجل له ضرر يأكل ويطعم . وكان ابن عمر فيه غفلة ، فقال له ابن الزبير : افطن وانتبه ، فقال ابن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئاً أبداً ، ثم قال : يا ابن العاص إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيوف وتشاكت بالرماح ، فلا تردنهم في فتنة مثلها أو أشد منها . ثم إن عمرو بن العاص حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه ، ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة ، فأبى أيضاً ، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر فامتنع عمرو أيضاً ، ثم اصطالحا على أن يخلعا معاوية وعلياً ويتركا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم ، ثم جاء إلى المجمع الذي فيه الناس - وكان عمرو لا يتقدم بين يدي أبي موسى بل يقدمه في كل الأمور أدباً وإجلالاً - ، فقال له : يا أبا موسى قم فأعلم الناس بما اتفقنا عليه ، فخطب أبو موسى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم صلى على رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أمراً أصلح لها ولا ألم لشعبها من رأى اتفقت أنا وعمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ونترك الأمر شورى ، وتستقبل الأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه ، وإني قد خلعت علياً ومعاوية . ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن هذا قد قاتل ما سمعتم ، وإنه قد خلع صاحبه ، وإني قد خلعت كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان بن عفان ، والطالب بدمه ، وهو أحق الناس بمقامه - وكان عمرو بن العاص رأى أن ترك الناس بلا إمام والحالة هذه يؤدي إلى مفسدة طويلة عريضة أربى مما الناس فيه من الاختلاف ، فأقر معاوية لما رأى ذلك من المصلحة ، والاجتهاد بخطي ويصيب . ويقال إن أبا موسى تكلم معه بكلام فيه غلظة ورد عليه عمرو بن العاص مثله .

وذكر ابن جرير أن شرح بن هاني - مقدم جيش علي - وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام إليه ابن عمرو وفضربه بالسوط ، وتفرق الناس في كل وجه إلى بلادهم ، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة ، وأما أبو موسى فاستحى من علي فذهب إلى مكة ، ورجع ابن عباس وشرح بن هاني إلى علي فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو ، فاستضعفوا رأى أبي موسى وعرفوا أنه لا يوازن عمرو بن العاص . فذكر أبو مخنف عن أبي حبيب الكلبي أن علياً لما بلغه ما فعل عمرو كان يلعن في قنوته معاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبا الأعمور السلمي ، وحبيب ابن مسامة ، والضحاك بن قيس ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والوليد بن عتبة ، فلما بلغ ذلك معاوية كان يلعن في قنوته علياً وحسناً وحسيناً وابن عباس والأشتر النخعي ، ولا يصح هذا والله أعلم . فأما الحديث الذي قال البيهقي في الدلائل : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا إسماعيل بن الفضل ثنا قتيبة بن سعيد عن جرير عن زكريا بن يحيى عن عبد الله

ابن يزيد وحبيب بن يسار عن سويد بن غفلة قال : إني لأمشي مع علي بشط الفرات فقال : قال رسول الله ﷺ : « إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل اختلفهم بينهم حتى بعثوا حكيمين فضلا وأضلا ، وإن هذه الأمة ستختلف فلا يزال اختلفهم بينهم حتى يبعثوا حكيمين فيضلان ويضلان من اتبعهما » فانه حديث منكر ورفع موضوع والله أعلم . إذ لو كان هذا معلوماً عند علي لم يوافق على تحكيم الحكيمين حتى لا يكون سبباً لا ضلال الناس ، كما نطق به هذا الحديث . وآفة هذا الحديث هو زكريا بن يحيى وهو الكندي الحيرى الأعمى قال ابن معين ليس بشيء .

✽ ذكر خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم علياً ✽

✽ رضى الله عنه بالعداوة والمخالفة وقتال علي إياهم وما ورد فيهم من الأحاديث ✽

لما بعث علي أباموسى ومن معه من الجيش إلى دومة الجندل اشتد أمر الخوارج وبالغوا في النكير على علي وصرخوا بكفره ، فجاء إليه رجلان منهم ، وهما زرعة بن البرج الطائى ، وحر قوص بن زهير السعدى قالا : لا حكم إلا لله ، فقال علي : لا حكم إلا لله ، فقال له حر قوص : تب من خطيئتك واذهب بنا إلى عدونا حتى تقاتلهم حتى نلقى ربنا . فقال علي : قد أردتكم على ذلك فأيتيم ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهداً وقد قال الله تعالى : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) الآية فقال له حر قوص : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه ، فقال علي : ما هو بذنب ولكن عجز من رأى ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتكم عنه ، فقال له زرعة بن البرج : أما والله يا على لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك أطلب بذلك رحمة الله ورضوانه ، فقال علي : تبأ لك ما أشقاك ! كأني بك قتيلا تسفى عليك الريح ، فقال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له علي : إنك لو كنت محمداً كان في الموت تعزية عن الدنيا ، ولكن الشيطان قد استهواكم . فخرجوا من عنده يحكمون وفتى فيهم ذلك ، وجأهوا به الناس ، وتعرضوا لعل في خطبه وأسمعه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن ، وذلك أن علياً قام خطيباً في بعض الجمع فذكر أمر الخوارج فذمه وعابه . فقام جماعة منهم كل يقول لا حكم إلا لله ، وقام رجل منهم وهو واضح إصبه في أذنيه يقول : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فجعل علي يقلب يديه هكذا وهكذا وهو على المنبر ويقول : حكم الله ننتظر فيكم . ثم قال : إن لكم علينا أن لا تمنعكم مساجدنا ما لم تخرجوا علينا ولا تمنعكم نصيبكم من هذا النقي ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا تقاتلكم حتى تقاتلونا . وقال أبو مخنف عن عبد الملك عن أبي حرة أن علياً لما بعث أباموسى لأفاد الحكومة اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في هذه الدنيا ورغبهم في الآخرة والجنة ،

وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال : فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها ، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال ، أو بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه الأحكام الجائرة . ثم قام حر قوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا يدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم (فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) فقال سنان بن حمزة الأسدى : يا قوم إن رأى ما رأيتم ، وإن الحق ما ذكرتم ، فولوا أمركم رجلاً منكم ، فانه لا بد لكم من عماد وسناد ، ومن راية تحفون بها وترجعون إليها ، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائى . وكان من رؤسهم - فعرضوا عليه الأمانة فأبى ، ثم عرضوها على حر قوص بن زهير فأبى ، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى ، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسى فأبى وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها وقال : أما والله لا أقبلها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت . واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصن الطائى السنيسى فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى (يادأود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية ، وقوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وكذا التي بعدها وبعدها الظالمون الفاسقون ثم قال : فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ، وبنذوا حكم الكتاب ، وجاروا في القول والأعمال ، وأن جهادهم حق على المؤمنين ، فبكى رجل منهم يقال له عبد الله بن سخبرة السلمى ، ثم عرض أولئك على الخوارج على الناس ، وقال في كلامه : اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم ، فان أتم ظفرتهم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره - وإن قتلتم فأى شئ أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته ؟ . قلت : وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بنى آدم ، فسبحان من نوع خلقه كما أراد ، وسبق في قدره العظيم . وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج إنهم المذكورون في قوله تعالى : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ، والأشقياء في الأقوال والأفعال ، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم - ممن هو على رأيهم ومذهبهم ، من أهل البصرة وغيرها - فيوافقهم إليها . ويكون اجتماعهم عليها . فقال لهم زيد بن حصن الطائى : إن المدائن لا تقدرن عليها ، فان بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعوها منكم ، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوحى ، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات ،

ولكن اخرجوا وحدانا لثلاث يفتن بكم ، فكتبوا كتابا علما إلى من هو على منذهبهم ومسلحهم من أهل البصرة وغيرها وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس ، ثم خرجوا يتسللون وحدانا لثلاث يعلم أحد بهم فيمنعهم من الخروج فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأخوال والخالات وفاقوا سائر القرايات ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضى رب الأرض والسموات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات ، والعظام والخطيئات ، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات الذي نصب العداوة لأبينا آدم ثم لذريته مادامت أرواحهم في أجسادهم مترددات ، والله المستول أن يعصمنا منه بحوله وقوته إنه مجيب الدعوات ، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم فردوهم وأنبوهم ووبخوهم فمنهم من استمر على الاستقامة ، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج ففسر إلى يوم القيامة ، وذهب الباكون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا كتبوا إليه من أهل البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالتهروان وصارت لهم شوكة ومنعة ، وهم جند مستقلون وفيهم شجاعة وعندهم أنهم مقربون بذلك . فهم لا يصطلي لهم بنار ، ولا يطعم في أن يؤخذ منهم بثأر ، وبالله المستعان . وقال أبو مخنف عن أبي روق عن الشعبي أن علياً لما خرجت الخوارج إلى النهروان وهرب أبو موسى إلى مكة ، وورد ابن عباس إلى البصرة ، قام في الناس بالكوفة خطيباً فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل الكادح ، وأشهد أن لا إله غيره وأن محمداً رسول الله ، أما بعد فإن المعصية تشين وتسوء وتورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة بأمرى ، ونحلتكم رأيي ، فأبيتم إلا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن :

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى * فلم يستبينوا الرشداً إلا ضحى الغد

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما ما حكما به وأنهبما ، وقال ما فيه حظ عليهما ، ثم ندب الناس إلى الخروج إلى الجهاد في أهل الشام ، وعين لهم يوم الاثنين يخرجون فيه ، وكتب إلى ابن عباس وإلى البصرة يستنفر له الناس إلى الخروج إلى أهل الشام ، وكتب إلى الخوارج يعلمهم أن الذي حكم به الحكمان مردود عليهما ، وأنه قد عزم على الذهاب إلى الشام ، فبهلوا حتى تجتمع على قتالهم . فكتبوا إليه : أما بعد فانك لم تغضب لربك ، وإنما غضبت لنفسك وإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء . (إن الله لا يحب الخائنين) ، فلما قرأ على كتابهم ينس منهم وعزم على الذهاب إلى أهل الشام ليناجزهم ، وخرج من الكوفة إلى النخيلة في عسكر كثيف - خمسة وستين ألفاً - وبعث إليه ابن عباس بثلاثة آلاف ومائتي فارس من أهل البصرة مع جارية بن قدامة ألف وخمسمائة ، ومع أبي الأسود

الدؤلى ألف وسبعمائة ، فكل جيش على في ثمانية وستين ألف فارس ومائتي فارس وقام على أمير المؤمنين خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر عند لقاء العدو ، وهو عازم على الشام ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً وسفكوا الدماء وقطعوا السبل واستحلوا المحارم ، وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ ، أسروه وامرأته معه وهي حامل فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ وأنكم قد رووتموني فقالوا : لا بأس عليك ، حدثنا ما سمعت من أبيك فقال : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الساعي » فاقترادوه بيده فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم فشق جلده فقال له آخر : لم فعلت هذا وهو لذمي ؟ فذهب إلى ذلك الذمي فاستحله وأرضاه وبينما هو معهم إذ سقطت ثمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه ، فقال له آخر : بغير إذن ولا ممن ؟ فألقاها ذلك من فمه ، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبجوه ، وجاؤا إلى امرأته فقالت : إني امرأة حبلى ، ألا تتقون الله ، فذبجوها وبقروا بطنها عن ولدها ، فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهله أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم بهذا الصنع ، تخافوا غائلتهم ، وأشاروا على علي بأن يبدأ هؤلاء ، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام بعد ذلك والناس آمنون من شر هؤلاء فاجتمع الرأي على هذا وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً فأرسل علي إلى الخوارج رسولا من جهته وهو الحرب بن مرة العبدي ، فقال : أخبرني خبرهم ، واعلم لي أمرهم واكتب إلي به على الجلية ، فلما قدم عليهم قتلوه ولم ينظروه ، فلما بلغ ذلك علياً عزم على الذهاب إليهم أولاً قبل أهل الشام .

ذكر مسير أمير المؤمنين على رضي الله عنه إلى الخوارج *

لما عزم على ومن معه من الجيش على البداة بالخوارج ، نادى مناديه في الناس بالرحيل فمهر الجسر فصلى ركعتين عنده ثم سلك على دير ' عبد الرحمن ' ، ثم دير أبي موسى ، ثم على شاطيء الفرات ، فلقيه هنالك منجم فأشار عليه بوقت من النهار يسير فيه ولا يسير في غيره ، فانه يخشى عليه تخالفه على فسار على خلاف ما قال فأظفزه الله ، وقال علي : إنما أردت أن أبين للناس خطاه وخشيت أن يقول جاهل ، إنما ظفر لكونه واقفه ، وسلك على ناحية الأنبار وبعث بين يديه قيس ابن سعد ، وأمره أن يأتي المدائن وأن يتلقاه بناؤها سعد بن مسعود ، وهو أخو عبد الله بن مسعود الثقفي - في جيش المدائن فاجتمع الناس هنالك على علي ، وبعث إلى الخوارج : أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم حتى أقتلهم ثم أنا تارككم وذاهب إلى العرب - يعني أهل الشام - ثم لعل الله أن يقبل بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه . فبعثوا إلى علي يقولون : كلنا قتل إخوانكم ونحن

مستحلون دماءهم ودماءكم . فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عبادة فوعظهم فيما ارتكبوه من الأمر العظيم ،
والخطب الجسيم ، فلم ينفع وكذلك أبو أيوب الأنصاري أنبهم ووبخهم فلم ينجح ، وتقدم أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب إليهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وتوعدهم وقال : إنكم أنكرتم علي
أمراً أنتم دعوتوني إليه فنهيتكم عنه فلم تقبلوا وها أنا وأنتم فارجموا إلى ما خرجتم منه ولا ترتكبوا
محارم الله فإنكم قد سوات لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان
عظيماً عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟ فلم يكن لهم جواب إلا أن تنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم
ولا تسلموهم وتنبؤوا للقاء الرب عز وجل ، الروح الروح إلى الجنة . وتقدموا فاصطفوا للقتال
وتأهبوا للزوال فجعلوا علي ميمنتهم زيد بن حصن الطائي السنبسي ، وعلي الميسرة شريح بن أوفى ،
وعلي خيالهم حمزة بن سنان ، وعلي الرجاله حرقوص بن زهير السعدي . ووقفوا مقاتلين لعلي
وأصحابه . وجعل علي علي ميمنته حجر بن عدى ، وعلي الميسرة شبيث بن ربعي ومعل بن قيس
الرياحي ، وعلي الخليل أبا أيوب الأنصاري ، وعلي الرجاله أبا قتادة الأنصاري ، وعلي أهل المدينة
- وكانوا في سبعمائة - قيس بن سعد بن عبادة ، وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان
للخوارج ويقول لهم : من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن ،
إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا ، فانصرف منهم طوائف كثيرون - وكانوا في أربعة
آلاف - فلم يبق منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي ، فزحفوا إلى علي فقدم علي
بين يديه الخليل وقدم منهم الرماة وصف الرجاله وراء الخيالة ، وقال لأصحابه : كفوا عنهم حتى
يبدؤكم ، وأقبلت الخوارج يقولون : لا حكم إلا لله ، الروح الروح إلى الجنة ، فجعلوا علي الخيالة
الذين قدمهم علي ، ففرقهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة ، وأخرى إلى الميسرة ، فاستقبلتهم
الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم ، وعظفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة ونهض إليهم الرجال
بالرمح والسيوف فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنايك الخيول ، وقتل أمراؤهم عبد الله بن
وهب ، وحرقوص بن زهير ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سخبرة السلمي ، قبضهم الله . قال أبو
أيوب : وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح فانفذته من ظهره وقتلت له : أبشريا بعدو الله بالنار ، فقال :
ستعلم أينما أولى بها صلياً . قالوا : ولم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة نفر وجعل علي يمشي بين القتلى
منهم ويقول : يؤساً لكم ! لقد ضركم من غركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ومن غركم ؟ قال : الشيطان
وأنفس بالسوء أماره ، غرتهم بالأمان وزينت لهم المعاصي ، ونبأتهم أنهم ظاهرون ثم أمر بالجرحي
من بينهم فاذا هم أربع مائة ، فسلمهم إلى قبائلهم ليدأوهم ، وقسم ما وجد من سلاح ومتاع لهم . وقال
الهيثم بن عدى في كتاب الخوارج : وحدثنا محمد بن قيس الأسدي ومنصور بن دينار عن عبد الملك

ابن ميسرة عن التزال بن سبرة أن علياً لم يخمس ما أصاب من الخوارج يوم النهروان ولكن رده
إلى أهله كله حتى كان آخر ذلك مرجل أتى به فرده . وقال أبو مخنف : حدثني عبد الملك بن أبي حرة
أن علياً خرج في طلب ذى الثدية ومعه سليمان بن ثمامة الخنفي أبو حرة والريان بن صبرة بن هوذة
فوجدته الرياني في حفرة على جانب النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً ، قال : فلما استخرج نظر إلى
عضده فاذا لحم مجتمع على منكبته كئدي المرأة له حلقة عليها شعرات سود ، فاذا مدت امتدت حتى
تحدى يده الأخرى ثم تنزل فتعود إلى منكبته كئدي المرأة ، فلما رآه علي قال : أما والله ما كذبت
لولا أن تتكلموا على العمل لا أخبرتكم بما قضى الله في قتلهم عارفاً للحق . وقال الهيثم بن عدى في
كتابه في الخوارج : وحدثني محمد بن ربيعة الأخنسي عن نافع بن مسلمة الأخنسي قال كان ذو الثدية
رجلاً من عرنة من بجيلة ، وكان أسود شديد السواد ، له ريح منقنة معروف في العسكر ، وكان يرافقتنا
قبل ذلك وينازلنا وننازله . وحدثني أبو إسحاق الخنفي عن الريان بن صبرة الخنفي . قال : شهدنا
النهر وان مع علي ، فلما وجد الخدج سجد سجدة طويلة . وحدثني سفیان الثوري عن محمد بن قيس
الهمداني عن رجل من قومه يكنى أبا موسى أن علياً لما وجد الخدج سجد سجدة طويلة . وحدثني
يونس بن أبي إسحاق حدثني إسماعيل عن حبة العرني . قال : لما أقبل أهل النهروان جعل الناس
يقولون : الحمد لله يا أمير المؤمنين انذى قطع دابرهم . فقال علي : كلا والله إنهم لفي أصلاب الرجال
وأرحام النساء ، فاذا خرجوا من بين الشرايين قتل ما يلقون أحداً إلا ألبوا أن يظهروا عليه ، قال :
وكان عبد الله بن وهب الراسبي قد قحلت مواضع السجود منه من شدة اجتهاده وكثرة السجود ،
وكان يقال له : ذو البيئات . وروى الهيثم عن بعض الخوارج أنه قال : ما كان عبد الله بن وهب
من بغضه علياً يسميه إلا الجاحد . وقال الهيثم بن عدى : ثنا إسماعيل عن خالد بن علقمة بن عامر
قال : سئل علي عن أهل النهروان أمشركون هم ؟ فقال : من الشرك فروا ، قيل أفنفاقون ؟ قال :
إن المنافقين لا يدكرون الله إلا قليلاً : فقيل فهاهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم
ببغهم علينا . فهذا ما أورده ابن جرير وغيره في هذا المقام .

ولندكر الآن ما ورد فيهم من الأحاديث المرفوعة

﴿ إلى رسول الله ﷺ ﴾

الحديث الأول : عن علي رضي الله عنه ، ورواه عنه زيد بن وهب ، وسويد بن غفلة ، وطارق
ابن زياد ، وعبد الله بن شداد ، وعبيد الله بن أبي رافع ، وعبيدة بن عمرو السلماني ، وكليب أبو
عاصم ، وأبو كثير وأبو مريم ، وأبو موسى ، وأبو وائل الوضي فهذه اثنتا عشرة طريقاً إليه سترها
بأسانيدها وألفاظها ومثل هذا يبلغ حد التواتر .

﴿ الطريق الأولى ﴾

قال مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثنا عبد بن حميد ثنا عبد الرزاق عن همام ثنا عبد الملك ابن أبي سليمان ثنا سلمة بن كهيل حدثني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي : يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتهم بشيء ، ولا صلاتهم بشيء ، ولا صيامهم إلى صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكاوا على العمل ، وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس لها ذراع ، على رأس عضده مثل حلقة التدي ، عليه شعرات بيض ، فيذهبون إلى معاوية وأهل الشام ويتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم ، وإني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس ، فسيروا على اسم الله . قال سلمة : فذكر زيد بن وهب منزلا منزلا حتى مروا على قنطرة فلما التقينا - وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي - فقال لهم : ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم وكسروا جفونها فإني أخاف أن يناشدكم كما ناشدكم يوم حروراء ، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف فشجرهم الناس برماحهم . قال : وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلا ، قال علي : التمسوا فيهم الخدج ، فالتسوه فلم يجدهم ، فقام على نفسه حتى أتى ناسا بعضهم إلى بعض ، فقال : آخروه فوجدوه مما يلي الأرض فقال : آخروهم فوجدوهم مما يلي الأرض فكبرتم قال : صدق الله وبلغ رسوله قال : فقام إليه عبيدة السلماني فقال : يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو لست سمعت هذا من رسول الله ﷺ إني والله الذي لا إله إلا هو ، فاستحلفه ثلاثا وهو يحلف له أنه سمعه من رسول الله ﷺ ، هذا لفظ مسلم . وقد رواه أبو داود عن الحسن بن علي الخلال عن عبد الرزاق بنحوه .

﴿ طريق أخرى عن علي ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش وعبد الرحمن عن سفيان عن الأعمش بن خزيمة عن سويد بن غفلة قال قال علي : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلا تخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرج قوم من أمتي في آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم - قال عبد الرحمن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم - يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية ، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قاتلهم عند الله يوم القيامة » وأخرجاه في الصحيحين من طرق عن الأعمش به .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا أبو نعيم ثنا الوليد بن القاسم الهمداني ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن طارق بن زياد قال : سار على إلى النهروان قال الوليد في روايته : وخرجنا معه فقتل الخوارج فقال اطلبوا الخدج فان رسول الله ﷺ قال : « سيجي قوم يتكلمون بكلمة الحق لا تجاوز حلقهم يبرقون من الاسلام كما يبرق السهم من الرمية سيماهم أو فيهم رجل أسود مخدج اليد في يده شعرات سود ، إن كان فيهم فقد قتلتم شر الناس ، وإن لم يكن فيهم فقد قتلتم خير الناس . قال الوليد ، في روايته : فبكيننا قال : إنا وجدنا الخدج نخرنا سجودا وخر على ساجدا معنا » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

﴿ طريق أخرى ﴾

رواه عبد الله بن شداد عن علي كما تقدم قريبا إرادته بطوله .

﴿ طريق أخرى عن علي رضي الله عنه ﴾

قال مسلم : حدثني أبو الطاهر ويونس بن عبد الأعلى ثنا عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن بكير بن الأشج عن بشر بن سعيد عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله أن الحرورية لما خرجت - وهو مع علي بن أبي طالب - قالوا : لاحكم إلا الله ، قال علي : كلمة حق أريد بها باطل ، إن رسول الله ﷺ وصف ناسا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء ، يقولون : الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم - وأشار إلى خلقه - من أبغض خلق الله منهم أسود إحدى يديه طي شاة أو حلقة تدي « فلما قتلهم علي بن أبي طالب قال : انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئا فقال : ارجعوا فانظروا ، فوالله ما كذبت ولا كذبت - مرتين أو ثلاثا - فوجدوه في خربة فأتوا به عليا حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله : وأنا حاضر ذلك من أمرهم ، وقول علي فيهم ، زاد يونس في روايته قال بكير : وحدثني رجل عن ابن حنين أنه قال : رأيت ذلك الأسود . تفرد به مسلم .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا أيوب عن محمد عن عبيدة عن علي قال : ذكرت الخوارج عند علي فقال : فيهم مخدج اليد أو ممدون اليد - أو قال مودن اليد - ولولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ ، قال قلت : أنت سمعته من محمد ؟ قال : إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، وقال أحمد : ثنا وكيع ثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء عن ابن سيرين سمعاه عن عبيدة عن علي قال قال رسول الله ﷺ : « يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو ممدون اليد أو مخدج اليد ولولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان

نبيه عليه السلام ، قال عبيدة قلت لعلي : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة وقال أحمد : ثنا يزيد ثنا هشام عن محمد عن عبيدة قال قال علي لأهل النهر وان : فيهم رجل مشدون اليد أو مخدوج اليد ، ولولا أن تبطروا لأخبرتكم بما قضى الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قتلهم ، قال عبيدة : فقلت لعلي : أنت سمعته ؟ قال : إي ورب الكعبة ، يحلف عليها ثلاثاً . وقال أحمد : ثنا ابن أبي عدي عن أبي بن عوف عن محمد قال قال عبيدة : لا أحدثك إلا ما سمعت منه ، قال محمد : خلف لنا عبيدة ثلاث مرات ، وحلف له علي قال قال : لولا أن تبطروا لأبأتكم ما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قال : قلت أنت سمعته ؟ قال : إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، فيهم رجل مخدج اليد أو مشدون اليد أحسبه قال : أو مودن اليد . وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن علي بن علي بن زياد كلاهما عن أيوب وعن محمد بن المشني عن ابن أبي عدي عن ابن عوف كلاهما عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي . وقد ذكرناه من طرق متعددة تفيد القطع عند كثيرين عن محمد بن سيرين . وقد حلف علي أنه سمعه من عبيدة وحلف عبيدة أنه سمعه من علي أنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال علي : لأن أخرج من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : حدثني إسماعيل أبو معمر ثنا عبد الله بن إدريس ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال : كنت جالساً عند علي إذ دخل رجل عليه ثياب السفر فاستأذن علي علي وهو يكلم الناس فشغل عنه فقال علي : إي دخلت علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال : « كيف أنت ويوم كذا وكذا ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فقال قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فيهم رجل مخدج اليد كأن يديه يدي حبشية ، أنشدكم بالله هل أخبرتكم أنه فيهم » فذكر الحديث بطوله ، ثم رواه عبد الله ابن أحمد عن أبي خيثمة زهير بن حرب عن القاسم بن مالك عن عاصم بن كليب عن أبيه عن علي ، فذكر نحوه إسناده جيد .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي : أخبرنا أبو القاسم الأزهرى أنا علي بن عبد الرحمن الكنتاني أنا محمد بن عبد الله بن عطاء عن سليمان الحضرمي أنا يحيى بن عبد الحميد الحماني أنا خالد ابن عبيد الله عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال قال أبو جحيفة : قال علي حين فرغنا من الحزورية إن فيهم رجلاً ليس في عضده عظم ثم عضده كحلمة الثدي عليها شعرات طوال عقف ، فالتمسوه فلم

يجدوه قال : فما رأيت علياً جزعاً أشد من جزعه يومئذ ، فقلوا : ما نجده يا أمير المؤمنين ، فقال : ويلكم ما اسم هذا المسكان ؟ قالوا : النهر وان ، قال : كذبتم إنه لفيهم ، فتورنا القتلى فلم نجده فعدنا إليه فقلنا : يا أمير المؤمنين ما نجده ، قال : ما اسم هذا المسكان ؟ قلنا : النهر وان ، قال : صدق الله ورسوله وكذبتم ، إنه لفيهم فالتمسوه ، فالتمسناه فوجدناه في ساقية فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم وعليها كحلمة ثدي المرأة عليها شعرات طوال عقف .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ثنا إسماعيل بن مسلم العبدى ثنا أبو كثير مولى الانصار قال : كنت مع سيدي مع علي بن أبي طالب حيث قتل أهل النهر وان ، فكأن الناس وجدوا في أنفسهم من قتلهم ، فقال علي : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد حدثنا بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه أبداً حتى يرجع السهم على فوقه ، وإن آية ذلك أن فيهم رجلاً أسود مخدج اليد إحدى يديه كثدي المرأة ، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة ، حوله سبع هلبات فالتمسوه فاني أراه فيهم ، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى فأخرجوه فكبر علي ، فقال : الله أكبر ! صدق الله ورسوله ، وإنه لمتقلد قوساً له عربية فأخذها بيده فجعل يظعن بها في مخدجته ويقول : صدق الله ورسوله . وكبر الناس حين رأوه واستبشروا وذهب عنهم ما كانوا يجدون » تفرد به أحمد .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال عبد الله بن أحمد : حدثنا أبو خيثمة ثنا شبابة بن سوار حدثني نعيم بن حكيم حدثني أبو مريم ثنا علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن قوماً يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، علامتهم رجل مخدج » وقال أبو داود في سننه : حدثنا بشر بن خالد ثنا شبابة بن سوار عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم قال : إن كان ذلك المخدج لعنا يومئذ في المسجد نجالسه الليل والنهار ، وكان فقيراً ، ورأيت به مع المساكين يشهد طعام علي مع الناس ، وقد كسوته برنسا لي ، قال أبو مريم : وكان المخدج يسمى نافعاً ذا الشدية ، ودان في يده مثل ثدي المرأة ، على رأسه حلمة مثل حلمة الثدي عليه شعرات مثل سبالة السنور .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل : أخبرنا أبو علي الروزباري أنا أبو محمد عبد الله بن عمرو ابن شوذب المقرئ الواسطي بها ثنا شعيب بن أيوب ثنا أبو الفضل بن دكين عن سفيان - هو الثوري - عن محمد بن قيس عن أبي موسى رجل من قومه قال : كنت مع علي فجعل يقول : التمسوا المخدج فالتمسوه فلم يجدوه ، قال : فأخذ يمرق ويقول : والله ما كذبت ولا كذبت ، فوجدوه في نهر

أود إليه فسجد .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال أبو بكر البزار : حدثني محمد بن مثنى ومحمد بن معمر ثنا عبد الصمد ثنا سويد بن عبيد العجلي ثنا أبو مؤمن . قال : شهدت علي بن أبي طالب يوم قتل الحرورية وأنا مع مولاي فقال : أنظروا فان فيهم رجلاً إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، وأخبرني النبي ﷺ أني صاحبه ، فقلبوا القتلى فلم يجدوه ، وقالوا : سبعة نفر تحت النخلة لم تقلبهم بعد ، قال : ويلكم انظروا ، قال أبو مؤمن : فرأيت في رجله جبلين يجرونه بهما حتى ألقوه بين يديه فخر علي ساجداً وقال : أبشروا قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار ، ثم قال البزار : لا نعلم روى أبو موسى عن علي غير هذا الحديث .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال البزار : حدثنا يوسف بن موسى ثنا إسحاق بن سليمان الرازي سمعت أبا سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت قال : قلت لشقيق بن سلمة - يعني أبا وائل - حدثني عن ذى الثدية ، قال : لما قاتلناهم قال علي : اطلبوا رجلاً علامته كذا وكذا ، فطلبناه فلم نجده ، فبكي وقال : اطلبوه ، فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده فبكي وقال : اطلبوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، قال : فطلبناه فلم نجده قال : وركب بغلته الشبها فطلبناه فوجدناه تحت بردى فلما رآه سجد . ثم قال البزار : لا نعلم روى حبيب عن شقيق عن علي إلا هذا الحديث .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال عبد الله بن أحمد : حدثني عبيد الله بن عمرو القواريري ثنا حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة عن أبي الوضي قال : شهدت علياً حين قتل أهل النهروان قال : التمسوا الخدج : فطلبوه في القتلى فقالوا ليس نجده فقال : ارجعوا فالتمسوه فوالله ما كذبت ولا كذبت ، فرجعوا فطلبوه فردد ذلك مراراً ، كل ذلك يحلف بالله ما كذبت ولا كذبت ، فانطلقوا فوجدوه تحت القتلى في طين فاستخرجوه فجئ به ، قال أبو الوضي : فكأنني أنظر إليه حبشي عليه ثدى قد طبق ، إحدى يديه مثل ثدى المرأة ، عليها شعرات مثل شعرات تكون على ذنب البربوع » وقد رواه أبو داود عن محمد بن عبيد بن حساب عن حماد بن زيد ثنا جميل بن مرة ثنا أبو الوضي - واسمه عباد بن نسيب - ولكنه اختصره وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثنا حجاج بن يوسف الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضي عبداً حدثه أنه قال : كنا عائدين إلى الكوفة مع علي بن أبي طالب . فلما بلغنا مسيرة ليلتين أو ثلاثاً من حروراء شد منا ناس كثيرون فذكرنا ذلك لعلي فقال : لا يهولنكم أمرهم فانهم سيرجعون فذكر الحديث بطوله قال : فحمد الله علي بن أبي طالب وقال : إن خليلي أخبرني أن قائده هؤلاء رجل مخدج اليد على حمة ثديه شعرات كأنهن ذنب البربوع ، فالتمسوه فلم يجده فأتيناه

فقلنا : إنا لم نجده ، فجعل يقول : اقبلوا ذا ، اقبلوا ذا ؟ حتى جاء رجل من أهل الكوفة فقال : هو هذا ؟ فقال علي : الله أكبر ، لا يأتاكم أحد يخبركم من أبوه ، فجعل الناس يقولون : هذا مالك ، هذا مالك ، فقال علي : ابن من ؟ وقال عبد الله بن أحمد أيضاً : حدثني حجاج بن الشاعر حدثني عبد الصمد بن عبد الوارث ثنا يزيد بن أبي صالح أن أبا الوضي عبداً حدثه قال : كنا عائدين إلى الكوفة مع علي فذكر حديث الخدج قال علي : « فوالله ما كذبت ولا كذبت ثلاثاً ، ثم قال علي : أما أن خليلي أخبرني بثلاثة إخوة من الجن هذا أكبرهم والثاني له جمع كثير ، والثالث فيه ضعف » وهذا السياق فيه غرابة جداً . وقد يمكن أن يكون ذو الثدية من الجن ؟ بل هو من الشياطين إما شياطين الانس أو شياطين الجن ، إن صح هذا السياق والله تعالى أعلم . والمقصود أن هذه طرق متواترة عن علي إذ قد روى من طرق متعددة عن جماعة متباينة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، فأصل القصة محفوظ وإن كان بعض الألفاظ وقع فيها اختلاف بين الرواة ولكن معناها وأصلها الذي توطأت الروايات عليه صحيح لا يشك فيه عن علي أنه رواه عن رسول الله ﷺ أنه أخبر عن صفة الخوارج وذى الثدية الذي هو علامة عليهم . وقد روى ذلك من طريق جماعة من الصحابة غير علي كما تراها بأسانيدها وألفاظها وبالله المستعان . وقد رواه جماعة من الصحابة منهم أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ورافع بن عمرو والغفاري ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو سعيد سمع بن مالك بن سنان الأنصاري ، وسهل بن حنيف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي ، وأبو ذر ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قدمنا حديث علي بطرقه لأنه أحد الخلفاء الأربعة وأحد العشرة وصاحب القصة . ولندكر بعده حديث ابن مسعود لتقدم وفاته على وقعة الخوارج .

﴿ الحديث الثاني ﴾

﴿ عن ابن مسعود رضي الله عنه ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن أبي بكير ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : « يخرج قوم في آخر الزمان سفهاء الأحلام ، أحداث - أو حدثاء - الأسنان ، يقولون من خير قول الناس يقرؤون القرآن بالسنتهم لا يعدو تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فمن أدركهم فليقتلهم فان في قتلهم أجراً عظيماً عند الله لمن قتلهم » وقد رواه الترمذي عن أبي كريب وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعبد الله بن عامر بن ذرارة ثلاثتهم عن أبي بكر بن عياش به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ابن مسعود مات قبل ظهور الخوارج بنحو من خمس سنين فغيره في ذلك من أقوى الأسانيد .

﴿ الحديث الثالث عن أنس بن مالك رضى الله عنه ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل ثنا سليمان التيمي ثنا أنس قال : ذكر لى أن نبي الله ﷺ قال - ولم أسمع منه - : « إن فيكم فرقة يتبعون ويدينون حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي حدثني قتادة عن أنس بن مالك وأبي سعيد قال أحمد وقد حدثنا أبو المغيرة فقال عن أنس عن أبي سعيد ، ثم رجع أن النبي ﷺ قال : « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسئون الفعل ، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، صيامه مع ، وصيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه ، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ، من قاتلهم كان أولى بالله منهم ، قالوا : يا رسول الله ما سيأثمهم ؟ قال : التخليق » . وقد رواه أبو داود في سننه عن نصر بن عاصم الانطاكي عن الوليد بن مسلم وقيس بن إسماعيل الحلبي كلاهما عن الأوزاعي عن قتادة وأبي سعيد عن أنس به . وأخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرزاق عن معمر بن قتادة عن أنس وحده . وقد روى البزار من طريق أبي سفيان وأبو يعلى من طريق يزيد الرقاشي كلاهما عن أنس بن مالك حديثاً في الخوارج قريباً من حديث أبي سعيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

﴿ الحديث الرابع عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن شهاب عن يحيى بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : كنت مع رسول الله ﷺ عام الجعرانة وهو يقسم فضة في ثوب بلال للناس فقال رجل : يا رسول الله اعدل ، فقال : « ويملك ومن يعدل إذا لم اعدل ؟ لقد خبت إن لم أكن اعدل ، فقال عمر : يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق ، فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، أو تراقيهم ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » وقال أحمد : حدثنا علي بن عياش ثنا إسماعيل بن عياش حدثني يحيى بن سعيد أخبرني أبو الزبير قال : سمعت جابراً يقول : بصر عيني وسمع أذني رسول الله ﷺ بالجعرانة وفي ثوب بلال فضة ورسول الله ﷺ يقبضها للناس يعطيهم ، فقال رجل : اعدل فقال : « ويملك من يعدل إذا لم أكن اعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : دعني أقتل هذا المنافق الخبيث ، فقال رسول الله ﷺ : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي ، هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ،

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة عن معاذ بن رفاعة ثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال : لما قسم رسول الله ﷺ غنائم هوازن بالجعرانة قام رجل من بني تميم فقال : اعدل يا محمد فقال : « ويملك ومن يعدل إن لم اعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم اعدل قال : فقال عمر : يا رسول الله ألا أقوم فأقتل هذا المنافق ؟ قال : معاذ الله أن يتسامع الامم أن محمداً يقتل أصحابه ، ثم قال رسول الله ﷺ : إن هذا وأصحاباً له يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » قال معاذ : فقال لي أبو الزبير : فعرضت هذا الحديث على الزهري فما خالفني فيه إلا أنه قال النضو وقلت القدح قال : ألت رجل عريباً ؟ . وقد رواه مسلم عن محمد بن رومح عن الليث وعن محمد بن مثنى عن عبد الوهاب الثقفي وأخرجه النسائي من حديث الليث ومالك بن أنس كلهم عن يحيى بن سعيد الأنصاري به بنحوه حديث رافع بن عمرو الأنصاري مع حديث أبي ذر رضى الله عنهما .

﴿ الحديث الخامس عن سعد بن مالك بن أهيب الزهري ﴾

﴿ وهو سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه ﴾

قال يعقوب بن سفيان : حدثنا الحميدي ثنا سفيان - هو ابن عيينة - حدثني العلاء بن أبي عياش أنه سمع أبا الطفيل يحدث عن بكر بن قرواش عن سعد بن أبي وقاص قال : « ذكر رسول الله ﷺ ذا الثدية فقال : شيطان الردهة كراعى الخيل يحتذره رجل من بجيلة يقال له الأشهب أو ابن الأشهب علابة في قوم ظلمة » قال سفيان : فأخبرني عمار الذهبي أنه جاء رجل يقال له : الأشهب وقد روى هذا الحديث الامام أحمد عن سفيان بن عيينة به مختصراً ولفظه « شيطان الردهة يحتذره رجل من بجيلة » تفرد به أحمد وحكى البخاري عن علي بن المديني قال : لم أسمع بذلك بكر بن قرواش إلا في هذا الحديث . وروى يعقوب بن سفيان عن عبد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة عن أبي إسحاق عن حامد الهمداني قال : سمعت سعيد بن أبي وقاص يقول : « قتل على شيطان الردهة » قال الحافظ أبو بكر البيهقي : يريد والله أعلم قتله أصحاب على بأمره . وقال الهيثم بن عدي : حدثنا إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل قال : بلغ سعد بن أبي وقاص أن علياً بن أبي طالب قتل الخوارج فقال : قتل علي بن أبي طالب شيطان الردهة .

﴿ الحديث السادس عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ﴾

﴿ رضى الله عنه ﴾

وله طرق عنه الأولى منها

قال الامام أحمد : حدثنا بكر بن عيسى ثنا جامع بن قطر الحبلي ثنا أبو روية شداد بن عمر

العنسي عن أبي سعيد الخدري أن أبا بكر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي ، فقال له رسول الله ﷺ : « اذهب إليه فاقتله » قال فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحالة كره أن يقتله . فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ لعمر : « اذهب إليه فاقتله » قال : فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر فكره أن يقتله فرجع فقال : يا رسول الله إني رأيته متخشعاً فكهرت أن أقتله . قال : « يا علي اذهب فاقتله » فذهب على فلم يره فرجع ، فقال : يا رسول الله إني لم أره فقال رسول الله ﷺ : « هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه فاقتلوهم هم شر البرية » تفرد به أحمد . وقد روى البزار في مسنده من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك وأبو يعلى عن أبي خيثمة عن عمر بن يونس عن عكرمة بن عمار وعن يزيد الرقاشي عن أنس من هذه القصة وأطول منها وفيها زيادات أخرى .

* (الطريق الثاني) *

قال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في حديث « ذكر قوماً يخرجون على فرقة من الناس مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق » أخرجه في الصحيحين كما سيأتي في ترجمة أبي سلمة عن أبي سعيد .

* (الطريق الثالث) *

قال الامام أحمد : ثنا وكيع ثنا عكرمة بن عمار ثنا عاصم بن شميخ عن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا حلف فاجتهد في اليمين قال « والذي نفس أبي القاسم بيده ليخرجن قوم من أمي تحقرون أعمالكم عند أعمالهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الاسلام كما يبرق السهم من الرمية . قالوا : فهل من علامة يعرفون بها ؟ قال : فيهم رجل ذو يديّة أو ثديّة محلق رؤسهم » قال أبو سعيد : فحدثني عشرون أو بضع وعشرون من أصحاب النبي ﷺ ان علياً ولي قتلهم قال فرأيت أبا سعيد بعد ما كبر ويديه ترعش ويقول : قتلتهم عندى أحل من قتال عدتهم من الترك . وقد رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به .

* (الطريق الرابع) *

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق أنا سفيان عن أبيه عن ابن أبي نعيم عن أبي سعيد الخدري قال : « بعث علي وهو باليمن إلى رسول الله ﷺ بذهبية في تربتها قسمها رسول الله ﷺ بين الأقرع ابن حابس الحنظلي ثم أحد بن جاشع ، وبين عيينة بن بدر الفراري وبين علقمة بن علاثة أو عامر ابن الطفيل أحد بنى كلاب ، وبين زيد الخليل الطائي ، ثم أحد بنى نهبان . قال : فغضبت قريش

والأنصار قالوا تعطي صناديد أهل نجد وتدعنا ؟ قال : إنما أتألفهم . قال : فأقبل رجل غائر العينين تأتي الجبين كثر اللحية مشرف الوجنتين محلق الرأس فقال : يا محمد أتق الله فقال : من يطيع الله إذا عصيته ؟ يأمني على أهل الأرض ولا تأمنوني ، قال : فسأل رجل من القوم قتله النبي ﷺ - أراه خالد بن الوليد - فمنعه ، فلما ولي قال : إن من ضئضئ هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان ، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد . رواه البخاري من حديث عبد الرزاق به ، ثم رواه أحمد عن محمد ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن أبي سعيد وفيه الجزم بأن خالداً سأل أن يقتل ذلك الرجل ، ولا ينافي سؤال عمر بن الخطاب . وهو في الصحيحين من حديث عمارة بن القعقاع من سيرته : وقال فيه إنه سيخرج من صلبه ونسله ، لأن الخوارج الذين ذكرنا لم يكونوا من سلالة هذا ، بل ولا أعلم أحداً منهم من نسله وإنما أراد من ضئضئ هذا أي من شككه وعلى صفته فالله أعلم . وهذا لرجل هو ذو الخويرة التميمي وسماه بعضهم حرقوصاً فالله أعلم .

* (الطريق الخامس) *

قال الامام أحمد : ثنا عفان ثنا مهدي بن ميمون ثنا محمد بن سيرين عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « يخرج أناس من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه ، قيل : ما سيأهم ؟ قال : سيأهم التحليق أو التسبيد » ورواه البخاري عن أبي النعمان محمد بن الفضل عن مهدي بن ميمون به .

* (الطريق السادس) *

قال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد ثنا سويد بن نجيح عن يزيد الفقير قال : قلت لأبي سعيد : إن منا رجلاً هم أقرؤنا للقرآن ، وأكثرتنا صلاة وأوصلنا للرحم ، وأكثرنا صوماً ، خرجوا علينا بأسياهم . فقال أبو سعيد : سمعت النبي ﷺ يقول : « يخرج قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية » تفرد به أحمد ولم يخرجوه في الكتب الستة ولا واحد منهم ، وإسناده لا بأس به رجاله كلهم ثقات وسويد بن نجيح هذا مستور .

(الطريق السابع)

قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال بينا رسول الله ﷺ يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذى الخويرة التميمي فقال : أعدل يا رسول الله . فقال : « وبلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أتأذن لي فيه فأضرب عنقه ؟ فقال : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يرقون

من الدين كما يبرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رضافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى يديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فترة من الناس، فترزت فيه (ومنهم من يلزمك في الصدقات) الآية « قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن عليا حين قتلهم وأنا معه جئ بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ. ورواه البخاري عن أبي بكر بن أبي شيبة عن هشام بن يوسف عن معمر، ورواه البخاري من حديث شعبة، ومسلم من حديث يونس بن يزيد عن الزهري به، لكن في رواية مسلم عن حرمة وأحمد بن عبد الرحمن كلاهما عن ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة، والضحاك الهمداني عن أبي سعيد به. ثم رواه أحمد عن محمد بن مصعب عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة والضحاك المشرق عن أبي سعيد فذكر نحو ما تقدم من هذا السياق، وفيه أن عمر هو استأذن في قتله، وفيه « يخرجون على حين فترة من الناس يقتلهم أولى الطائفتين بالله » قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأنني شهدت عليا حين قتلهم، فالتمس في القتلى فوجد على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ. ورواه البخاري عن دحيم عن الوليد عن الأوزاعي كذلك. وقال أحمد: قرأت على عبد الرحمن بن مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئا، ثم ينظر في القذح فلا يرى شيئا، ثم ينظر في الريش فلا يرى شيئا ويتبارى في الفوق » قال عبد الرحمن: حدثنا به مالك - يعني هذا الحديث - ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك به. ورواه البخاري ومسلم عن محمد بن المثنى عن عبد الوهاب عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة وعطاء بن يسار عن أبي سعيد به وقال أحمد: حدثنا يزيد أنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة قال: جاء رجل إلى أبي سعيد فقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر في الحرورية شيئا؟ فقال: سمعته يذكر قوماً يتعمقون في الدين يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم، وصومه عند صومهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، أخذ سهمه فينظر في نصله فلم ير شيئا ثم ينظر في رضافه فلم ير شيئا، ثم ينظر في القذذ فيبارى هل يرى شيئا أم لا » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون به.

* (الطريق الثامن) *

قال الامام أحمد: حدثنا ابن أبي عدى عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ « ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيامم التحليق، ثم هم شر الخلق، ومن شر الخلق، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق، قال: فضرب النبي ﷺ لهم مثلاً - أو قال قولاً - الرجل يرمي الرمية - أو قال الغرض - فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضى فلا يرى بصيرة، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة » فقال أبو سعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق. وقد رواه عن محمد بن المثنى عن محمد بن أبي عدى عن سليمان - وهو ابن طرخان التيمي عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد الخدري بنحوه.

* (الحديث الثامن) *

* (عن سلمان الفارسي رضي الله عنه) *

قال الهيثم بن عدى ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: جاء رجل إلى قوم فقال: لمن هذه الخباء؟ قالوا: لسلمان الفارسي، قال أفلا تنطلقون معي فيحدثنا ونسمع منه، فانطلق معه بعض القوم فقال: يا أبا عبد الله لو أدنيت خباك وكنت منا قريباً لحدثنا وسمعنا منك؟ فقال: ومن أنت؟ قال: فلان بن فلان. قال سلمان: قد بلغني عنك معروف. بلغني أنك تخف في سبيل الله، وتقاتل العدو، وتخدم أصحاب رسول الله ﷺ، فان أخطأك واحدة أن تكون من هؤلاء القوم الذين ذكرهم لنا رسول الله ﷺ. قالوا: فوجد ذلك الرجل قتيلاً في أصحاب النهروان.

* (الحديث التاسع) *

* (عن سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه) *

قال الامام أحمد! حدثنا أبو النضر ثنا حزام بن إسماعيل العامري عن أبي إسحاق الشيباني عن بسر بن عمرو قال: دخلت على سهل بن حنيف فقلت حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ قال في الحرورية، قال: أحدثك ما سمعت من النبي ﷺ لا أزيدك عليه شيئاً، سمعت رسول الله ﷺ « يذكر قوماً يخرجون من هاهنا - وأشار بيده نحو العراق - يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » قال: قلت هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعت لا أزيدك عليه. وقد أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الواحد بن زياد ومسلم من حديث علي ابن مسهر والعوام بن حوشب والنسائي من حديث محمد بن فضيل كلهم عن أبي إسحاق الشيباني به وقد رواه مسلم ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن بسر بن عمرو قال: سألت سهل بن حنيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر الخوارج؟ فقال: سمعته - وأشار بيده نحو المشرق -

قوم يقرؤون القرآن بالسنة لا يعدو تراقيهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية حدثناه أبو كامل ثنا عبد الواحد ثنا سليمان الشيباني بهذا الاسناد وقال: « يخرج منه أقوام » حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق جميعاً عن يزيد قال أبو بكر: حدثنا يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب ثنا أبو إسحاق الشيباني عن بسر بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: فتنه قوم قبل المشرق محلقة رؤسهم.

* (الحديث العاشر عن ابن عباس رضي الله عنه) *

قال الحافظ أبو بكر البزار: ثنا يوسف بن موسى ثنا الحسن بن الربيع ثنا أبو الأحوص عن سالك عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: « يقرأ القرآن أقوام من أمي يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ». ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وسويد بن سعيد كلاهما عن أبي الأحوص باسناده مثله.

* (الحديث الحادي عشر عن ابن عمر رضي الله عنه) *

قال الامام أحمد: حدثنا يزيد ثنا أبو حساب يحيى بن أبي حبة عن شهر بن حوشب قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يخرج من أمي قوم يسيئون الأعمال يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم » قال يزيد: لا أعلمه إلا قال: « يحقر أحدكم عمله مع عملهم يقتلون أهل الاسلام فاذا خرجوا فقتلوهم فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه، كلما طلع منهم قرن قطعه الله كلما طلع منهم قرن قطعه الله، كلما طلع منهم قرن قطعه الله » فرد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع. تفرد به أحمد من هذا الوجه. وقد ثبت من حديث سالم ونافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « الفتنه من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان - وأشار بيده نحو المشرق - ».

* (الحديث الثاني عشر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه) *

قال الامام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أنا معمر بن قتادة عن شهر بن حوشب قال: لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي، فجنته فجاء رجل فانتبذ الناس عليه خميصة فاذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنها ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضهم، تقذرهم نفس الرحمن، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقبل معهم إذا قالوا، وتأكل من تخلف - » قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: « سيخرج ناس من أمي قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدها زيادة على عشر مرات، كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في

بقيتهم » وقد روى أبو داود أوله في كتاب الجهاد من سننه عن القواريري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة. وقد تقدم حديث عبد الله بن مسعود وحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

* (الحديث الثالث عشر عن أبي ذر رضي الله عنه) *

قال مسلم بن الحجاج: حدثنا شيبان بن فروخ ثنا سليمان بن المغيرة ثنا حبيب بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر. قال قال رسول الله ﷺ: « إن بعدى من أمي - أو سيكون بعدى من أمي - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يعودون فيه شر الخلق والخليقة قال ابن الصامت: فلقيت زلفع بن عمرو الغفاري أخا الحاكم الغفاري قال: ما حدث سمعت من أبي ذر كذا كذا؟ فقال: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ. لم يروه البخاري.

* (الحديث الرابع عشر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها) *

قال الحافظ البيهقي: أنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو وثنا أبو العباس الأصم ثنا السري عن يحيى ثنا أحمد بن يونس ثنا علي بن عباس عن حبيب بن مسلمة. قال قال علي: « لقد علمت عائشة أن جيش المردة وأهل النهروان ملعونون على لسان محمد ﷺ » قال ابن عباس: جيش المشرق قتلة عثمان رضي الله عنه وقال الهيثم بن عدى: حدثني إسرائيل عن يونس عن جده أبي إسحاق السبيعي عن رجل عن عائشة قال: بلغها قتل علي الخوارج فقالت: قتل علي بن أبي طالب شيطان الردة - تعني الخدج - وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عمار بن صبيح ثنا سهل بن عامر البجلي ثنا أبو خالد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: ذكر رسول الله ﷺ الخوارج فقال: « شرار أمي يقتلهم خيار أمي » قال: وحدثناه إبراهيم بن سعيد ثنا حسين بن محمد ثنا سليمان بن قرم ثنا عطاء ابن السائب عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة عن النبي ﷺ فذكر نحوه قال: فرأيت علياً قتلهم وهم أصحاب النهروان. ثم قال البزار: لا نعلم روى عن عطاء عن أبي الضحى عن مسروق إلا هذا الحديث، ولا نعلم رواه عن عطاء إلا سليمان بن قرم وسليمان بن قرم قد تكلموا فيه لكن الاسناد الأول يشهد لهذا كما أن هذا يشهد للأول فهما متعاضدان، وهو غريب من حديث أم المؤمنين، وقد تقدم في حديث عبد الله بن شداد عن علي ما يدل على أن عائشة استغربت حديث الخوارج ولا سيما خبر ذي الثدية كما تقدم، وإنما أوردنا هذه الطرق كلها ليعلم الواقف عليها أن ذلك حق وصدق وهو من أكبر دلالات النبوة، كما ذكره غير واحد من الأئمة فيها والله تعالى أعلم. وقال: سألت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك عن خبر ذي الثدية فتيقنته من طرق متعددة. وقال الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل: أنا أبو عبد الله أنا الحسين بن الحسن بن عامر الكندي بالكوفة من أصل سماعه ثنا محمد بن صدقة الكاتب حدثني

أحمد بن أبان قفرت فيه حديثي الحسن بن عيينة ، وعبد الله بن أبي السفر بن عامر الشعبي عن مسروق قالت عائشة : عندك علم عن ذى النديبة الذى أصابه على في الحرورية : قلت ! لا قالت : فاكتب لي بشهادة من شهدتم ، فرجعت إلى الكوفة وبها يومئذ أسباع فكتبت شهادة عشرة من كل سبع ثم أتيتها بشهادتهم فقرأتها عليها ، قالت : أكل هؤلاء عابونه ؟ قلت : لقد سألتهم فأخبروني بأن كلهم قد عابونه ، فقالت : لعن الله فلانا فإنه كتب إلى أنه أصابهم بنيل مصر ثم أرخت عينها فبكت فلما سكنت عبرتها قالت : رحم الله عليا لقد كان على الحق ، وما كان بيني وبينه إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها .

(حديث آخر عن رجلين مبهمين من الصحابة في ذلك) *

قال الهيثم بن عدي في كتاب الخوارج : حدثني سليمان بن المغيرة عن حبيب بن هلال قال : أقبل رجلان من أهل الحجاز حتى قدما العراق فقبل لهما : ما أقدمكما العراق ؟ قالوا : رجونا أن ندرك هؤلاء القوم الذين ذكروهم لنا رسول الله ﷺ ، فوجدنا على بن أبي طالب قد سبقنا إليهم - يعنيان أهل النهر وان - .

(حديث في مدح علي رضي الله عنه على قتال الخوارج قبهم الله) *

قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ثنا مطر عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدي عن أبيه قال : سمعت أبا سعيد يقول : « كنا جلوسا ننتظر رسول الله ﷺ فخرج علينا من بيوت بعض نسائه قال قمنا معه ، فانقطع نعله فتخلف عليها على يخصفها فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه ثم قام ينتظره وقتنا معه ، فقال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها وفيهم أبو بكر ، وعمر فقال : لا ولكنه خاض النعل ، قال : فجئنا نبشره قال : فكأنه قد سمعه » ورواه أحمد عن وكيع وأبي أسامة عن قطر بن خليفة فأما الحديث الذي قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا إسماعيل بن موسى ثنا الربيع بن سهل عن سعيد بن عبيد عن علي بن ربيعة قال : سمعت عليا على منبركم هذا يقول : « عهد إلى النبي ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين » وقد رواه أبو بكر بن المقرئ عن الجد بن عباد البصري عن يعقوب بن عباد عن الربيع بن سهل الفزاري به ، فإنه حديث غريب ومنكر ، على أنه قد روى من طرق عن علي وعن غيره ولا تخلو واحدة منها عن ضعف والمراد بالناكثين يعني أهل الجمل وبالقاسطين أهل الشام وأما المارقون فالخوارج لأنهم مرقوا من الدين وقد رواه الحافظ أبو أحمد بن عدي في كامله عن أحمد بن حفص البغدادي عن سليمان بن يوسف عن عبيد الله بن موسى عن قطر بن حكيم بن جبير عن إبراهيم عن علقمة عن علي قال : أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وقال الحافظ : أبو بكر الخطيب

البغدادي : أخبرني الأزهرى ثنا محمد بن المظفر ثنا محمد بن أحمد بن ثابت قال : وجدت في كتاب جدي محمد بن ثابت ثنا شعيب بن الحسن السلمي عن جعفر الأحمر عن يونس بن الأرقم عن أبان عن خليل المصري قال : سمعت عليا أمير المؤمنين يقول يوم النهر وان : « أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » وقد سواه الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث محمد بن فرج الجسدي ساويرى أنا هارون بن إسحاق ثنا أبو غسان عن جعفر - أحسبه الأحمر - عن عبد الجبار الهمداني عن أنس بن عمرو عن أبيه عن علي . قال : « أمرت بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين » وقال الحاكم أبو عبد الله أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن غنم الخنظلي بقنطرة بردان ثنا محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي حدثني أبي حدثني عمي عن عمرو بن عطية بن سعد عن أخيه الحسن بن عطية حدثني جدي سعد بن جنادة عن علي رضي الله عنه قال : أمرت بقتال ثلاثة : القاسطين ، والناكثين ، والمارقين . فأما القاسطون فأهل الشام ، وأما الناكثون فذكركم ، وأما المارقون فأهل النهر وان - يعني الحرورية - وقال الحافظ ابن عساكر : أنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبو سعيد الأديب أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين ثنا محمد بن أحمد الصوفي ثنا محمد بن عمرو الباهلي ثنا كثير بن يحيى ثنا أبو عوانة عن أبي الجارود عن زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده عن علي قال : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين .

(حديث ابن مسعود في ذلك)

قال الحافظ : حدثنا الامام أبو بكر أحمد بن الحسن الفقيه أنا الحسن بن علي ثنا كزيب بن يحيى الخزاز المقرئ ثنا إسماعيل بن عباد المقرئ ثنا شريك عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أم سلمة فجاء على فقال رسول الله ﷺ : « يا أم سلمة هذا والله قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي » .

(حديث أبي سعيد في ذلك)

قال الحاكم : حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني ثنا الحسين بن الحكم الخيري ثنا إسماعيل بن أبان ثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري قال : « أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلت : يا رسول الله ! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من ؟ فقال : مع علي بن أبي طالب معه يقتل عمار بن ياسر » .

(حديث أبي أيوب في ذلك)

قال الحاكم : أنا أبو الحسن علي بن حماد المعدل ثنا إبراهيم بن الحسين بن دينار ثنا عبد العزيز

ابن الخطاب ثنا محمد بن كثير عن الحرث بن خزيمة عن أبي صادق عن مخنف بن سليمان . قال :
 أتينا أبا أيوب قتلنا : قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين ؟ فقال :
 « أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين » قال الحاكم : وحدنا أبو بكر محمد
 ابن أحمد بن بالويه ثنا الحسن بن علي بن شبيب العمري ثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل
 حدثني أبو يزيد الأموي عن عتاب بن ثعلبة في خلافة عمر بن الخطاب قال : « أمرني رسول الله
 ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب وقال الخطيب البغدادي : حدثنا
 الحسن بن علي بن عبد الله المقرئ ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا محمد بن جعفر المطيري ثنا
 أحمد بن عبد الله المؤدب بسر من رأى ثنا المعلى بن عبد الرحمن ببغداد ثنا شريك عن سليمان بن
 مهران عن الأعمش عن علقمة والأسود قالا : أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين
 قتلناه : يا أبا أيوب ! إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلا من الله وإكراماً لك
 حين أتت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ؟ فقال :
 يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله ، وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي ، بقتال الناكثين
 والقاسطين والمارقين . فأما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل ، طلحة والزبير ، وأما القاسطون
 فهذا منصرفنا من عندهم - يعني معاوية وعمراً - وأما المارقون فهم أهل الطرقات وأهل السعيفات
 وأهل النخيلات وأهل النهروان ، والله ما أدري أين هم ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله . قال :
 وسمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار : « يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت مذ ذاك مع الحق والحق
 معك ، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس غيره فاسلك مع علي فإنه لن
 يدليكَ في ردى ولن يخرجك من هدى ، يا عمار من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم
 القيامة وشاحين من در ، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار
 قتلنا : يا هذا ! حسبك رحمك الله حسبك رحمك الله » ، هذا السياق الظاهر أنه موضوع وآفته من
 جهة المعلى بن عبد الرحمن فإنه متروك الحديث .

فصل

قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه : في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال :
 وذكر عيسى بن دآب قال : لما انصرف علي رضي الله عنه من النهروان قام في الناس خطيباً فقال :
 بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ : أما بعد فإن الله قد أعز نصركم فتوجهوا من
 فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام فقاموا إليه فقالوا : يا أمير المؤمنين نغنت نبالننا وكلت سيوفنا

ونصلت أسننتنا ، فانصرف بنا إلى مصرنا حتى نستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين يزيد في
 عدتنا عدة من فارقنا وهلك منا فإنه أقوى لنا على عدونا - وكان الذي تكلم بهذا الأشعث بن
 قيس الكندي فبايعهم وأقبل بالناس حتى نزل بالنخيلة وأمرهم أن يلزموا معسكرهم ويوطنوا أنفسهم
 على جهاد عدوهم ويقبلوا زيارة نسائهم وأبنائهم ، فأقاموا معه أياماً متمسكين برأيه وقوله ، ثم تسلاوا
 حتى لم يبق منهم أحد إلا رؤس أصحابه ، فقام علي فيهم خطيباً فقال : الحمد لله فاطر الخلق وخالق
 الأصباح وناشر الموتى وباعث من في القبور ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،
 وأوصيكم بتقوى الله فإن أفضل ما توسل به العبد الإيثار والجهاد في سبيله وكلمة الاخلاص فإنها
 الفطرة ، وإقام الصلاة ، فإنها الملة ، وإيتاء الزكاة فإنها من فريضة ، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من
 عذابه ، وحج البيت فإنه منفاة للفقر مدحضة للذنب ، وصلة الرحم فإنها مثرأة في المال ، منسأة في
 الاجل ، محبة في الأهل ، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة وتطفي غضب الرب ، وصنع المعروف فإنه
 يدفع ميتة السوء وبقى مصارع الهول ، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد
 المتقون فإن وعد الله صدق الوعد ، واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدى ، واستسنوا بسنته
 فإنها أفضل السنن ، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث ، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب ،
 واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص ، وإذا قرئ عليكم
 فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، وإذا هديتم لعله فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون ، فإن العالم
 العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله ، بل قدرأبت أن الحجة أعظم ، والحسرة
 أودم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير في جهله ، وكلاهما مفضل مثبور ،
 لا تراثوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا ، ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهلوا ، ولا تذهلوا في الحق
 فتخسروا ، ألا وإن من الحزم أن تثقوا ، ومن الثقة أن لا تقفروا ، وإن أنصحتكم لنفسه أطوعكم لربه
 وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه ، من يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعص الله يخف ويندم ، ثم
 سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية ، وخير مادام في القلب اليقين ، إن عوازم الأمور أفضلها ،
 وإن محدثاتها شرارها وكل محدث بدعة وكل محدث مبتدع ، ومن ابتدع فقد ضيع ، وما أحدث
 محدث بدعة إلا ترك بها سنة ، المغبون من غبن دينه ، والمغبون من خسر نفسه ، وإن الريا من
 الشرك ، وإن الاخلاص من العمل والإيمان ، ومجالس اللهو تنسى القرآن ويحضرها الشيطان ،
 وتدعو إلى كل غي ، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار ، وهي مصائد الشيطان ،
 فأصدقوا الله فإن الله مع من صدق وجانبوا الكذب فإن الكذب مجانب للإيمان ألا إن الصدق
 على شرف منجاة وكرامة ، وإن الكذب على شرف ردى وهلكة ، ألا وقولوا الحق تعرفوا به

واعملوا به تسكوتوا من أهله ، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وإذا عاهدتم فأوفوا ، وإذا حكتم فاعملوا ، ولا تفاخروا بالأبواء ، ولا تنازروا بالألقاب ، ولا تمازحوا ، ولا يفضب بعضهم بعضاً ، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وارحموا الأرملة واليتيم ، وافشوا السلام وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) وأكرموا الضيف ، وأحسنوا إلى الجار ، وعودوا المرضى ، وشيعوا الجنائز ، وكونوا عباد الله إخواناً ، أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أظلت وأشرفت بإطلاع ، وإن المضار اليوم وغدا السباق وإن السبقة الجنة والغاية النار ، ألا وإنكم في أيام مهل من ورأها أجل يحته عجل ، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمهله ، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمهله ، وضره أمهله ، فاعملوا في الرغبة والرغبة فان نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا مع ربه ، وإن نزلت بكم رغبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة ، فان الله قد تآذن المسلمين بالحسنى ، ولمن شكر بالزيادة ، وإن لم أر مثل الجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربهها ، ولا أكثر مكتسباً من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الدخائر ، وتبلى فيه السرائر ، وتجتمع فيه الكبائر ، وإنه من لا يتفقه الحق يضره الباطل ، ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال ، ومن لا يتفقه اليقين يضره الشك ، ومن لا يتفقه حاضره فعازبه عنه أعور ، وغائبه عنه أعرج ، وإنكم قد أمرتم بالظن ودلتم على الزاد ، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم إثنان طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسى الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق ، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ، ولا تسكوتوا من بني الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ، وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر . وقد روى لها شواهد من وجوه أخر متصلة والله الحمد والمنة . وقد ذكر ابن جرير : أن علياً رضي الله عنه لما نكل أهل العراق عن الذهاب إلى الشام خطبهم فوبخهم وأنبهم وتوعدهم وهددهم وتلا عليهم آيات في الجهاد من سور متفرقة ، وحث على المسير إلى عدوم فأبوا من ذلك وخالفوه ولم يوافقوه ، واستمروا في بلادهم ، وتفرقوا عنه هاهنا وهاهنا ، فسئل على الكوفة .

فصل

وقد ذكر الهيثم بن عدي أنه خرج على علي بعد النهروان رجل يقال له : الحارث بن راشد الناجي ، قدم مع أهل البصرة ، فقال لعل : إنك قد قاتلت أهل النهروان في كونهم أنكروا عليك

قصة التحكيم ونزعم أنك قد أعطيت أهل الشام عهدك ومواثيقك ، وأنت لست بذاقضاها ، وهذا إن الحكمان قد اتفقا على خلعك ثم اختلفا في ولاية معاوية فولاه عمر وامتنع أبو موسى من ذلك ، فأنت مخلوع باتفاقهما ، وأنا قد خلعتك وخلعت معاوية معك ، وتبع الحارث هذا بشر كثير من قومه - بني ناجية وغيرهم - وتحيزوا ناحية ، فبعث إليهم على معقل بن قيس الرماحي في جيش كثيف فقتلهم معقل قتلاً ذريعاً وسبى من بني ناجية خمسمائة أهل بيت فقدم بهم ليقدم بهم على علي فقتله رجل يقال له : مصقلة بن هبيرة أبو المغلس - وكان عاملاً لعل على بعض الأقاليم - فنضروا إليه وشكوا ما هم فيه من السبي ، فاشتراهم مصقلة من معقل بخمسمائة ألف درهم وأعتقهم ، فطالبه بالثمن فهرب منه إلى ابن عباس بالبصرة ، فكتب معقل إلى ابن عباس فقال له مصقلة : إني إنما جئت لأدفع ثمنهم إليك ثم هرب منه إلى علي فكتب ابن عباس ومعقل إلى علي فطالبه على دفع من الثمن مائتي ألف ثم انشمر هارباً فلحق بمعاوية بن أبي سفيان بالشام ، فأمضى على عتقهم وقال : ما بقى من المال في ذمة مصقلة ؟ وأمر بداره في الكوفة فهدمت . وقد روى الهيثم عن سفيان الثوري وإسرائيل عن عمار الذهبي عن أبي الطفيل أن بني ناجية ارتدوا فبعث إليهم : معقل بن قيس فسباهم فاشتراهم مصقلة من علي بثلاثمائة ألف فأعتقهم ثم هرب إلى معاوية . قال الهيثم وهذا قول الشيعة ولم يسمع بحجى من العرب ارتدوا بعد الردة التي كانت في أيام الصديق . وقال الهيثم : حدثني عبد الله بن تميم بن طرفة الطائي حدثني أبي أن عدي بن حاتم قال مرة لعل بن أبي طالب وهو يخطب : قتلت أهل النهروان على انكار الحكومة ، وقتلت الحريث بن راشد على مسألتهم إياك أيضاً الحكومة ، والله ما بينهما موضع قدم . فقال له علي : أسكت إنما كنت أعرابياً تأكل الضبع بجبل طى بالأمس . فقال له عدي : وأنت والله قد رأيتك بالأمس تأكل البلح بالمدينة . قال الهيثم : ثم خرج على علي رجل من أهل البصرة فقتل فأمر أصحابه عليهم الأشتر بن عوف الشيباني ، فقتل هو وأصحابه ، قال : ثم خرج على علي الأشهب بن بشر البجلي ثم أحد عريضة من أهل الكوفة فقتل هو وأصحابه . قال : ثم خرج على علي سعيد بن نعد التميمي ثم من بني ثعلبة من أهل الكوفة فقتل بقنطرة درر بجنان فوق المدائن . قال الهيثم : أخبرني بذلك عبد الله بن عياش عن مشيخته .

فصل

ذكر ابن جرير عن أبي مخنف لوط بن يحيى - وهو أحد أئمة هذا الشأن - أن قتال علي للخوارج يوم النهروان ، كان في هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين - قال ابن جرير : وأكثر أهل السير (١) كذا في الأصل وفي نسخة : عبيد بن تميم .

على أن ذلك كان في سنة ثمان وثلاثين وصححه ابن جرير، قلت: وهو الأشبه كما سنبيه عليه في السنة الآتية إن شاء الله تعالى. قال ابن جرير: وحج بالناس في هذه السنة - يعني سنة سبع وثلاثين - عبيد الله بن عباس نائب على اليمن ومخالفها. وكان نائب مكة قثم بن العباس، وعلى المدينة تمام بن عباس، وقيل سهل بن حنيف، وعلى البصرة عبد الله بن عباس، وعلى قضائها أبو الأسود الدؤلي، وعلى مصر محمد بن أبي بكر، وعلى بن أبي طالب أمير المؤمنين مقيم بالكوفة، ومعاوية بن أبي سفيان مستحوذ على الشام. قلت: ومن نيته أن يأخذ مصر من محمد بن أبي بكر.

﴿ ذكر من توفي فيها من الأعيان ﴾

خبيب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمه كان قد أصابه سبي في الجاهلية فأشترته أثمار الخزاعية التي كانت تخن النساء، وهي أم سباع بن عبد العزى الذي قتله حمزة يوم أحد وحالف بني زهرة، أسلم خبيب قديماً قبل دار الأرقم، وكان ممن يؤذى في الله فيصبر ويحتسب، وهاجر وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد. قال الشعبي: دخل يوماً على عمر فأكرم مجلسه وقال: ما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا بلال. فقال: يا أمير المؤمنين إن بلالا كان يؤذى وكان له من يمنعه، وإني كنت لا ناصر لي والله لقد سلقوني يوماً في نار أججوها ووضع رجله على صدرى فما اتقيت الأرض إلا بظهرى، ثم كشف عن ظهره فاذا هو برص رضى الله عنه، ولما مرض دخل عليه أناس من الصحابة يعودونه فقالوا: أبشر غداً تلقى الأحبة محمداً وحرز به فقال: والله إن إخواني مضوا ولم يأكلوا من دنياهم شيئاً، وإنا قد أينعت لنا ثمرتها فنحن نهديها، فهذا الذي يهمني. قال: وتوفي بالكوفة في هذه السنة عن ثلاث وستين سنة وهو أول من دفن بظاهر الكوفة

﴿ خزيمه بن ثابت ﴾

ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأنصاري ذو الشهادتين وكانت راية بني حطمة معه يوم الفتح، وشهد صفين مع علي، وقتل يومئذ رضى الله عنه

سفينة مولى رسول الله ﷺ قد قدمنا ترجمته في الموالى المنسوبين إليه صلوات الله وسلامه عليه.

﴿ عبد الله بن الأرقم بن أبي الأرقم ﴾

أسلم عام الفتح وكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم مع كتاب الوحي * عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، قتل يوم صفين وكان أمير الميمنة لعلی فصارت أمرتها للأشتر النخعي * عبد الله بن خبيب بن الأرت. ولد في حياة النبي ﷺ وكان موصوفاً بالخير، قتله الخوارج كما قدمنا بالنهر وان في هذه السنة، فلما جاء على قال لهم: أعطونا قتلته ثم أنتم آمنون فقالوا: كلنا قتله فقاتلهم * عبد الله بن سعد بن أبي سرح: أحد كتاب الوحي أيضاً، أسلم قديماً وكتب الوحي

ثم ارتد ثم عاد إلى الاسلام عام الفتح واستأمن له عثمان - وكان أخاه لأمه - وحسن إسلامه وقد ولاة عثمان نيابة مصر بعد موت عمرو بن العاص، فغزا إفريقية وبلاد النوبة، وفتح الأندلس وغزا ذات الصواري مع الروم في البحر فقتل منهم ما صيغ وجه الماء من الدماء، ثم لما حصر عثمان تغلب عليه محمد بن أبي حذيفة وأخرجه من مصر فمات في هذه السنة وهو معتزل علياً ومعاوية، في صلاة الفجر بين التسليمتين رضى الله عنه.

﴿ عمار بن ياسر أبو اليقظان العبسي ﴾

من عبس اليمن، وهو حليف بني مخزوم، أسلم قديماً وكان ممن يعذب في الله هو وأبوه وأمه سمية، ويقال إنه أول من اتخذ مسجداً في بيته يتعبد فيه، وقد شهد بدرًا وما بعدها وقد قدمنا كيفية مقتله يوم صفين وأن رسول الله ﷺ قال: «تقتلك الفئة الباغية» وروى الترمذي من حديث الحسن عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة تشاق إلى ثلاثة، علي وعمار وسلمان» وفي الحديث الآخر الذي رواه الثوري وقيس بن الربيع وشريك القاضي وغيرهم عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي أن عماراً استأذن على رسول الله ﷺ فقال: «مرحباً بالطيب المطيب» وقال إبراهيم ابن الحسين: حدثنا يحيى حدثني نصر ثنا سفيان الثوري عن أبي الأعمش عن أبي عمار عن عمرو ابن شرحبيل عن رجل من أصحاب رسول الله أن رسول الله ﷺ قال: «لقد ملي عمار إيماناً من قدمه إلى مشاشه» وحدثنا يحيى بن معلى عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة أنها قالت: «مامن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا عمار بن ياسر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن عمار بن ياسر حشى ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنه إيماناً» وحدثنا يحيى ثنا عمرو بن عون أنا هشيم عن العوام بن حوشب عن سلمة بن كهيل عن علقمة قال: أتيت أهل الشام فلقيت خالد بن الوليد فحدثني قال: كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام في شيء فشكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا خالد! لا تؤذ عماراً فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله، ومن يعاد عماراً يعاده الله» قال: فعرضت له بعد ذلك فسلت ما في نفسه. وله أحاديث كثيرة في فضائله رضى الله عنه قتل بصفين عن إحدى وقيل ثلاث وقيل أربع وتسعين سنة طعنه أبو الغادية فسقط ثم أكب عليه رجل فاحتر رأسه، ثم اختصا إلى معاوية أيهما قتله فقال لهما عمرو بن العاص: اندرا فوالله إنكما لتختصمان في النار، فسمعها منه معاوية فلامه على تسميته إياهما ذلك، فقال له عمرو: والله إنك لتعلم ذلك، ولوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. قال الواقدي، حدثني الحسن بن الحسين بن عمار عن أنس بن إسحاق عن عاصم أن علياً صلى عليه ولم يغسله وصلى معه على هاشم بن عتبة، فكان عمار مما يلي علياً، وهاشم إلى نحو القبلة. قالوا، وقبر هنالك، وكان آدم اللون، طويلًا بعيساً ما بين

المنكبين : أشهل العينين ، رجلا لا يغير شبيهه رضى الله عنه .

✽ الربيع بنت معوذ بن عفراء ✽

أسلمت قديماً وكانت تخرج مع رسول الله ﷺ إلى الغزوات فتداوى الجرحى ، وتسقى الماء للكلمى ، ورويت أحاديث كثيرة ✽ وقد قتل في هذه السنة في أيام صفين خلق كثير وجم غفير ، فقيل قتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً . وقيل قتل من أهل العراق أربعون ألفاً - من مائة وعشرين ألفاً - وقتل من أهل الشام عشرون ألفاً من ستين ألفاً وبالجملة فقد كان فيهم أعيان ومشاهير يطول استصاؤهم وفيما ذكرنا كفاية والله تعالى أعلم .

✽ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ✽

فيها بعث معاوية عمرو بن العاص إلى ديار مصر فأخذها من محمد بن أبي بكر واستتاب معاوية عمراً عليها ، وذلك كما سنبينه ، وقد كان على رضى الله عنه استتاب عليها قيس بن سعد بن عبادة وانزعها من يد محمد بن أبي حذيفة حين كان استحوذ عليها ومنع عبد الله بن سعد بن أبي سرح من التصرف فيها ، حين حصر عثمان - وقد كان عثمان استخلفه عليها وعزل عنها عمرو بن العاص - وعمرو كان هو الذى افتتحها كما قدمنا ذكر ذلك . ثم إن علياً عزل قيس بن سعد عنها وولى عليها محمد بن أبي بكر وقد ندم على علي عزل قيس بن سعد عنها ، وذلك أنه كان كفواً لمعاوية وعمرو ، ولما ولى محمد بن أبي بكر لم يكن فيه قوة تعادل معاوية وعمراً ، وحين عزل قيس بن سعد عنها رجع إلى المدينة ثم سار إلى علي بالعراق فكان معه ، وكان معاوية يقول : والله لقيس بن سعد عند علي أبيض من مائة ألف مقاتل بدله عنده ، فشهد معه صفين فلما فرغ علي من صفين وبلغه أن أهل مصر قد استخفوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شاب ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم على رد مصر إلى قيس بن سعد وكان قد جعله على شرطته أو إلى الأشتر النخعي وقد كان نائبه على الموصل ونصيبين ، فنكتب إليه بعد صفين فاستقدمه عليه ثم ولاء مصر ، فلما بلغ معاوية تولية علي للأشتر النخعي ديار مصر بدل محمد بن أبي بكر عظم ذلك عليه ، وذلك أنه كان قد طمع في مصر واستزاعها من يد محمد بن أبي بكر ، وعلم أن الأشتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته ، فلما سار الأشتر إليها وانتهى إلى القانم استقبله الخانसार وهو مقدم على الخراج فقدم إليه طعاماً وسقاه شرباً من عسل فمات منه ، فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا : إن لله جنوداً من عسل . وقد ذكر ابن جرير في تاريخه أن معاوية كان قد تقدم إلى هذا الرجل في أن يحتال على الأشتر ليقته ووعده على ذلك بأموال ففعل ذلك ، وفي هذا نظر ، وبتقدير صحته فمعاوية يستجيز قتل الأشتر لأنه من قتلة عثمان رضى الله عنه . والمتصور أن معاوية وأهل الشام فرحوا فرحاً شديداً بموت الأشتر النخعي ، ولما بلغ ذلك علياً

تأسف على شجاعته وغناؤه ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر باستقراره واستمراره بديار مصر ، غير أنه ضعف جأشه مع ما كان فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين بيلد خربتا وقد كانوا استفحل أمرهم حين انصرف على من صفين ، وحين كان من أمر التحكيم ما كان ، وحين نكل أهل العراق عن قتال أهل الشام ، وقد كان أهل الشام حين انقضت الحكومة بدومة الجندل سلموا على معاوية بالخلافة وقوى أمرهم جداً ، فعند ذلك جمع معاوية أمراءه عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن السمط وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس ، وبسر بن أبي أرطاة ، وأبا الأعرور السلمي ، وحزرة بن سنان الهمداني وغيرهم ، فاستشارهم في المسير إلى ديار مصر فاستجابوا له وقالوا : سر حيث شئت فنحن معك ، وعين معاوية نياتها لعمرو بن العاص إذا فتحتها ففرح بذلك عمرو بن العاص ، ثم قال عمرو لمعاوية : أرى أن تبعث إليهم رجلاً مع رجل مأمون عارف بالحرب ، فإن بها جماعة ممن يوالى عثمان فيساعدونه على حرب من خلفهم ، فقال معاوية : لكن أرى أن أبعث إلى شيعتنا من هنالك كتاباً يعلمهم بقدمهم عليهم ، ونبعث إلى مخالفينا كتاباً ندعوهم فيه إلى الصلح . وقال معاوية : إنك يا عمرو رجل بورك لك في العجلة وإنى امرؤ بورك لى في التؤدة ، فقال عمرو : افعل ما أراك الله ، فوالله ما أملك وأمرهم الا سيصير إلى الحرب العوان ، فنكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى ، وإلى معاوية بن خديج السكونى - وهما رئيسا العثمانية ببلاذ مصر ممن لم يبايع علياً ولم يأتهم بأمر نوابه بمصر في نحو من عشرة آلاف - يخبرهم بقدم الجيش عليهم سريراً ، وبعث به مع مولى له يقال له سبيع ، فلما وصل الكتاب إلى مسلمة ومعاوية بن خديج فرحا به وردا جوابه بالاستبشار والمعاونة والمناصرة له ولئن يبعثه من الجيوش والجند والمدد إن شاء الله تعالى ، فعند ذلك جهز معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف ، وخرج معاوية مودعاً وأوصاه بتقوى الله والرفق والمهل والتؤدة ، وأن يقتل من قاتل ويعفو عن أدبر ، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة ، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك ، فسار عمرو بن العاص إلى مصر ، فلما قدمها اجتمعت عليه العثمانية فقادهم ، وكتب عمرو بن العاص إلى محمد بن أبي بكر : أما بعد ففتح فاني لا أحب أن يصيبك منى ظفر ، فإن الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك ورفض أمرك ، وندموا على اتباعك ، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان ، فأخرج منها فاني لك لمن الناصحين والسلام . وبعث إليه عمرو أيضاً بكتاب معاوية إليه : أما بعد فان غيب البغي والظلم عظيم الوبال ، وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النعمة في الدنيا والتبعة الموبقة في الآخرة وإنما لا نعلم أحداً كان أشد خلافاً على عثمان منك حين تطعن بمشاقصك بين حشاشته وأوداجه ، ثم إنك تظن أنى عنك تأم أونس ذلك لك ، حتى تأتي فتأمر على بلاد أنت بها جارى وجل أهلها أنصارى وقد بعثت إليك بجيوش يتقربون إلى الله

بجهادك ولن يسلمك الله من القصاص أينما كنت والسلام . قال : فطوى محمد بن أبي بكر الكتابين وبعث بهما إلى علي وأعلمه بقدم عمرو إلى مصر في جيش من قبل معاوية ، فان كانت لك بأرض مصر حاجة فابعث إلى بأموال ورجال والسلام . فكتب إليه يأمره بالصبر ومجاهدة العدو ، وأنه سيبعث إليه الرجال والأموال ، ويمده بما أمكنه من الجيوش . وكتب محمد بن أبي بكر كتاباً إلى معاوية في جواب ما قال وفيه غلظة ، وكذلك كتب إلى عمرو بن العاص وفيه كلام غليظ وقام محمد ابن أبي بكر في الناس فخطبهم وحثهم على الجهاد ومناجزة من قصدهم من أهل الشام ، وتقدم عمرو ابن العاص إلى مصر في جيوشه ، ومن لحق به من العثمانية المصريين ، والجميع في قريب من ستة عشر ألفاً موركب محمد بن أبي بكر في ألفي فارس الذين اتدبوا معه من المصريين وقدم على جيشه بين يديه كنانة بن بشر فجعل لا يلقاه أحد من الشاميين إلا قاتلهم حتى يلحقهم مغلوبين إلى عمرو ابن العاص ، فبعث عمرو بن العاص إليه معاوية بن خديج فجاءه من ورائه وأقبل إليه الشاميون حتى أحاطوا به من كل جانب ، فترجل عند ذلك كنانة وهو يتلو (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً) الآية ، ثم قاتل حتى قتل وتفرق أصحاب محمد بن أبي بكر عنه ورجع يمشى فرأى خربة فأوى إليها ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر وذهب معاوية بن خديج في طلب محمد بن أبي بكر فمر بعروج في الطريق فقال لهم : هل مر بكم أحد تستنكرونه ؟ قالوا : لا ! فقال رجل منهم : إنى رأيت رجلاً جالساً في هذه الخربة ، فقال : هو هرور رب الكعبة : فدخلوا عليه فاستخرجوه منها - وقد كاد يموت عطشاً - فانطلق أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص - وكان قد قدم معه إلى مصر - فقال : أيقتل أخى صبراً ؟ فبعث عمرو بن العاص إلى معاوية بن خديج أن يأتيه بمحمد بن أبي بكر ولا يقتله فقال معاوية : كلا والله ، أيقتلون كنانة بن بشر وأترك محمد بن أبي بكر ، وقد كان ممن قتل عثمان وقد سألهم عثمان الماء ، وقد سألهم محمد بن أبي بكر أن يسقوه شربة من الماء فقال معاوية : لاسقاني الله إن سقيتك قطرة من الماء أبداً ، إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صاعماً محرماً فتلناه الله بالرحيق المختوم . وقد ذكر ابن جرير وغيره أن محمد بن أبي بكر نال من معاوية بن خديج هذا ومن عمرو بن العاص ومن معاوية ومن عثمان بن عفان أيضاً ، فعند ذلك غضب معاوية بن خديج فقدمه فقتله ثم جعله في جيفة حمار فأحرقه بالنار ، فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً وضمت عياله إليها ، وكان فيهم ابنه القاسم وجعلت تدعو على معاوية وعمرو بن العاص بدم الصلوات .

وذكر الواقدي أن عمرو بن العاص قدم مصر في أربعة آلاف فيهم أبو الأعور السلمي فالتقوا مع المصريين بالمسناة فاقتلوا قتلاً شديداً حتى قتل كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي ، فهرب عند

ذلك محمد بن أبي بكر فاختبأ عند رجل يقال له جبلة بن مسروق ، فدل عليه فجاء معاوية بن خديج وأصحابه فأحاطوا به فخرج إليهم محمد بن أبي بكر فقاتل حتى قتل . قال الواقدي : وكان ذلك في صفر من هذه السنة ، قال الواقدي : ولما قتل محمد بن أبي بكر بعث علي الأشتر النخعي إلى مصر فقاتل في الطريق فله أعلم . قال : وكانت أدرخ في شعبان في هذه السنة أيضاً ، وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية يخبره بما كان من الأمر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر ورجعوا إلى السمع والطاعة واجتماع الجماعة ، وبما عهد لهم من الأمر . وقد زعم هشام بن محمد الكلبي أن محمد بن أبي حذيفة بن عتبة مسك بعد مقتل محمد بن أبي بكر - وكان من جملة المحرضين على قتل عثمان - فبعثه عمرو بن العاص إلى معاوية ولم يبادر إلى قتله لأنه ابن خال معاوية ، فحبسه معاوية بفلسطين فهرب من السجن ، فلحقه رجل يقال له عبد الله بن عمرو بن ظلام بأرض البلقاء ، فاختفى محمد بن عمار فجاءت حمر وحش لتأوى إليه فلما رآته فيه نفرت فتعجب من نفرها جماعة من الحصادين هنالك ، فذهبوا إلى الغار فوجدوه فيه ، فجاء أولئك إليه فحشى عبد الله بن عمرو بن ظلام أن يرده إلى معاوية فيعفو عنه ، فضرب عنقه ، هكذا ذكر ذلك ابن الكلبي . وقد ذكر الواقدي وغيره أن محمد بن أبي حذيفة قتل في سنة ست وثلاثين كما قدمنا فله أعلم .

وقال إبراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتابه : ثنا عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبلي من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه كان يظهر الروم على عورات المسلمين - يكتب إليهم بذلك - فاستخرج منه بعضاً وخمسين أردبا دنائير ، قال أبو صالح : والأردب ست وبيات والووية مثل التفيز واعتبرنا الووية فوجدناها تسعاً^(١) وثلاثين ألف دينار ، قلت : فعلى هذا يكون يبلغ ما كان أخذ من القبطي ما يقارب ثلاثة عشر ألف دينار . قال أبو مخنف بأسناده : ولما بلغ علي بن أبي طالب مقتل محمد بن أبي بكر وما كان بمصر من الأمر ، وتملك عمرو لها ، واجتمع الناس عليه وعلى معاوية قام في الناس خطيباً فحثهم على الجهاد والصبر والمسير إلى أعدائهم من الشاميين والمصريين ، وواعدهم الجرعة بين الكوفة والحيرة ، فلما كان الغد خرج يمشى إليها حتى نزلها فلم يخرج إليه أحد من الجيش ، فلما كان العشي بعث إلى أشرف الناس فدخلوا عليه وهو حزين كئيب فقام فيهم خطيباً فقال : الحمد لله على ما قضى من أمر وقدر من فعل وابتلائي بكم وبين لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، أو ليس عجيباً أن معاوية يدعوا الجفأة الطعام فيتبعونه بغير عطاء ولا معونة ، ويجيبونه في السنة مرتين والثلاث إلى أي وجه شاء ؟ وأنا أدعوكم وأنتم أولوا النهي وبقية الناس على المعونة وطائفة من العطاء فتفرقون عني وتعضونني وتختلفون علي ؟

(١) في نسخة طوب قبو : سبعا .

فقام إليه مالك بن كعب الأوسى فندب الناس إلى امتثال أمر على والسمع والطاعة له فانتدب ألفان فأمر عليهم مالك بن كعب هذا فسار بهم خمساً ، ثم قدم على علي جماعة ممن كان مع محمد بن أبي بكر بمصر فأخبروه كيف وقع الأمر وكيف قتل محمد بن أبي بكر وكيف استقر أمر عمرو وبها ، فبعث إلى مالك بن كعب فردده من الطريق - وذلك أنه خشى عليهم من أهل الشام قبل وصولهم إلى مصر واستقر أمر العراقيين على مخالفة علي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ، وانخروج عليه والبعد عن أحكامه وأقواله وأفعاله ، لجهلهم وقلة عقلهم وجفائهم وغلظتهم وفجور كثير منهم ، فكتب علي عند ذلك إلى ابن عباس - وهو نائبه على البصرة - يشكو إليه ما يلقاه من الناس من المخالفة والمعاندة ، فرد عليه ابن عباس يسليه في ذلك ، ويمزيه في عهد بن أبي بكر ويحثه على تلافى الناس والصبر على مسيئتهم ، فان ثواب الله خير من الدنيا ، ثم ركب ابن عباس من البصرة إلى علي وهو بالكوفة واستخلف ابن عباس على البصرة زياداً ، وفي هذا الحين بعث معاوية بن أبي سفيان كتاباً مع عبد الله بن عمرو الحضرمي إلى أهل البصرة يدعومهم إلى الاقرار بما حكم له عمرو بن العاص ، فلما قدمها نزل على بني تميم فأجاروه فنهض إليه زياد وبعث إليه أعين بن ضبيعة في جماعة من الناس فساروا إليهم فاقتتلوا فقتل أعين بن ضبيعة ، فكتب زياد إلى علي يعلمه بما وقع بالبصرة بعد خروج ابن عباس منها ، فبعث عند ذلك على جارية بن قدامة التميمي في خمسين رجلاً إلى قومه بني تميم ، وكتب معه كتاباً إليهم فرجع أكثرهم عن ابن الحضرمي وقصده جارية فحصره في دار هو وجماعة معه ، قيل : كان عددهم أربعين ، وقيل سبعين ، فخرقهم بالنار بعد أن أعذر إليهم وأنذرهم فلم يقبلوا ولم يرجعوا عما جاؤا له .

فصل

وقد صحح ابن جرير أن قتال علي لأهل النهروان كان في هذه السنة ، وكذلك خروج الحرث ابن راشد الناجي كان في هذه السنة أيضاً ، وكان مع الحرث ثلاثمائة رجل من قومه بني ناجية - وكان مع علي بالكوفة - فجاء إلى علي فقام بين يديه وقال : والله يا علي لا أطيع أمرك ولا أصلي خلفك ، إنني لك غدا لمفارق . فقال له علي : ثمكنتك أمك إذا تعصى ربك وتنقض عهدك ولا تضر إلا نفسك ، ولم تفعل ذلك ؟ قال : لأنك حكمت في الكتاب وضعفت عن قيام الحق إذ جد الجد ، وركنت إلى القوم الظالمين ، فاناعليك زاري وعليك ناقم ، وإنا لكم جميعاً مبينون . ثم رجع إلى أصحابه فسار بهم نحو بلاد البصرة فبعث إليهم معقل بن قيس ثم أردفه بخالد بن معدان الطائي - وكان من أهل الصلاح والدين والبأس والنجدة - وأمره أن يسمع له ويطيع ، فلما اجتمعوا صاروا جيشاً واحداً ، ثم خرجوا في آثار الحرث وأصحابه فلحقهم - وقد أخذوا في جبال رامهرمز - قال فصفقتنا لهم ثم أقبلنا

إليهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن معقل ، وعلى ميسرته منجاب بن راشد الضبي ، ووقف الحرث فيمن معه من العرب فكانوا ميمنة ، وجعل من أتبعه من الأكراد والعلوج ميسرة ، قال : وسار فينا معقل بن قيس فقال : عباد الله ! لا تبدؤا القوم وغضوا أبصاركم ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب ، وأبشروا في قتالكم بالأجر إنما تقتلون مارقة مرقت من الدين ، وعلوجاً كسروا الخراج ، ولصوصاً وأكراداً ، فإذا حملت فشدوا شدة رجل واحد . ثم تقدم فرك دابته تحريكين ثم حمل عليهم في الثالثة وحملنا معه جميعنا فوالله ما صبروا لنا ساعة واحدة حتى ولوا منهزمين ، وقتلنا من العلوج والأكراد نحواً من ثلثمائة ، وفر الحرث منهزماً حتى لحق بأساف - وبها جماعة من قومه كثيرة - فاتبعوه فقتلوه مع جماعة من أصحابه بسيف البحر ، قتله النعمان بن صهبان ، وقتل معه في المعركة مائة وسبعون رجلاً . ثم ذكر ابن جرير وقعات كثيرة كانت بين أصحاب علي والخوارج فيها أيضاً ثم قال : حدثني عمر بن شيبه ثنا أبو الحسن - يعني المدائني - علي بن محمد بن علي بن مجاهد قال قال الشعبي : لما قتل علي أهل النهروان خلفه قوم كثير ، وانتقضت أطرافه وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي إلى البصرة ، وانتقض أهل الجبال ، وطمع أهل الخراج في كسره وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس - وكان عاملاً عليها - فأشار عليه ابن عباس بزياد بن أبيه أن يوليه إياها فولاه إياها فسار إليها في السنة الآتية في جمع كثير ، فوطئهم حتى أدوا الخراج قال ابن جرير وغيره : وحج بالناس في هذه السنة قثم بن العباس ، نائب علي على مكة ، وأخوه عبيد الله ابن عباس نائب اليمن ، وأخوهما عبد الله نائب البصرة ، وأخوهم تمام بن عباس نائب المدينة ، وعلي خراسان خالد بن قره اليربوعي وقيل ابن أبزي ، وأما مصر فقد استقرت بيد معاوية فاستناب عليها عمرو بن العاص .

﴿ ذكر من توفي في هذه السنة من الأعيان ﴾

﴿ سهل بن حنيف ﴾

ابن واهب بن العليم بن ثعلبة الأنصاري الأوسى ، شهد بدرًا ، وثبت يوم أحد ، وحضر بقية المشاهد ، وكان صاحباً لعلي بن أبي طالب ، وقد شهد معه مشاهد كلها أيضاً غير الجمل فإنه كان قد استخلفه على المدينة ، ومات سهل بن حنيف في سنة ثمان وثلاثين بالكوفة ، وصلى عليه على فكبّر خمساً وقيل ستاً وقال إنه من أهل بدر رضي الله عنه .

﴿ صفوان بن بيضاء أخو سهيل بن بيضاء ﴾

شهد المشاهد كلها وتوفي في هذه السنة في رمضان وليس له عقب .

﴿ صهيب بن سنان بن مالك ﴾

الرومي وأصله من اليمن أبو يحيى بن قاسط وكان أبوه أو عمه عاملاً لكسرى على الائلة ، وكانت

منازلهم على دجلة عند الموصل ، وقيل على الفرات ، فأغارت على بلادهم الروم فأسرته وهو صغير ، فأقام عندهم حيناً ثم اشترته بنو كلب فخلوه إلى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حيناً ، فلما بعث رسول الله ﷺ آمن به ، وكان ممن أسلم قديماً هو وعمار في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، وكان من المستضعفين الذين يعدون في الله عز وجل ، ولما هاجر رسول الله ﷺ هاجر صهيب بعده بأيام فلحقه قوم من المشركين يريدون أن يصدوه عن الهجرة ، فلما أحس بهم نزل كنانته فوضعها بين يديه وقال : والله لقد علمت أني من أركم ، والله لا تصلون إلي حتى أقتل بكل سهم من هذه رجلاً منكم ، ثم أقتلكم بسيفي حق أقتل . وإن كنتم تريدون المال فانا أدلكم على مالى هو مدفون في مكان كذا وكذا ، فانصرفوا عنه فأخذوا ماله ، فلما قدم قال له رسول الله ﷺ : « ربح البيع أبا يحيى » وأنزل الله (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) ورواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب ، وشهد بدرأً وأحدماً وما بعدهما ، ولما جعل عمر الأمر شورى كان هو الذى يصلى بالناس حتى تعين عثمان ، وهو الذى ولي الصلاة على عمر - وكان له صاحباً - وكان أحر شديد الحمرة ليس بالطويل ولا بالقصير أقرن الحاجبين كثير الشعر وكان لسانه فيه عجمة شديدة ، وكان مع فضله ودينه فيه دعاية وفكاهة وانسراح ، روى أن رسول الله ﷺ رآه يأكل بقتاء رطباً وهو أرمد إحدى العينين ، فقال : « أتأكل رطباً وأنت أرمد » ؟ فقال : إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة ، فضحك رسول الله ﷺ . وكانت وفاته بالمدينة سنة ثمان وثلاثين ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وقد نيف على السبعين .

﴿ محمد بن أبي بكر الصديق ﴾

ولد في حياة النبي ﷺ في حجة الوداع تحت الشجرة عند الحرم وأمه أسماء بنت عميس ، ولما احتضر الصديق أوصى أن تفسله ففسلته ، ثم لما انقضت عدتها تزوجها على فنشأ في حجره ، فلما صارت إليه الخلافة استنابه على بلاد مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة كما قدمنا ، فلما كانت هذه السنة بعث معاوية عمرو بن العاص فاستلب منه بلاد مصر وقتل محمد بن أبي بكر كما تقدم ، وله من العمر دون الثلاثين ، رحمه الله ورضى عنه .

﴿ أسماء بنت عميس ﴾

ابن معبد بن الحارث الخثعمية ، أسلمت بمكة وهاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة وقدمت معه إلى خيبر ، ولها منه عبد الله ، ومحمد ، وعون . ولما قتل جعفر بموتة تزوجها بعده أبو بكر الصديق فولدت منه محمد بن أبي بكر أمير مصر ثم لما مات الصديق تزوجها بعده على بن أبي طالب فولدت له يحيى وعونا ، وهى أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأما . وكذلك هى أخت أم

الفضل امرأة العباس لأما ، وكان لها من الأخوات لأما تسع أخوات ، وهى أخت سلمى بنت عميس امرأة العباس التى له منها بنت اسمها عمارة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ﴾

فيها جهز معاوية بن أبي سفيان جيوشاً كثيرة ففرقها في أطراف معاملات على بن أبي طالب ، وذلك أن معاوية رأى بعد أن ولاء عمرو بن العاص بعد اتفائه مع أبي موسى على عزل على ، أن ولايته وقعت الموقع ، فهو الذى يجب طاعته فيما يعتقده ، ولأن جيوش على من أهل العراق لا تطيعه في كثير من الأمور ولا يأمرون بأمره ، فلا يحصل بمباشرة المقصود من الامارة والحالة هذه ، فهو يزعم أنه أولى منه إذ كان الأمر كذلك . وكان ممن بعث في هذه السنة النعمان بن بشير في ألفى فارس إلى عين التمر ، وعليها مالك بن كعب الأرحي في ألف فارس مسلحة لعل ، فلما سمعوا بقدم الشاميين ارفضوا عنه فلم يبق مع مالك بن كعب إلا مائة رجل فكتب عند ذلك إلى على يعلم بما كان من الأمر ، فندب على الناس إلى مالك بن كعب فتناقلوا ونكلوا عنه ولم يجيبوا إلى الخروج ، فخطبهم على عند ذلك فقال في خطبته : « يا أهل الكوفة ! كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام أنجز كل منكم في بيته ، وغلق عليه بابه . انجحر الضب في حجره ، والضبع في وجاره ، المغرور والله من غررتوه ، ولن فارقكم فاز بالسهم الأصيل ، لا أحرار عند النداء ، ولا إخوان ثقة عند النجاة ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماذا منيت به منكم ، عى لا تبصرون ، وبكم لا تنطقون ، وصم لا تسمعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون » ودهمهم النعمان بن بشير فاقتلوا قتلاً شديداً وليس مع مالك بن كعب إلا مائة رجل قد كسر واجفون سيوفهم واستقتلوا ، فبيناهم كذلك إذ جاءهم نجدة من جهة مخنف بن سليم مع ابنه عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلاً ، فلما رآهم الشاميون ظنوا أنهم مدد عظيم ففروا هرباً ، فاتبعهم مالك بن كعب فقتل منهم ثلاثة أنفس وذهب الباقون على وجوههم ولم يتم لهم أمر من هذا الوجه . وفيها بعث معاوية سفيان بن عوف في ستة آلاف وأمره بأن يأتى هيت فيغير عليها ، ثم يأتى الأنبار والمدائن . فسار حتى انتهى إلى هيت فلم يجد بها أحداً ، ثم إلى الأنبار وفيها مسلحة لعل نحو من خمسمائة ، فتفرقوا ولم يبق منهم إلا مائة رجل ، فقاتلوا مع قتلهم وصبروا حتى قتل أميرهم - وهو أشرس بن حسان البلوى - في ثلاثين رجلاً من أصحابه ، واحتملوا ما كان بالأنبار من الأموال وكرروا راجعين إلى الشام ، فلما بلغ الخبر علياً رضى الله عنه ركب بنفسه فقتل بالنخيلة فقال له الناس : نحن نكفئك ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : والله ما تكفوننى ولا أنفسكم ، وسرح سعد بن قيس في أثر القوم فسار وراءهم حتى بلغ هيت فلم يلحقهم فرجع . وفيها بعث معاوية عبد الله بن مسعدة الفزارى في ألف وسبعمائة إلى تيماء وأمره أن يصدق أهل البوادي ومن

امتنع من إعطائه فليقتله ثم يأتي المدينة ومكة والحجاز . فسار إلى تيماء واجتمع عليه بشر كثير ، فلما بلغ عليا بعث المسيب بن نجبة الفزاري في ألقي رجل فالتقوا بتياء فاقتتلوا قتالا شديداً عند زوال الشمس ، وحمل المسيب بن نجبة على ابن مسعدة فضر به ثلاث ضربات وهو لا يريد قتله بل يقول له : النجا النجا ، فأحاز ابن مسعدة في طائفة من قومه إلى حصن هناك فتحصنوا به وهرب بقيتهم إلى الشام ، وانتهبت الأعراب ما كان جمعه ابن نجبة من إبل الصدقة ، وحاصروهم المسيب بن نجبة ثلاثة أيام ثم ألقي الخطب على الباب وأهلب فيه النار ، فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا من الحصن ، ومثوا إليه بأنهم من قومه فرق لهم وأطفأ النار ، فلما كان الليل فتح باب الحصن وخرجوا هرباً إلى الشام ، فقال عبد الرحمن بن شبيب للمسيب بن نجبة : سر حتى ألقهم ! فقال : لا ! فقال : غششت أمير المؤمنين داهنت في أمرهم . وفيها وجه معاوية الضحاك بن قيس في ثلاثة آلاف وأمره أن يغير على أطراف جيش علي ، فجهز علي حجر بن عدي في أربعة آلاف وأنفق فيهم خمسين درهماً خمسين درهماً ، فالتقوا بتدمر فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً ، ومن أصحاب حجر بن عدي رجلان ، وغشيمهم الليل ففرقوا ، واستمر الضحاك بأصحابه فاراً إلى الشام . وفيها سار معاوية بنفسه في جيش كثيف حتى بلغ دجلة ثم كر راجعاً . ذكره محمد بن سعد عن الواقدي بإسناده وأبو معشر أيضاً

وفي هذه السنة ولي علي بن أبي طالب زياد بن أبيه على أرض فارس ، وكانوا قد منعوا الخراج والطاعة ، وسبب ذلك حين قتل ابن الحضرمي وأصحابه بالنار حين حرقهم جارية بن قدامة في تلك الدار كما قدمنا ، فلما اشتهر هذا الصنيع في البلاد تشوش قلوب كثير من الناس على علي ، واختلجوا على علي ، ومنع أكثر أهل تلك النواحي خراجهم ، ولا سيما أهل فارس فانهم تمردوا وأخرجوا عاملهم سهل بن حنيف - كما تقدم في العام الماضي - من بين أظهرهم ، فاستشار على الناس فيمن يوليه عليهم ، فأشار ابن عباس وجارية بن قدامة أن يولي عليهم زياد بن أبيه ، فانه صليب الرأي ، عالم بالسياسة . فقتل علي : هو لها ، فولاه فارس وكرمان وجهزه إليهما في أربعة آلاف فارس ، فسار إليها في هذه السنة فدوخ أهلها وقهرهم حتى استقاموا وأدوا الخراج وما كان عليهم من الحقوق ، ورجعوا إلى السمع والطاعة ، وسار فيهم بالعدلة والامانة ، حتى كان أهل تلك البلاد يقولون : ما رأينا سيرة أشبه بسيرة كسرى أنوشروان من سيرة هذا العربي في اللين والمداراة والعلم بما يأتي ، وصفت له تلك البلاد بعدله وعلمه وصرامته ، واتخذ للمال قلعة حصينة ، فكانت تعرف بقلعة زياد ، ثم لما تحصن فيها منصور اليشكري فيما بعد ذلك عرفت به فكان يقال لها قلعة منصور .

قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث علي بن أبي طالب عبد الله بن عباس على الموسم وبعث معاوية يزيد بن سخيرة الرهاوي ليقم للناس الحج فلما اجتمعوا بمكة تنازعا وأبى كل واحد

منهما أن يسلم لصاحبه فاصطلحا على شيبه بن عثمان بن أبي طلحة الحنظلي فحج بالناس وصلى بهم في أيام الموسم قال أبو الحسن المدائني : لم يشهد عبد الله بن عباس الموسم في أيام علي حتى قتل ، والذي نازعه يزيد بن سخيرة إنما هو قثم بن العباس حتى اصطلحا على شيبه بن عثمان . قال ابن جرير : وكما قال أبو الحسن المدائني قال أبو مصعب . قال ابن جرير : وأما عمال علي على الأمصار فهم الذين ذكرنا في السنة الماضية غير أن ابن عباس كان قد سار من البصرة إلى الكوفة واستخلف على البصرة زياد بن أبيه ثم سار زياد في هذه السنة إلى فارس وكرمان كما ذكرنا .

﴿ ذكر من توفي من الأعيان في هذه السنة ﴾

﴿ سعد القرظي ﴾

مؤذن مسجد قبا في زمان رسول الله ﷺ ، فلما ولي عمر الخلافة ولاة أذان المسجد النبوي وكان أصله مولى لعمار بن ياسر ، وهو الذي كان يحمل العترة بين يدي أبي بكر وعمر وعلي إلى المصلى يوم العيد وبقى الأذان في ذريته مدة طويلة .

﴿ عقبه بن عمرو بن ثعلبة ﴾

أبو مسعود البدرى سكن ماء بدر ولم يشهد الواقعة بها على الصحيح ، وقد شهد العقبة ، وهو من سادات الصحابة وكان ينوب لعلي بالكوفة إذا خرج لصفين وغيرها .

﴿ سنة أربعين من الهجرة النبوية ﴾

﴿ فيها كان مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ما سنذكره مفصلاً ﴾

قال ابن جرير : فما كان في هذه السنة من الأمور الجليلة توجيه معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز ، فذكر عن زياد بن عبد الله البكائي عن عوانة قال : أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمين بسر بن أبي أرطاة - وهو رجل من بني عامر بن لؤي - في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة - وعامل على عليها يومئذ أبو أيوب - ففر منهم أبو أيوب فأتى علياً بالكوفة ، ودخل بسر المدينة ولم يقاتله أحد ، فصعد منبرها فنادى على المنبر : يا دينار ويا نجار ويا رزيق شيخي شيخي عهدي به هاهنا بالأمس فأين هو ؟ - يعني عثمان بن عفان - ثم قال : يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركت بها محتلماً إلا قتلتها ، ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بني سلمة فقال : والله مالكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتونني بجابر بن عبد الله - يعني حتى يبايعه - فانطلق جابر إلى أم سلمة فقال لها : ماذا ترين إنني خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة ؟ فقالت : أرى أن تبايع فأتى قد أمرت ابني عمر وختي عبد الله بن زمعة - وهو زوج ابنتها زينب - أن يبايعا فأماه جابر فبايعه . قال : وهدم بسر دوراً بالمدينة ثم مضى حتى أتى مكة فخافه أبو موسى الأشعري أن يقتله فقال

له بسر : ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله ﷺ ذلك ، فغلبني عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى أهل اليمن أن خيلاً مبعوثاً من عند معاوية تقتل من أبي أن يقر بالحكومة ، ثم مضى بسر إلى اليمن وعليها عبيد الله بن عباس ففر إلى الكوفة حتى لحق بعلي ، واستخلف على اليمن عبد الله بن عبد الله بن المدان الحارثي ، فلما دخل بسر اليمن قتله وقتل ابنه ، ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان صغيران له فقتلتهما وهما عبد الرحمن وشمس ، ويقال إن بسر أقتل خلقاً من شيعة علي في مسيره هذا وهذا الخبر مشهور عند أصحاب المغازي والسير ، وفي صحته عندي نظر والله تعالى أعلم . ولما بلغ علياً خبر بسر وجهه جارية بن قدامة في ألفين ، ووهب بن مسعود في ألفين ، فسار جارية حتى بلغ نجران ففرق بها وقتل ناساً من شيعة عثمان ، وهرب بسر وأصحابه فاتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعوا فقالوا : لمن نبأيع وقد هلك أمير المؤمنين فلن نبأيع ؟ فقال : بايعوا لمن بايع له أصحاب علي ، فثاقلوا ثم بايعوا من خوف ، ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم فهرب منه فقال جارية : والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه ، ثم قال لأهل المدينة : بايعوا للحسن ابن علي ، فبايعوا وأقام عندهم ثم خرج منصوراً إلى الكوفة وعاد أبو هريرة يصلي بهم . قال ابن جرير : وفي هذه السنة جرت بين علي ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات يطول ذكرها على وضع الحرب بينهما ، وأن يكون ملك العراق لعلي ومعاوية الشام ، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله يجيش ولا غارة ولا غزوة . ثم ذكر عن زياد عن ابن إسحاق ما هذا مضمونه أن معاوية كتب إلى علي : أما بعد فإن الأمة قد قتل بعضها بعضاً يعني فلك العراق ولي الشام . فأقر بذلك علي رضي الله عنه . وأمسك كل واحد منهما عن قتال الآخر ، وبعث الجيوش إلى بلاده ، واستقر الأمر على ذلك . قال ابن جرير : وفي هذه السنة خرج ابن عباس من البصرة إلى مكة وترك العمل في قول عامة أهل السير ، وقد أنكروا ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل عاملاً على البصرة حتى صالح على معاوية ، وأنه كان شاهداً للصالح ، ممن نص على ذلك أبو عبيدة كاسياني . ثم ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة وذلك أنه كلم أبا الأسود الدؤلي القاضي بكلام فيه غض من أبي الأسود فكتب أبو الأسود إلى علي يشكو إليه ابن عباس وينال من عرضه فانه تناول شيئاً من أموال بيت المال فبعث علي إلى ابن عباس فعاتبه في ذلك وحرر عليه التبعة فغضب ابن عباس من ذلك وكتب إلى علي : ابعث إلي عمالك من أحببت فاني ظاعن عنه والسلام . ثم سار ابن عباس إلى مكة مع أخواله بني هلال وتبعهم قيس كلها ، وقد أخذ شيئاً من بيت المال مما كان اجتمع له من العمالة والنقود ، ولما سار تبعته أقوام آخر فلحقهم بنو غنم وأرادوا منعهم من المسير فكان بينهم قتال ، ثم تجاوزوا ودخل ابن عباس مكة .

﴿ ذكر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴾
﴿ وما ورد فيه من الأحاديث النبوية من الأخبار بمقتله وكيفيته ﴾
﴿ وما في ذلك من دلائل النبوة وآيات المعجزة ﴾

كان أمير المؤمنين رضي الله عنه قد تنفصت عليه الأمور ، واضطرب عليه جيشه ، وخالفه أهل العراق ، ونكلوا عن القيام معه ، واستفحل أمر أهل الشام ، وصالوا وجالوا يمينا وشمالاً ، زاعمين أن الأمرة لمعاوية بتمتضي حكم الحكيمين في خلعهما علياً وتولية عمرو بن العاص معاوية عند خلو الأمرة عن أحد ، وقد كان أهل الشام بعد التحكيم يسمون معاوية الأمير ، وكلما ازداد أهل الشام قوة ضعف جأش أهل العراق ، وهذا وأما مير علي بن أبي طالب خير أهل الأرض في ذلك الزمان ، أعبدتهم وأزهدتهم ، وأعلمهم وأخشاهم لله عز وجل ، ومع هذا كله خذلوه وتخلوا عنه حتى كره الحياة وتمنى الموت ، وذلك لكثرة الفتن وظهور الحن ، فكان يكثر أن يقول : ما يجبس أشقاها ، أي ما ينتظر ؟ ماله لا يقتل ؟ ثم يقول : والله لتخضبن هذه ويشير إلى لحيته من هذه ويشير إلى هامته ، كما قال البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن محمد بن إسحاق الصنعاني ثنا أبو الحراب الأحوص بن حراب ثنا عمار بن زريق عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة بن يزيد قال قال علي : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه للحية من رأسه فما يجبس أشقاها » ؟ فقال عبد الله بن سبع : والله يا أمير المؤمنين لو أن رجلاً فعل ذلك لأبدنا عترته : فقال أنشدكم بالله أن يقتل غيري قاتلي . فقالوا : يا أمير المؤمنين ألا تستخلف ؟ فقال : لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله . قالوا : فما تقول لربك إذا لقيته وقد تركتنا هملًا ؟ قال : أقول اللهم استخلفني فيهم ما بدالك ثم قبضتني وتركتك فيهم فان شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم .

﴿ طريق أخرى ﴾

قال أبو داود الطيالسي في مسنده : ثنا شريك عن عثمان بن المغيرة عن زيد بن وهب . قال : جاءت الخوارج إلى علي فقالوا له : اتق الله فانك ميت . قال : لا ! والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ولكن مقتول من ضربة علي هذه تخضب هذه - وأشار بيده إلى لحيته - عهد معهود وقضى مقضى ، وقد خاب من افتري .

﴿ طريق أخرى عنه ﴾

قال الحافظ أبو يعلى : ثنا سويد بن سعيد ثنا رشدين بن سعد عن يزيد بن عبد الله بن أسامة عن عثمان بن صهيب عن أبيه . قال قال علي : قال لي رسول الله ﷺ : « من أشقى الأولين ؟ قلت : عاقر الناقة ، قال : صدقت فمن أشقى الآخرين ؟ قلت : لا أعلم لي يا رسول الله ، قال : الذي يضر بك

على هذه - وأشار بيده - على يافوخه فيخضب هذه من هذه يعني لحيته من دم رأسه قال : « فكان يقول : وددت أنه قد انبعث أشقاكم » .

﴿ طريق أخرى عن علي رضي الله عنه ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا وكيع ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبيع . قال : سمعت علياً يقول لتخضبن هذه من هذه فما ينتظر بي إلا شقي ، فقالوا : يا أمير المؤمنين أخبرنا به نبدعترته ، قال : إذا تالله تقتلون بي غير قاتلي ، قالوا : فاستخلف علينا ، قال : لا ! ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ ، قالوا : فما تقول لربك إذا أتيتك ؟ قال : أقول : اللهم تركتني فيهم ما بدالك ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، إن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم

وقال الامام أحمد : حدثنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عبد الله بن بسع قال : خطبنا علي فقال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتخضبن هذه من هذه ، قال فقال الناس : فأعلمنا من هو والله لنبيدنه أو لنبيد عترته . قال : أنشدكم بالله أن يقتل غير قاتلي ، قالوا : إن كنت علمت ذلك فاستخلف قال لا ولكن أكلمكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله ﷺ » تفرد به أحمد .

﴿ طريق أخرى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ثنا محمد - يعني ابن راشد - عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري - وكان ابن فضالة من أهل بدر - : وقال « خرجت مع أبي عائداً لعلي بن أبي طالب من مرض أصابه ثقل منه ، قال فقال له أبي : ما يقيمك بمنزلك هذا لو أصابك أجلك إلا أعراب جهينة ؟ تحمل إلى المدينة فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلوا عليك . فقال علي : إن رسول الله ﷺ عهد إلى أن لا أموت حتى أوامر ثم تخضب هذه - يعني لحيته - من دم هذه - يعني هامته - قال فقتل وقتل ابن فضالة يوم صفين » تفرد به أحمد أيضاً . وقد رواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم عن الأصم عن الحسن بن مكرم عن أبي النضر هاشم بن القاسم به .

﴿ طريق أخرى عنه ﴾

قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا أحمد بن أبان القرشي ثنا سفيان بن عيينة ثنا كوفي يقال له عبد الملك بن أعين عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : « قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في غرز الركب لا تأتي العراق فانك إن أتيتها أصابك بها ذباب السيف قال : وايم الله لقد قاتلها ولقد قاتلها النبي ﷺ لي قبله . قال أبو الأسود فقلت : تالله ما رأيت رجلاً محارباً يحدث بهذا قبلك غيرك » . ثم قال البزار : ولا نعلم رواه إلا علي ابن أبي طالب بهذا الاسناد ، ولا نعلم رواه إلا عبد الملك بن أعين عن أبي حرب ، ولا رواه عنه

إلا ابن عيينة . هكذا قال : وقد رأيت من الطرق المتعددة خلاف ذلك . وقال البيهقي بعد ذكره طرفاً من هذه الطرق : وقد روينا في كتاب السنن بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم عن أبي سنان الدؤلي عن علي في إخبار النبي ﷺ بقتله .

﴿ حديث آخر في ذلك ﴾

قال الخطيب البغدادي . أخبرني علي بن القاسم البصري ثنا علي بن إسحاق المارداني أنا محمد ابن إسحاق الصنعاني ثنا إسماعيل بن أبان الوراق ثنا ناصح بن عبد الله المحملي عن سماك عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله ﷺ لعلي : « من أشقى الأولين ، قال : عاقر الناقة ، قال : فن أشقى الآخرين ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال : قاتلك » .

﴿ حديث آخر في معنى ذلك ﴾

وروى البيهقي من طريق فطر بن خليفة وعبد العزيز بن سياه كلاهما عن حبيب بن أبي ثابت عن ثعلبة الحماني قال سمعت علياً على المنبر وهو يقول : « والله إنه لعهد النبي الأمي إلى إن الأمة ستغدر بك بعدى » قال البخاري : ثعلبة بن زيد الحماني في حديثه هذا نظر . قال البيهقي : وقد روينا بأسناد آخر عن علي ان كان محفوظاً . أخبرنا أبو علي الروذباري أنا أبو محمد بن شاذب الواسطي بهائنا شعيب بن أيوب ثنا عمرو بن عون عن هشيم بن إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأزدي عن علي . قال : « إن مما عهد إلى رسول الله ﷺ أن الأمة ستغدر بك بعدى » قال البيهقي : فان صح فيحتمل أن يكون المراد به والله أعلم في خروج من خرج عليه ثم في قتله . وقال الأعمش عن عمرو بن مرة ابن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأرقم . قال : خطبنا علي يوم الجمعة فقال نبئت أن بسر آ قد طلع اليمن ، وإني والله لأحسب أن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم ، وما يظهرن عليكم إلا بعصيانكم إمامكم وطاعتهم إمامهم ، وخيانتكم وأمانتهم ، وإفسادكم في أرضكم وإصلاحهم ، قد بعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعثت فلاناً فخان وغدر ، وبعث المال إلى معاوية لو ائتمنت أحدكم على قدح لأخذ علاقته ، اللهم ستمتهم وسموني ، وكرهتهم وكرهوني ، اللهم فأرحهم مني وأرحني منهم » قال : فاصلى الجمعة الأخرى حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه .

﴿ صفة مقتله رضي الله عنه ﴾

ذكر ابن جرير وغير واحد من علماء التاريخ والسير وأيام الناس : أن ثلاثة من الخوارج وهم عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحيرى ثم الكندي حليف بني حنيفة من كندة المصري وكان أسمر حسن الوجه أبلح شعره مع شحمة أذنيه وفي وجهه أثر السجود . والبرك بن عبد الله التميمي . وعمرو بن بكر التميمي أيضاً - اجتمعوا فتذاكروا قتل علي إخوانهم من أهل النهروان فترحموا عليهم

وقالوا : ماذا نضع بالبقاء بعدهم ؟ كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا ؟ فقال ابن ملجم : أما أنا فأكفيكم علي ابن أبي طالب . وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية . وقال عمرو بن بكر وأنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا وتوافتوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسياقهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة من رمضان أن يبيت كل واحد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة فدخلها وكنم أمره حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها ، فبينما هو جالس في قوم من بني الرباب يتذاكرون قتلاهم يوم النهران إذ أقبلت امرأة منهم يقال لها قطام بنت الشحنة ، قد قتل علي يوم النهران وأبها وأخاها ، وكانت فائقة الجمال مشهورة به ، وكانت قد انقطعت في المسجد الجامع تتعبد فيه ، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسى حاجته التي جاء لها ، وخطبها إلى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة . وأن يقتل لها علي بن أبي طالب . قال : فهو لك ووالله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل علي ، فتروجها ودخل بها ثم شرعت تحرضه على ذلك وندبت له رجلا من قومها ، من تيم الرباب يقال له وردان ، ليكون معه ردها ، واستمال عبد الرحمن ابن ملجم رجلا آخر يقال له شبيب بن نجدة الأشجعي الحروري قال له ابن ملجم : هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما ذاك : قال ؟ قتل علي ، فقال : تمكثك أمك ، لقد جئت شيئا إدا كيف تقدر عليه ؟ قال أكن له في المسجد فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فان نجونا شفيينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا ، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا . فقال : ويحك لو غير علي كان أهون علي ؟ قد عرفت سابقته في الاسلام وقرابته من رسول الله ﷺ فما أجدني أنشرح صدرا لقتله . فقال : أما تعلم أنه قتل أهل النهران ؟ فقال : بلى قال : فنقتله بمن قتل من إخواننا . فأجابه إلى ذلك بعدلأى ودخل شهر رمضان فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت ، وقال : هذه الليلة التي واعدت أصحابي فيها أن يثأروا بمعاوية وعمرو بن العاص فجاء هؤلاء الثلاثة - وهم ابن ملجم ، ووردان ، وشبيب - وهم مشتملون على سيوفهم فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم إلى الصلاة ، ويقول : الصلاة الصلاة فثار إليه شبيب بالسيف فضر به فوقه في الطاق ، فضر به ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على خيته رضي الله عنه ، ولما ضربه ابن ملجم قال : لاحكم الا لله ليس لك يا علي ولا لأصحابك ، وجعل يتلو قوله تعالى (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد) ونادى علي : عليكم به ، وهرب وردان فأدركه رجل من حضرموت فقتله ، وذهب شبيب ففجأ بنفسه وفات الناس ، ومسك ابن ملجم وقدم على جمعة بن هبيرة بن أبي وهب فصلى بالناس صلاة الفجر ، وحمل

علي إلى منزله ، وحمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف - فبجعه الله - فقال له : أي عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى . قال : فما حملك على هذا : قال ؟ شحذته أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال له علي لا أراك إلا مقتولا به ، ولا أراك إلا من شر خلق الله ، ثم قال : إن مت فاقتلوه وإن عشت فانا أعلم كيف أصنع به ، فقال جندب بن عبد الله : يا أمير المؤمنين إن مت نبأيع الحسن ؟ فقال لا آمركم ولا أنهاركم ، أنتم أبصر . ولما احتضر علي جعل يكثر من قول لا إله الا الله ، لا يتلفظ بغيرها . وقد قيل إن آخر ما تكلم به (فن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) . وقد أوصى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والصلاة والزكاة وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الأمر ، والتعاهد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ووصاهما بأخيهما محمد بن الحنفية ووصاه بما وصاهما به ، وأن يعظهما ولا يقطع أمرا دونهما وكتب ذلك كله في كتاب وصيته رضي الله عنه وأرضاه .

وصورة الوصية : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، أوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فاني سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول : « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » أنظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوها يهون الله عليكم الحساب الله في الأيتام فلا تعفوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم ، والله الله في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ، مازال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم ، والله الله في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في الصلاة فانها عمود دينكم ، والله الله في بيت ربكم فلا يتخلون منكم ما بقيتم فانه إن ترك لم تناظروا ، والله الله في شهر رمضان فان صيامه جنة من النار ، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في الزكاة فانها تطفى غضب الرب ، والله الله في ذمة نبيكم لا تظلمن بين ظهرانيكم ، والله الله في أصحاب نبيكم فان رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم ، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيمانكم فان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله أن قال : « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم » الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبنى عليكم ، وقولوا للناس حسنا كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيولى الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتبازل ، وإياكم

والتدابير والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ عليكم نبيكم ، أستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله . ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض في شهر رمضان سنة أربعين .

وقد غسله ابنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات . وقال الامام أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيري ثنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال : لما ضرب ابن ملجم عليا قال لهم « افعلوا به كما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل برجل أراد قتله فقال : اقتلوه ثم حرقوه » . وقد روى أن أم كلثوم قالت لابن ملجم وهو واقف : ويحك ! لم ضربت أمير المؤمنين ؟ قال : إنما ضربت أباك فقالت : إنه لا بأس عليه ، فقال : لم تكفين ؟ والله لقد ضربته لو أصابت أهل المصر لما أتوا أجمعين ، والله لقد سممت هذا السيف شهراً ولقد اشتريته بألف وسممته بألف .

قال الهيثم بن عدي : حدثني رجل من بجيلية عن مشيخة قومه أن عبد الرحمن بن ملجم رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام كانت من أجل النساء ترى رأى الخوارج ، قد قتل على قومها على هذا الرأي فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وعبد وقينة ، فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت له : يا هذا قد فرغت فأفرغ فخرج ملبساً سلاحه وخرجت معه فضربت له قبة في المسجد وخرج على يقول : الصلاة الصلاة ، فاتبه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر : - قال ابن جرير : هو ابن مياس المرادي .

فلم أر مهراً ساقه ذو سباحة * كهر قطام بيننا غير معجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وقتل على بالحسام المصمم
فلا مهر أغلامن على وإن غلا * ولاقتك إلا دون فتك^(١) ابن ملجم

وقد عزي ابن جرير هذه الأبيات إلى ابن شاس المرادي وأُشيد له ابن جرير في قتلهم عليا :
ونحن ضربنا مالك الخير جديراً * أبا حسن مأمومة فقطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه * بضربة سيف إذ علا وتجبيرا
ونحن كرام في الهياج أعزة * إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا
وقد امتدح ابن ملجم بعض الخوارج المتأخرين في زمن التابعين وهو عمران بن حطان وكان أحد العباد ممن يروي عن عائشة في صحيح البخاري فقال فيه :

ياضربة من تقى ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

(١) كذا في الأصل وفي نسخة : ولاقتك إلا دون قتل . فلعلها رواية .

إني لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

وأما صاحب معاوية - وهو البرك - فإنه حمل عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في هذا اليوم فضربه بالسيف ، وقيل يخنجر مسموم فجاءت الضربة في وركه فخرجت إيته ومسك الخارجي فقتل ، وقد قال معاوية : أتركني فاني أبشرك ببشارة ، فقال : وما هي ؟ فقال : إن أخي قد قتل في هذا اليوم على بن أبي طالب ، قال : فلعله لم يقدر عليه ، قال : بلى إنه ، لاحرس معه ، فأمر به فقتل ، وجاء الطبيب فقال لمعاوية : إن جرحك مسموم فاما أن أكويك وأما أن أسقيك شربة فيذهب السم ولكن ينقطع نسلك فقال معاوية : أما النار فلا طاقة لي بها ، وأما النسل ففي يزيد وعبد الله ما تقر به عيني . فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه واستقل وسلم رضى الله عنه . ومن حينئذ عملت المقصورة في المسجد الجامع وجعل الحرس حولها في حال السجود ، فكان أول من أخذها معاوية لهذه الحادثة .

وأما صاحب عمرو بن العاص - وهو عمرو بن بكر - فإنه كمن له ليخرج إلى الصلاة فاتفق أن عرض لعمر بن العاص منصرف شديد في ذلك اليوم فلم يخرج إلا نائبة إلى الصلاة - وهو خارجة بن أبي حبيبة من بني عامر بن لؤي وكان على شرطة عمرو بن العاص فحمل عليه الخارجي فقتله وهو يعتقد عمرو بن العاص ، فلما أخذ الخارجي قال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ، فأرسلها مثلاً ، وقتل قبحة الله ، وقد قيل إن الذي قتلها عمرو بن العاص ، وذلك حين جئ بالخارجي فقال : ما هذا ؟ قالوا قتل نائبتك خارجة ، ثم أمر به فضربت عنقه .

والمقصود أن علياً رضى الله عنه لما مات صلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات ودفن بدار الامارة بالكوفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينشوا عن جثته ، هذا هو المشهور ومن قال إنه حمل على راحلته فذهبت به فلا يدري أين ذهب فقد أخطأ وتكف ما لا علم له به ولا يسعفه عقل ولا شرع ، وما يعتقد كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له ، ويقال إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة ، حكاه الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الحافظ عن أبي بكر الطلحي عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ عن مطر أنه قال : لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة ، هذا قبر المغيرة بن شعبة . قال الواقدي : حدثني أبو بكر ابن عبد الله بن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال : سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر كم كان سن علي يوم قتل ؟ قال : ثلاثاً وستين سنة . قلت : أين دفن ؟ قال : دفن بالكوفة ليلاً وقد غبي عن دفنه ، وفي رواية عن جعفر الصادق أنه كان عمره ثمانية وخمسين سنة ، وقد قيل إن علياً دفن قبلي المسجد الجامع من الكوفة . قاله الواقدي ، والمشهور بدار الامارة . وقد حكى الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين أن الحسن والحسين حولاه فنقلاه إلى المدينة فدفناه بالبقيع

عند قبر فاطمة ، وقيل إنهم لما حملوه على البعير ضل منهم فأخذته طيء يظنونه مالا فلما رأوا أن الذي في الصندوق ميت ولم يعرفوه دفنوا الصندوق بما فيه فلا يعلم أحد أين قبره ، حكاه الخطيب أيضاً . وروى الحافظ ابن عساكر عن الحسن قال : دفنت عليا في حجرة من دور آل جمعة . وعن عبد الملك بن عمير قال : لما حفر خالد بن عبد الله أساس دار ابنه يزيد استخرجوا شيخاً مدفوناً أبيض الرأس واللحية كأنما دفن بالأمس فهم بأحراقه ثم صرفه الله عن ذلك فاستدعى بقباطي فلفه فيها وطيبه وتركه مكانه . قالوا وذلك المكان بحذاء باب الوراقين مما يلي قبلة المسجد في بيت اسكاف وما يكاد يقر في ذلك الموضع أحد إلا انتقل منه . وعن جعفر بن محمد الصادق قال : صلى على علي ليلا ودفن بالكوفة وعمى موضع قبره ولكنه عند قصر الامارة . وقال ابن الكلبي : شهد دفنه في الليل الحسن والحسين وابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وغيرهم من أهل بيتهم فدفنوه في ظاهر الكوفة وعموا قبره خيفة عليه من الخوارج وغيرهم ، وحاصل الأمر أن علياً قتل يوم الجمعة سحراً وذلك لسبع عشرة خلت من رمضان من سنة أربعين وقيل إنه قتل في ربيع الأول والأول هو الأصح الأشهر والله أعلم . ودفن بالكوفة عن ثلاث وستين سنة وصححه الواقدي وابن جرير وغير واحد ، وقيل عن خمس وستين وقيل عن ثمان وستين سنة رضي الله عنه . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر . فلما مات علي رضي الله عنه استدعى الحسن وابن ملجم فقال له ابن ملجم : إني أعرض عليك خصلة قال : وما هي ؟ قال : إني كنت عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل عليا ومعاوية أو أموت دونهما ، فان خيلتني ذهبت إلى معاوية على أني إن لم أقتله أو قتلته وبقيت فله على أن أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك . فقال له الحسن : كلا والله حتى تعان النار ، ثم قدمه فقتله ثم أخذته الناس فأدرجوه في بوارى ثم أحرقوه بالنار ، وقد قيل إن عبد الله بن جعفر قطع يديه ورجليه وكحلت عيناه وهو مع ذلك يقرأ سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى آخرها ثم جاءوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال : إني أخشى أن تمر على ساعة لا أذكر الله فيها ثم قطعوا لسانه ثم قتلوه ثم حرقوه في قوصرة والله أعلم . وروى ابن جرير قال : حدثني الحارث ثنا ابن سعد عن محمد بن عمر قال : ضرب علي يوم الجمعة فكشك يوم الجمعة ، وليلة السبت وتوفي ليلة الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة . قال الواقدي : وهو المثبت عندنا والله أعلم بالصواب .

﴿ فصل في ذكر زوجاته وبنيه وبناته رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن هاني بن هاني عن علي قال : « لما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال : أروني ابني ، ما سميتوه ؟ فقلت : سميتُه حرباً ، فقال : بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أروني ابني ، ما سميتوه ؟ فقلت : سميتُه حرباً قال : بل هو

حسين ، فلما ولد الثالث جاء النبي ﷺ فقال أروني ابني ما سميتوه ؟ فقلت : حرباً فقال : بل هو محسن ، ثم قال : إني سميتهم باسم ولد هارون شبر وشبير ومشير » وقد رواه محمد بن سعد عن يحيى ابن عيسى التيمي عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال قال علي : كنت رجلاً أحب الحرب فلما ولد الحسن هممت أن أسميه حرباً ، فذكر الحديث بنحو ما تقدم لكن لم يذكر الثالث . وقد ورد في بعض الأحاديث أن علياً سمي الحسن أولاً بحمزة وحسيناً بجمع فغير اسميهما رسول الله ﷺ .

فأول زوجة تزوجها علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله ﷺ بنى بها بعد وقعة بدر فولدت له الحسن وحسينا ويقال ومحسنا ومات وهو صغير ، وولدت له زينب الكبرى وأم كلثوم وهذه تزوج بها عمر بن الخطاب كما تقدم . ولم يتزوج علي على فاطمة حتى توفيت بعد رسول الله ﷺ بستة أشهر ، فلما ماتت تزوج بعدها بزوجات كثيرة ، ممن من توفيت في حياته ومنهن من طلقها ، وتوفى عن أربع كما سيأتي ، فن زوجاته أم البنين بنت حرام وهو الحل بن خالد بن ربيعة بن كعب بن عامر ابن كلاب فولدت له العباس وجعفراً وعبد الله وعثمان . وقد قتل هؤلاء مع أخيهم الحسين بكر بلاء ولا عقب لهم سوى العباس . ومنهن ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك من بني تميم فولدت له عبيد الله وأبا بكر ، قال هشام بن الكلبي : وقد قتل بكر بلاء أيضاً . وزعم الواقدي أن عبيد الله قتله المختار بن أبي عبيد يوم الدار . ومنهن أسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمداً الأصغر قاله الكلبي . وقال الواقدي : ولدت له يحيى وعونا قال الواقدي : فأما محمد الأصغر فمن أم ولد . ومنهن أم حبيبة بنت زمعة بن بجر بن العبد بن علقمة وهي أم ولد من السبي الذين سباهم خالد من بني تغلب حين أغار على عين التمر فولدت له عمر . وقد عمر خمساً وثلاثين سنة . ورقية . ومنهن أم سعيد بنت عروة بن مسعود بن مغيث بن مالك الثقفي فولدت له أم الحسن ورملة الكبرى . ومنهن ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن كلب الكلبي فولدت له جارية فكانت تخرج مع علي إلى المسجد وهي صغيرة فيقال لها : من أخوالك ؟ فتقول : وه وه تعني بني كلب . ومنهن أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ ، وهي التي كان رسول ﷺ يحملها وهو في الصلاة إذا قام حملها وإذا سجد وضعها ، فولدت له محمداً الأوسط ، وأما ابنه محمد الأكبر فهو ابن الحنفية وهي خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجم بن صعيب بن علي ابن بكر بن وائل سبها خالد أيام الصديق أيام الردة من بني حنيفة فصارت لعلي بن أبي طالب فولدت له محمداً هذا ، ومن الشيعة من يدعى فيه الامامة والعصمة ، وقد كان من سادات المسلمين ولكن ليس بمعصوم ولا أبوه معصوم بل ولا من هو أفضل من أبيه من الخلفاء الراشدين قبله ليسوا

بواجبي العصمة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم . وقد كانت لعل أولاد كثيرة آخرون من أمهات أولاد شتى فانه مات عن أربع نسوة وتسع عشرة سرية رضی الله عنه فمن أولاده رضی الله عنهم ممن لا يعرف أسماء أمهاتهم أم هانئ وميمونة وزينب الصغرى ورملة الكبرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأميمة وخديجة وأم الكرام وأم جعفر وأم سلمة وجمانة . قال ابن جرير : لجميع ولد على أربعة عشر ذكراً وسبع عشرة أنثى . قال الواقدي : وإنما كان النسل من خمسة وهم الحسن والحسين ومحمد [ابن الحنفية والعباس بن] (١) السكلاية وعمر بن التغلبي رضي الله عنهم أجمعين . وقد قال ابن جرير : حدثني ابن سنان القزاز ثنا أبو عاصم ثنا مسكين بن عبد العزيز أنا حفص بن خالد حدثني أبي خالد بن جابر قال : « سمعت الحسن لما قتل على قام خطيباً فقال : لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن ، ورفع فيها عيسى بن مريم ، وفيها قتل يوشع بن نون فتي موسى والله ما سبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد يكون بعده ، والله أن كان رسول الله ﷺ لبيعه في السرية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا ثمانمائة أو تسعمائة أرضها لحادثة » وهذا غريب جداً وفيه نكارة والله أعلم . وهكذا رواه أبو يعلى عن إبراهيم بن الحجاج عن مسكين به . وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن شريك عن أبي إسحاق عن هبيرة قال : خطبنا الحسن بن علي قال : « لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأولون بعلم ولا يدركه الآخرون ، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح له . ورواه زيد العمى وشعيب ابن خالد عن أبي إسحاق به وقال « ما ترك إلا سبعمائة كان أرضها يشتري بها خادماً » : وقال الامام أحمد : حدثنا حجاج ثنا شريك عن عاصم بن كريب عن محمد بن كعب القرظي أن علياً قال : « لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقتي اليوم لتبلغ أربعين ألفاً » ورواه عن أسود عن شريك به وقال « إن صدقتي لتبلغ أربعين ألف دينار » .

باب ذكر شئ من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

من ذلك أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسباً من رسول الله ﷺ فإنه علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب واسمه شيبه بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أبو الحسن القرشي الهاشمي فهو ابن عم رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . قال الزبير بن بكار : وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً . وقد أسلمت وهاجرت ، وأبوه هو العم الشقيق الرفيق أبو طالب واسمه عبد مناف كذا (١) ما بين المربعين تصحيح من ابن الأثير وبياض في الأصل .

نص على ذلك الامام احمد بن حنبل هو وغير واحد من علماء النسب وأيام الناس . وزعمت الروافض أن اسم أبي طالب عمران وانه المراد من قوله تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) وقد أخطأوا في ذلك خطأ كثيراً ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى ، فانه قد ذكر بعد هذه قوله تعالى (إذ قالت امرأة عمران رب إنني نذرت لك ما في بطني محرراً) فذكر ميلاد مريم بنت عمران عليها السلام وهذا ظاهر والله الحمد . وقد كان أبو طالب كثير المحبة الطبيعية لرسول الله ﷺ ولم يؤمن به إلى أن مات على دينه كما ثبت ذلك في صحيح البخاري من رواية سعيد بن المسيب عن أبيه في عرضه عليه السلام على عمه أبي طالب وهو في السياق أن يقول لا إله إلا الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أتترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبي أنت يقول لا إله إلا الله فخرج رسول الله وهو يقول « أما لا تستغفرون لك ما لم أنه عنك » فنزل في ذلك قوله تعالى (إنك لآتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) ثم نزل بالمدينة قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرين من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حلیم) وقد قررنا ذلك في أوائل المبعث ونهنا على خطأ الرافضة في دعواهم أنه أسلم واقتراهم ذلك بلا دليل على مخالفة النصوص الصريحة . وأما على رضي الله عنه فانه أسلم قديماً وهو دون البلوغ على المشهور ، ويقال إنه أول من أسلم من الغلمان ، كما أن خديجة أول من أسلم من النساء ، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالى . وقد روى الترمذي وأبو يعلى عن إسماعيل بن السدي عن علي بن عياش عن مسلم الملائي عن حبة بن جوين عن علي - وحبة لا يساوي حبة - عن أنس بن مالك قال : « بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى على يوم الثلاثاء » ورواه بعضهم عن مسلم الملائي عن حبة ابن جوين عن علي - وحبة لا يساوي حبة - وقد روى سلمة بن كهيل عن حبة عن علي قال : بعثت الله مع رسول الله ﷺ سبع سنين قبل أن يعبد أحد » وهذا لا يصح أبداً وهو كذب وروى سفیان الثوري وشعبة عن سلمة عن حبة عن علي قال : « أنا أول من أسلم » وهذا لا يصح أيضاً وحبة ضعيف وقال سويد بن سعيد ثنا نوح بن قيس بن سليمان بن عبد الله عن معاذة العدوية قالت سمعت علي بن أبي طالب على منبر البصرة يقول : « أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، وأسلمت قبل أن يسلم » وهذا لا يصح قاله البخاري ، وقد ثبت عنه بالتواتر أنه قال على منبر الكوفة : « أيها الناس ! إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت أن أسمى الثالث لسميت »

وقد تقدم ذلك في فضائل الشيخين رضى الله عنهما وأرضاهما . قال الامام أحمد : حدثنا سليمان بن داود ثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال : « أول من صلى - وفي رواية أسلم - مع رسول الله بعد خديجة على بن أبي طالب » ورواه الترمذى من حديث شعبة عن أبي بلج به وقد روى عن زيد بن أرقم وأبي أيوب الأنصارى أنه صلى قبل الناس بسبع سنين وهذا لا يصح من أى وجه كان روى عنه . وقد ورد في أنه أول من أسلم من هذه الأمة أحاديث كثيرة لا يصح منها شئ ، وأجود ما فى ذلك ما ذكرنا . على أنه قد خولف فيه وقد اعتنى الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر في تاريخه بتطريق هذه الروايات ، فمن أراد كشف ذلك فعليه بكتابه التاريخ والله الموفق للصواب . وقد روى الترمذى والنسائى عن عمرو بن مرة عن طلحة بن زيد عن زيد بن أرقم قال : « أول من أسلم على » قال الترمذى : حسن صحيح . وصحب على رسول الله ﷺ مدة مقامه بمكة ، وكان عنده في المنزل وفي كفالته في حياة أبيه لفقير حصل لأبيه في بعض السنين مع كثرة العيال ، ثم استمر في نفقة رسول الله ﷺ بعد ذلك إلى زمن الهجرة ، وقد خلفه رسول الله ﷺ ليؤدى ما كان عنده عليه السلام من ودائع الناس ، فإنه كان يعرف في قومه بالأمين ، فكانوا يودعونه الأموال والأشياء النفيسة ثم هاجر على بعد رسول الله ﷺ وصحب رسول الله ﷺ إلى أن توفي وهو راض عنه وحضر معه مشاهدة كلها ووجرت له مواقف شريفة بين يديه في مواطن الحرب كما بينا ذلك في السيرة بما أغنى عن إعادته هاهنا ، كيوم بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها ، ولما استخلفه عام تبوك على أهله بالمدينة قال : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » وقد ذكرنا تزويجه فاطمة بنت رسول الله ودخوله بها بعد وقعة بدر بما أغنى عن إعادته . ولما رجع عليه السلام من حجة الوداع فكان بين مكة والمدينة بمكان يقال له غدیر خم خطب الناس هنالك في اليوم الثاني عشر من ذى الحجة فقال في خطبته : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وفي بعض الروايات : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » والمحفوظ الأول ، وإنما كان سبب هذه الخطبة والتنبيه على فضله ما ذكره ابن إسحاق من أن علياً لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن أميراً هو وخالد بن الوليد ورجع على فوافى رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع وقد كثرت فيه المقالة وتكلم فيه بعض من كان معه بسبب استرجاعه منهم خلعاً كان خلعها نائبه عليهم لما تجل السير إلى رسول الله ﷺ ، فلما تفرغ رسول الله ﷺ من حجة الوداع أحب أن يبرى ساحة على مما نسب إليه من القول الذى لا أصل له ، وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيداً ، فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد في أيام بنى بويه في حدود الأربعمائة كما سنبيه عليه إذا انتهينا إليه إن شاء الله . ثم بعد ذلك بنحو من عشرين يوماً تعلق المسوح على أبواب

الدكاكين وينثر التبن والرماد ، وتدور الذراري والنساء في سكك البلد تنوح على الحسين بن علي يوم عاشوراء صبيحة قراءتهم المصراع المكنوب في قتله ، وسندين الحق في صفة قتله كيف وقع الأمر على الجلية إن شاء الله تعالى . وقد كان بعض بنى أمية يعيب علياً بتسميته أبا تراب وهذا الاسم إنما سماه به رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين عن سهل بن سعد أن علياً غضب فاطمة فراح إلى المسجد فجاءه رسول الله ﷺ فوجده نائماً وقد لصق التراب بجلبده فجعل ينفذ عنه التراب ويقول : « إجلس أبا تراب » .

❦ حديث المؤاخاة ❦

قال الحاكم حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ثنا الحسين بن جعفر القرشى ثنا العلاء بن عمرو الخنفي ثنا أيوب بن مدرك عن مكحول عن أبي أمامة قال : « لما آخى رسول الله ﷺ بين الناس آخى بينه وبين علي » ثم قال الحاكم لم نكتبه من حديث مكحول إلا من هذا الوجه وكان المشايخ يعجبهم هذا الحديث لكونه من رواية أهل الشام . قلت : وفي صحة هذا الحديث نظر ، وورد من طريق أنس وعمر أن رسول الله ﷺ قال : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » وكذلك من طريق زيد بن أبي أوفى وابن عباس ومحدوج بن زيد الذهلي وجابر بن عبد الله وعامر بن ربيعة وأبي ذر وعلى نفسه نحو ذلك وأسانيدها كلها ضعيفة لا يقوم بشئ منها حجة والله أعلم . وقد جاء من غير وجه أنه قال : « أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقوله بعدي إلا كذاب » وقال الترمذى : ثنا يوسف بن موسى القطان البغدادي ثنا علي بن قادم ثنا علي بن صالح بن حي عن حكيم بن جبير عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر قال : « آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخى بيني وبين أحد ، فقال رسول الله ﷺ أنت أخي في الدنيا والآخرة » ثم قال : هذا حديث حسن غريب وفيه عن زيد بن أبي أوفى ، وقد شهد بدر . وقد قال رسول الله ﷺ : « وما يدريك لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » ؟ وبارز يومئذ كما تقدم وكانت له اليد البيضاء ودفع إليه رسول الله ﷺ الراية يومئذ وهو ابن عشرين سنة قاله الحكم عن مقسم عن ابن عباس . قال : وكانت تكون معه راية المهاجرين في المواقف كلها ، وكذلك قال سعيد بن المسيب وقتادة . وقال خيشمة بن سليمان الاطرابلسي الحافظ : حدثنا أحمد بن حازم عن ابن أبي غرزة ثنا إسماعيل بن أبان ثنا ناصح بن عبد الله الحملي عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال قالوا يا رسول الله من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال : « ومن عسى أن يحملها يوم القيامة إلا من كان يحملها في الدنيا على بن أبي طالب » ؟ وهذا إسناد ضعيف . ورواه ابن عساكر عن أنس بن مالك ولا يصح أيضاً . وأقول الحسن بن عرفة : حدثني عمار بن محمد عن سعيد بن محمد الحنظلي عن أبي جعفر محمد بن علي قال نادى مناد في السماء يوم بدر :

« لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » قال الحافظ ابن عساكر وهذا مرسل وإنما تنقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه لعلي بعد ذلك . وقال الزبير بن بكار : حدثني علي بن المغيرة عن معمر بن المثنى قال : كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة فقتله علي بن أبي طالب ففني ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي .

لله أي مذنب عن حربته * أعنى ابن فاطمة المعمر المخولا
جادت يدالك له بماجل طمئة * تركت طليحة للجبين مجندلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم * بالحق إذ يهونون أخول أخولا
وعلت سيفك بالدماء ولم تكن * لترده حران حتى ينهلا

وشهد بيعة الرضوان وقد قال الله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يباعدونك تحت الشجرة)
وقال رسول الله ﷺ « لن يدخل أحد بايع تحت الشجرة النار » . وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار يفتح الله على يديه » فبات الناس يدورون أيهم يعطاها حتى قال عمر : ما أحببت الامارة إلا يومئذ ، فلما أصبح أعطاها علياً ففتح الله على يديه ، ورواه جماعة منهم مالك والحسن ويعقوب ابن عبد الرحمن وجبر بن عبد الحميد وحماد بن سلمة وعبد العزيز بن المختار وخالد بن عبد الله ابن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أخرجه مسلم . ورواه ابن أبي حازم عن سهل بن سعد أخرجه في الصحيحين وقال في حديثه : « فدعا به رسول الله وهو أرمم فبصق في عينيه فبرأ » ورواه إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ويزيد بن أبي عبيد عن مولاة سلمة أيضاً ، وحديثه عنه في الصحيحين . وقال محمد بن إسحاق : حدثني بريدة عن سفينان عن أبي فروة الأسلمي عن أبيه عن سلمة بن عمرو ابن الأكوع قال : بعث رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الصديق برأيته إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ، ثم بعث عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار ، قال سلمة : فدعا رسول الله علياً وهو أرمم فقتل في عينيه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ، قال سلمة فخرج والله بها يهول هرولة وأنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رأيت في رجم من حجارة تحت الحصن فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال : من أنت ؟ قال : علي بن أبي طالب ، قال اليهودي : غلبتم ومن أنزل التوراة على موسى قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه . وقد رواه عكرمة بن عمار عن عطاء مولى السائب عن سلمة بن الأكوع وفيه أنه هو الذي جاء به يقوده وهو أرمم حتى بصق رسول الله في عينيه فبرأ .

﴿ رواية بريدة بن الحصيب ﴾ . وقال الامام أحمد : حدثنا زيد [بن الحباب] ثنا الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة حدثني بريدة بن الحصيب قال : حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ، ثم أخذ من الغد عمر فخرج فرجع ولم يفتح له ، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهه فقال رسول الله : إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له - وبقنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً - قال : فلما أصبح رسول الله ﷺ صلى الغداة ، ثم قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا علياً وهو أرمم فقتل في عينيه ودفع إليه اللواء ففتح له ، قال بريدة : وأنا فيمن تطاول لها ، ورواه النسائي من حديث الحسين بن واقد به أطول منه ثم رواه أحمد عن محمد بن جعفر وروح كلاهما عن عوف عن ميمون أبي عبد الله الكردى عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه به نحوه ، وأخرجه النسائي عن بندار وغند ربه وفيه الشعر .

﴿ رواية عبد الله بن عمر ﴾ ورواه هشيم بن العوام بن حوشب عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر فذكر سياق حديث بريدة ورواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر نحوه وفيه « قال علي : فما رمدت بعد يومئذ » ورواه أحمد عن وكيع عن هشام بن سعيد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر كما سياتي .

﴿ رواية ابن عباس ﴾ وقال أبو يعلى : حدثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمر وبن ميمون عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فقال أين علي ؟ قالوا : يطحن ، قال وما أحد منهم يرضى أن يطحن ، فأتى به فدفع إليه الراية فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب » وهذا غريب من هذا الوجه وهو مختصر من حديث طويل ، ورواه الامام أحمد عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس فذكره بتمامه فقال الامام أحمد عن يحيى بن حماد : ثنا أبو عوانة ثنا أبو بلج ثنا عمرو بن ميمون قال : إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا : يا ابن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء ؟ فقال : بل أقوم معكم - وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى - قال : وابتدأوا فتحدثوا فلا ندرى ما قالوا قال فجاء ينفض ثوبه ويقول : أف وتف ، وقعوا في رجل له عشر وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ : « لأبئن رجلاً لا يجزيه الله أبداً يحب الله ورسوله قال : فاستشرف لها من استشرف قال : أين علي ؟ قالوا : هو في الرحا يطحن ، قال : وما كان أحدكم ليطحن ، قال فجاء وهو أرمم لا يكاد أن يبصر فنفت في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيي بن أخطب قال : ثم بعث فلانا بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها ثم قال : لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه . قال وقال لبي عمه : أيكم بواليني في الدنيا والآخرة ؟ فأبوا

قال : وعلى معه جالس فقال علي : أنا أو اليك في الدنيا والآخرة قال فتركه ثم أقبل على رجال منهم فقال : أيكم يوالي في الدنيا والآخرة فأبوا فقال علي : أنا أو اليك في الدنيا والآخرة فقال : أنت ولي في الدنيا والآخرة قال : وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة ، قال : وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً » قال وشري علي نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه ، قال وكان المشركون يرومون رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم وأبو بكر يحسب أنه نبي الله فقال : يا نبي الله ! فقال له علي : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمونة فأدركه ، قال : فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال : وجعل علي يرمي بالحجارة كما كان يرمي رسول الله ﷺ وهو يتضرر وقد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا : إنك لثيم كان صاحبك ترميه فلا يتضرر وأنت تتضرر وقد استنكرنا ذلك ، قال : وخرج - يعني رسول الله ﷺ في غزوة تبوك - فقال له علي : أخرج معك ؟ فقال له النبي ﷺ : لا ! فبكي علي فقال : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي ؟ إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي » قال وقال له رسول الله ﷺ : « أنت ولي كل مؤمن » بعدى قال وسد أبواب المسجد غير باب علي قال فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره ، قال وقال « من كنت مولاه فأولياؤه » قال : وأخبرنا الله في القرآن أنه قد رضى عن أصحاب الشجرة فعلم ما في قلوبهم فقل حدثنا أنه سخط عليهم بعد . قال وقال نبي الله ﷺ لعمر حين قال ائذن لي أن أضرب عنق هذا المنافق - يعني حاطب بن أبي بلتعة - قال : « وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وقد روى الترمذي بعضه من طريق شعبة عن أبي بلج يحيى بن أبي سليم واستغفر به ، وأخرج النسائي بعضه أيضاً عن محمد بن المثني عن يحيى بن حماد به . وقال البخاري في التاريخ : ثنا عمر بن عبد الوهاب الرماحي ثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن منصور عن ربي عن عمران بن حصين . قال قال رسول الله ﷺ : « لا تدفن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبعث إلى علي وهو أرمم فتفل في عينيه واعطاء الراية فما رد وجهه وما اشتكها بعد » ورواه أبو القاسم البغوي عن إسحاق ابن إبراهيم عن أبي موسى الهروي عن علي بن هاشم عن محمد بن علي عن منصور عن ربي عن عمران فذكره . وأخرجه النسائي عن عباس العنبري عن عمر بن عبد الوهاب به .

﴿ رواية أبي سعيد في ذلك ﴾ قال الامام أحمد : حدثنا مصعب بن المقدم وحجين بن المثني قالا : ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول : إن رسول الله ﷺ أخذ الراية فبرزها ثم قال : « من يأخذها بحقها فجاء فلان فقال أنا فقال : امض ثم جاء رجل آخر فقال

أنا فقال امض ثم قال النبي ﷺ والذي أكرم وجهه محلاً عطيتها رجلاً لا يفر ، فجاء علي فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتهمما وقد يدبهما . ورواه أبو يعلى عن حسين بن محمد عن إسرائيل وقال في سياقه « جاء الزبير فقال أنا فقال : امض ثم جاء آخر فقال : امض » وذكره تفرد به أحمد . ﴿ رواية علي بن أبي طالب في ذلك ﴾ وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان أبي يسير مع علي وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له لو سألته فدأله فقال : « إن رسول الله ﷺ بعث إلى وأنا أرمم العين يوم خيبر فقلت يا رسول الله إني أرمم العين فتفل في عيني فقال اللهم أذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ ، وقال لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار فتشرف لها أصحاب النبي ﷺ فأعطانيها » تفرد به أحمد وقد رواه غير واحد عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي بن مطول . وقال أبو يعلى : حدثنا زهير ثنا جرير عن مغيرة عن أم موسى قالت سمعت علياً يقول : « ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتفل في عيني يوم خيبر وأعطاني الراية » ﴿ رواية سعد بن أبي وقاص في ذلك ﴾ . ثبت في الصحيحين من حديث شعبة عن سعد بن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي » ؟ قال أحمد ومسلم والترمذي : حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن إسماعيل عن بكير بن مسمار عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال له : أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما يمنعك أن تسب أبا تراب ؟ [فقال] أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ ؟ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول - وخلفه في بعض مغازيه - فقال له علي يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » ؟ وسمعت يقول يوم خيبر : « لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاوت لها قال ادعوا لي علياً فأني به أرمم فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه » ولما نزلت هذه الآية (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) « دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ثم قال اللهم هؤلاء أهلي » : وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن المسيب عن سعد أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » وقال الترمذي : ويستغرب من رواية سعيد عن سعد . وقال الامام أحمد : حدثنا أحمد الزبيري ثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن حمزة بن عبد الله عن أبيه - يعني عبد الله بن عمر - عن سعد قال : لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك خلف علياً فقال :

أتخلفني؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه. وقال الحسن بن عرفة العبدي: ثنا محمد بن حازم أبو معاوية الضمير عن موسى بن مسلم الشيباني عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته فأناه سعد بن أبي وقاص فدكر وا عليا فقال سعد: له ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من الدنيا وما فيها. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلى مولاه» وسمعت يقول: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وسمعت يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» لم يخرجوه وإسناده حسن. وقال أبو زرعة الدمشقي: ثنا أحمد بن خالد الذهبي أبو سعيد ثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح عن أبيه قال: «لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجبنا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سنته فطف نطف بطوافك، قال: فلما فرغ أدخله دار الندوة فاجلسه معه على سريره ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه؟ والله لأن يكون في إحدى خلاله الثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له حين غزاتبوكا» ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار» أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد ماله أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم، ثم نفذ رداءه ثم خرج. وقال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ قال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»؟ إسناده على شرطهما ولم يخرجاه. وهكذا رواه أبو عوانة عن الأعمش عن الحكم بن مصعب عن أبيه ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن عاصم عن مصعب عن أبيه قاله أعلم. وقال أحمد: ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ثنا سليمان بن بلال حدثنا الجعد بن عبد الرحمن الجعفي عن عائشة بنت سعد عن أبيها: أن عليا خرج مع رسول الله ﷺ حتى جاء ثنية الوداع وعلى يبكي يقول: تخلفني مع الخوالم؟ فقال: «أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة»؟ وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه. وقد رواه غير واحد عن عائشة بنت سعد عن أبيها، قال الحافظ ابن عساكر: وقد روى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ جماعة من الصحابة منهم عمر وعلى وابن عباس وعبد الله

ابن جعفر ومعاوية وجابر بن عبد الله وجابر بن ممره وأبو سعيد والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وزيد بن أبي أوفى ونبيط بن شريط وحبشي بن جنادة ومالك بن الحويرث وأنس بن مالك وأبو الفضل، وأم سلمة وأسامة بنت عميس، وفاطمة بنت حمزة. وقد تقصى الحافظ ابن عساكر هذه الأحاديث في ترجمة علي في تاريخه فأجاد وأفاد وبرز على النظراء والأشباه والانداد. رحمه رب العباد يوم التناد. ﴿رواية عمر رضي الله عنه في ذلك﴾ قال أبو يعلى: حدثنا عبد الله بن عمر ثنا عبد الله بن جعفر أخبرني سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال قال عمر: لقد أعطى علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حمر النعم قيل وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: تزويجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحل له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر. وقد روى عن عمر من غير وجه ﴿رواية ابن عمر رضي الله عنهما﴾ وقد رواه الامام أحمد عن وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن أسيد عن ابن عمر قال: «كنا نقول في زمان رسول الله ﷺ خير الناس أبو بكر ثم عمر ولقد أوتي ابن أبي طالب ثلاثاً لأن أكون أعطيتهن أحب إلي من حمر النعم». فذكر هذه الثلاث. وقد روى أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»؟ ورواه أحمد من حديث عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». ورواه الطبراني من طريق عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر مرفوعاً ورواه سلمة بن كهيل عن عامر بن سعد عن أبيه عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» قال سلمة وسمعت مولى لبني موهب يقول: سمعت ابن عباس يقول قال النبي ﷺ مثله. ﴿ترويجه فاطمة الزهراء رضي الله عنها﴾. قال سفیان الثوري عن ابن أبي نجیح عن أبيه سمع رجلاً علياً على منبر الكوفة يقول: «أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته ثم ذكرت أن لا شيء لي ثم ذكرت عائدته وصلته فخطبتها، فقال: هل عندك شيء؟ قلت: لا قال فأين درعك الخطمية التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟ قلت: عندي، قال: فأعطاها فأعطيتها فزوجني فلما كان ليلة دخلت عليها قال لا تحبنا شيئاً حتى آتيكما، قال: فاتانا وعلينا قطيفة أو كساء فتحبنا فقال مكانكما، ثم دعا بقدر من ماء فدعا فيه ثم رشه علي وعليها، فقلت: يا رسول الله أنا أحب إليك أم هي؟ قال: هي أحب إلي وأنت أعز علي منها». وقد روى النسائي من طريق عبد الكريم بن سليط عن ابن بريده عن أبيه فذكره بأبسط من هذا السياق، وفيه أنه أولم عليها بكبش من عند سعد وأصع من الذرة من عند جماعة من الأنصار، وأنه دعا لهما بعد ما صب عليهما الماء، فقال: «اللهم بارك لهما في شملهما» - يعني

الجماع - وقال محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال :
لما خطب علي فاطمة دخل عليها رسول الله فقال لها : « أي بنية ! إن ابن عمك عليا قد خطبك
فاذا تقولين ؟ فبكت ثم قالت : كأنك يا أبت إنما دخرتني لفقير قریش ؟ فقال : والذي بعثني بالحق
ما تكلمت فيه حتى أذن الله لي فيه من السموات ، فقالت فاطمة : رضيت بما رضى الله ورسوله . فخرج
من عندها واجتمع المسلمون إليه ثم قال : يا علي اخطب لنفسك فقال علي الحمد لله الذي لا يموت وهذا
محمد رسول الله زوجني ابنته على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا ، قالوا : ما تقول
يا رسول الله ؟ قال : أشهدكم إني قد زوجته . رواه ابن عساكر وهو منكر وقد ورد في هذا الفصل
أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة ضربنا عنها لثلاث بطول الكتاب بها . وقد أورد منها طرفاً جيداً
الحافظ ابن عساكر في تاريخه . وقال وكيع عن أبي خالد عن الشعبي قال قال علي : « ما كان لنا
إلا إهاب كبش تنام على ناحيته وتمجن فاطمة على ناحيته » وفي رواية بحال عن الشعبي « ونعلم
عليه الناضح بالنهار وما لي خادم عليها غيرها » . (حديث آخر) قال أحمد : حدثنا محمد بن
جعفر ثنا عوف عن ميمون بن عبد الله عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ
أبواب شارعة في المسجد قال فقال يوماً : « سدوا هذه الأبواب إلا باب علي » قال فتكلم في ذلك
أناس فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد فاني أمرت بسد هذه الأبواب
غير باب علي فقال فيه قائلكم واني والله ما سدت شيئاً ولا فتحته ، ولكن أمرت بشي فاتبعتة .
وقد رواه أبو الأشهب عن عوف عن ميمون عن البراء بن عازب فذكره . وقد تقدم ما رواه أحمد
والنسائي من حديث أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس الحديث الطويل
وفيه سد الأبواب غير باب علي . وكذا رواه شعبة عن أبي بلج . ورواه سعد بن أبي وقاص قال
أبو يعلى ثنا موسى بن محمد بن حسبان ثنا محمد بن إسماعيل بن جعفر الطحان ثنا غسان بن بسر
الكاهلي عن مسلم عن خيثمة عن سعد « أن رسول الله ﷺ سد أبواب المسجد وفتح باب علي
فقال الناس في ذلك فقال : ما أنا فتحته ولكن الله فتحه » وهذا لا ينافي ما ثبت في صحيح البخاري
من أمره عليه السلام في مرض الموت بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب أبي بكر الصديق
لأن نفي هذا في حق علي كان في حال حياته لاحتياج فاطمة إلى المزور من بيتها إلى بيت أبيها ، فجعل
هذا رقابها ، وأما بعد وفاته فرأيت هذه العلة فاحتيج إلى فتح باب الصديق لأجل خروجه إلى
المسجد ليصلي بالناس إذ كان الخليفة عليهم بعد موته عليه السلام وفيه إشارة إلى خلافته . وقال
الترمذي : ثنا علي بن المنذر ثنا ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة عن عطية عن أبي سعيد . قال
قال رسول الله ﷺ لعلي : « يا علي لا يحل لأحد يجنب في المسجد غيري وغيرك » قال علي بن

المنذر : قلت لضرار بن صرد : ما معنى هذا الحديث ؟ قال : لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيري
وغيرك . ثم قال الترمذي : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد سمع محمد
ابن إسماعيل هذا الحديث . وقد رواه ابن عساكر من طريق كثير النواء عن عطية عن أبي سعيد
به ، ثم أورد من طريق أبي نعيم ثنا عبد الملك بن أبي عيينة عن أبي الخطاب عمر الهروي عن
مخدوج عن جيرة بنت دجاجة أخبرتنني أم سلمة قالت : خرج النبي ﷺ في مرضه حتى انتهى إلى
صرحة المسجد فنأدى بأعلى صوته : « إنه لا يحل المسجد لجنب ولا لحائض إلا للمحمد وأزواجه وعلى
وفاطمة بنت محمد الأهل بينت لكم الأسماء أن تضلوا » وهذا إسناد غريب وفيه ضعف ، ثم ساقه
من حديث أبي رافع بنحوه وفي إسناده غرابة أيضاً . (حديث آخر) قال الحاكم وغير واحد عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس عن بريدة بن الحبيب : قال غزوت مع علي إلى اليمن فرأيت منه
جفوة فقدمت على رسول الله ﷺ فذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال :
« يا بريدة ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » فقلت بلى يا رسول الله فقال : « من كنت مولاه فعلي
مولاه » . وقال الامام أحمد : حدثنا ابن نمير ثنا الأجلح الكندي عن عبد الله بن بريدة عن
أبيه بريدة قال : « بعث رسول الله ﷺ بعثتين إلى اليمن على إحداهما علي بن أبي طالب وعلي
الأخرى خالد بن الوليد وقال إذا التقيتما فعلي على الناس وإذا افترقتما فكل واحد منكما على جنده ،
قال : فلقينا بني زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا مقاتلة وسبينا الذرية
فاصطفى علي امرأة من السبي لنفسه ، قال بريدة : فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ
ينخبره بذلك ، فلما أتيت رسول الله ﷺ دفعته إليه الكتاب فقرأ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول
الله ﷺ فقلت : يا رسول الله هذا مكان العائد بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه فبلغت ما أرسلت به ،
فقال رسول الله ﷺ لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدى » هذه الفظة منكرة والجلح
شيعي ومثله لا يقبل إذا تفرد بمثلها ، وقد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم . والمحفوظ في هذا
رواية أحمد عن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال
قال رسول الله ﷺ : « من كنت مولاه فعلي وليه » . ورواه أحمد أيضاً والحسن بن عرفة عن
الأعمش به . ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية به . وقال أحمد : حدثنا روح بن علي
ابن سويد بن منجوف عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « بعث رسول الله ﷺ علياً إلى خالد بن
الوليد ليقبض الخمس قال فأصبح ورأسه تقطر ، فقال خالد لبريدة : ألا ترى ما يصنع هذا ؟ قال :
فلما رجعت إلى رسول الله ﷺ أخبرته ما صنع علي ، قال : - وكنت أقبض علياً - فقال : يا بريدة أتقبض
علياً ؟ فقلت : نعم اقال : لا تبغضه وأحبه فإن له في الخمس أكثر من ذلك » . وقد رواه البخاري في

الصحيح عن بنسار عن روح به مطولا . وقال أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد ثنا عبد الجليل قال انتهيت إلى حلقة فيها أبو مجاز وابنا بريدة فقال عبد الله بن بريدة : حدثني أبي بريدة قال « أبغضت عليا بغضا لم أبغضه أحدا ، قال وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا على بغضه عليا ، قال فبعث ذلك الرجل على خيل قل فصحبته ما أصحبه إلا على بغضه عليا فأصبنا سبياً فكتبنا إلى رسول الله أن ابعث إلينا من يخمس ، فبعث إلينا عليا قال وفي السبي وصيفة هي من أفضل السبي - نخمس وقسم نخرج ورأسه يقطر ، فقلنا : يا أبا الحسن ما هذا ؟ قال : ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي ؟ فأتى قسمت وخست فصارت في الخمس ثم صارت في أهل بيت النبي ﷺ ، ثم صارت في آل علي فوعدت بها ، قال وكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ فقلت : ابعتني ؟ فبعثني مصدقا ، قال : فجعلت أقرأ الكتاب وأقول صدق ، قال : فأمسك النبي ﷺ بيدي والكتاب قال : أتبغض عليا ؟ قال : قلت نعم ! قال : فلا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حبا ، فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة ، قال : فما كان في الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلي من علي قال عبد الله : فوالذي لا إله غيره ما بيني وبين النبي ﷺ في هذا الحديث غير أبي بريدة » تفرد به أحمد وقد روى غير واحد هذا الحديث عن أبي الجواب عن يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن البراء بن عازب نحو رواية بريدة بن الحصيب وهذا غريب . وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن أبي زياد عن أبي الجواب الأحموس بن جواب به وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ثنا جعفر بن سليمان حدثني يزيد الرشك عن مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال : « بعث رسول الله ﷺ سرية وأمر عليها علي بن أبي طالب فأحدث شيئا في سفره فتعاقد أربعة من أصحاب محمد أن يذكروا أمره إلى رسول الله ﷺ قال عمران . وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله ﷺ فسلمنا عليه ، قال : فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال : يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثاني فقال يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ، فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال : يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ثم قام الرابع فقال : يا رسول الله إن عليا فعل كذا وكذا ، قال : فأقبل رسول الله ﷺ على الرابع وقد تغير وجهه وقال : دعوا عليا ، دعوا عليا ، دعوا عليا إن عليا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي » . وقد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن جعفر بن سليمان وسباق الترمذي مطول وفيه « أنه أصاب جارية من السبي » ثم قال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان . ورواه أبو يعلى الموصلي عن عبد الله بن عمر القواريري والحسن بن عمر بن شقيق الحرمي والمعلبي بن مهدي كلهم عن جعفر بن سليمان به . وقال خيثمة بن سليمان حدثنا أحمد بن حازم أخبرنا عبيد الله بن موسى بن يوسف بن صهيب عن دكين

عن وهب بن حمزة قال « سافرت مع علي بن أبي طالب من المدينة إلى مكة ، فرأيت منه جفوة فقلت : لئن رجعت فلقيت رسول الله ﷺ لأنال من منه ، قال : فرجعت فلقيت رسول الله ﷺ فذكرت عليا فقلت منه ، فقال لي رسول الله ﷺ : لا تقولن هذا لعلي فان عليا وليكم بعدي » : وقال أبو داود الطيالسي : عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أنت ولي كل مؤمن بعدي » . وقال الامام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي عن أبي إسحاق حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب - وكانت عند أبي سعيد الخدري - عن أبي سعيد قالت : اشتكى عليا الناس فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فسمعته يقول : « أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله إنه لأجيش في ذات الله - أو في سبيل الله » . تفرد به أحمد . وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنا أبو سهل بن زياد القطان ثنا أبو إسحاق القاضي ثنا إسماعيل بن أبي إدريس حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد قال : « بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن ، قال أبو سعيد : فكنت فيمن خرج معه فلما أحضر إبل الصدقة سألتها أن تركب منها ونريح إبلنا - وكنا قد رأينا في إبلنا خللا - فأبى علينا وقال : إنما لكم منها سهم كما للمسلمين ، قال : فلما فرغ علي وانصرف من اليمن راجعاً ، أمر علينا إنساناً فأمرع هو فأدرك الحج ، فلما قضى حجته قال له النبي ﷺ : ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم . قال أبو سعيد : وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان على معنا إياه ففعل ، فلما جاء على عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت - رأى أثر المراكب - فدم الذي أمره ولامه ، فقلت أما إن الله علي إن قدمت المدينة وغدوت إلى رسول الله ﷺ لأذكرن لرسول الله ﷺ ولا أخبرته ما لقينا من الغلظة والتضييق ، قال : فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أذكر له ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر خارجاً من عند رسول الله ﷺ فلما رأيته وقف معي ورحب بي وسألتني وسألته وقال : متى قدمت ؟ قلت : قدمت البارحة ، فرجع معي إلى رسول الله ﷺ وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد ، قال : ائذن ، له فدخلت فحييت رسول الله ﷺ وحياتي وسلمت عليه وسألني عن نفسي وعن أهلي فأخفى المسألة فقلت : يا رسول الله لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق ، فابتدر رسول الله ﷺ وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله ﷺ علي فخذي - وكنت منه قريباً - وقال : سعد بن مالك بن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي ، فوالله لقد علمت أنه جيش في سبيل الله ، قال فقلت في نفسي : شككتك أمك سعد بن مالك ألا أراي كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري لاجرم ، والله لا أذكره

بسوء أبلأ سرآ ولا علانية : وقال يونس بن بكير . عن محمد بن إسحاق حدثني أبان بن صالح عن عبد الله بن دينار الأسلمي عن خاله عمرو بن شاش الأسلمي - وكان من أصحاب الحديبية - قال : « كنت مع علي في خيله التي بعثه فيها رسول الله إلى اليمن ، فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي ، فلما قدمت المدينة اشتكيت في مجالس المدينة وعند من لقيته فأقبلت يوماً ورسول الله جالس في المسجد فلما رأيته أنظر إلى عيني نظرت إلى علي حتى جلست إليه فلما جلست إليه قال : أما إنه والله يا عمرو لقد آذيتني ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون أعوذ بالله والاسلام أن أؤذي رسول الله ﷺ فقال : من آذى علياً فقد آذاني » وقد رواه الامام أحمد عن يعقوب عن أبيه إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن الفضل بن معقل عن عبد الله بن دينار عن خاله عمرو بن شاش فذكره . وكذا رواه غير واحد عن محمد بن إسحاق عن أبان بن الفضل . وكذلك رواه سيف بن عمر عن عبد الله بن سعيد عن أبان بن صالح به ولفظه : « فقال رسول الله من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله » . وروى عباد بن يعقوب الزواجني عن موسى بن عمير عن عقيل بن نجدة بن هبيرة عن عمرو بن شاش قال قال رسول الله : « يا عمرو إن من آذى علياً فقد آذاني » وقال أبو يعلى : ثنا محمود بن خدش ثنا مروان بن معاوية ثنا فنان بن عبد الله النهدي ثنا مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فتلنا من علي فأقبل رسول الله يعرف في وجهه الغضب فتعوذت بالله من غضبه فقال : « مالكم ومالي ؟ من آذى علياً فقد آذاني » . (حديث غديرخم) قال الامام أحمد : حدثنا حسين بن محمد وأبو نعيم المعنى قالا : ثنا فطر عن أبي الطفيل قال : جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم : أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غديرخم ما سمع لما قام ، فقام كثير من الناس قال أبو نعيم ! - فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس : « أتعلمون أي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا نعم يا رسول الله قال : من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . قال فخرجت كأن في نفسي شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له : إني سمعت علياً يقول كذا وكذا : قال . فما تنكر ؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له . ورواه النسائي من حديث حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عنه أتم من ذلك ، وقال أبو بكر الشافعي : ثنا محمد بن سليمان بن الحارث ثنا عبيد الله ابن موسى ثنا أبو إسرائيل الملائي عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن عن زيد بن أرقم أن علياً أنشد الناس : من سمع رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك وكنت فيهم . وقال أبو يعلى وعبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا القواريري ثنا يونس بن أرقم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

« شهدت علياً في الرحبة ينادي الناس : أنشد بالله من سمع رسول الله يقول يوم غديرخم : من كنت مولاه فعلي مولاه لما قام فشهد قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بديراً كأنني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غديرخم : ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » . ثم رواه عبد الله بن أحمد عن أحمد بن عمر الوكيعي عن زيد بن الحباب عن الوليد بن عقبة بن نيار عن سماك بن عبيد بن الوليد العباسي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره ، قال : « فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا : قد رأيناه وسمعناه حين أخذ بيديك يقول : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » . وهكذا رواه أبو داود الطهوي - واسمه عيسى ابن مسلم - عن عمرو بن عبد الله بن هند الجلي وعبد الأعلى بن عامر التغلبي كلاهما عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى فذكره بنحوه ، قال الدارقطني غريب تفرد به عنهما أبو داود الطهوي . وقال الطبراني : ثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن كيسان المدني سنة تسعين ومائتين . حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ثنا مسعر عن طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال : شهدت علياً على المنبر ينادي أصحاب رسول الله من سمع رسول الله يقول يوم غديرخم يقول ما قال ؟ فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو هريرة وأبو سعيد وأنس بن مالك فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ورواه أبو العباس بن عقدة الحافظ الشيعي عن الحسن بن علي بن عفان العامري عن عبد الله بن موسى عن قطن بن عمرو بن مرة وسعيد بن وهب وعن زيد بن نعيم قالوا : سمعنا علياً يقول في الرحبة فذكر نحوه فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أن رسول الله قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره واخذل من خذله » قال أبو إسحاق حين فرغ من هذا الحديث : يا أبا بكر أي أشياخهم ؟ . وكذلك رواه عبد الله بن أحمد عن علي بن حكيم الأودي عن إسرائيل عن أبي إسحاق فذكر نحوه . وقال عبد الرزاق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب وعبد خير قالا سمعنا علياً برحبة الكوفة يقول : أنشد الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول : « من كنت مولاه فعلي مولاه » فقام عدة من أصحاب رسول الله فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول ذلك . وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت سعيد بن وهب قال : نشد علي الناس فقام خمسة أو ستة من أصحاب رسول الله فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال : « من كنت مولاه فعلي مولاه » وقال أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا حسين بن الحرث بن لقيط الأشجعي عن رياح بن الحرث قال : جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا : السلام عليك يا مولانا : فقال ، كيف أكون مولاكم

الخطيب : اشهر هذا الحديث برواية حبشون وكان يقال إنه تفرد به ، وقد تابعه عليه أحمد بن عبيد الله بن العباس بن سالم بن مهران المعروف بابن النبري عن علي بن سعيد الشامي ، قلت وفيه نكارة من وجوه منها قوله نزل فيه (اليوم أكملت لكم دينكم) وقد ورد مثله من طريق ابن هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى ولا يصح أيضاً ، وإنما نزل ذلك يوم عرفة كما ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب وقد تقدم . وقد روى عن جماعة من الصحابة غير من ذكرنا في قوله عليه السلام « من كنت مولاه » والأسانيد إليهم ضعيفة . حديث الطير **ﷺ** وهذا الحديث قد صنف الناس فيه وله طرق متعددة وفي كل منها نظر ونحن نشير إلى شيء من ذلك قال الترمذى : حدثنا سفيان بن وكيع ثنا عبد الله بن موسى عن عيسى بن عمر عن السرى عن أنس قال : « كان عند النبي **ﷺ** طير فقال : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يا كل معنى من هذا الطير » فجاء على فأكل معه ، ثم قال الترمذى : غريب لا نعرفه من حديث السرى إلا من هذا الوجه ، قال : وقد روى من غير وجه عن أنس وقد رواه أبو يعلى عن الحسين بن حماد عن شهر بن عبد الملك عن عيسى بن عمر به . وقال أبو يعلى : ثنا قطن بن بشير ثنا جعفر بن سليمان الضبعى ثنا عبد الله بن مثنى ثنا عبد الله بن أنس عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله **ﷺ** حجل مشوى بخبز به وضيافته ، فقال رسول الله **ﷺ** : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطعام » فقالت عائشة : اللهم اجعله أبى ، وقالت حفصة : اللهم اجعله أبى ، وقال أنس : قلت : اللهم اجعله سعد بن عبادة ، قال أنس : فسمعت حركة بالباب فقلت إن رسول الله **ﷺ** على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فخرجت فإذا على بالباب ، قلت : إن رسول الله **ﷺ** على حاجة فانصرف ثم سمعت حركة بالباب فسلم على فسمع رسول الله **ﷺ** صوته فقال : انظر من هذا ؟ فخرجت فإذا هو على فجلت إلى رسول الله **ﷺ** فأخبرته فقال : « أئذن له يدخل على فأذنت له فدخل ، فقال رسول الله **ﷺ** اللهم وال من والاه » . والى ورواه الحاكم في مستدركه عن أبي على الحافظ عن محمد بن أحمد الصفار وحيد بن يونس الزيات كلاهما عن محمد بن أحمد بن عياض عن أبي غسان أحمد بن عياض عن أبي ظبية عن يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أنس فذكره ، وهذا إسناد غريب . ثم قال الحاكم : هذا الحديث على شرط البخارى ومسلم وهذا فيه نظر ، فإن أبا عاتبة محمد بن أحمد بن عياض هذا غير معروف ولكن روى هذا الحديث عنه جماعة عن أبيه ، ومن رواه عنه أبو القاسم الطبرانى ثم قال : تفرد به عن أبيه والله أعلم . قال الحاكم وقد رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً قال شيخنا الحافظ الكبير أبو عبد الله الذهبي فصلهم بثقة يصح الاسناد إليه ثم قال الحاكم : وصحت الرواية عن على وأبي سعيد وسفيته ، قال شيخنا أبو عبد الله لا والله ما صح

شيء من ذلك ، ورواه الحاكم من طريق إبراهيم بن ثابت القصار وهو مجهول عن ثابت البناتى عن أنس قال : دخل محمد بن الحجاج فجعل يسب علياً فقال أنس : اسكت عن سب على فذكر الحديث مطولاً وهو منكر سنداً وممتناً ، لم يورد الحاكم في مستدركه غير هذين الحديثين وقد رواه ابن أبى حاتم عن عمار بن خالد الواسطى عن إسحاق الأزرق عن عبد الملك بن أبى سليمان عن أنس ، وهذا أجود من إسناد الحاكم . ورواه عبد الله بن زياد أبو العلاء عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس بن مالك . فقال : أهدى لرسول الله **ﷺ** طير مشوى فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير » فذكر نحوه ، ورواه محمد بن مصفى عن حفص بن عمر عن موسى ابن سعد عن الحسن بن أنس فذكره ، ورواه على بن الحسن الشامي عن خليل بن دعلج عن قتادة عن أنس بن نحوه ، ورواه أحمد بن يزيد الورتيس عن زهير بن عثمان الطويل عن أنس فذكره ، ورواه عبيد الله بن موسى عن مسكين بن عبد العزيز عن ميمون أبى خلف حدثنى أنس ابن مالك فذكره ، قال الدارقطنى : من حديث ميمون أبى خلف تفرد به مسكين بن عبد العزيز ورواه الحجاج بن يوسف بن قتيبة عن بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس . ورواه ابن يعقوب إسحاق بن الفيض ثنا المضاء بن الجارود عن عبد العزيز بن زياد أن الحجاج بن يوسف دعا أنس بن مالك من البصرة فسأله عن على بن أبى طالب فقال : أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طائر فأمر به فطبخ وصنع فقال : « اللهم ائتني بأحب الخلق إلى يأكل معى » . فذكره . وقال الخطيب البغدادي : أنا الحسن بن أبى بكر أنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجیح ثنا محمد بن القاسم النحوى أبو عبد الله ثنا أبو عاصم عن أبى الهندي عن أنس فذكره . ورواه الحاكم بن محمد عن محمد بن سليم عن أنس بن مالك فذكره . وقال أبو يعلى : حدثنا الحسن بن حماد الوراق ثنا مسهر بن عبد الملك ابن سلع ثقة ثنا عيسى بن عمر عن إسماعيل السدى أن رسول الله **ﷺ** كان عنده طائر فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معى من هذا الطير ، فجاء أبو بكر فرده ، ثم جاء عمر فرده ثم جاء عثمان فرده ثم جاء على فأذن له » . وقال أبو القاسم بن عقدة ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا يوسف بن عدى ثنا حماد بن المختار الكوفي ثنا عبد الملك بن عمير عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله **ﷺ** طائر فوضع بين يديه فقال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معى قال : فجاء على ففتح الباب فقلت من ذا ؟ فقال : أنا على ، فقلت إن رسول الله على حاجة حتى فعل ذلك ثلاثاً ، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فدخل فقال النبي **ﷺ** : ما حبسك ؟ فقال : قد جئت ثلاث مرات فيحبسنى أنس ، فقال النبي **ﷺ** : ما حبسك على ذلك ؟ قال قلت : كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي » وقد رواه الحاكم النيسابورى عن عبدان بن يزيد عن يعقوب الدقاق عن إبراهيم بن الحسين

الشامى عن ابي توبة الربيع بن نافع عن حسين بن سليمان بن عبد الملك بن عمير عن انس فذكره ، ثم قال الحاكم : لم نكتبه إلا بهذا الاسناد ، وساقه ابن عساكر من حديث الحرث بن زهران عن اسماعيل - رجل من أهل الكوفة - عن انس بن مالك فذكره . ومن حديث حفص بن عمر المهرقاني عن الحكم بن شبير بن اسماعيل ابي سليمان اخي اسحاق بن سليمان الرازي عن عبد الملك بن ابي سليمان عن انس فذكره . ومن حديث سليمان بن قرم عن محمد بن علي السلمي عن ابي حذيفة العقيلي عن انس فذكره . وقال ابو يعلى : ثنا ابو هشام ثنا ابن فضيل ثنا مسلم الملائي عن انس قال : اهدت ام ايمن الى رسول الله ﷺ طيراً مشوياً فقال : « اللهم ائتني بن نجبه يأكل معي من هذا الطير ، قال انس فجاء علي فاستأذن فقلت : هو علي حاجته ، فرجع ثم عاد فاستأذن فقلت : هو علي حاجته فرجع ، ثم عاد فاستأذن فسمع النبي ﷺ صوته فقال : ائذن له فدخل وهو موضوع بين يديه فأكل منه وحمد الله » فهذه طرق متعددة عن انس بن مالك وكل منها فيه ضعف ومقال . وقال شيخنا ابو عبد الله الذهبي - في جزء جمعه في هذا الحديث بعد ما اورد طرقاً متعددة نحواً مما ذكرنا - ويروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة عن حجاج بن يوسف وأبي عصام خالد بن عبيد ودينار ابي كيسان وزياد بن محمد الثقفي وزياد العبسي وزياد بن المنذر وسعد بن ميسرة البكري وسليمان التيمي وسليمان بن علي الأمير وسلمة بن وردان وصباح بن محارب وطلحة بن مصرف وأبي الزناد وعبد الأعلى بن عامر وعمر بن راشد وعمر بن ابي حفص الثقفي الضرير وعمر بن سليم البجلي وعمر بن يحيى الثقفي وعثمان الطويل وعلي بن ابي رافع وعيسى بن طهمان وعطية العوفي وعبد بن عبد الصمد وعمار الذهبي وعباس بن علي وفضيل بن غزوان وقاسم بن جندب وكثوم بن جبر ومحمد ابن علي الباقر والزهرى ومحمد بن عمرو بن علقمة ومحمد بن مالك الثقفي ومحمد بن جحادة وميمون بن مهران وموسى الطويل وميمون بن جابر السلمي ومنصور بن عبد الحميد ومعلي بن انس وميمون ابي خلف الجراف وقيل ابو خالد ومطر بن خالد ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وموسى بن عبد الله الجهني ونافع مولى ابن عمر والنضر بن انس بن مالك ويوسف بن ابراهيم ويونس بن حيان ويزيد بن سفيان ويزيد بن ابي حبيب وأبي المليح وأبي الحكم وأبي داود السبيعي وأبي حمزة الواسطي وأبي حذيفة العقيلي وابراهيم بن هدية ثم قال بعد ان ذكر الجميع : اجميع بضعة وتسعون نفساً اقر بها غرائب ضعيفة وأردوها طرق مختلفة متعقلة وغالبها طرق واهية . وقد روى من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ فقال ابو القاسم البغوي وأبو يعلى الموصلي قالوا : حدثنا القواريري ثنا يونس بن ارقم ثنا مطير ابن ابي خالد عن ثابت البجلي عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : اهدت امرأة من الأنصار طائرين بين رغيفين - ولم يكن في البيت غيري وغير انس - فجاء رسول الله ﷺ فدعا بقدهاء . فقلت :

يارسول الله قد اهدت لك امرأة من الأنصار هدية ، فقدمت الطائر من إليه فقال رسول الله ﷺ : اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك ، فجاء علي بن ابي طالب فضرب الباب خفياً فقلت : من هذا ؟ قال ابو الحسن ، ثم ضرب الباب ورفع صوته فقال رسول الله من هذا : قلت علي بن ابي طالب قال افتح له ، ففتحت له فأكل معه رسول الله ﷺ من الطيرين حتى فنيا . وروى عن ابن عباس فقال ابو محمد يحيى بن محمد بن صاعد : ثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري ثنا حسين بن محمد ثنا سليمان بن قرم عن محمد بن شعيب عن داود بن عبد الله بن عباس عن ابيه عن جده ابن عباس قال : إن النبي ﷺ أتى بطائر فقال : « اللهم ائتني برجل يحب الله ورسوله فجاء علي فقال : اللهم وإلى » وروى عن علي نفسه فقال عباد بن يعقوب : ثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي حدثني ابي عن ابيه عن جده عن علي قال : اهدى لرسول الله ﷺ طير يقال له الجباري فوضعت بين يديه - وكان انس بن مالك يحجبه - فرفع النبي ﷺ يده إلى الله ثم قال : « اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير . قال فجاء علي فاستأذن فقال له انس : إن رسول الله يعني علي حاجته فرجع ثم أعاد رسول الله ﷺ الدعاء فرجع ثم دعا الثالثة فجاء علي فأدخله ، فلما رآه رسول الله قال : اللهم والي . فأكل معه فلما أكل رسول الله وخرج علي قال انس : سمعت علياً فقلت يا أبا الحسن استغفر لي فإن لي إليك ذنب وإن عندي بشارة ، فأخبرته بما كان من النبي ﷺ فحمد الله واستغفر لي ورضي عني أذهب ذنبي عنده بشارتي إياه » ومن حديث جابر بن عبد الله الأنصاري أورده ابن عساكر من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث عن ابن لهيعة عن محمد بن المنكدر عن جابر فذكره بطوله . وقد روى أيضاً من حديث ابي سعيد الخدري وصححه الحاكم ولكن اسناده مظلم وفيه ضعف . وروى من حديث حبشي بن جنادة ولا يصح أيضاً ومن حديث يعلى بن مرة والاسناد إليه مظلم ، ومن حديث ابي رافع نحوه وليس بصحيح . وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة منهم ابو بكر بن مردويه والحافظ ابو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان فيما رواه شيخنا ابو عبد الله الذهبي ورأيت فيه مجلداً في جمع طرقه والفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ ، ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه سنداً ومثلاً للقاضي ابي بكر الباقلاني المتكلم . وبالجملة ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه والله أعلم .

حديث آخر في فضل علي رضي الله عنه قال ابو بكر الشافعي : ثنا بشر بن موسى الأسدي ثنا زكريا بن عدي ثنا عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار في نخل لها يقال له الاسراف ففرشت لرسول الله ﷺ تحت صور لها مرشوش فقال رسول الله ﷺ : « الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ، فجاءه

أبو بكر ، ثم قال : الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة ، فجاء عمر ، ثم قال : الآن يأتيكم رجل من أهل الجنة قال : فلقد رأيته مطاطياً رأسه تحت الصور ثم يقول : اللهم إن شئت جعلته علياً ، فجاء علي ، ثم إن الأنصارية ذبحت لرسول الله ﷺ شاة وصنعتهما فأكل وأكلنا فلما حضرت الظهر قام يصلي وصلينا ماتوا ولا توفأنا ، فلما حضرت العصر صلى وما توفأ ولا توفأنا . ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو يعلى : حدثنا الحسن بن حماد الكوفي ثنا ابن أبي عتبة عن أبيه عن الشيباني عن جميع بن عمير قال : « دخلت مع أبي علي عائشة فسألتهما عن علي فقالت : ما رأيت رجلاً كان أحب إلى رسول الله ﷺ منه ، ولا امرأة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته » وقد رواه غير واحد من الشيعة عن جميع بن عمير به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد : ثنا يحيى بن أبي بكر ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبد الله الجدي البجلي قال : دخلت على أم سلمة فقالت لي : أيسب رسول الله ﷺ فيكم ؟ فقلت معاذ الله - أو سبحان الله أو كلمة نحوها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سب علياً فقد سبني » وقد رواه أبو يعلى عن عبيد الله بن موسى عن عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بجميلة من سليم عن السدي عن أبي عبد الله البجلي قال : « قلت لي أم سلمة أيسب رسول الله ﷺ فيكم على المنابر ؟ قال : قلت وأتى ذلك ؟ قالت : أليس يسب علي ومن أحبه ؟ فأشهد أن رسول الله ﷺ كان يحبه » وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سلمة . وقد ورد من حديثها وحديث جابر وأبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك » ولكن أسانيدها كلها ضعيفة لا يحتج بها . ﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الرزاق « أنا الثوري عن الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر بن حبیش قال : سمعت علياً يقول : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ إلي أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » ورواه أحمد عن ابن عمير ووكيع عن الأعمش . وكذلك رواه أبو معاوية ومحمد بن فضيل وعبد الله بن داود الحرابي وعبيد الله بن موسى ومحاضر بن المورع ويحيى بن عيسى الرمي عن الأعمش به وأخرجه مسلم في صحيحه عن (١) ورواه غسان بن حسان عن شعبة عن عدي بن ثابت عن علي فذكره . وقد روى من غير وجه عن علي . وهذا الذي أوردناه هو الصحيح من ذلك والله أعلم . وقال الامام أحمد : ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضيل عن عبيد الله بن عبد الرحمن أبي نصر حدثني مساور الحيرى عن أبيه قال : سمعت أم سلمة تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي : « لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق » وقد روى من غير هذا الوجه عن أم سلمة بلفظ آخر ولا يصح وروى ابن عقدة عن الحسن بن علي بن بزيع ثنا عمرو بن إبراهيم ثنا سوار بن مصعب عن الحكم عن يحيى

(١) بياض بالأصل وفي صحيح مسلم عن سعد .

أخرا عن عبد الله بن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زعم أنه آمن بي وما جئت به وهو يبغض علياً فهو كاذب ليس بمؤمن » وهذا بهذا الاسناد مخلوق لا يثبت والله أعلم . وقال الحسن ابن عرفة : حدثني سعيد بن محمد الوراق عن علي بن الخراز سمعت أبا مريم الثقفي سمعت عمار بن ياسر يقول : سمعت النبي ﷺ يقول لعلي : « طوبى لمن أحبك وصدق فيك ، وويل لمن أبغضك وكذب فيك » وقد روى في هذا المعنى أحاديث كثيرة موضوعة لا أصل لها . وقال غير واحد عن أبي الأزهر أحمد بن الأزهر : ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ نظر إلى علي فقال : « أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة ، من أحبك فقد أحبني وحبيبك حبيب الله ، ومن أبغضك فقد أبغضني وبغضك بغض الله ، وويل لمن أبغضك من بعدى » وروى غير واحد أيضاً عن الخارث بن حصيرة عن أبي صادق عن ربيعة بن ناجد عن علي قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال : « إن فيك من عيسى ابن مريم مثلاً أبغضته يهود حتى بهتوا أمه ، وأحبوه النصارى حتى أنزلوه بالمتزل الذي ليس هو له » قال علي : ألا وإني بهلك في اثنتان محب مطرى مفطر يفرطنى بما ليس في . وبغض يحمله شئني علي أن يهتني ، ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إلي ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت ، فما أمرتكم من طاعة الله حق عليكم طاعتى فيما أحببتم وكرهتكم ، لفظ عبد الله بن أحمد . قال يعقوب بن سفيان : ثنا يحيى بن عبد الحميد ثنا علي بن مسهر عن الأعمش عن موسى بن طريف عن عباية عن علي قال : أنا قسم النار ، إذا كان يوم القيامة قلت هذا لك وهذا لي . قال يعقوب : وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله ، وعباية أقل منه ليس بشئ حديثه . وذكر أن أبا معاوية لام الأعمش على تحديته بهذا ، فقال له الأعمش : إذا نسيت فذكروني ، ويقال إن الأعمش إنما رواه على سبيل الاستهزاء بالروافض والتنقيص لهم في تصديقتهم ذلك . قلت : وما يتوهمه بعض العوام بل هو مشهور بين كثير منهم ، أن علياً هو الساقى على الحوض فليس له أصل ولم يحيى من طريق مرضى يعتمد عليه ، والذي ثبت أن رسول الله ﷺ هو الذي يسقى الناس . وهكذا الحديث الوارد في أنه ليس أحد يأتي يوم القيامة راكباً إلا أربعة رسول الله ﷺ على البراق ، وصالح على ناقته ، وحمزة على العضباء ، وعلي على ناقه من نوق الجنة رافعاً صوته بالتلهيل ، وكذلك ما في أفواه الناس من اليمين بعلى يقول أحدهم : خذ بعلى ، اعطني بعلى ، ونحو ذلك كل ذلك لا أصل له بل ذلك من نزغات الروافض ومقالاتهم ولا يصح من شئ من الوجوه ، وهو من وضع الرافضة ويخشى على من اعتاد ذلك سلب الايمان عند الموت ، ومن حلف بغير الله فقد أشرك . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد : حدثني يحيى عن شعبة ثنا عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة عن علي قال : مر بي رسول الله ﷺ وأنا وجع وأنا أقول : اللهم إن كان

أجلى قد حضر فأرحني ، وإن كان أجلا فأرفع عني ، وإن كان بلاه فصبرني . قال : ما قلت : « فأعدت عليه فضر بني برجله وقال : ما قلت ؟ فأعدت عليه فقال ؟ اللهم عافه أو اشفه » فما اشتكيت ذلك الوجع بعد . (حديث آخر) قال محمد بن مسلم بن داره : ثنا عبيد الله بن موسى ثنا أبو عمر الأزدى عن أبي راشد الحراني عن أبي الحمراء قال قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى بن زكريا في زهده وإلى موسى في بطشه فليتنظر إلى علي بن أبي طالب » وهذا منكر جداً ولا يصح إسناده . (حديث آخر في رد الشمس) قد ذكرناه في دلائل النبوة بأسانيد وألفاظه فأغني له عن إعادته . (حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا علي بن المنذر الكوفي ثنا محمد بن فضيل عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر قال : « دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه فقال الناس : لقد طال بجواه مع ابن عمه ، فقال رسول الله ﷺ ما انتجيتيه ولكن الله انتجاه » ثم قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأجلح وقد رواه غير ابن فضيل عن الأجلح ومعنى قوله « ولكن الله انتجاه » أن الله أمرني أن انتجى معه . (حديث آخر) قال الترمذي : ثنا محمد بن بشر ويعقوب بن إبراهيم وغير واحد ثنا أبو عاصم عن أبي الجراح عن جابر بن صبح حدثني أمي أم شراحيل حدثتني أم عطية قالت : بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم علي قال سمعت رسول الله ﷺ رافعاً يديه يقول : « اللهم لا تمنني حتى ترني علياً » ثم قال هذا حديث حسن . (حديث آخر) قال الامام أحمد : حدثنا علي بن عاصم قال حصين أنا علي عن هلال بن يساف عن عبد الله بن ظالم المازني قال : لما خرج معاوية من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبه قال فأقام خطبته يقولون في علي ، قال وأنا إلى جنب سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل قال : فغضب فقام وأخذ بيدي وتبعته فقال : ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الكوفة وأشهد على التسعة أنهم من أهل الجنة ، ولو شهدت على العاشر لم آثم ، قال قلت : وما ذلك ؟ قال قال رسول الله ﷺ : « أثبت حراً فليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد » قال قلت : من هم ؟ قال : رسول الله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن مالك . قال قلت : ومن العاشر ؟ قال قال أنا . وينبغي أن يكتب هاهنا حديث أم سلمة المتقدم قريباً أنها قالت لأبي عبد الله الجدي : « أيسب رسول الله فيكم على المنابر » ؟ الحديث رواه أحمد . (حديث آخر) قال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم وابن أبي بكر قالوا ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة السلولي - وكان قد شهد حجة الوداع - قال قال رسول الله ﷺ : « علي مني وأنا منه ولا يؤددي عني إلا أنا أو علي » ثم رواه أحمد عن أبي أحمد الزبير عن إسرائيل . (حديث آخر) قال أحمد : حدثنا وكيع قال قال إسرائيل قال أبو إسحاق

عن زيد بن بشيع عن أبي بكر « أن رسول الله ﷺ بعثه ببراءة إلى أهل مكة لا يمحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالببيت عريان ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، من كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته والله برئ من المشركين ورسوله . قال فسار بها ثلاثاً ثم قال لعلي الحقه ورد علي أبا بكر وبلغها أنت ، قال فلما قدم أبو بكر على رسول الله بكى وقال يا رسول الله حدثني في شيء ؟ قال ما حدثت فيك إلا خير ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل من أهل بيتي » وقال عبد الله بن أحمد : حدثني محمد بن سليمان لوين ثنا محمد بن جابر عن سماك عن حبشي عن علي قال : « لما نزلت عشر آيات من براءة دعا رسول الله أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني فقال لي أدرك أبا بكر فحيث لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم ، فالحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه ورجع أبو بكر فقال : يا رسول الله نزل في شيء ؟ قال لا ولكن جبريل جاءني فقال لا يؤددي عنك إلا أنت أو رجل من بيتك » وقد رواه كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر بنحوه وفيه نكارة من جهة أمره برد الصديق فان الصديق لم يرجع بل كان هو أمير الحج في سنة تسع وكان علي هو وجماعة معه بعثهم الصديق يطوفون برحاب منى في يوم النحر وأيام التشريق ينادون ببراءة ؟ وقد قررنا ذلك في حجة الصديق وفي أول تفسير سورة براءة . (حديث آخر) روى من حديث أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمران بن حصين وأنس وثوبان وعائشة وأبي ذر وجابر أن رسول الله ﷺ قال : « النظر إلى وجه علي عبادة » وفي حديث عن عائشة « ذكر علي عبادة » ولكن لا يصح شيء منها فانه لا يخلو كل سند منها عن كذاب أو مجهول لا يعرف حاله وهو شيعي . (حديث الصدقة بالخاتم وهو راجح) قال الطبراني : ثنا عبد الرحمن بن مسلم الرازي ثنا محمد بن يحيى عن ضريس العبدي ثنا عيسى بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي قال : نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) فخرج رسول الله ﷺ فدخل المسجد والناس يصلون بين راعم وقائم وإذا سائل فقال : يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً فقال : لا ! إلا هاذك الراعم - لعلي - أعطاني خاتمه . وقال الحافظ ابن عساكر : أنا خالي أبو المعالي القاضي أنا أبو الحسن الخلمي أنا أبو العباس أحمد بن محمد الشاهد ثنا أبو الفضل محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحارث الرملي ثنا القاضي جملة بن محمد ثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو نعيم الأحول عن موسى بن قيس عن سلمة قال : تصدق علي بخاتمه وهو راجح فنزلت (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) وهذا لا يصح بوجه من الوجوه لضعف أسانيدهم ولم ينزل في علي شيء من القرآن بخصوصيته وكل ما يريدونه في قوله تعالى (إنما أنت منذر

ولكل قوم هاد) وقوله (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيمنا وأسيرا) وقوله (أجعلتم سقاية الحاج
وعماره المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر) وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في
أنها نزلت في علي لا يصح شيء منها ، وأما قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) فثبت في
الصحيح أنه نزل في علي وحمزة وعبيدة من المؤمنين ، وفي عتبة وشيبة والوليد بن عتبة من
الكافرين . وما روى عن ابن عباس أنه قال : ما نزل في أحد من الناس ما نزل في علي . وفي
رواية عنه أنه قال : نزل فيه ثلثمائة آية فلا يصح ذلك عنه لا هذا ولا هذا . **حديث آخر** قال
أبو سعيد بن الأعرابي : ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا العباس بن بكار أبو الوليد ثنا عبد الله بن المنني
الانصاري عن عمه ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس قال : « كان رسول الله ﷺ جالسا بالمسجد
وقد أطاف به أصحابه إذ أقبل علي فسلم ثم وقف فنظر مكانا يجلس فيه فنظر رسول الله ﷺ إلى
وجوه أصحابه أيهم يوسع له - وكان أبو بكر عن يمين رسول الله ﷺ جالسا - فترحزح أبو بكر عن
مجلسه وقال : هاهنا يا أبا الحسن ، فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر فرأينا السرور في وجه
رسول الله ﷺ ، ثم أقبل علي أبي بكر فقال : يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل » فأما الحديث
الوارد عن علي وحذيفة مرفوعا « على خير البشر ، من أبي فقد كفر ومن رضى فقد شكر » فهو موضوع
من الطريقين معاً قبح الله من وضعه واختلقه . **حديث آخر** قال أبو عيسى الترمذي : ثنا
إسماعيل بن موسى بن عمر الرومي ثنا شريك عن كهيل عن سويد بن غفلة عن الصنابحي عن
علي قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا دار الحكمة وعلى بابها » ثم قال هذا الحديث غريب قال :
ورى بعضهم هذا الحديث عن ابن عباس قلت : رواه سويد بن سعيد عن شريك عن سلمة
عن الصنابحي عن علي مرفوعا : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت باب المدينة » وأما
حديث ابن عباس فرواد ابن عدى من طريق أحمد بن سلمة أبي عمرو والجرحاني ثنا أبو معاوية عن
الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن
أراد العلم فليأتها من قبل بابها » ثم قال ابن عدى : وهذا الحديث يعرف بأبي الصلت الهروي عن
أبي معاوية سرقه منه أحمد بن سلمة هذا ومعه جماعة من الضعفاء ، هكذا قال رحمه الله . وقد روى
أحمد بن محمد بن القاسم بن محرر عن ابن معين أنه قال : أخبرني ابن أيمن أن أبا معاوية حدث بهذا
الحديث قديماً ثم كلف عنه ، قال : وكان أبو الصلت رجلاً موسراً بكرم المشايخ ويحدثونه بهذه
الأحاديث وسأته ابن عساكر بإسناد مظلم عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن جابر بن عبد الله
فذكره مرفوعاً ، ومن طريق أخرى عن جابر : قال ابن عدى وهو موضوع أيضاً . وقال أبو الفتح
الأودي : لا يصح في هذا الباب شيء . **حديث آخر** يقرب مما قبله ، قال ابن عدى : ثنا أحمد بن

حبرون النيسابوري ثنا ابن أيوب أبو أسامة - هو جعفر بن هذيل - ثنا ضرار بن صرد ثنا يحيى بن
عيسى الرملي عن الأعمش عن بن عباية عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « على عيينة على » .
حديث آخر في معنى ما تقدم قال ابن عدى : ثنا أبو يعلى ثنا كامل بن طلحة ثنا ابن لهيعة ثنا
يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال في
مرضه : « ادعوا لي أخي فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه ثم قال ادعوا لي أخي فدعوا له عمر فأعرض عنه
ثم قال ادعوا لي أخي فدعوا له عثمان فأعرض عنه ، ثم قال ادعوا لي أخي فدعوا له علي بن أبي طالب
فستره بثوب وأكب عليه فلما خرج من عنده قيل له : ما قال ؟ قال : علمني ألف باب يفتح كل
باب إلى ألف باب » قال ابن عدى هذا حديث منكر ولعل البلاء فيه من ابن لهيعة فإنه شديد
الافراط في التشيع وقد تكلم فيه الأئمة ونسبوه إلى الضعف **حديث آخر** قال ابن عساكر :
أبنا أبو يعلى ثنا المقرئ أنا أبو نعيم الحافظ أنا أبو أحمد الغطريقي ثنا أبو الحسين بن أبي مقاتل ثنا
محمد بن عبيد بن عتبة ثنا محمد بن علي الوهبي الكوفي ثنا أحمد بن عمران بن سلمة - وكان ثقة عدلاً
مرضياً - ثنا سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : كنت عند النبي
ﷺ فسئل عن علي فقال : « قسمت الحكمة عشرة أجزاء أعطى على تسعة والناس جزءاً واحداً »
وسكت الحافظ ابن عساكر على هذا الحديث ولم ينبه على أمره وهو منكر بل موضوع مركب على
سفيان الثوري بإسناده قبح الله واضعه ومن افتراه واختلقه . **حديث آخر** قال أبو يعلى ثنا
عبيد الله بن عمر القواريري ثنا يحيى عن سعيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البخترى
عن علي . قال : « بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السن ليس لي علم بالقضاء قال :
فضرب في صدرى وقال : إن الله سيهدى قلبك ويثبت لسانك قال : فما شككت في قضاء بين
اثنين بعد » وقد ثبت عن عمر أنه كان يقول : علي أفضانا وأبي أقرؤنا للقرآن . وكان عمر يقول أعوذ
بالله من معضلة ولا أبو حسن لها . **حديث آخر** قال الامام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد ثنا
جرير بن عبد الحميد عن معوية عن أم موسى عن أم سلمة قالت والذئ أحلف به إن كان علي بن أبي
طالب لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ عدنا رسول الله ﷺ غداة بعد غداة يقول : « جاء علي ؟ مراراً -
وأظنه كان بعثه في حاجة - قالت فجاء بعد فظننت أن له إليهما حاجة فخرجنا من البيت عند الباب
فعدنا عند الباب فكنت من أدناهم إلى الباب فأكب عليه على فجعل يساره ويناجيه ثم قبض من
يومه ذلك فكان أقرب الناس به عهداً » وهكذا رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى عن أبي بكر بن
أبي شيبة به **حديث آخر** في معناه قال أبو يعلى : ثنا عبد الرحمن بن صالح ثنا أبو بكر بن عياش
عن صدقة عن جميع بن عمير أن أمه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا : يأم المؤمنين أخبرينا عن علي ،

قالت : أى شئ تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله موضعاً فسالت نفسه فى يده فمسح بها وجهه ثم اختلفوا فى دفنه فقال : إن أحب الاماكن إلى الله مكان قبض فيه نبيه ﷺ ؟ قالتا : فلم خرجت عليه ؟ قالت أمر قضى لوددت أنى أفديه بما على الأرض « وهذا مشكور جداً وفى الصحيح ما يرد هذا والله أعلم . (حديث آخر) قال الامام أحمد : ثنا أسود بن عامر حدثنى عبد الحميد بن أبى جعفر - يعنى الفراء - عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيغ عن على قال : قيل يا رسول الله من تؤمر بعسك ؟ قال : إن تؤمر وأبا بكر تجوده أميناً زاهداً فى الدنيا راعياً فى الآخرة ، وإن تؤمر وأبو بكر تجوده قوياً أميناً لا يخاف فى الله لومة لائم ، وإن تؤمر وأبى علياً - ولا أراكم فاعلين - تجوده هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم « وقد روى هذا الحديث من طريق عبد الرزاق عن الثعلبان ابن أبى شيبة وعن يحيى بن العلاء عن الثورى عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيغ عن حذيفة عن النبى ﷺ بنحوه . ورواه أبو الصلت الهروى عبد السلام بن صالح عن ابن نمير عن الثورى عن شريك عن أبى إسحاق عن زيد بن يثيغ عن حذيفة به . وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : أنا أبو عبد الله محمد بن على الآدمى بمكة ثنا إسحاق بن إبراهيم الصنعانى أنا عبد الرزاق بن همام عن أبىه عن ابن مينا عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع النبى ﷺ ليلة وفد الجن قال : فتنفس فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : « نعت إلى نفسى . قلت : فاستخلف . قال من ؟ قلت أبا بكر قال فسكت ثم مضى ثم تنفس قلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال نعت إلى نفسى يا ابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال : من قلت : عمر قال : فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس قال : فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : نعت إلى نفسى يا ابن مسعود ، قلت : فاستخلف قال من ؟ قلت : على بن أبى طالب قال : أما والذى نفسى بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعبين « قال ابن عساکر همام وابن مينا مجهولان . (حديث آخر) قال أبو يعلى : ثنا أبو موسى - يعنى محمد بن المثنى - ثنا سهيل ابن حماد أبو غياث الدلال ثنا مختار بن نافع الفهمى ثنا أبو حيان التميمى عن أبىه عن على قال قال رسول الله ﷺ : « رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملى إلى دار الهجرة واعتمق بلالا من ماله ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق ، رحم الله عثمان تستحيه الملائكة رحم الله علياً دار الحق معه حيث دار « وقد ورد عن أبى سعيد وأم سلمة أن الحق مع على رضى الله عنه وفى كل منهما نظر الله أعلم . (حديث آخر) قال أبو يعلى : ثنا عثمان بن جرير عن الأعمش عن إسماعيل ابن رجاء عن أبىه عن أبى سعيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! فقال عمر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ! ولكنه خاضف النعل - وكان قد أعطى علياً نعله يخصفه « - ورواه الامام

البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبى معاوية عن الأعمش به . ورواه الامام أحمد عن وكيع وحسين بن محمد عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء به . ورواه البيهقى أيضاً من حديث أبى نعيم عن فطر بن خليفة عن إسماعيل بن رجاء عن أبىه عن أبى سعيد به . ورواه فضيل ابن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد . وروى من حديث على نفسه . وقد قدمنا هذا الحديث فى موضعه فى قتال على أهل البغى والخوارج والله الحمد ، وقد قدمنا أيضاً حديث على للزبير أن رسول الله ﷺ قال لك : إنك تقاتلنى وأنت ظالم . فرجع الزبير وذلك يوم الجمل ثم قتل بعد مرجعه فى وادى السباع . وقد مننا صبره وصرامته وشجاعته فى يومى الجمل وصفين ، وبسالته وفضله فى يوم النهروان ، وما ورد فى فضل طائفته الذين قتلوا الخوارج من الأحاديث وذكرنا الحديث الوارد من غير طريق عن على وأبى سعيد وأبى أيوب أن رسول الله ﷺ أمره بقتال المارقين والقاسطين والناسكين وفسروا الناسكين بأصحاب الجمل والقاسطين بأهل الشام والمارقين بالخوارج والحديث ضعيف

تم الجزء السابع من كتاب البداية والنهاية ويليه الجزء الثامن وأوله فصل فى ذكر شئ من سيرته العادلة وسيرته الفاضلة ومواعظه وقضاياه الفاضلة وخطبه الكاملة وحكمه التى هى إلى القلوب واصلة

قال مصححه الفقير إلى ربه تعالى (عبد الحفيظ سعد عطيه) من علماء الأزهر : قد اشتركت بعون الله تعالى وقوته مع أحد العلماء فى تصحيح هذا السفر الجليل على نسخة استسخناها من مدينة حلب ولما وصلنا إلى قريب من نصفه عثرنا على نسخة طوقوب بالأستانة فوجدناها أصح النسخ التى من هذا الكتاب فاعتمدنا عليها وأخذنا فى نسخها وأتممنا منها هذا الجزء بعد ما راجعنا عليها ما طبعناه منه قبل الوصول إليها وقد استدركننا ما فاتنا منها ودوناه هنا خدمة للعلم وأداء للأمانة

هذا وقف لله تعالى

فهرس المجلد السابع من البداية والنهائية

صفحة	صفحة
٢	١١٣
سنة ثلاث عشرة من الهجرة وفيها توفي أبو بكر الصديق وتولى الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٤ وقعة اليرموك	ذكر من توفي في هذه السنة خالد بن الوليد
١٦	١١٨
انتقال إمرة الشام من خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة في الدولة العمرية	طلحة بن خويلد . عمرو بن معدى كرب
وقعة جرت بالعراق بعد مجيء خالد إلى الشام	١٢٠
١٨	١٢١
خلافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذكر ما ورد في عمر سيدنا أبي بكر الخ	العلاء بن الحضرمي . النعمان بن مقرن
١٩	١٢٢
فتح دمشق فتحها أبو عبيدة بن الجراح	سنة ثنتين وعشرين من الهجرة وذكر ما فيها من الفتوحات الكثيرة
٢٣	١٢٣
فصل ذكر فيه خلاف المؤرخين في أن دمشق فتحت صلحا أم عنوة	فتح الري
٢٤	١٢٤
فصل ذكر فيه أن أبا عبيدة بعث خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحها ٢٥ وقعة فخل	فتح قومس . وجرجان . وأذر بيجان . والباب
٢٦	١٢٥
فصل فيما وقع بأرض العراق في هذه المدة من القتال ٢٧ وقعة الفمارق	١٢٦
٢٩	١٢٧
وقعة البويت التي اقتصر فيها المسلمون من الفرس	أول غزو الترك
٣٠	١٢٨
فصل في تولية سعد بن أبي وقاص إمرة العراق	١٢٩
ذكر اجتماع الفرس على يزيد جرد	١٣٠
٣١	١٣١
ذكر ما وقع في سنة ثلاث عشرة من الحوادث إجمالا	قصة سد يأجوج ومأجوج
٣٢	١٣٢
ذكر المتوفين في هذه السنة مرتبين على الحروف	بقية من خبر السد
٣٥	١٣٣
سنة أربع عشرة من الهجرة النبوية	١٣٤
٣٧	١٣٤
فصل في غزوة القادسية	قصة يزيد جرد بن شهر يار بن كسرى
٤٣	١٣٥
فصل ذكر فيه ما بنه المسلمون في القادسية	١٣٦
٤٩	١٣٦
ذكر من توفي في هذا العام من المشاهير والأعيان ٥١ سنة خمس عشرة من الهجرة	١٣٧
٥٢	١٣٧
وقعة حصص الأولى ٥٢ وقعة قسرين	غزو المسلمين بلاد خراسان مع الأحنف ابن قيس

صفحة	صفحة
١٥٣	١٣٨
سنة ثمان وعشرين وتسع وعشرين من الهجرة	ذكر زوجاته وأبنائه وبناته
١٥٤	١٣٩
سنة ثلاثين من الهجرة	١٤٠
١٥٦	١٤١
فصل ذكر فيه أعيان ومشاهير من توفي في سنة ثلاثين	١٤٤
١٥٧	١٤٤
سنة إحدى وثلاثين	١٤٥
١٥٨	١٤٦
كيفية قتل كسرى ملك الفرس	١٤٧
١٥٩	١٤٧
سنة ثنتين وثلاثين	١٤٨
١٦١	١٤٩
ذكر من توفي في هذه السنة ومنهم العباس ابن عبد المطلب	١٥١
١٦٢	١٤٩
عبد الله بن مسعود . عبد الرحمن بن عوف . أبو ذر الغفاري	١٥٢
١٦٥	١٥٢
سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة	١٥٣
١٦٦	١٥٣
سنة أربع وثلاثين	١٥٤
١٧٠	١٥٤
سنة خمس وثلاثين وفيها قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه	١٥٥
١٧٣	١٥٥
ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان من مصر وغيرها للمرة الثانية	١٥٦
١٧٦	١٥٦
ذكر حصر عثمان في بيته	١٥٧
١٧٧	١٥٧
ذكر طائفة من الأحاديث الواردة في حصر عثمان وقتله	١٥٨
١٨١	١٥٨
فصل ذكر فيه الحالة التي كان عليها عثمان حين قتل	١٥٩
١٨٤	١٥٩
صفة قتله رضي الله عنه	١٦٠
١٨٩	١٦٠
فصل ذكر فيه شدة وقع خبر مقتل عثمان على أهل المدينة	١٦١
١٩٠	١٦١
فصل ذكر فيه مدة حصار سيدنا عثمان	١٦٢
١٩٢	١٦٢
ذكر صفته رضي الله عنه . فصل في أن قتله أول الفتن والأحاديث الواردة في ذلك	١٦٣
١٩٦	١٦٣
ذكر بعض ما رثى به رضي الله عنه	١٦٤
١٩٧	١٦٤
فصل ذكر فيه استنكار وقوع قتله مع وجود	١٦٥

صفحة	صحيفة
٢٨٤	كبار الصحابة في ذلك الزمن
١٩٨	ذكر طائفة من الأحاديث الواردة في فضائله وهي قسمان الأول في فضله هو وباقي الخلفاء والثاني في فضله وحده
٢١٣	ذكر شيء من سيرته رضي الله عنه
٢١٤	ذكر شيء من خطبه
٢١٥	فصل ذكر فيه مبلغ اهتمامه بالرعية
٢١٦	فصل في طائفة من مناقبه رضي الله عنه
٢١٨	ذكر زوجاته وبنيه وبناته . وفصل ذكر فيه حديث أن رحا الإسلام ستدور لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين
٢١٩	فصل في ذكر من توفى في دولة عثمان
٢٢٢	خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٢٢٥	ذكر بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة
٥٢٨	سنة ست وثلاثين من الهجرة
٢٢٩	ابتداء وقعة الجمل
٢٣٣	ذكر مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة إلى البصرة
٢٤٥	فصل ذكر فيه من وفد على علي وسلم عليه بعد الفراغ من وقعة الجمل
٢٤٦	فصل ذكر فيه أعيان من قتل يوم الجمل
٢٥٠	بعث على قيس بن سعد بن عبادة والي على مصر
٢٥٢	فصل في وقعة صفين بين أهل العراق وأهل الشام ٢٥٧ سنة سبع وثلاثين
٢٧٢	رفع أهل الشام المصاحف على الرماح
٢٧٥	قصة التحكيم ٢٧٧ خروج الخوارج
٢٧٩	فصل ذكر فيه مناظرة علي للخوارج
٢٨١	صفة اجتماع الحكمين أبي موسى وعمر و ابن العاص
٢٨٤	ذكر خروج الخوارج من الكوفة ومبارزتهم عليا بالمداوة والمخالفة وقتال علي إياهم وما ورد فيهم من الأحاديث
٢٨٧	ذكر مسير علي رضي الله عنه إلى الخوارج
٢٨٩	ذكر ما ورد في الخوارج من الأحاديث المسندة إلى رسول الله ﷺ
٣٠٦	فصل ذكر فيه الهيثم بن عدى خطبة لعلي رضي الله عنه في أهل العراق
٣٠٨	فصل ذكر فيه الهيثم بن عدى مبدأ عصيان أهل العراق وخروجهم عن طاعة علي
٣٠٩	فصل ذكر ابن جرير فيه خلاف المؤرخين في حرب علي لأهل التبروان هل كان في سنة سبع وثلاثين أو غيرها
٣١٠ و ٣١٢	ذكر من توفى من الأعيان في سنة سبع وثلاثين ٣١٢ سنة ثمان وثلاثين
٣١٦	فصل ذكر فيه المؤلف أن قتال النهروان كان في سنة ٣٨
٣١٧	ذكر من توفى في هذه السنة
٣١٩	سنة تسع وثلاثين .
٣٢١	ذكر من توفى من الأعيان في هذه السنة
٥٠٠	سنة أربعين من الهجرة النبوية
٣٢٣	مقتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه والأحاديث التي وردت في قتله
٣٢٥	صفة قتله رضي الله عنه
٣٢٨	وصيته رضي الله عنه لأولاده وأهل بيته .
٣٣٠	فصل في ذكر زوجاته وبنيه وبناته
٣٣٢	باب ذكر شيء من فضائل علي بن أبي طالب
٣٣٥	حديث المؤاخاة .
٣٤١	تزوج فاطمة رضي الله عنها

صفحة	صحيفة
٣٤٢ و ٣٤٦	أحاديث بطرق مختلفة في فضل علي
٣٤٦	حديث غدیر خم وأن رسول الله ﷺ قال من كنت مولاه فعلى مولاه
٣٥٠	حديث الطير المشوى الذي أهدى للنبي ﷺ
٣٥٣	حديث آخر في فضل علي روى من عدة طرق
٣٥٧	حديث الصدقة بالخاتم وهو راكع روى من عدة طرق
	﴿ تم الفهرس ﴾

استدراك صواب

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١٦٦	١٥	عن عثمان	عن طاعة عثمان	١٦٩	٥	فيلغك ولا تغير	فيلغك ولا تغير
١٦٧	٥١	غيرهم حتى	غيرهم من السابقين	١٧٠	٨	ولا تغير	ولا تغير
	٤	من الأمر فأشار	ومن الصحابة حتى من الأمر واقتراق الكامة	١٧٠	٨	محصورين من عمرو بن العاص بن المقهورين فجعلوا يعملون معه لا يستطيعون عليه حتى شكوه أن يتكلموا بسوءه في خليفة ولا أمير فما زالوا حتى شكوه	محصورين من عمرو بن العاص بن المقهورين فجعلوا يعملون معه لا يستطيعون عليه حتى شكوه أن يتكلموا بسوءه في خليفة ولا أمير فما زالوا حتى شكوه
	٥	وحمل فروته وأشار	وقل فروته فان غوعاء الناس إذا تفرغوا و بطلوا اشتغلوا بما لا يعنى وتكلموا بما لا يرضى وإذا تفرقوا نفعوا أنفسهم وغيرهم	١٧١	٩	وأنه ولى وأنه ولى الأحداث ^(١) أعطى الولايات وترك الصحابة الأكبر وأعطى	وأنه ولى وأنه ولى الأحداث ^(١) أعطى الولايات وترك الصحابة الأكبر وأعطى
	٢٠	وكتبوا إلى عثمان بذلك	وكتبوا إلى عثمان أن يولى عليهم أباً	١٧٤	١٤	في إمارته وأما في إمارته فقال انه خليف بالامارة	في إمارته وأما في إمارته فقال انه خليف بالامارة
	٨	أكثر الناس على عثمان	موسى الأشعري أكثر الناس في عثمان	١٧٣	١٧	لم يتغير تكاتب لم يتغير ولم يسلك سيرة صاحبيه كاتب ذميا	لم يتغير تكاتب لم يتغير ولم يسلك سيرة صاحبيه كاتب ذميا
	١١	بأمور عنك	بأمور خفي عنك إدراكها	٢٤	٢٤	روميا	روميا
	٢٧	كان كل من ولى	كان كلما ولى أميراً	٢٦	٢٦	عمر بن الأهم عمرو بن الأصم	عمر بن الأهم عمرو بن الأصم
	١	أقصى الغاية وأنت	أقصى الغاية في العقوبة	١٧٤	٩	متقلدا السيف فسلم عليه قيص وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه	متقلدا السيف فسلم عليه قيص وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١٧٥	٢١	بقتلنا وكذلك	بقتلنا إذا دخلنا	١٩١	٢	خفية	خيفة
			مصر وكذلك				
	٢٤	يعنون أنه	يريدون عثمان ويعنون				
١٧٦	٢٦	وعبد الله بن عمرو	وعبد الله بن عمرو				
			ابن العاص				
١٧٧	٧	سهل بن حبيب	سهل بن حنيف				
١٧٨	١٢	هلال بن حق	هلال بن إسحاق	١٩١	٢	خفية	خيفة
	٢٢	حسن	حسن صحيح				
١٧٩	٢	وعليه	وهم				
	٦	سليمان بن سلم	سليمان سمعت				
			معاوية بن سلم				
	٢٧	يد عثمان فبايع	يد عثمان ووضع يديه				
			إحداهما على	١٩٢	٤	أرواح الرجلين	أرواح الرجلين
			الأخرى				
١٨٠	٢٠	على بعض وقال	على بعض ويولى				
			السفهاء من الناس				
			من يختاروه هم فيقع				
			الهرج ويفسد الأمر				
			بسبب ذلك ووقع				
			الأمر كما ظننه فسدت				
			الامة ووقع الهرج				
١٨٣	٧	سبابة الحرشى	سبابة الحرشى				
	١٣	ومن أين	ومن أين أكلت				
١٨٨	٢	ابن عمرو مجاشعا	ابن عمرو في جيش				
			مجاشعا في جيش	١٩٣	١٢	وغيره عن طاوس	وغيره عن ليث
			يوم طاب أم ضرب يوم طاب في الضراب فيه				
١٨٩	٦	فان القوم إنما	فان هؤلاء القوم				
			يحاولون الدنيا	١٩٤	٩	ثلاثا	ثلاثا فلما أكلت
			لم يصدقوا فيما قالوا				
			من أن قصدهم قيام				
			قتل عثمان ولو أنى				

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
			نصرت له لما وهنت	١٩٥	١٥	كالقلب	كالقعب
١٩٤	٢٧	عياد الهنأى	عباد الهبأى		٢٧	من قبله	من قتله إنكم مثلهم
١٩٥	٧	لأماثل	لأقاتل				أو أعظم جرماً

صفحة ١٩٨ بعد سطر ٦

وقد ذكر ابن عساکر في ترجمة سهم بن خنث أو خنيش أو خنث الأزدى وكان قد شهد الدار ورواه محمد بن عائذ عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عنه وكان قد استعاده عمر بن عبد العزيز إلى دير سمعان فسأله عن مقتل عثمان فذكر ما ملخصه ان وفد السبائية وفد مصر كانوا قد قدموا على عثمان فأجازهم وأرضاهم فأنصرفوا راجعين ثم كروا إلى المدينة فوافقوا عثمان قد خرج لصلاة الغداة أو الظهر فحصبوه بالحصى والنعال والخفاف فأنصرف إلى الدار ومعه أبو هريرة والزبير وابنه عبد الله وظلحة ومروان والمغيرة بن الأحنس في أناس، وأطاف وفد مصر بداره، فاستشار الناس فقال عبد الله ابن الزبير: يا أمير المؤمنين إني أشير باحدى ثلاث خصال إما أن تحرم بعمره فيحرم عليهم دماؤنا وإما أن تركب معك إلى معاوية بالشام، وإما أن نخرج فنضرب بالسيف إلى أن يحكم الله بيننا وبينهم فأنا على الحق وهم على الباطل. فقال عثمان: أما ما ذكرت من الاحرام بعمره فتحرم دماؤنا فانهم يرونا ضاللا الآن وحال الاحرام وبعد الاحرام، وأما الذهاب إلى الشام فإني أستحي أن أخرج من بينهم خائفا فيراني أهل الشام وتسمع الأعداء من الكفار ذلك، وأما القتال فإني أرجو أن ألقى الله وليس يهراق بسببي محجمة دم. قال: ثم صلينا معه صلاة الصبح ذات يوم فلما فرغ أقبل على الناس فقال: إني رأيت أبا بكر وعمر أتيا لي الليلة فقالا لي: صم يا عثمان فانك تفطر عندنا، وإني أشهدكم أني قد أصبحت صائما وإني أعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالما مسلوما منه. فقلنا: يا أمير المؤمنين إن خرجنا لم نأمن منهم علينا فأذن لنا أن نكون معه في بيت من الدار تكون لنا فيه جماعة ومنعة، ثم أمر بيباب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكب عليه وعنده امرأته بنت الغرافصة وابنة شيبه فكان أول من دخل عليه محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته فقال: دعها يا ابن أخي فوالله لقد كان أبوك يتلطف لها بأدنى من هذا، فاستحى فخرج فقال للقوم: قد أشعرتكم وأخذ عثمان ما امتعظ من لحيته فأعطاه إحدى امرأته ثم دخل رومان بن سوادان رجل أزرق قصير محدود عداوه من مراد معه حرف من حديد فاستقبله فقال: على أي ملة أنت يا نعل؟ فقال عثمان: لست بنعل ولكني عثمان بن عفان، وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما أنا من المشركين فقال: كذبت، وضربه بالحرف على صدغه الأيسر فقتله فدخلته نائلة بينها وبين ثيابها - وكانت جسيمة ضليعة - فألقت نفسها عليه وألقت بنت شيبه نفسها على ما بق من جسده ودخل رجل من أهل مصر بالسيف مصلتنا فقال: والله لأقطعن أنفه فعالج المرأة عنه فغلبته فكشف عنها درعها من



خلفها حتى نظر إلى متنها فلما لم يصل إليه أدخل السيف بين قرطها ومنكبها فقبضت على السيف فقطع أناملها، فقالت: يارباح، غلام عثمان أسود يا غلام ادفع عنى هذا الرجل، فشى إليه الغلام فضر به فقتله وخرج أهل البيت يقاتلون عن أنفسهم فقتل المغيرة بن الأخنس وجرح مروان قال: فلما أمسينا قلنا: إن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فاحتملناه إلى بقيع الفرقد في جوف الليل وغشيننا سواد من خلفنا فبهيناهم وكدنا أن تتفرق عنه فتنادى مناديهم: أن لا روع عليكم البشوا إنما جئنا لشهده معكم - وكان أبو حبيش يقول: هم ملائكة الله - فدفناه ثم هربنا إلى الشام من ليلتنا فلقينا الجيش بوادي القرى عليه حبيب بن مسلمة قد أتوا في نصره عثمان فأخبرناهم بقتله ودفنه.

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
٢٠١	١	اهدأ	اهدأ	٢١١	١٦	أبو مروان	أبو عثمان
٢٠٢	١٨	ورواه مسلم من	ورواه مسلم من	٢١٣	٢	ابن عفان معتجرا	ابن عفان فرأيناه معتجراً
		حديث محمد:	حديث الليث بن سعد به	١٣		قالوا	بل قالوا
		ومن حديث صالح		٢٢		ابن بردآب	ابن بكار
		ابن كيسان عن				ابن عنكثة	ابن عنكثة
		الزهري به ورواه		٢١٤	٤	عن صلاة	أهي صلاة
		مسلم الخ		٥		بعثمان فأخرت	بعثمان يزحمي فتأخرت
٢٠٣	٩	الاسناد على شرط	الاسناد قلت هو	٢١٥	٢٣	على العظم	على العوم
		على شرط		٢١٧	٢	محمد بن يسار	محمد بن بشار
٢٠٥	٢٥	ابن حنبل	ابن جميل	٢١٨	١٧	ابن خباب	ابن حيان
٢٠٦	١٥	عن شقيق	عن سفيان	٢٢٠	١	بعلنجير	بيلنجير
٢٠٧	١٣	عفان فأقبل	عفان فجاء فأقبل	٢٠		العدي	العدي
	١٧	الحري	الجيري	٢٢١	١٠	طرحتها	طرحتها رضى الله
	١٨	وأوسهلة	وأوسهلة			عنه . وعاش بعد	
٢٠٨	١	في بحر الظهير	في حر الظهير			ذلك إلى هذه السنة	
	٦	مطلب بن شعيب	مطلب بن سعيد			سنة خمس وثلاثين	
٢٠٨	١٣	فقال: إن أحد	فقال: قولى إن أحد	٢٧		ابن أبي ابن العزى	ابن عبد العزى
٢٠٩	٢	أبو أمي ^(١) حبيبة	أبو أمي أبو حنيفة	٢٢٢	١	ابن المنذر وكان	ابن المنذر كان
	٧	ابن سلمة	ابن أسامة			نصرانيا وكان	
	١٤	محمد بن يسار	محمد بن بشار	٢٢٤	٢٢	وأما ما يفتر به	وأما ما يفتر به
٢١٠	٥	مغيرة بن مسلم	معاوية بن سلم	٢٢٩	٧	ستين ألف	سبعين ألف



